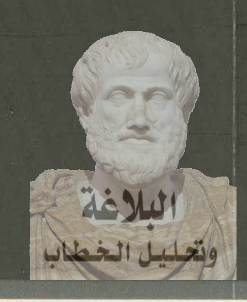
ميرسيا إلياد
يوان ب. كوليانو

معجم الأديان

ترجمة وتقديم وتعليق
خليد كدري





ميرسيا إلياد
يوان ب. كوليانو

معجم الأديان

ميرسيا إلياد

يوان ب. كوليانو

معجم الأديان

بالاشتراك مع

هـ. س. وينر

ترجمة وتقديم وتعليق

خليد كدري

العنوان الأصلي للكتاب

DICTIONNAIRE DES RELIGIONS

Mircea Eliade & Ioan Peter Couliano





معجم الأديان
Mu'jam al-Adyān

Author: Mircea Eliade/Ioan P. Couliano
Tr. by: Khulayd Kudrī
Pages: 538
Size: 17 X 24 cm
Edition No. & Date: 1/2018
Subject Classification: 290
ISBN: 978-9953-64-007-5

تأليف: ميرسيا إلياد - يوان ب. كوليانو
ترجمة: خليد كدري
عدد الصفحات: 538
قياس الصفحة: 24X17 سم
رقم وتاريخ الطبعة: 1/ 2018م
التصنيف الموضوعي: 290
الترقيم الدولي: 978-9953-64-007-5

Publisher
Mominoun Without Borders
for Publishing & Distribution

الناشر
مؤمنون بلا حدود
للنشر والتوزيع

Morocco, Rabat, Agdal
AV. Fal ould oumir
Baht street N32 4th Flour
P.O.Box 10569
Tel: +212 537779954
Fax: +212 537778827
Email: info@mominoun.com

المملكة المغربية - الرباط - أكدال
تقاطع زنقة بهت وشارع فال ولد عمير
عمارة ب، طابق 4، جانب مسجد بدر
ص.ب 10569
هاتف: 537779954 212+
فاكس: 537778827 212+
Email: info@mominoun.com

Lebanon - Beirut
al-Hamra - Maqdisi St. - Balbisi Build.
P.O.Box 113-6306
Tel: +961 1747422
Fax: +961 1747433
Email: publishing@mominoun.com

لبنان - بيروت
الحمراء - شارع المقدسي - بناء بلبيسي
ص.ب 113-6306
هاتف: 1747422 961+
فاكس: 1747433 961+
Email: publishing@mominoun.com

www.mominoun.com



الموزع المعتمد في المغرب العربي
المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع
المغرب - الدار البيضاء - 6 زنقة التيكر
هاتف: 522810406 212+
فاكس: 522810407 212+
Email: markazkitab@gmail.com



المحتوى

مقدمة المترجم 7

استهلال 15

تبصرة بيبليوغرافية مع تفسرة الرموز المستعملة 21

مدخل 25

القسم الأول: الأديان 33

1- أديان أستراليا 35

2- ديانات الأسرار 39

3- أديان إفريقيا 47

4- الإسلام 65

5- أديان أمريكا الجنوبية 95

6- أديان أمريكا الشمالية 109

7- أديان أمريكا الوسطى 123

8- أديان أوقيانوسيا 131

9- البوذية 137

10- ديانة التبت 167

11- ديانة التراقيين 169

12- الأديان الثنوية 175

13- الجاينية 185
14- دين الجرمانيين 191
15- أديان الحتيين 199
16- أديان بلاد الرافدين 203
17- ديانة الرومان 211
18- الزرادشتية 219
19- ديانة السلافيين والبلطيين 233
20- الشامانية 237
21- الشنتوية 243
22- الطاوية 253
23- دين الكلتيين 263
24- ديانة كنعان 269
25- الكونفوشيوسية 275
26- أديان ما قبل التاريخ 283
27- المسيحية 289
28- الديانة المصرية 343
29- الديانة الهلنستية 355
30- الهندوسية 361
31- أديان الهند-أوربيين 383
32- اليهودية 387
33- أديان اليونان 413
القسم الثاني: كشاف أبجدي مزود بشروح 431

مقدمة المترجم

لا تخفى على أحد أهمية المعاجم الفنية في حقول الثقافة والتربية والبحث العلمي... فلن نجانب الصواب إذا ما قلنا: إن معظم النهضات الموفقة المعروفة في التاريخ البشري قامت، بهذه الدرجة أو تلك، على أكتاف صنّاع المعاجم، من كتّاب وناشرين ورعاة مستنيرين. وتشكو مكتبتنا العربية المعاصرة، بلا ريب، من ندرة المعاجم الفنية المحترمة، ولا سيّما معاجم الأديان، التي نعلم خطورتها في زماننا هذا، حيث أضحى الجهل وقوداً ممتازاً للتطرّف.

ويسعدني مترجماً أن أقدّم إلى القارئ العربي هذا المعجم، الذي خطّط لوضعه أحد كبار مؤرّخي الأديان في عصرنا، وهو ميرسيا إلياد (Mircea Eliade)، بمعية تلميذه يوان ب. كوليانو (I. P. Couliano)، أستاذ تاريخ الأديان في جامعة شيكاغو؛ غير أن التزامات إلياد العديدة، ثم رحيله المفاجئ عام (1986)، حالا دون صدور العمل المشترك المتّفق عليه في وقته. وهذه كلها أمور يوضحها كوليانو في **استهلال** الكتاب؛ لكنه يذكر معها، أيضاً، أنّ وفاءه لذكرى أستاذه، وإيمانه بأهمية المشروع الإليادي، شجعاه على تحدي المصاعب، واستئناف العمل على المعجم، بتعاونٍ مع السيدة هيلاري وينر (H. S. Wiesner)، وبالاتفاق المسبق مع السيدة كريستينل كوتسكو (Christinel Cottesco) أرملة الراحل.

وعلى عكس سواد المؤلّفين، يربأ كوليانو، بمعجمه الإليادي، أن يكون مجرّد لقط مصطلحات وأسماء وعناوين مشفوعة ببيانات فضفاضة ومكرورة. فالمعجم، الذي بين أيدينا، ليس مثل كلّ المعاجم؛ إذ ينطوي على رؤية فلسفية حاول المؤلف الإبانة عن بعض ملامحها في **مدخل** الكتاب، ويصدر عن منهج نوعي يستوحي خطوطه

العريضة من معرفته العميقة بالتراث الإليادي، ومن ثمار اطلاعه الواسع على أدبيات تاريخ الأديان، كما تظهرنا على ذلك اللوائح البيبليوغرافية الضافية، التي يذيّل بها فصول المعجم.

غير أن هناك أمراً تجدر الإشارة إليه، وهو أن اللغة الفرنسية، التي كتب بها المعجم، لا تخلو من ألوان الركاكة، وتفتقر، في مواضع شتى، إلى جزالة الأسلوب وسلاسته المطلوبتين في مصنّف موجّه إلى قرّاء الفرنسية ابتداءً؛ لكننا قد نتفهم هذا الأمر متى علمنا أن اللغة الفرنسية ليست هي لغة المؤلّف الأم. وقد اضطررنا، في العديد من المواضع، إلى تفكيك الفقرات والجمل الطوال، ثم إعادة تركيبها من جديد حتى يستسيغها اللسان العربي؛ كما أُحوجنا مراراً إلى التصرّف في علامات الوقف، مثل الفاصلة والفاصلة المنقوطة...، وإلى إقحام الوصلتين، أو العارضتين (–...–)، والقوسين المعقوفين [...] اللذين خصّصناهما للتوضيح عند الضرورة، بقدر ما يسمح به المتن، وإلا لجأنا إلى التعليق في الهامش. وحتى نميّز القوسين المعقوفين، اللذين نستعملهما، عن القوسين المعقوفين، اللذين استعملهما المؤلّف في بعض المواضع، وهي قليلة جداً، استعضنا عن هذين الأخيرين بالعلامة <...>. ويلجأ المؤلف، في مواضع شتى من النصّ الفرنسي، إلى اختصار قدر كبير من المعلومات في عدد قليل من العبارات المبهمة، التي لا تحتمل الترجمة الحرفية البتّة – وإلا ضلّلنا القارئ العربي، وأثقلنا كاهله بعبء جديد هو في غنى عنه– ممّا حتّم علينا الرجوع مراراً إلى مصادر المؤلف، بغية استيعاب المعنى المُراد قبل الإقدام على ترجمة العبارة.

ولا شكّ في أنّ أموراً من هذا القبيل تضع أمانة المترجم على المحك. وقد اقتضتنا هذه الأمانة نفسها أن ننبّه إلى العديد من هفوات المؤلف، التي لا تنتقص، البتّة، من قيمة المجهود الجبار الذي بذله في هذا المعجم. وقد خصصنا لهذه الهفوات العديد من الهوامش المختومة برمز حرف الميم موضوعاً بين هلالين (م)، الذي يعني أن التعليق من المترجم؛ ومن ثمّ، يمكن للقارئ العربي أن يطمئن إلى خلو الترجمة العربية من معظم هفوات الأصل الفرنسي.

وحيث إن مواد المعجم الأصلي مرتبة بحسب حروف الأبجدية الفرنسية، فقد حتّمت علينا الترجمة العربية إعادة ترتيب تلك المواد بحسب حروف الأبجدية العربية، فأدى ذلك إلى ضرورة إعادة ترقيم الفقرات. وتبقى هناك مشكلة مزمنة تتعلّق بنقحرة الألفاظ وأسماء الأعلام الأعجمية؛ فاسم الفيلسوف النمساوي-البريطاني (Wittgenstein)، على سبيل المثال، يُكتب عندنا تارةً «فتجنشتاين»، وطوراً «فتغنشتاين»، وربما كتبه بعضهم «فتقنشتاين»؛ وهذا بصرف النظر عن العشوائية في ضبط حروف العلّة (فتغنشاين/ فيتغنشتاين/ فتغنشتين/ فيتغنشتين...)؛ وقس على ذلك. وفيما يتعلق بالألفاظ والعبارات التي يكتبها المؤلف بخط مائل، فقد كتبناها مشدّدة، أو بالحرف الغليظ. وعلى شاكلة العديد من المعاصرين، يستعيض المؤلف عن التقويم الميلادي بتقويم آخر يقول إنه «محايد»، وبموجب ذلك يُشير إلى التاريخ السابق على ميلاد المسيح بعبارة «قبل الحقبة العامة» (Avant l'ère commune) المختصرة برمز (AEC)، في حين يشير إلى التاريخ الميلادي بعبارة «الحقبة العامة» (Ère commune) المختصرة هكذا (EC). وقد قابلنا الأولى بالحروف «ق.ح.ع»، بينما أشرنا إلى الثانية بحرفي «ح.ع». أمّا فيما يتعلق ببعض الرموز، التي يختصر بها المؤلف عناوين نصوص الكتاب المقدّس، فقد جعلنا حرفي «خر.» مكان (.Ex) التي ترمز إلى **سفر الخروج**؛ وجعلنا حرفي «تك.» مكان (Gen) التي ترمز إلى **سفر التكوين**؛ وجعلنا حرفي «تث.» مكان (.Deut) التي ترمز إلى **سفر التثنية**، كما جعلنا حرفي «صح.» مكان (.Ch) التي ترمز إلى الأصحاح. وفيما يأتي، بالترتيب الأبجدي، أهمّ المصادر والمراجع التي ذكرنا في تعليقاتنا على مواد المعجم:

- ابن منظور، **لسان العرب**، 15 ج، دار صادر، بيروت-لبنان، ط3، 1994.
- **أفستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية**، إعداد خليل عبد الرحمن، روافد للثقافة والفنون، دمشق، ط2، 2008.
- **تاريخ هيرودوت**، ترجمة عبد الإله الملاح، مراجعة أحمد السقاف وحمد بن صراي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001.

- رودلف أوتو، **فكرة القدسي**: التقصي عن العامل غير العقلاني في فكرة الإلهي وعن علاقته بالعامل العقلاني، دار المعارف الحكمية، بيروت-لبنان، ط1، 2010.
- الشهرستاني، **الملل والنحل**، 3 أجزاء، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1968.
- **القرآن الكريم**.
- **الكتاب المقدس**.
- النديم، **فهرست**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2002.

- Aristotle, *Generation of Animals*, Translated by A. L. Peck, Harvard University Press, 1943.
- *Avesta: livre sacré du Zoroastrisme*, traduit, annoté et Introduit par Charles de Harlez, Paris: Maisonneuve & C^ie^, 2^e^ éd., 1881.
- Birmelé, A & Lienhard, M. (éds.), *La foi des églises luthériennes. Confessions et catéchismes*, Paris- Genève: Cerf-Labor et Fides, 1991.
- De Veer, A.-C., «Massa perditionis», in M. Dulaey, J.-M. Salamito (éds.), *Bibliothèque Augustinienne*, 22 (1975), 735-738.
- Eliade, Mircea, *Le Chamanisme et les techniques archaïques de l'exstase*, Paris: Payot, 2^e^ édition revue et augmentée, 1968.
- Hruby, Kurt, «L'amour du prochain dans la pensée juive», *Nouvelle Revue Théologique*, 91 (5), 1969, p. 493-516.
- Lugon, Clovis, *La république communiste chrétienne des Guaranis (1610-1768)*, Paris: Editions ouvrières, 1949.
- Monfrin, Jacques, «Les sources arabes de la Divine Comédie et la traduction française du Livre de l'ascension de Mahomet», In *Bibliothèque de l'école des chartes*, 1951, tome 109, livraison 2. pp. 277-290.

ولا يسعني، في ختام هذه الكلمة المقتضبة، إلا أن أعبّر عن امتناني للسيّد المدير العام لمؤسسة **مؤمنون بلا حدود**، الأستاذ محمد العاني، ولجميع أطر المؤسسة التي احتضنت هذه الترجمة، وأخصّ بالذكر منهم الأستاذ حسن العمراني، رئيس تحرير مجلة **يتفكّرون**، الذي لولا تشجيعه الدائم لي، وصبره الفائق معي، لما رأت هذه الترجمة العربية النور.

خليد كدري

الجديدة-المغرب، 5 تموز/ يوليو 2017

إلى

كريستينل إلياد

«أقول إنه بموجب حكمته لم يتهيأ لإعطاء المزيد، وأنه لم يشأ ذلك. لماذا لم يشأ ذلك؟ لا أعلم. أمّا هو، فيعلم».

ألبرت الكبير (1206-1280)، **الأعمال الكاملة**، مج 26، ص 392.

«كان في الإمكان أبدع مما كان».

برهان الدين البقاعي (1404-1480)، **تهديم الأركان**، ورقة 48 أ.

استهلال

في شهر مايو [أيار] من عام (1975)، وبعد انتهاء فصلين [دراسيين] قضيتهما في شيكاغو بوصفي طالب علم، حدثني ميرسيا إلياد، لأول مرة، عن مشروع هذا المعجم؛ لكن العقد لم يوقّع إلا بعد مضي سنوات عديدة. لقد انشغل بإنهاء كتاب (**تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**) (*Histoire des croyances et des idées religieuses*)، فلم يعاود التفكير في المشروع إلا في عام (1984)، حين تحدثنا عنه مجدداً في مناسبتين، إحداهما في باريس والأخرى في غرونينغ [هولندا]. وكان ميرسيا إلياد، في ذلك الوقت، يتطلّع إلى اختصار التاريخ[1] في مجلد واحد، يكون بمقام دايجست [موجز] (*Digest*) عن الأديان، موجه إلى القارئ غير المتخصّص؛ لكنه كان منشغلاً بمشاريع أخرى، من قبيل الإشراف على أعمال تأليف (**موسوعة الأديان**) (*Encyclopédie des religions*)، التي أصدرها الناشر ماكميلان في نيويورك. وهكذا خطرت على باله فكرة الدمج بين المعجم ومختصر تاريخ الأديان في مجلد واحد تُعرض فيه الأديان وفقاً للترتيب الأبجدي وليس الكرونولوجي [الزمني]؛ على أن يُشفَع بقسم ثانٍ يشتمل على فهرس عام، ويضمّ طائفة من المعلومات الإضافية. لكنّ القراءة (الأبجدية) لفصول القسم الأول لن تكون أقلّ إمتاعاً وفائدةً من «رواية تاريخ الأديان» التي لم يجد إلياد الوقت الكافي لكتابتها. ولم تخضع هذه الخطة لأيّ تعديل جوهري منذ أن اتفقنا عليها.

1- يعني كتاب **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية** المذكور سابقاً. (م)

وتتوافر مكتباتنا على العديد من المعاجم الخاصة بالأديان، سواء تلك التي أعدّها مؤلّف واحد، أم تلك التي هي من تأليف جماعة (انظر: **تبصرة بيبليوغرافية** أدناه). وغني عن البيان أن كتابة معجم أديان يتصف بالضبط (من الناحية العلمية)، ويكون، في الوقت نفسه، في متناول عموم القراء، هو مشروع أخرق مناف للحس السليم، اللّهم إلا أن يكون في حوزة المؤلف أو المؤلفين مصفاة تسمح لهم بتسليط ضوء فريد لا نظير له على نسق الأديان. (وإذا كان الأمر على ما وصفنا، أفليس من المحتمل، أو حتى من المحتّم، إمّا في العاجل وإما في الآجل، أن ينتقد المنتقدون مسعى من هذا القبيل، ويعيبون عليه طابعه الجزئي[2] والشخصي؟) وقد كان ميرسيا إلياد يملك، بلا شكّ، مصفاته الهرمينوطيقية [التأويلية] الخاصّة، علاوةً على خبرة لا مثيل لها في حقل دراسة الأديان. ويُضاف إلى ذلك أنّه كان يتمتّع بشغف [معرفي] لا تضاهيه، في ندرته، سوى مرونته الميثودولوجية. وبالفعل، لقد كان إلياد، في ختام مسيرته المهنية، يغبط العلماء على ما يتمتّعون به من حرية وإبداعية، بالمقارنة مع المؤرّخين، ومع غيرهم من الباحثين الجامعيين المنتسبين إلى قطاع العلوم الإنسانية، الذي كان إلياد يفسّر مثبطاته بكونه يعاني من مركّب نقص عظيم. وسنؤكد، في الفصول الأكثر تعقيداً من هذا المعجم، خاصيّة النسق التي يتمتع بها الدين. وقد تبنّى إلياد هذا التصوّر منذ مؤلّفاته المبكّرة، حتى وإن كان يُعبّر عنه بطريقة مختلفة. وإذا كان مدخل المعجم، كما يظهر، يُقارب، من منظور جديد، العلاقات القائمة بين العديد من المناهج ذات التوجّه النسقي -التي تمّ التركيز، حتى الآن، على ما يُوجد بينها، بالأحرى، من أوجه تباين واختلاف- فلأن التصالح ممكن، ولا مناص منه بلا شك؛ ذلك أن المسافة التي تفصل بين المنهج والميثودولوجيا هي المسافة نفسها التي تفصل بين العلم والتكنولوجيا، كما أن الافتراضات المتقاربة يمكن أن تتمخّض عن نتائج في غاية التباعد.

ويصعب على نوع المصنّف المرجعي، كهذا، الاكتفاء بمبدأ هيكلة [بناء] محدّد؛

2- كذا في الأصل (partiel)؛ ولعل المراد (partial)؛ أي «المتحيّز» أو «غير المحايد». (م)

إنه يحتاج إلى معطيات راهنة [محينة] حول طائفة من الظواهر التي لا يملك المورّخ عنها أية معارف متخصّصة. لقد حاولت، دائماً، مخلصاً في ذلك للمثل الأعلى الذي عبّر عنه ميرسيا إلياد في العديد من المناسبات، أن أوسّع أفق معارفي في تاريخ الأديان، حتى أنّي استدمجت فيه البيبليوغرافيا الأساسية، التي تهم جميع الأديان المعروفة. ولو لا التقارير التي ظللت أنشرها منذ (1974)، في دوريات من قبيل (*Revue de l'Histoire des religions, History of Religions, Studi e Materiali di Storia delle Religioni, Aevum, Journal for the Study of Judaism, Church History*) وغيرها، لما نجحت في إتمام مشروع هذا المعجم الخاص بتاريخ الأديان. وبالمثل، لقد خلّف احتكاكي، في بعض فترات حياتي، بمؤرّخين وفلاسفة مرموقين، أثراً عميقاً في أبحاثي. وأحبُّ، في هذا المقام، أن أخصّ بالذكر أوغو بيانكي (Ugo Bianchi) في ميلانو، وكلّا من ميشيل ميسلان (Michel Meslan) وجاك فلامان (Jacques Flamant) في باريس، ومارتن ج. فيرماسيرن (Maarten J. Vermaseren) في أمستردام من (1978 إلى 1983)، وموشي باراش (Moshe Barash) في أورشليم [القدس]، وكارستن كولب (Carsten Colpe) في شيكاغو في عام (1975)، وهانس يوناس (Hans Jonas) الذي التقيته في نيو روتشيل ولوكسمبورغ وخرونينغن، وكلًّا من هانس كيبنبرغ (Hans Kippenberg) وفلورنتينو غارسيا-مارتينز (Florentino Garcia-Marinez) وهانس فيته (Hans Witte) في خرونينغن، ومايكل ستون (Michael Stone) في مدينة فاسينار، وكلًّا من غوستا ألستروم (Gösta Ahlstrom)، وديتر بيتس (Dieter Betz)، وج. ج. كولنز (J. J. Collins)، وأديلا ياربرو كولنز (Adela Yarbro Collins)، ووِيندي دونيغر (Wendy Doniger)، وروبرت غرانت (Robert Grant)، وديفيد هيلهولم (David Helholm)، وبرنارد مادجين (Bernard McGinn)، وجوزيف م. كيتاغاوا (Joseph M. Kitagawa)، وأرنالدو موميليانو (Arnaldo Momigliano)، ومايكل مورن (Michael Murrin) وفرانك رينولدس (Frank Reynolds)، ولاري

سوليفان (Larry Sullivan)، وديفيد تريسي (David Tracy) وأنتوني يو (Anthony Yu) في شيكاغو، وغيرهم من الزملاء والأصدقاء الذين تأثرت بأعمالهم و/أو بحضورهم تأثراً عميقاً، وساعدوني أحياناً في تلافي الوقوع في تلك الهفوات التي يبدو أنه لا مفرّ لغير المتخصّص[3] من ارتكابها.

وابتداءً من 23 مارس [آذار] 1986، وإلى غاية وفاته بتاريخ 22 أبريل [نيسان]، كنت ألتقي بميرسيا إلياد يومياً. وإلى غاية 13 أبريل [نيسان]، كانت مناقشاتنا في الأمور المتصلة بالعمل تنصبُّ، عموماً، في هذا المعجم. وكنت أعرض عليه شتى أنواع الإفادات البيبليوغرافية؛ لكن لم يكن أيُّ قسم من المعجم قد حُرِّر بعد. وحيث إن **(موسوعة الأديان)** كانت قيد الطبع، وبما أن ميرسيا إلياد كان قد اطلع على جميع ما تشتمل عليه من مواد، فقد أوكل إلي مهمة تحرير نص المعجم انطلاقاً من المجلدات الثلاثة الأولى من كتابه **(تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية)**، ومن الجزء الرابع (وهو عمل جماعي كنا ما نزال ننتظر التوصل بالعديد من فصوله) علاوةً على الموسوعة. ولا شكّ في أنه كان سيطلع على ما كتبت، ويدخل عليه التعديلات اللازمة قبل تسليمه إلى الناشر.

وللأسف لم تسر الأمور كما كنا نريد لهذا المعجم؛ فما عاد ميرسيا إلياد موجوداً بيننا ليعطي موافقته النهائية على هذا العمل. ولكن، بما أنه كان يصرُّ بشدّة على إتمام هذه المشروع، فقد أبت عليّ نفسي أن أتركه، وبما أن إنجاز المهمة يوشك أن يتجاوز قدراتي، فقد تحدثت مع السيدة كريستينل إلياد (Christinel Eliade) عن إمكان التعاون مع شخص ثانٍ. وقد غمرني شعور بالسعادة حين وجدت في السيدة هيلاري س. وينر (H. S. Weisner)، الحاصلة على الماجستير (M.A) من معهد اللغات الشرقية الشهير التابع لجامعة شيكاغو، علاوةً على البكالوريوس (B.A) في علوم الدين من جامعة هارفرد، شريكاً مطلعاً تمام الاطلاع على أعمال ميرسيا إلياد، وعلى مجمل ما كتب عن العديد من حضارات الشرق الأوسط القديمة والحديثة.

3- في الأصل (généraliste)؛ والمراد: مصنّف كتاب عام موجّه إلى الجمهور العريض. (م)

وفي أثناء العمل، الذي بدأ في مدينة فاسينار، في هولندا، حين كنت **زميلاً مقيماً** (*Fellow in Residence*) في **المعهد الهولندي للدراسات المتقدمة** (*Netherlands Institute for Institute Advanced Study*) -الذي يسعدني أن أشكره على حسن استضافته لي- قررنا العودة إلى جميع المصادر المهمة، الأولية أو الثانوية، قبل الإقدام على تحرير أيّ مادة. وتواصل عملنا في كامبريدج في ولاية ماساتشوستس وفي شيكاغو، وفي الجامعة الأمريكية في القاهرة، وفي الأندلس مقتفين آثار الأبهة المورسكية، وفي أميرست في ولاية ماساتشوستس، حيث نزلنا ضيفين على كورت (Kurt) ودوروتي هرتسفيلد (Dorothy Hetzfeld)، واستفدنا من المكتبة الممتازة التابعة لمعهد أميرست (Amherst College). إن تعقيد [صعوبة] المنهج الذي سلكناه يفسّر، بما فيه الكفاية، لماذا لم يكن النص النهائي للمعجم جاهزاً للنشر قبل بداية (1989). لكن إجراءات التحقق والتدقيق، التي أخضعنا لها عدة البحث برمّتها، جعلتنا واثقين، كذلك، من أنه لو عاش ميرسيا إلياد حتى يطلع على عملنا لوافق عليه من غير أن يدخل عليه أية تعديلات جوهرية.

لا نستطيع أن نجزم بشيء على الإطلاق، لكن كل من عرف ميرسيا إلياد يتذكر الأريحية المنقطعة النظير التي كان يتحلّى بها الرجل الذي كان طموحه المهني الوحيد يتمثل في الارتقاء بمبحث تاريخ الأديان. وأنا مقتنع بأنه لو عاش حتى يطلع على هذا المعجم لتقبّل بحماسة كل ما يشتمل عليه من مستجدات في حقل المنهج؛ إلا أنه يجب علي، كذلك، أن أتحمل كامل المسؤولية فيما يتعلق بمحتواه وشكله. فإذا كان ميرسيا إلياد هو الأب الروحي لهذا المشروع، فإنه لن يتحمّل، البتّة، مسؤولية الأخطاء التي يحتمل أن يرتكبها المحرّران.

يوان ب. كوليانو

شيكاغو، 5 (يناير [كانون الثاني] 1989)

تبصرة بيبليوغرافية
مع تفسرة الرموز المستعملة

هناك العديد من المعاجم الخاصة بالأديان، وأوفاها من حيث الكم كتاب (*Dictionnaire des Religions*) الصادر، تحت إشراف بول بوبار (Paul Poupard) (1984)، عن (PUF) (1984، الطبعة الثانية عام 1985، 1838 ص)؛ وهو من عمل العديد من المؤلفين من ذوي التوجّه الكاثوليكي.

وصدر باللغة الإنجليزية عمل آخر من النوع نفسه (29 مؤلفاً)، تحت إشراف جون ر. هينلز (John R. Hinnels)، وهو: (*The Facts on File Dictionary of Religions*)، عن (Facts on File)، (نيويورك 1984، 550 ص)، ونشر العمل، في الوقت نفسه، من قبل (Penguin Books) تحت عنوان: (*The Penguin Dictionary of Religions*) (هارموندسورث 1984). وهو يسعى إلى أن يحلّ محلّ مختصرات أخرى أقدم، من قبيل كتاب (*A Dictionary of Religion and Ethics*) الصادر تحت إشراف شيلر ماتيوس (Shailer Mathews) وجيرالد بيرني سميث (Gerald Birney Smith) (Macmillan، نيويورك 1921، 513 ص)، أو كتاب (*A Encyclopedia of Religion*) الذي أشرف على تحريره فرجيليوس فيرم (Vergilius Ferm) (The Philosophical Library، نيويورك، 1945، 844 ص؛ ومع أن الكتاب يحمل عنوان "موسوعة"، إلا أنه في الواقع عبارة من معجم).

وباللغة الإنجليزية، دائماً، هناك كتاب (*A Dictionary of Comparative Religion*) الذي أشرف عليه صموئيل ج. ف. بريندن (S. G. Brandon) (Weidenfeld & Nicholson، لندن، 1974، 704 ص). وفيما يتعلق بالأديان المصنفة وفقاً للمعايير الجغرافية والكرونولوجية [الزمنية]، هناك العمل الذي أصدره جيفري باريندر (Geoffrey Parrinder) تحت عنوان (*World Religions. From Ancient History to the Present*) (Facts on File، نيويورك- بيسستر، الطبعة الثالثة الصادرة عام 1938؛ ونشر الكتاب أول مرة في عام 1971 تحت عنوان *Man and his Gods*، 528 ص)، وهو يشتمل على واحد وعشرين عرضاً، يُعالج كلّ واحد منها ديناً (أو مجموعة من الأديان). وهناك أيضاً معاجم موجهة إلى الجمهور الواسع، ومزوّدة بوسائل الإيضاح، مثل معجم (*The International Dictionary of Religion*)، الذي أصدره ريتشارد كينيدي (Richard Kennedy) (Crossword، نيويورك، 1984، 256 ص).

وباللغة الألمانية، نذكر العمل الذي أشرف على تحريره فرانز كونيغ (Franz König) تحت عنوان (*Religionswissenschaftliches Wörterbuch. Die Grundbegriffe*) (Herder، فرانكفورت، 1956)؛ كما صدرت طبعة جديدة (الرابعة تحت إشراف كورت غولدامر Kurt Goldammer) من كتاب (*Wörtebuch der Religionen*) لألفرد بيرتولي (Alfred Bertholet) وهانس فريهرن فان كامبنهاوزن (Hans Freiherrn von Campenhausen) (1952)، وذلك عام (1985) (Kröner، شتوتغارت، 679 ص).

ونتوافر على تواريخ عامة للأديان باللغات الإيطالية والفرنسية والألمانية، كتبها متخصّصون في مختلف المجالات، وأجودها كتاب (*Histoire des religions*) الصادر ضمن موسوعة لابلياد (la Pléiade) تحت إشراف هنري-شارل بويش (Henri-Charles Puech) (3 مجلدات، 1970-76؛ 1486 + 1596 + 1460 ص). وهناك المعجم -الأكثر تواضعاً من حيث الكم- الذي أشرف عليه كلٌّ من يان

بيتر أسموسن (Jan Peter Asmussen) ويورغن لاسو (Jörgen Lassöe) وكارستن كولب (Carsten Colpe) (3 مجلدات، Vandenhoeck & Ruprecht، غوتنغن 1971-1975، 525 + 536 + 550 ص)؛ وقد حرّر مواده لفيف من العلماء الإسكندنافيين (بالاشتراك مع كارستن كولب وماري بويس Mary Boyce)، وتُرجِم إلى اللغة الألمانية.

إن معجمنا هذا لم يعتمد، البتّة، على الأعمال المذكورة. لقد حرصنا، ما أمكن، على تحرير مواده انطلاقاً من المصادر والبيبليوغرافيا النقدية الخاصة بالأديان، أو مجموعات الأديان الثلاثة والثلاثين التي يتصدى لاستكشافها في قسمه الأول، متبنّين، على العموم، وجهة نظر (**تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**) لميرسيا إلياد (3 مجلدات، Payot، باريس 1976-1984، 491 + 519 + 361 ص)، مع رجوعنا باستمرار إلى (**موسوعة الأديان**) (*The Encyclopedia of Religion*) الواقعة في (16) مجلداً، التي أشرف عليها ميرسيا إلياد (Macmillan، نيويورك 1987). وفي اللوائح البيبليوغرافية التي تذيل فصول المعجم، نرمز إلى المؤلّفين المذكورين على النحو الآتي: بالنسبة إلى (**تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**)، نذكر اسم إلياد (Eliade) متبوعاً بالحرف الكبير (H) (يليه ذكر المجلد/ الفقرة)؛ أمّا (**موسوعة الأديان**)، فنشير إليها بالحرفين الكبيرين (ER) (يليهما ذكر المجلد والصفحة).

وقد اقتصرنا في نصّ المعجم على أقلّ عدد من الرموز. وهكذا، الحروف (ق.ح.ع) هي اختصار لعبارة «قبل الحقبة العامّة» (أو قبل الميلاد)، والحرفان (ح.ع) يختصران عبارة «الحقبة العامة». أمّا العلامة (↔)، وهي الوحيدة المستعملة في النص، فإنها تعني «انظر»؛ وهي تشير إلى رقم الفصل الذي يتحدّث عن الدين من القسم الأوّل (مثال ذلك: (↔ 9)، وتعني: «انظر الفصل الخاص بالبوذية»)، ويليها عموماً ذكر الفقرة (مثال ذلك: (↔10.9)؛ تعني: «انظر الفقرة المتعلقة بالبوذية التبتية من الفصل الخاص بالبوذية»). أمّا إذا كانت العلامة هكذا (↔)، مجرّدة وغير متبوعة بأي شيء، فإنها تعني، ببساطة، أن اللفظ الذي تليه العلامة قد ذُكِر في القسم العام من

المعجم (مثال ذلك: «...البوذية (↔)...»؛ تعني: «لفظ **البوذية** مذكور في القسم العام من هذا **المعجم**»). وحتى لا نعسّر على القارئ عملية الاستفادة من هذا **المعجم**، فقد حرصنا على تجنّب كثرة استعمال العلامة (↔).

وفيما يتعلق بنقحرة[4] الألفاظ السنسكريتية والعربية، لقد حرصنا، ما أمكن، على اتّباع القواعد المعيارية الدولية المعتمدة في هذا المضمار؛ ونشير إلى أن طائفة من الأسماء، التي تكرر ذكرها بكثرة، لم تخضع للنقحرة الصحيحة، في بعض الأحيان، إلا عند ورودها للمرّة الأولى في النص. وقد يسرنا نقحرة الألفاظ الصينية والعبرية وبسّطناها، متبعين في ذلك الطريقة المعمول بها في كتاب (**موسوعة الأديان**)، أو في غيره من المصنّفات المرجعية.

4- ترجمة: (transcription)؛ وتعني «كتابة ألفاظ لغة ما بحروف لغة أخرى». (م)

مدخل
الدين بوصفه نسقاً

كان كارل بوبر (Karl R. Popper) محقّاً أكثر ممّا كان يظنّ حين عبر عن استيائه ممّا سمّاه «بؤس التاريخانية»؛ ذلك أن الميثودولوجيات التاريخية قد أبطأت في استيعاب مفاهيم أضحت الآن شائعة، وأسفرت منذ مدة طويلة عن ثورة في عدد من العلوم الإنسانية الأخرى، من قبيل «النسق»[5]، «التعقيد»[6]، «المعلومة»[7]. ويرجع الفضل إلى أعمال إدغار موران (Edgar Morin)، التي أشهرت هذه المفاهيم وأذاعتها في فرنسا، ممّا يعفينا من عناء تعريفها في هذا الموضع. وقد دشّن الرياضي الفرنسي بينوا ماندلبرو (Benoît Mandelbrot) آفاقاً مدهشةً بأعماله، التي تروم الوقوف على الخواص الرياضية للموضوعات الطبيعية بوصفها «كسيريات» (fractals). فكلُّ تشعّب لا نهائي يخضع لقاعدة معيّنة هو عبارة عن «كسيرية». إن الأفكار التي تجول في ذهني تنتج هذا النص متوسلةً في ذلك بكسيرية اللغة الفرنسية، وكسيرية لغة متخصّصة، وكسيرية الجنس المسمّى «معجم»، ثم كسيرية النوع المسمّى «مدخل»؛ وتخضع كذلك لنظم أخرى كامنة من قبل: «بسيط»، «واضح»، موجز»، «بلا هوامش»، «جمهور غير متخصص»، «تؤدة»...؛ لكن نظري يتجه صوب النافذة، ملتمساً خطوط الضوء

5- ترجمة: (système). (م)

6- ترجمة: (complexité). (م)

7- ترجمة: (information). (م)

الذي يتحوّل إلى العتمة، فيحضرني اسم مألوف، ويرسم على شفتي ابتسامة. إن حياتي عبارة عن نسق كسيريات شديد التعقيد؛ [نسق] يراوح، في الآن نفسه، بين العديد من الأبعاد. وأذكر من هذه الأبعاد أحوالاً من قبيل «أستاذ»، «زميل»، «جار»، أو أمور أخرى، مثل: «حب»، «قراءة»، «موسيقا»، «مطبخ»، وبعدها أتوقف. أجد نفسي، في كل لحظة، نتاجاً لجميع هذه الأبعاد، ولآلاف الأبعاد الأخرى التي لم تجد طريقها (بعد) إلى قاموس «روبير الكبير» (Grand Robert)، التي تسمح بعدد من التوليفات، هو عملياً عدد لا نهائي. ويسمّى الفضاء الرياضي الذي لا نهاية لعدد أبعاده «فضاء هلبرت (Hilbert)». ومع الرياضي الأمريكي رودي راكر (Rudy Rucker)، أستطيع أن أعرف حياتي بوصفها «كسيرية في فضاء هلبرت».

ومع أنه أعقد ممّا نتصور، إن مجرى نهار اليوم في مدينة شيكاغو يشكّل، بدوره، «كسيرية في فضاء هلبرت»؛ وكذلك هو تاريخ هذه المدينة، وتاريخ الميدوست[8] الأمريكي، وتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، وتاريخ القارّتين الأمريكيتين؛ بل تاريخ العالم برمّته من بداياته الأولى إلى يومنا هذا. إن جميع هذه التواريخ، التي يحتوي بعضها بعضاً، هي عبارة عن تشعّبات لا نهائية، ذات عدد لا نهائي من الأبعاد.

وإذا كنا نستطيع قبول تعريفات ذات طابع عام، حيث لا تُلزمنا بأي شيء، فإنه يصعب علينا، مع ذلك، أن نقبل الفكرة القائلة إن الحياة -وهي الظاهرة الفوضوية بامتياز- «تشكّل نسقاً». في الواقع، أجد أن حياتي تنتظم وفقاً لإوالية ثنائية الخيار[9]؛ لأنها في كلّ لحظة تستقبل «معلومة» تتمخّض عن «نسق»؛ في الساعة (6 و35) دقيقة صباحاً، يرنُّ جرس ساعتي المنبّهة، فيضعني أمام خيار القيام من فراش نومي أو البقاء فيه. وإذا ما أنا قمت من فراشي -وهذا ما يحصل عادةً- فسيكون علي أن أختار بين الاستحمام وعدم الاستحمام؛ وبعدها سيكون عليّ أن أواجه اختيار وجبة الفطور

8- وسط غرب الولايات المتحدة الأمريكية. (م)

9- ترجمة: (mécanisme d'option binaire). (م)

أو الأطعمة التي سأتناولها... وخلال ذلك كله تأخذ أفكاري منحىً تحدّده أنشطتي ومشاعري...، وتستعير لها دوماً القوالب التي تفرضها الوضعيات والنماذج التواصلية التي لا حدّ لتعقيدها. إنني أعلم ما تكونه حياتي (إنها كسيرية في فضاء هلبرت)، إلا أنّه يتعذر علي أن أصفها في تعقيدها كله، اللّهم إلا إذا قمت بإعادة إنتاجها كما هي. فلا يسعني إلا أن أعيشها (وهذا ما أفعله). غير أن الأمر يختلف حين يتعلق بالخيارات الأساسية التي أنخرط فيها في كل لحظة؛ أي تلك التي «تشكّل نسقاً»؛ بوسعي أن أصفها، مع سابق العلم أنها لا تمثل سوى وجه واحد من وجوه نسق ممعن في التعقيد على نحو لا نهائي.

على أي نحو يشكل الدين نسقاً؟ لقد أكّد مؤلفون من مشارب واتجاهات شتى، أمثال إميل دوركايم (Émile Durkheim)، مارسيل موس (Marcel Mauss)، جورج دومزيل (Georges Dumézil)، ميرسيا إلياد (Mircea Eliade)، وكلود-ليفي ستروس (Claude Lévi-Strauss)، على فكرة مفادها أن الدين يعبر عن بعض البنى[10] العميقة. فإميل دوركايم يرى، في كتابه الأساسي (**الأشكال الأولية للحياة الدينية**) (*les formes élémentaires de la vie religieuse*) (1912)، أن النسق الديني لا يتمتع بأيّ استقلال ذاتي[11]؛ بمعنى أنه نسق يترجم عن نسق آخر: نسق العلاقات الاجتماعية القائمة داخل مجموعة [بشرية] ما. وعلى غرار دوركايم، بقي جورج دومزيل، إلى آخر يوم في حياته، مخلصاً لتصوّره للأسطورة، بوصفها «تعبيراً درامياً» عن الإيديولوجيا الأساسية السائدة في كلّ مجتمع بشري (**سعادة المحارب وشقاوته** *Heur et Malheur du guerrier*، ص 15). وبخلاف ذلك، يخلص ليفي-ستروس من تحليلاته المتكرّرة لأسطورة أسديوال (Asdiwal) عند الهنود التسيمشيان (Tsimshian) في الساحل الشمالي الغربي لأمريكا الشمالية إلى نتيجة

10- ترجمة: (structures)؛ جمع «بنية». (م)

11- ترجمة: (hétéronome). (م)

تتعارض تماماً مع ما ذهب إليه دوركايم ودومزيل؛ وقد كتب، على الخصوص، قائلاً: «إن هذه الأسطورة ... تعمد بكيفية منتظمة إلى تحويل[12] مظاهر الواقع الاجتماعي كافة ضمن منظور موسوم بالمفارقة» (**كلمات معطاة** *Paroles données*، ص 122)؛ وهذا يعني أن نسق الدين، بالنسبة إلى ليفي-ستروس، مستقلّ عن نسق المجتمع.

وعلى الرغم من الأمور الخلافية الموجودة بين ميرسيا إلياد وليفي-ستروس، إن هناك أمراً يشتركان فيه، وهو سعيهما إلى الكشف عن «القواعد» التي بمقتضاها ينبني الدين، ومن ثمّ الإبانة عن طابعه النسقي؛ ثم إن كليهما يؤكّد الاستقلال الذاتي[13] الذي يتمتّع به الدين إزاء المجتمع.

لكن، على أي نحو يمكن لنا أن نترجم، عملياً، نتائج هذه الفكرة المبهمة، التي تقول إن الدين (وما إليه) عبارة عن نسق؟ في الواقع، إن الأمر لا يتعلق، هنا، بأي اكتشاف حديث العهد، لكن النتيجة التي تلزم عن هذه الفكرة، في المقام الأول، هي أن معطيات الدين سانكرونية [متزامنة]، وأنّ توزّعها الدياكروني [التعاقبي] عملية يمكن أن نعفي أنفسنا من تحليل أسبابها. أمّا إذا ما شئنا تحليل هذه الأسباب، فإنه يتوجب علينا، عندئذٍ، أن نيمّم باستمرار شطر أبعاد جديدة على الدوام، وأن نواجه كسيريات أخرى معقدة على نحو لا نهائي. ومن هذا المنظور، لا يملك الدين أيّ «تاريخ»، ولا يتحدّد التاريخ في لحظة معطاة بوساطة «الدين»، وإنما يتحدّد بوساطة بقايا دين ناقصة؛ ذلك أن أي دين من الأديان هو، قبل كلّ شيء، نسق معقّد على نحو لا نهائي؛ وهو بعد ذلك جزء من النسق الذي وقع عليه الاختيار خلال تاريخ ذلك الدين؛ والحال أن ما يوجد، في اللحظة المعطاة التي يمكن أن نسميها «الآن»، هو جزء لا نهائي الصغر من هذه الكسيرية فقط. إن «الآن» البوذي هو أقل من البوذية التي كانت (ولا تزال كائنة)، بينما هذه الأخيرة هي أقل بالنسبة

12- ترجمة: (transposer)، من (transposition) التي تعني حرفياً: «نقل شيء ما من موضع إلى موضع آخر». (م)

13- ترجمة: (autonomie). (م)

إلى نسق البوذية المثالي (أي البوذية بوصفها نسقاً يضمُّ جميع تشعبات الكسيرية التي تتولّد عن مقدماته وشروط وجوده...).

وينبغي أن نؤكّد، مرة أخرى، أن هذا الرؤية ليست جديدة؛ فعلماء الهرطقات المسيحيون، أمثال إيريناؤس الليوني (Irénée de Lyon)، أو إبيفانيوس السلاميسي (Epiphane de Salamine)، والدكسغرافيون[14] العرب، أمثال النديم والشهرستاني، كانوا يشتركون كلهم في التصوّر النسقي للدين، وكانوا يعلمون جيداً ويبينون، على الدوام، أن كل هرطقة هي إحدى بدائل[15] هرطقات أخرى، وأن مختلف المذاهب الدينية تتقاطع بموجب قواعد جدّ واضحة. ومن ذا الذي يعلم أكثر من مؤرّخ العقائد المسيحي أن هذه الأفكار التي تناحر من أجلها البشر، وتسافكوا الدماء، إنّما يتولّد بعضها من بعض بموجب إوالية لا تعكس أيّ «واقع» [حقيقي] موجود خارج الضمائر البشرية، [هذه] الأجهزة التي يبدو أن وظيفتها تتمثل في اللوك اللا نهائي لطائفة من الأفكار بناءً على مقدمات تشتق بدورها من افتراضات مسبقة عشوائية؟ إنه من المتعذّر (من الناحية التجريبية) معرفة ما إذا كان يسوع المسيح في مرتبة الإله الآب، أم في مرتبة أدنى من مرتبته، ومعرفة أية علاقة هيراركية [تراتبية]، بالضبط، تجمعه بالإله الآب في حالة ما إذا لم يكن لا هذا ولا ذاك. إلا أنه من الممكن تماماً، متى أحطنا علماً بمعطيات النسق (في حالتنا هاته: أن هناك ثالوثاً إلهياً يتألّف من ثلاثة «أشخاص»، أو على الأقل ثلاثة أطراف يحملون أسماء فردية)، **توقع** جميع الحلول الممكنة التي تحتملها المشكلة، والتي ليست في الواقع حلولاً «تاريخية» (ولو عبّر عنها أشخاص مختلفون في عصور مختلفة) ما دامت حاضرة بصورة سانكرونية [متزامنة] في النسق. وبعبارة أخرى، قبل أن يوجد أريوس (Arius) أو نسطوريوس (Nestorius) **أعلم** أنه سيوجد أريوس أو نسطوريوس؛ لأن حلولهما تشكّل جزءاً من النسق، ولأن

14- في الأصل (doxologues)؛ ولعلّ الصواب (doxographes) كما ذكرنا. وتعني، على العموم: مؤرّخي الآراء والمذاهب القدماء. (م)

15- ترجمة: (variantes)، جمع (variante)، وتترجم أحياناً بلفظ «متغير». (م)

هذا النسق هو الذي ينتج فكر أريوس ونسطوريوس، في الوقت الذي يظنّ أريوس ونسطوريوس، بدورهما، أنهما هما اللذان بفكرهما ينتجان النسق. وما ينطبق على الخريستولوجيا [الأخرويات]، أو المريولوجيا [المريميات]، ينطبق أيضاً على الأنساق الأخرى كلّها، بما في ذلك العلم والإبستمولوجيا؛ بل بما فيه التحليل النسقي لكلّ نسق من هذه الأنساق.

ولن نتطرق، هنا، إلى ما يلزم عن هذه الرؤية النسقية من نتائج؛ لكن كيف يمكن لنا أن نبرّر تبنّيها في كتاب لا يعدو أن يكون معجماً، أو مرجعاً عاماً؟ لقد تبنيناها لأنها تبصر القارئ وتسعفه بالإواليات التي تصنع الوجوه والمظاهر المختلفة لدين من الأديان، لكن من الواضح أنه لا يمكن اللجوء إلى التحليل النسقي إلا عندما تسمح بذلك درجة تعقيد المعطيات، كما في حالات البوذية والمسيحية والإسلام. وحين يكون الحيّز المخصّص لعرض العناصر الأساسية المكوّنة لدين من الأديان حيّزاً ضيّقاً، نكتفي بوصف تركيبي لهذا الدين، مع الحرص على الإفادة، ما أمكن، من المصادر الأوّلية والثانوية الأكثر أهمية.

وعلى ذلك، فالمعجم الآتي ينطوي على ثلاثة «أبعاد»، أو ثلاثة مستويات قراءة: مستوى العرض «الموضوعي» الذي يشتمل على المعطيات الأساسية الخاصة بالعديد من الأديان؛ المستوى «الأدبي» الذي إذا لم يكن يسمح لكلّ قارئٍ بأن يقرأ «رواية» تاريخ الأديان كما أرادها ميرسيا إلياد، فإنه سيتيح له، على الأقل، أن يقرأ سلسلة من الحكايات ذات الصلة بالموضوع نفسه؛ ثمّ أخيراً مستوى تحليل بنيات أنساق دينية، وأوجه تشابهها واختلافها. فعلى غرار نور المصباح الذي يقع على الشاشة، وأفكاري التي تنأى عن جهاز الحاسوب، ثم هذه الصفحات التي ستبقى مرقونة فيه، ستكون أبعاد هذا الكتاب حاضرة، بصورة متزامنة، في كل خطوة نخطوها؛ ذلك أن للكتب حياة، وهذه الحياة لا تعدو أن تكون كسيرية في فضاء هلبرت.

إفادات بيبليوغرافية:

فيما يتعلق بالوصف الرياضي للطبيعة والفكر، انظر على الخصوص:

- Rudy Rucker, *Mind Tools. The Five Levels of Mathematical Reality* (Houghton Mifflin, Boston 1987).

وفيما يتصل بعلاقة جورج دومزيل بإميل دوركايم، انظر:

- C. Scott Littleton, *The New Comparative Mythology. An Anthropological Assessment of the Theory of Georges Dumézil* (University of California Press, Berkeley-Los Angeles 1966).

وفيما يخص العلاقات بين الأسطورة والإيديولوجيا والمجتمع، انظر:

- G. Dumézil, *Heur et malheur du guerrier. Aspects mythiques de la fonction guerrière chez les Indo-Européens* (Flammarion, Paris 1985).

وتشكّل «مأثرة أسديوال» (geste d'Asdiwal) الشهيرة موضوع الفصل التاسع من كتاب **الأنثربولوجيا البنيوية 2** (*Anthropologie structurale deux*) (بلون Plon، باريس 1973) لكلود ليفي-ستروس، وموضوع فصل **أسديوال برؤية جديدة** (*Asdiwal revisité*) من كتاب **كلمات معطاة** (*Paroles données*) (بلون Plon، باريس 1984).

وفيما يتعلق بنقد ليفي-ستروس لدوركايم، انظر:

- Guido Ferraro, *Il linguaggio del mito. Valori simbolici e realtà sociale nelle mitologie primitive* (Feltrinelli, Milan 1979) et Sandro Nannini, *Il pensiero simbolico* (Il Mulino, Bologne 1981), pp. 17-25.

وفيما يتصل بتطور الرؤية النسقية عند ميرسيا إلياد، انظر كتابي:

- *Mircea Eliade* (Cittadella, Assisi 1978).

ومن أجل تحليل نسقي لمركب كامل من الأديان، انظر كتابي:

- *Gnoses dualistes d'Occident* (Plon, Paris 1990).

القسم الأوّل

الأديـــان

1
أديان أستراليا

تمكنت أديان الأبوريجان -المقيمين في شمال القارة الأسترالية، في أرض أرنهيم (Arnhem)، وفي المنطقة الوسطى- من مقاومة ظواهر المثاقفة. وتشترك هذه الأديان في العديد من السمات الدالّة على الوحدة.

فالأبوريجان يؤمنون بإله خالق يلوذ بأعالي السماء البعيدة، حيث لا يستطيع اللحاق به أحد من البشر. وهو لا يبرح مقامه السري هناك إلا ليحضر المُسارَّات[16] الموغلة في الخفاء. ومن ثمّ، إنّ الأبوريجاني، في حياته اليومية المعتادة، لا يدعو **الإله المحايد** (*dieu otiosus*)؛ بل يدعو البطل الثقافي، كما يدعو الكائنات الأوتوجينية[17] القادمة من زمن «الحلم» (**ألتشيرا** *alchera* أو **ألتشرينغا** *alcheringa*). وهي كائنات سماوية تستطيع الحركة والتجوال، بكلّ حرية، فيما بين الأرض والسماء، مستعينةً، على سبيل المثال، بشجرة أو سلّم؛ وهي القائمة على عملية «الخلق الثاني» للعالم، المتمثلة في تنسيقه وضبط نظامه بوصفه حيّزاً جغرافياً صالحاً للإقامة. ويتعلق الأمر، طبعاً، بجغرافيا مقدّسة تذكر كلّ فرد، عندما يجيل النظر في صخرة، أو في شجرة، مثلاً، بأعمال الكائنات الأسطورية البدئية، التي اختفت لاحقاً في غيابات الأرض، أو في

16- ترجمة: (initiations)؛ ومفردها «مُسارَّة». (م)

17- تعريب: (autogènes)؛ ومعناها «ذاتية النشأة». (م)

السماء. وقد حرصت هاته الكائنات على إزالة الجسر الذي يصل الأرض بالسماء، مسجلةً بذلك القطيعة النهائية بين هذين المستويين من المكان، واللذين يعدّان، في حقيقة الأمر، مستويين أنطولوجيين.

يطلع الأبوريجاني على تاريخ عالمه المقدّس خلال المُسارَّات والشعائر المُسارِّية السريّة (**الكونابيبي** *kunapipi* **والدجنغوول** *Djanggawul*)، التي، وإن كانت لا تتصل دائماً بطقوس الختان وتشقيق أسفل الإحليل، فإنها تداوم على تزويد الأفراد الجدد المرشحين للمُسارَّة بمعارف ميثولوجية أساسية.

وتتسم طقوس البلوغ الخاصّة بالأولاد بدرجة أعلى من التعقيد والعنف بالمقارنة مع الفتيات عند حلول أولى دوراتهن الشهرية. وعلى الرغم من أن الختان ليس عامّاً في جميع أستراليا، فإن الولد يتعرّض إلى نوعٍ من «الموت الرمزي» المصحوب بجراح طقسية، وبرشِّ الدم، وبسبات يُفترَض أن «يتذكر» خلاله أصول العالم المقدسة. وتتأسّس شعيرة كونابيبي السرية، عموماً، على الدور الميثولوجي للأخوات واويلاك (Wawilak)، اللواتي تلقين المعارف السرية من الثعبان القضيبي العملاق، فالأمر يتعلق بعملية «خلق ثالث»؛ أي خلق المجال الثقافي الخاص بالأبوريجان.

وترسيمة الموت والبعث الطقسي نفسها نلفيها حاضرةً بصورة أوضح في المُسارَّات الشامانية؛ فالمرشح «يُقتل»، و«يخضع للجراحة» من طرف رجال الطب الذين يبدلون أعضاءه الداخلية بأعضاء من طبيعة معدنية غير قابلة للفناء. وأثناء ذلك، تقوم روح المرشّح الجديد برحلة دانتية صوب السماء والعالم السفلي. وبمجرد ما يُعاد تشكيله، يصبح الشامان الجديد مالكاً قدرات خاصّة.

وفي معظم المركبات الأسطورية ذات العلاقة بالمُسارَّة، يلعب الثعبان قوس قزح دوراً مهمّاً؛ فهو المتجرّد لحراسة بلورات المرو [الكوارتز] في المستنقعات والعيون التي يعيش فيها، تلك البلورات المنحدرة من زمن الحلم ومن العالم السماوي، والتي تصلح لصنع الأعضاء المعدنية للشامان الجديد. والثعبان المائي ونامبي (Wonambi) هو

الذي «يقتل» المرشحين الجدد للمُسارَّة في القفار الغربية. وفي كوينزلاند (Queensland) يرميهم في أجسادهم بعصا، أو بقطعة عظم، يتعيّن على رجال الطب أن يستخرجوها بعد أيام خلال عملية «إنعاش» الشامان الجديد. وتذرع المواد السحرية المسافة الفاصلة بين السماء والأرض متدحرجة على قوس قزح؛ لهذا وخوفاً من عدم تمكّن رجال الطب من الحصول على البلورات السماوية، يحظر العوم في مستنقع، أو في بركة، مرّ من فوقها طرف قوس قزح.

وينظر الأبوريجان إلى الموت بوصفه نتاج أذية سحريّة. ويشتمل الطقس الجنائزي على عقوبة القاتل المفترض. وعلى شاكلة الشامان، يسافر الميت إلى السماء، لكنّه، بخلاف الشامان، لن يكون في مستطاعه على الإطلاق أن يستخدم جسده المادي.

1.1- بيبليوغرافيا:

- M. Eliade, *Religions australiennes*, tr. Fr., Paris 1972; cf. I. P. Couliano in *Aevum* 48 (1974), 592-3; A. P. Elkin, *The Australian Aborigines*, Sydney, 1964 (1938); R. M. Brendt, *Australian Religions*: *An Overview*, in ER 1, 529-47; C. H. Brendt, *Mythic Themes*, in ER 1, 567-62; S. A. Wild, *Mythic Themes*, in ER 1, 562-66; K. Maddock, *History of Study*, in ER 1, 566-70.

2
ديانات الأسرار

0.2- تنطوي كلمة «أسرار» (mystères) على معنى فني اصطلاحي جد دقيق، وتحيلنا إلى مؤسسة قادرة على ضمان المُسارَّة. ولإيديولوجيا الأسرار مصدران: المُسارَّات[18] القديمة والجمعيات السرية، من جهة، ولون من التديّن الزراعي المتوسّطي[19] من جهة أخرى. ومن المنظور الميثولوجي، قد ميّز الإثنولوجي أدولف إ. ينزن (Ad. E. Jensen) (↔ 1.7) بين نسختين من إحدى أساطير الأصول الملازمة للحضارات الزراعية. فعند [قبائل] مارِيند-أنيم (Marind-Anim)، في غينيا الجديدة، يُطلق على الآلهة الخالقة، وعلى الكائنات الأخرى التي تنتمي إلى الزمن البدئي، اسم **ديمات** (*Demas*). إن الحكاية الأسطورية الأولى تتعلق بقتل إله **ديما** على يد **الديمات** الأخرى. ويرمز الإله القتيل إلى عملية العبور من الزمن البدئي إلى الزمن التاريخي المحكوم بالموت، وبضرورات الأكل والشرب والتناسل الجنسي. ويمثل الإله المضحى به «أول الموتى»؛ وهو الذي يتحول إلى كل أصناف النباتات، كما يتحول إلى كوكب القمر. وتعدُّ العبادة بمقام تمثيل درامي لعملية قتل **الديما**، التي يتم إحياء ذكراها عن طريق مضغ الأطعمة. ويطلق أدولف إ. ينزن على هذه

18- جمع مُسارَّة (initiation). (م)

19- نسبة إلى منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط. (م)

الميثولوجيما[20] اسم هاينويل (Hainuwele)، وهي الإلهة القتيلة عند شعب الويمال (Wemale) في جزيرة سيرام (Ceram) [جزر الملوك]، ثم يربطها بزراعة النباتات ولا سيّما الدرنيات. أمّا الميثولوجيما الأخرى التي يربطها أدولف إ. ينزن بزراعة الحبوب، فتتمثل في سرقة الحبوب من السماء، ويقرنها ببروميثيوس. والواقع أن هاتين الأسطورتين قد ظهرتا في مناطق جغرافية جدّ متباينة، إمّا لتفسير ظهور النباتات الدرنية، وإما لتفسير ظهور النباتات المثمرة للحبوب.

1.2- **الأسرار اليونانية**. لا توجد أسرار إيرانية أو بابلية أو مصرية. إن الأسرار ظاهرة هلينية. ويتجلى المثال الأنموذجي للأسرار اليونانية، خلال العهد الكلاسيكي، في أسرار أليوسيس (Éleusis)، التي نلفي ديونيسوس (Dionysos) يدور سلفاً في فلكها، منذ فترة موغلة في القدم، من غير أن يتمكن من الاستقلال بأسراره الخاصّة. ولم يكن الأورفيون، ولا الفيثاغوريون، يتوافرون على مؤسسات مُسارِّية. لكن الأشياء تختلف حين يتعلق الأمر بالكابيروي (Cabires)، أو كوبيلي (Cybèle)، أو آتيس (Attis). ويعدُّ هذا الأخير الوحيد من بين «الآلهة المائتة» المنحدرة من الشرق الأدنى (تموز، أدونيس، أوزيريس) التي اندمجت في عبادة مُسارِّية منظّمة.

ويتأسس مركب أسرار ديمتير (Déméter) وابنتها كوري-بيرسيفون (Koré-Perséphone) على إيديولوجيا زراعية، وعلى سيناريو ميثولوجي قريب من ذلك الذي يتمحور حول هاينويل، أو كوري[21] جزر الملوك. فعلى شاكلة هاينويل، تختفي بيرسيفون في أعماق الأرض، وتتم المماثلة بينها وبين القمر،

20- تعريب: (mythologème)؛ وهي «وحدة أسطورية دالة صغرى مشتركة بين العديد من الأساطير». وقد أشاع هذا المصطلح عالم الأساطير ومؤرّخ الأديان المجري كارل كيرنيي (Karl Kerényi) (1897-1973). (م)

21- لفظ يوناني الأصل، وهو (Κόρη)، الذي يعني «الفتاة» أو «البنت»؛ واسم كوري-بيرسيفون المذكور قبله يعني: «بنت بيرسيفون». (م)

وتتحكم بمآل النباتات، ولا سيّما الحبوب. وعلى شاكلة هاينويل، أيضاً، يمثل الخنزير قربانها الحيواني.

وتعدُّ أسرار أليوسيس، في دولة أثينا، بمقام المؤسسة المُسارِّية الجماعية بامتياز. لقد بقي سرّها محفوظاً تحت طي الكتمان. لكننا نستطيع، على الرغم من غياب معلومات كاملة، أن نفترض أن سيناريو المُسارَّة يطابق، بمعنى من المعاني، الهدف الأسمى الذي كانت ترومه الإيديولوجيا الأسرارية، ألا وهو الموافقة الطقسية بين مصير المرشح للمُسارَّة وبين التقلبات الحاصلة في أحوال الإله.

2.2- وفي **الفترة الإمبراطورية** [الرومانية]، توافرت آلهة أخرى، سواء أكانت ذات أصول شرقية، أم لا، على أسرارها الخاصة، ونعني بها: ديونيسوس (Dionysos)، إيزيس (Isis)، ميثرا (Mithra)، سارابيس (Sarapis)، سابازيوس (Sabazioz)، يوبيتر العنتابي (Jupiter Dolichenus)، ثم الفارس الداقي [التراقي] (Cavalier dace). وقد ظلّت هذه العبادات الأسرارية تؤمّن المُسارَّة الخفيّة للناس من غير تنابذ، حتى أنه كان في وسع المرشح للمُسارَّة أن يستفيد من جميع المُسارَّات التي يسمح له جنسه، أو مقامه، أو ماله، بالاستفادة منها. وعلاوةً على ذلك، نجد أن ملامح بعض الآلهة الأسرارية غير واضحة؛ فرموزها الشمسية، علاوةً على أسماء الجنس التي تشير إليها (زيوس Zeus، يوبيتر Jupiter، هليوس Hélios، سول Sol، سول إنفكتوسSol invictus)، تنمُّ عن خليط يمكن أن نطلق عليه، أحياناً، وصف «التوليفية الشمسية». وفي القرن الرابع، كانت جميع هذه الآلهة (بما في ذلك كوبيلي Cybèle) معبودات سماوية، وتتماثل، في الغالب، مع الشمس، وينظر إليها بوصفها معبودات سامية من غير أن ينتج عن ذلك بالضرورة وقوع في التناقض. وترى بعض التفاسير أن اختلاف أسماء هذه المعبودات إنّما يحجب عنا تطابقها الجوهري.

1.2.2- ظهرت البنى المؤسساتية، التي حولت ديونيسوس إلى معبود أسراري،

نحو نهاية القرن الأول (ح.ع.) وكانت **عبادة ديونيسوس**، في هذا العصر، غنيةً، على نحو مميز، بالرموز الإسخاتولوجية. فالأماني الأخروية، التي كانت تراود المُسارِّين الديونيسيين، يصفها لنا الفيلسوف الأفلاطوني فلوطارخس الخيروني (Plutarque de Chéronée) (نحو 45-125)، كما تصورها لنا العديد من الرسوم التشخيصية. فالأرواح، أو الأنفس، تتمتع [هناك] بدوام المسرّة والنشوة السماويين.

2.2.2- يتحدث الكاتب اللاتيني أبوليوس المداوري (Apulée de Madaure) (نحو 125-162)[22]، في روايته العجائبية المعروفة بعنوان (**التحولات أو الحمار الذهبي**)، عن أطوار المُسارَّة الخاصة بأسرار **الإلهة المصرية إيزيس**؛ غير أن حديثه عن هذه الأسرار، التي وقف العلماء في الآونة الأخيرة على طابعها المصري الأصيل، يتسم، في الواقع، بالنقص والغموض. فبعد مُسارَّة ليلية حُرّم عليه أن يفشي أسرارها، يتقلد لوقيوس (Lucius)، بطل الرواية، الاثني عشر طيلساناً الخاصة بالمُسارِّين، ويجلس على منبر خشبي قدام تمثال إيزيس (Isis)، مرتدياً **الحلّة الأولمبية** (*stola Olympiaca*)، حاملاً بيده اليمنى مشعلاً، ورأسه مكلّل بالسعف. فما هو الإنجاز العظيم الذي حمله على الخضوع لهذه العملية، التي ترمز إلى التأليه؟ يجيبنا لوقيوس عن سؤالنا في مقطع غامض، قائلاً: «عبرت حاجز الموت، واجتزت عتبة بروسربينا (Proserpine)، ثم عدت محمولاً عبر العناصر كلّها؛ وفي جوف الليل رأيت الشمس تشرق بضيائها الساطع؛ ومثلت أمام آلهة العالمين السفلي والعلوي، وقدّمت لهم عبادتي عن كثب» (ترجمة ي. ب. كوليانو I. P. Couliano). وقد فسّر العلماء الإشارات الواردة في هذا المقطع إمّا بوصفها عملاً تمثيلياً جدّ مكلف، وإما بوصفها اختباراً مُسارِّياً يكسب المناعة والعصمة للمستفيد منه، وإمّا بوصفها معراجاً سماوياً.

22- وفي الفقرة (3.1.29) من مادة «الديانة الهلنستية»، نقرأ: «(حوالي 125-170)». (م)

3.2.2- **تمتعت أسرار الإله ميثرا** (Mithra) (الإيرانية الاسم، لكن الهلنستية المحتوى) بنفوذ واسع في صفوف الجيش الإمبراطوري [الروماني]. وكانت تديرها طبقة من المتبحرين في أسرار التنجيم. وتجري احتفالات الأسرار الميثرانية في معابد خاصّة تُسمى **ميثرايا** (*mithraea*)؛ وهي المعابد التي يتم إنشاؤها في الأوقات المواتية؛ وتحاكى في عملية إنشائها أشكال الكهف. وتتكون المُسارَّة من سبع مراتب ملحقة بالكواكب السبعة، وذلك على النحو الآتي[23]:

المرتبة	الكوكب
كوراكس (korax) (الغراب)	عطارد
نامفوس (nymphus)	الزهرة
ميلز (miles) (الجندي)	المريخ
ليو (leo) (الأسد)	المشتري
الفرس (Perses) (الفارسي Persan)	القمر
هليودروموس (Heliodromus)	الشمس
باتير (Pater)	زحل

ومن جملة مآثر الديانة الميثرانية المصورة، نلفي مشهد الثوربولوس (taurobole)، الذي يمثّل الإله ميثرا، منهمكاً في قتل الثور، بينما تحيط به حيوانات رمزية (الحيّة، الكلب، العقرب...)؛ وهو مشهد يحتمل تفسيراً تنجيمياً.

ويحدثنا الفيلسوف الوثني كلسيوس (Celse) -وهو من أهل القرن الثاني- في كتابه (**المقال الحق**) (*Discours véritable*)، الذي لخّصه الدفاعي المسيحي أوريجينوس (Origène)، عن رمزية «السلم ذي الأبواب السبعة» الذي ينسبه إلى

23- رسم الجدول من عندنا. (م)

الأسرار الميثرانية. ويشير هذا السلم، على ما يذكر كلسيوس، إلى عملية عبور الروح [النفس] من أفلاك الكواكب.

4.2.2- تعد **أسرار الفارس الداقي** [التراقي] -التي تتمحور حول الإلهة ذات السمكة، وربما كان يذبح خلالها خروف- بمقام تبسيط أو تيسير للميثرانية، مع استدماج بعض العناصر الدينية المنحدرة من الأقاليم الدانوبية [نسبة إلى الدانوب Danube] من الإمبراطورية. وقد تمّ الاحتفاظ بثلاث مراتب مُسارِّية فقط، وهي: أرياس (Aries) (الحمل)، ميلز (Miles) (الجندي)، ليو (Leo) (الأسد)؛ وتلحق المرتبتان الأولى والثانية بالمريخ، بينما تلحق الأخيرة بالشمس.

5.2.2- كان **سابازيوس** (*Sabazios*) إلهاً تراقياً وفريجياً قديماً، قبل أن يصير من أرباب الأسرار في القرن الثاني (ح.ع.) ويذكر الكاتب المسيحي إكليمنضس الإسكندراني (Clément d'Alexandrie) (توفي قبل 215)[24] أن الطور الرئيس في مُسارَّة سابازيوس يتمثل في مشهد الحيّة الذهبية التي يتم دسّها في صدر المريد (*per sinum*) وإخراجها من تحته.

6.2.2- يُعدُّ **سارابيس** (*Sarapis*)، أو **سيرابيس** (*Serapis*) إلهاً مصطنعاً [توليفياً] (أوزيريسOsiris + أبيسApis). وقد نشأ لاهوت سيرابيس في ممفيس (Mémphis)، وتطوّر في الإسكندرية في عهد البطالمة. وكان **السيرابيوم** (*Serapeum*) الأعظم موجوداً في الإسكندرية؛ غير أن الإله كان يُعبد في العديد من المدن اليونانية من طرف جمعيات **السيرابيين** (*Sarapiastais*).

7.2.2- يُعدُّ **يوبيتر أوبتموس ماكسيموس دوليشنوس** (*Jupiter Optimus Maximus Dolichenus*)، أو **يوبيتر العتابي**، أحد آلهة العهد الإمبراطوري؛ وكان ينعت برئيس الآلهة. وقد أطلق هذا النعت، أيضاً، على طائفة من الآلهة الأسرارية

24- وفي الفقرة (2.4.27) من مادة «المسيحية»، نقرأ: «(توفي حوالي 215)». (م)

الأخرى، أمثال سابزيوس وسارابيس. إنه إله عنتاب (Doliché) الواقعة في آسيا الصغرى؛ وقد تحوّل على يد اليونان إلى زيوس-آرامازد (Zeus-Oromasdes)، ثمّ ورد على روما عن طريق جنود إقليم كوماجيني (Commagène).

3.2- بيبليوغرافيا:

فيما يتعلق بديانات الأسرار، انظر على الخصوص:

- Ugo Bianchi (ed.), *Mysteria Mithrae*, Leiden 1979; U. Bianchi et M. J. Vermasen (eds.), *La soteriologia dei culti orientali nell'imperio romano*, Leiden 1982, (ويشتمل كلاهما على بيبليوغرافيا محينة).

انظر أيضاً:

- I. P. Couliano et C. Poghirc, *Dacian Rider*, in ER 4, 195-6; *Sabazios*, in ER 12, 499-500.

3
أديان إفريقيا

0.3- **تصنيفات**: ظهر نوع الإنسان في إفريقيا منذ ما لا يقل عن خمسة ملايين سنة. وتضم القارة الإفريقية، في زمننا هذا، شعوباً كثيرةً تتكلّم ما ينيف على (800) لغة (730 منها مصنّفة). وقد جرى التمييز بين سكان إفريقيا بحسب «الأعراق»، وبحسب «المناطق الثقافية» التي ينتمون إليها؛ لكن هذين المعيارين أبانا، منذ خمس وعشرين سنة، عن قصورهما. ومع أن عملية ضبط الحدود بين اللغات تفتقر إلى الدقة المأمولة، فإن التصنيف اللساني يبقى أفضل بكثير من غيره من التصنيفات.

وقد اقترح جوزيف هـ. غرينبرغ (Joseph H. Greenberg)، عام (1966)، تقسيم لغات القارة الإفريقية إلى أربع مجموعات كبرى تندرج تحتها عدة عائلات لسانية. وأهم هذه المجموعات اللسانية المجموعة الكونغولية-الكردفانية (Congo-kordofan)، التي تتصدّرها العائلة النيجيرية-الكونغولية. وتمثل لغات البانتو (Bantoues) أحد فروع هذه العائلة. وتغطي المنطقة اللسانية الكونغولية-الكردفانية بلاد إفريقيا الوسطى والجنوبية.

وهناك مجموعة لسانية ثانية تضمُّ لغات شعوب النيل والسودان الغربي والنيجر الأوسط، وهي المجموعة النيلية-الصحراوية.

وفي الشمال والشمال الشرقي، تمتدّ منطقة المجموعة الإفريقية-الآسيوية، التي

تضم اللغات السامية المُتكلّم بها في آسيا الغربية، واللغتين المصرية والبربرية [الأمازيغية]، واللغات الكوشية، ولغات التشاد مثل اللغة الهوسية (Haoussa).

أمّا المجموعة الرابعة، فتضم اللغات المعروفة بلغات «الطقطقة» (Clic) (نسبة إلى الأصوات الأربعة المميزة للغة البوشمان)، وهي التي يطلق عليها جوزيف ه. غرينبرغ اسم خويسان (khoïsan)، ويتكلمها بشكل خاص شعبا البوشمان والهوتنتو.

وحدود الأديان لا تجاري حدود اللغات في إفريقيا؛ فبلدان الشمال الإفريقي احتضنت فصول التاريخ الطويل التي كتبها الإسلام في بلاد المصريين والبربر [الأمازيغ]. وقد تشبّع الإسلام البربري [الأمازيغي]، على الخصوص، بشعائر الاستحواذ النسوية، التي لا تصعب مقارنتها بعبادة ديونيسوس (Dionysos) اليونانية القديمة، كما تشبّع بممارسات السحر الإفريقية. وفي نطاق هذه النزعة التوليفية الإفريقية-الإسلامية، يحتلُّ شخص **المرابط** (*Marabout*)، الذي يُعدُّ حامل **البركة** (*Baraka*)، أو المدد الروحي، مكانةً مركزيّةً. فقبل مجيء الإسلام إلى إفريقيا، كانت القبائل البربرية [الأمازيغية] تدين بالديانة اليهودية؛ كما نشأت بين ظهرانيهم المسيحية الإفريقية، التي تظهرنا، إذا ما تتبعنا وقائع انتشار الحركة الطهرانية الدوناتية (Donatisme) التي حاربها أوغسطين (Augustin) (354-430) ، على خصوصية البربر [الأمازيغ] المتمثلة في ميلهم الدائم إلى التديّن بطريقة مغايرة لتدين الغزاة.

أمّا إذا اتجهنا صوب الغرب، فسنجد الوضع مختلفاً؛ فالسنغال مقسّم بين العبادات الأهلية والصليب والهلال، وكلما توغلنا ناحية الجنوب، ازداد المشهد الديني تعقيداً. ففي بلاد غينيا وساحل العاج وسيراليون، كما في بنين، يسود مشهد التوليف الديني. فقد أسلم الماندِيون (Mandès)، لكن الأمر مختلف بالنسبة إلى البامبارا (Bambaras) والمنيانكا (Miniankas) والسينوفو (Sénoufos). وفي جمهورية نيجيريا الاتحادية تزدهر العبادات الأهلية. وتعدُّ ديانة اليوروبا (Yoroubas) من أهم ديانات المنطقة.

وتسود النزعة التوليفية في إفريقيا الاستوائية، كما تسود في الجنوب الذي خضع

للتنصير من قبل البرتغاليين والبعثات التبشيرية البروتستانتية البريطانية والهولندية. وفي الشرق، عند البانتو، تسود هذه النزعة التوليفية تحت راية الإسلام الظافرة. وأخيراً، نجد أن قبائل البحيرات (الأزاندي Azandes، النوير Nuers، الدينكا Dinkas، الماساي Masaïs) ما فتئت تحافظ على أديان الأسلاف، على الرغم من أنشطة التبشير الإنجليزي.

وإزاء تنوع من هذا القبيل، يصادف مؤرّخ الأديان صعوبات جمّة؛ فيمكنه أن يباشر النظر في موضوعه «على خط مستقيم» من غير أن يتوقف عند نقطة معينة، مثلما فعل بوهوميل هولاس (B. Holas) في كتابه (**أديان إفريقيا السوداء**) (*Religions de l'Afrique noire*) (1964)؛ كما يمكنه أن يعالج مادته من زاوية نظر فينومينولوجية، من غير أن يعير أدنى اهتمام للتقسيمات الجغرافية والتاريخية، مثلما فعل بنجمان راي (Benjamin Ray) في كتابه (**الأديان الإفريقية**) (*African Religions*) (1976) ؛ ويمكنه، أخيراً، أن يختار طائفة من الأديان التمثيلية، وأن يصفها واحدة واحدة، مقابلاً فيما بينها، من أجل إظهارنا على ما يوجد بينها من تباين واختلاف، مثلما فعل نويل ك. كينغ (Noel Q. King) في كتابه (**العالم الإفريقي**) (*African Cosmos*) (1986). ولكل واحد من هذه الاختيارات محاسنه ومثالبه. والحل الوحيد الذي يمكن اعتماده في مصنّف مرجعي كهذا يتمثل في محاولة الجمع بين الاختيارات الثلاثة.

لكن، قبل الذهاب بعيداً، يتعين علينا أن نلاحظ وجود سمتين تشترك فيهما عدة أديان أهلية في إفريقيا، من غير أن تنطويا على أيّ طابع كوني: أولاهما الإيمان بكائن أسمى، هو في الأغلب عبارة عن **إله محايد** (*deus otiosus*) قطع صلته بعالم البشر، ومن ثمّ هو لا يحضر فعلياً في الطقس الديني؛ وثانيتهما العِرَافة في صورتها المزدوجة (الاستحواذ الروحاني النبوئي[25]، ثم الطرق المختلفة المستعملة في الجيومانسيا[26])، والتي يبدو أنها وردت على إفريقيا من طريق العرب.

25- ترجمة: (oraculaire). (م)

26- تعريب: (géomancie)، التي تعني حرفياً: «العرافة أو الكهانة بوساطة الأرض»؛ وأشهر =

1.3- أديان إفريقيا الغربية:

1.1.3- ديانة اليوروبا (*Yoroubas*): من المرجّح أنها الديانة الإفريقية التي تضم في صفوفها أكبر عدد من الممارسين (أكثر من 15 مليون)، في نيجيريا كما في البلدان المحاذية مثل بنين. وفي الفترة الأخيرة، أنجز عدد لا بأس به من المتخصصين في الدراسات الإفريقية أعمالاً تكشف لنا عن أسرار هذه الديانة التي لا تُحدُّ.

وحتى بداية القرن العشرين، كان شعب اليوروبا لا يزال خاضعاً لسيطرة إحدى الأخويات السرية، التي كانت تُنصِّب أعلى ممثل للسلطة العمومية (الملك). ولا يعلم هذا الملك أيّ شيء مما يجري قبل تنصيبه ملكاً، ما دام لا يتمتّع بعضوية أخوية الأوغبوني (Ogbonis).

وأن يكون المرء عضواً في هذه النادي المغلق معناه القدرة على الكلام بلغة غير مفهومة من قبل الغرباء، ومعناه كذلك تعاطي بعض الصنائع الفنية المقدسة والعريقة، التي ليست في متناول عامة اليوروبا. ويبقى الوجه الباطني لعبادة الأوغبوني ملفوفاً بحجب السرية والغموض. في المركز: هناك أونيل (Onile)، الإلهة-الأم العظمى، سيدة **إيل** (*ile*)، الذي هو «العالم» البدئي على حالته الكاووسية [العمائية] قبل أن يكتسب هيئة منظمة. ويتعارض **إيل**، من جهة، مع **أورون** (*orun*)، التي هي السماء بوصفها مبدأً منظماً، ومن جهة أخرى مع **آي** (*aiye*)، العالم المأهول، الذي ينشأ من تدخل **أورون** في **إيل**. وإذا كان الجميع على علم بأحوال عمار **أورون**، أو **الأوريشات** (*Orisas*)، الذين هم موضوع عبادات ظاهرية، وأحوال أولورون (Olorun)، أو **الإله المحايد** (*deus otiosus*)، الذي لا تخصص له أية عبادة تذكر، فإن حضور **إيل**

طرقها على الإطلاق «ضرب الرمل» المنسوب إلى العرب؛ لذلك يغلب في ترجمة لفظ (géomancie) استعمال مقابل «ضرب الرمل»، مع أن هناك طرقاً مغايرةً استخدمتها شعوب أخرى. (م)

في حياة اليوروبا ينطوي على اللغز المحير المتمثل في الازدواجية النسوية. فالإلهة يموجا (Yemoja) تحبل من ولدها أورونغان (Orungan)، ويسفر زنى المحارم هذا عن ميلاد عدة آلهة وأرواح. ويموجا هي ربة ساحرات اليوروبا، اللواتي يتخذنها مثالاً يحتذى بسبب سيرتها الاستثنائية والمضطربة في الحياة. وهناك وضعية أخرى تتصل بالسحر هي العقم، وتمثلها الإلهة أولوكون (Olokun) زوجة أودودوا (Odudua).

ونجد وضعية ثالثة تفضي إلى السحر، ويتعلق الأمر بفينوس اليوروبا، الإلهة أوسون (Osun)، بطلة سلسلة كاملة من حالات الطلاق والفضائح المخزية، وهي التي اخترعت فنون السحر، وتعدها الساحرات واحدة منهن.

ويركن العالم المنظم بعيداً عن إيل. أمّا الخالق، فهو أوباطالا (Obatala)، الإله الذي يصوّر الجنين في بطن أمه. وبمعية أوباطالا هذا بعث **أورون** إلى **آي** (*Aiye*) بإله النبوءات أورونميلا (Orunmila)، الذي لا تخلو بيوت اليوروبا التقليدية من أدوات العرافة الخاصة به. وتعدُّ عرافة إيفا (Ifa) نوعاً من الجيومانسيا الواردة من بلاد العرب. وتشتمل هذه العرافة على ستة عشر شكلاً أساسياً يتحدد الكشف المطلوب بنوع الهيئة المؤتلفة منها. ولا يقدم العراف على تفسير الحكم؛ وإنما يقتصر على تلاوة أشعار مستقاة من ديوان محفوظات موروثة، فيما يشبه، إلى حدٍّ ما، شروح كتاب **إيكنغ** (*I king*)، أو **التغيرات** الصيني القديم المنذور لكشف الطالع. ويكبر العراف في أعين زبنائه كلّما ازداد حفظه لتلك الأشعار.

وهناك **أوريشا** (*Orisa*) آخر له أهميته، وهو إيسو (Esu) المكّار (Trickster) القصير وذو القضيب المنتصب؛ فهو من جهة يبعث على الضحك، وهو من جهة أخرى مخادع. وعلى المرء أن يعرف كيف يسترضيه ويبتغي إليه الوسيلة بأن يقدم إليه قرابين حيوانية وهدايا من نبيذ النخل.

أما ربّ الحدادين (forgerons)، فهو الإله المحارب أوغون (Ogún)، الذي

يستقلّ بوضع خاص في كل أرجاء إفريقيا، مع ما يلزم عنه من عزلة وريبة، علاوةً على حيازة قدرات سحرية مزدوجة. وهي الازدواجية نفسها التي نلفيها في موقف اليوروبا من التوائم. فشذوذ الولادة التوءمية يضع الشعوب الإفريقية أمام معضلة: فإمّا أن تمنع الولادة بوصفها علامة على فقدان العالم لتوازنه (وفي هذه الحالة يجب القضاء على أحد المولودين أو عليهما معاً)، وإمّا أن تضفى عليهما هيبة خاصة. ويقول اليوروبا إنهم في الماضي السحيق كانوا يفضلون الحلّ الأول، غير أن نبوءة[27] فرضت عليهم الحلّ الثاني. ويحظى التوائم عندهم بعناية خاصّة جداً.

وإذا كان أوباطالا (Obatala) يصنع الجسد، فإن أولودومار (Olodumare) ينفخ فيه الروح (**إيمي** *emi*). وعند الموت، ترجع أجزاء المخلوق البشري إلى **الأوريشات** (*Orisas*)، الذين يعيدون توزيعها على المواليد الجدد. مع ذلك، هناك أجزاء غير فانية؛ ذلك أن الأرواح تستطيع العودة إلى الأرض والاستحواذ على أحد راقصي إيغونغون (Egungun). وهذا الراقص يحمل رسالة الأموات إلى الأحياء.

وهناك شعيرة تجمع بين الفزع والبهجة، وهي رقصة الجيليدي (Gélédé) التي تجري أطوارها في رحاب السوق تكريماً للنساء-الأسلاف، الإلهات الرهيبات اللواتي يجب على المرء التزلّف إليهن.

2.1.3- **دين الأكان** (*Akanes*): الأكان شعب يتكلم لغة توي (twi)، التي تنتمي، على غرار لغة اليوروبا، إلى لغات كوا (kwa)؛ وهم يؤلفون اثنتي عشرة مملكةً مستقلةً في غانا وساحل العاج، وأهمها مملكة الأسانت (Asantes) (أشانتي Ashanti). ولا يوجد توافق بين التنظيم العشائري، الذي يلتئم من ثماني وحدات نسبومية (matrilinéaire)، وبين التنظيم السياسي. وعلى شاكلة اليوروبا، يوجد عند شعب الأسانت **إله محايد** (*deus otiosus*) سماوي، وهو نيام (Nyame)، الذي هجر

27- ترجمة: (oracle). (م)

عالم البشر بسبب الضجيج غير المحتمل الذي تحدثه النساء حين يخبطن حبات اليام (Ignames) لتحويلها إلى هريسة. وفي كل بيت أسانتي يُقام لنيام مذبح صغير في شجرة. وبوصفه إلهاً خالقاً، فإن الأسانت يتضرعون إليه إلى جانب إلهة الأرض أساس يا (Asase Yaa).

ويقدّس شعب الأسانت الآلهة الشخصية **أوبوسوم** (*obosoms*) والآلهة اللا-الشخصية **أسومان** (*asumans*)، ويتضرعون إلى الأسلاف **أسامان** (*asamans*) بوساطة مناضد خفيظة مسودة بالدم وبمواد أخرى. ويضم بيت الملك مناضده السوداء التي تستقبل الهدايا بصورة دورية. وتتألف المؤسسة الملكية عند الأسانت من الملك (أسانتهين Asantehene) والملكة (أوهينيما Ohenemmaa) التي ليست زوجته، أو أمه، وإنما هي ممثلة المجموعة النسبومية التي تتقاطع مع المجموعة السياسية.

وأهم الأعياد الدينية عند سائر ممالك الأكان يتمثل في عيد آبو (Apo)، وهي مناسبة منذورة لذكرى الأسلاف، وإقامة الشعائر التطهيرية والاسترضائية.

3.1.3- **رؤية العالم عند البامبارا** (*Bamabaras*) **والدوغون** (*Dogons*) **المالاويين.** كتبت جيرمين ديترلين (Germaine Dieterlen)، عام (1951)، في كتابها (**محاولة في دين البامبارا**) (*Essai sur la religion bambara*)، قائلةً: «هناك على الأقل تسع مجموعات متفاوتة الأهمية (الدوغون Dogons، البامبارا Bambaras، الحدادون Forgerons، الكورومبا Kurumbas، البوزو Bozos، الماندينغو Mandingos، الساموغو Samogos، الموسي Mossis، الكول Kules)، وكلها تسبح في الفلك الميتافيزيقي نفسه، إن لم نقل الديني. فالثيمة [الموضوعة] المشتركة تتعلق بعملية الخلق بوساطة الكلمة، التي تكون في البدء ساكنة؛ ومن اهتزازها تتحدد، شيئاً فشيئاً، ماهية الأشياء، ويتعيّن وجودها. وقس على ذلك الحركة الحلزونية المخروطية للعالم، الذي هو في تمدّد دائم. ونلفي التصوّر نفسه عن الشخص، علاوةً على التوءمة البدئية الدالة على الوحدة الكاملة. الكل يسلم بتدخل

أحد الأقانيم الإلهية، الذي يكتسي أحياناً مظهر المخلص، سيد العالم، الذي تتماثل صوره في كلّ مكان. والكل يؤمن بضرورة حصول الانسجام الكوني، مثلما يؤمن بضرورة حصول الانسجام فيما بين الموجودات؛ فهذان الأمران مترابطان. وتتمثل إحدى لوازم هذه الفكرة في الإوالية الدقيقة المولدة للفوضى، التي ندعوها بالرجس -إذ لا نجد لفظاً أوفى منه بالغرض- والتي تصاحبها الممارسات التطهيرية المتطورة».

وفي نشكونية[28] الدوغون، نلفي النماذج الأولية للمكان والزمان منقوشة على هيئة أعداد في قلب الإله السماوي آما (Amma). والمكار يوروغو (Yurugu)، الثعلب الشاحب، هو الذي أرسى الزمان والمكان الواقعيين. وفي رواية أخرى، خلق العالم والإنسان إثر اهتزاز بدئي تم بصورة حلزونية انطلاقاً من مركز، وتمثلت بدايته في سبعة خطوط متفاوتة الطول. إن إضفاء صورة الكون على الإنسان[29]، وإضفاء صورة الإنسان على الكون[30]، هما العمليتان اللتان تحددان الرؤية الدوغونية للعالم. وهكذا، إن الدوغوني، كما تقول ج. كالام-غريول (G. Calame-Griaule) في كتابها **(الإثنولوجيا واللغة)** (*Ethnologie et Langage*): «يبحث عن صورته المنعكسة في جميع المرايا التي ينطوي عليها عالم شبيه الصورة بالإنسان، عالم كل قشة نبات فيه، وكل ذبابة حقيرة، هي حمّالة "كلام"». والمكانة نفسها يحتلها الكلام عند البامبارا، كما يشير إلى ذلك دومينيك زاهان (Dominique Zahan) في كتابه **(جدل الكلمة عند البامبارا)** (*Dialectique du verbe chez les Bambaras*) بقوله: «إن الكلمة [...] تقارب بين الإنسان وربه، وفي الوقت نفسه تربط بين العالم الموضوعي الملموس وعالم

28- ترجمة: (cosmogonie)، التي تعني بحسب أصلها اليوناني: «نشأة الكون»؛ ونختصرها، على شاكلة بعض المؤلفين العرب المعاصرين، بكلمة «نشكونية». (م)

29- ترجمة: (cosmisation). (م)

30- ترجمة: (anthropomorphisation). (م)

التمثل الذاتي». فالكلام المنطوق يشبه الطفل المولود. وهناك عدة عمليات وأدوات هدفها تيسير ولادة الكلام من طريق الفم: الغليون والتبغ، جوزة الكولا، برد الأسنان، السواك، وشم الفم. وفي الواقع، لا تخلو عملية توليد الكلام من مخاطر؛ ذلك أنها عملية تنقض كمال الصمت. فالصمت، الذي هو سرّ يتعين كتمانه، ينطوي على قيمة مُسارِّية تسم الوضع البدئي للعالم.

ففي البدء، لم تكن هناك حاجة إلى اللغة؛ ذلك أن سائر الموجودات كانت موجودة في طي «كلام يتعذر سماعه»، هسهسة متصلة عهد بها الإله بيمبا (Bemba)، الخالق الخشن، صاحب القضيب وساكن الشجرة، إلى فارو (Faro)، الخالق السماوي، المرهف والمائي. أمّا موزو كوروني (Muso Koroni) امرأة بيمبا التي أنجبت النباتات والحيوانات، فقد شعرت بالغيرة على زوجها الذي كان يضاجع جميع النسوة اللواتي كان فارو يخلقهن؛ لذلك خانته بدورها، فطاردها بيمبا حتى أمسكها من رقبتها، فخنقها. ومن هذه المعاملة العنيفة للزوجة، التي تخون زوجها الخائن، تنشأ الانقطاعات المختلفة في التيار الصوتي المتصل؛ وهي انقطاعات ضرورية ضرورة مطلقة لميلاد الألفاظ، أو اللغة.

وعلى شاكلة الدوغون، يؤمن البامبارا بسقوط البشرية، الذي لا يمثل ظهور اللغة سوى واحدة من علاماته. فعلى الصعيد الفردي، يتخذ السقوط طابع **الوانزو** (*wanzu*)؛ أي الأنوثة المختلة والساحرة للكائن البشري، الذي هو في صورته المثلى عبارة عن خنثى. أمّا الحامل المرئي للوانزو، فهو القلفة. وينتزع الختان من الإنسان الخنثى شطره الأنثوي، ومن جراء حرمانه من أنوثته، يسعى في البحث عن زوجة، وبذلك ينشأ المجتمع. ويتم الختان الجسدي خلال المُسارَّة الطفولية الأولى، المسمّاة **ندومو** (*n'domo*)، في حين أن آخر المُسارَّات (*dyows*) الست المتوالية، المسماة **كور** (*kore*)، تروم تمكين الإنسان من استعادة أنوثته الروحية، وتحويله إلى خنثى مرة ثانية، ومن ثمّ تمكينه من مرتبة الكمال. وإذا كانت مُسارَّة **ندومو** تؤرّخ لولوج الفرد عالم الوجود الاجتماعي، فإن مُسارَّة **كور** تؤرّخ لخروجه من هذا العالم بغية التحقق بصفتي

الكمال والحرية الإلهيين. ولقد شيد الدوغون والبامبارا حول أساطيرهم وطقوسهم «عمارة معرفية»[31] كاملة تتسم بدرجة من الدقة والتعقيد.

2.3- أديان إفريقيا الشرقية:

تضم منطقة إفريقيا الشرقية (100) مليون من السكان، ينتمون إلى المجموعات اللسانية الأربع الكبرى المُشار إليها من قبل (←0.3)، ويشكلون أزيد من مئتي مجتمع من المجتمعات المختلفة. ويستخدم نوع من اللغة السواحلية (swahili) المبسّطة، كلغة ناقلة في المنطقة، لكن معظم الناس يتكلمون لغات البانتو، مثلما هو الحال عند الغاندا (Gandas)، النيورو (Nyoros)، النكور (Nkores)، السوغا (Sogas)، الجيسو (Gisou) في أوغندا، والكيكويو (Kikuyus) والكامبا (Kambas) في كينيا، والكاغورو (Kagurus) ثم الغوغو (Cogos) في تنزانيا. وتنطوي أديان شعوب البانتو على بعض السمات المشتركة، مثل صفة **الإله المحايد** (*deus otiosus*) المنسوبة إلى الخالق المتصور عند البانتو -باستثناء الكيكويو- بوصفه كائناً بعيداً لا دخل له في أحداث الحياة اليومية. وعلى ذلك، نجد أن حضوره في الطقس الديني هو، على العموم، حضور ضئيل. أمّا الآلهة الفاعلة، فتتمثل في الأبطال والأسلاف. وغالباً ما يستعان بهؤلاء في معابدهم من قبل الوسطاء، الذين يتواصلون معهم بطريقة مباشرة وهم في طور الجذب. ومن الناحية المبدئية، يمكن لأرواح الموتى أن تستحوذ بدورها على الوسطاء؛ لهذا السبب يجب أن تطمأن خواطر الأرواح، وأن تهدى إليهم الهدايا بصورة دورية. وهناك عدة طقوس تروم تخليص المجتمع من بعض ضروب الرجس التي تعلق به من جراء الانتهاك الإرادي، أو غير الإرادي، للنظام.

31- في الأصل (architectectonique de la connaissance)؛ ويريد بلفظ (architectonique) معنى «النسق» أو «المنظومة». (م)

ونلفي عند معظم شعوب إفريقيا الشرقية نوعاً مبسّطاً من العرافة الجيومانسية، ويتم اللجوء إليها من أجل المساعدة على اتخاذ القرار في الحالات التي تسمح باختيارين لا ثالث لهما (نعم/ لا)، أو من أجل تحديد هوية شخص مذنب، أو من أجل التنبؤ بالمستقبل. وحيث إن التعرض للسحر يعدُّ سبباً للموت والمرض والنحس، فإن العرافة تساعد، أيضاً، على تحديد الفاعل المسؤول عن الأذى السحري من أجل معاقبته. وتوضح لنا دراسة إدوارد إ. إيفانس-بريتشارد (E. E. Evans-Pritchard) حول الأزاندي (Azandes) العلاقات القائمة بين السحر والنبوءات.

وجميع شعوب إفريقيا الشرقية تعرف مُسارَّة البلوغ، التي هي، على العموم، أكثر تعقيداً عند الأطفال الذكور بالمقارنة مع الجنس الآخر. ومعظم شعوب البانتو تمارس الختان واستئصال البظر، أو استئصال الشفرين. وتهدف المُسارَّة الحربية المعمّقة، أحياناً، إلى تعزيز وحدة التنظيمات السرية، على شاكلة حركة ماو ماو (Mau Mau) عند شعب كيكويو في كينيا، والتي أدّت دوراً في تحرير البلد.

وتضم الشعوب النيلية في إفريقيا الشرقية كلاً من الشيلوك (Shilluks)، النوير والدينكا في جمهورية السودان، والأشولي (Acholis) في أوغندا، والإينو (Inos) في كينيا. أمّا منطقة النوير والدينكا، فهي على الخصوص جد معروفة عند الدارسين، بفضل الأبحاث الممتازة التي أنجزها إ. إ. إيفانس-بريتشارد وغودفري لينهارت (Godfrey Lienhardt). وعلى غرار باقي سكان منطقة البحيرات (الماساي على سبيل المثال) يتعاطى النوير والدينكا تربية المواشي المنتجعة. وهذا المعطى الإيكولوجي يُعدُّ ذا أهمية في منطقتهم. لقد خلق أوائل البشر وأوائل البقر مجتمعين، ولم يعد الإله الخالق يتدخّل في مجرى التاريخ البشري. أمّا الأرواح المختلفة التي يمكن استدعاؤها، وكذلك الأسلاف، فهم قاب قوسين من الإنسان.

في كلا المجتمعين، هناك أناس متخصصون في شؤون المقدس، أناس يتواصلون مع قوى العالم غير المرئي؛ الكهنة-الفهود عند النوير، وأرباب الخطاف عند الدينكا، هؤلاء

الذين ينجزون طقس التضحية بالبقرة من أجل تخليص المجتمع من الدنس، ومداواة الفرد من المرض. وأنبياء النوير والدينكا هم شخصيات دينية تستحوذ عليها الأرواح.

3.3- أديان إفريقيا الوسطى:

1.3.3- **دين البانتو** (*Bantous*): يعيش نحو عشرة ملايين من البانتو في حوض نهر الكونغو من إفريقيا الوسطى، حيث يشغلون منطقة تمتد من شرق تنزانيا إلى غرب الكونغو. ومعظم معلوماتنا عنهم تتعلق بشعب نديمبو (Ndembus) وشعب ليل (Leles)، وذلك بفضل أعمال فكتور تورنر (VictorTurner) (**غابة الرموز** *Forest of Symbols*، 1967؛ **طبول البلوى** *The Drums of Affliction*، 1968)، وماري دوغلاس (Mary Douglas) (**شعب ليل في بلاد الكاساي** *The Lele of the Kasai*، 1963).

وتحتلُّ عبادة الأرواح، وطقوس الاسترضاء السحري، مكانةً مركزيةً في أديان البانتو. وبالأولى ترتبط الجمعيات السرية المُسارِّية التي أنشأتها بعض الشعوب مثل النديمبو، علاوةً على الممارسات -الشائعة على نطاق واسع- المتمثلة في النبوءات الملكية، و«شعائر البلوى» التي تروم طرد الأرواح «المبتلاة» المستحوذة على البشر الأحياء. وهذه الأرواح تكون، أحياناً، لأشخاص منبوذين ينتمون إلى مختلف المجموعات الإثنية؛ وهم يطلبون من الوسطاء أن يتكلموا لغتهم. والسحر، بوصفه ممارسة نسوية بامتياز، لا يوجد عند جميع شعوب البانتو.

والإله الخالق، الذي لا جنس له، أضحى، على العموم، **إلهاً محايداً** (*deus otiosus*)؛ ولم يعد يحظى بأية عبادة، لكن تجري دعوته بوصفه ضامناً للعهد.

2.3.3- يتألف شعب **البيغمي** (*Pygmées*) **في الغابة الاستوائية** من ثلاث مجموعات رئيسة: الأكا (Akas)، والباكا (Bakas)، ثم المبوتي (Mbutis)، في إقليم إيتوري (Ituri)، من بلاد زائير. وهي المجموعات التي درسها كولن تورنبول (Colin

Turnbull) في مؤلّفاته المعروفة الشهيرة، ولا سيّما كتابه (**شعب الغابة**) (*The Forest People*) (1961). وقد أكدت طوائف من المبشرين الكاثوليكيين والإثنوغرافيين، مدفوعين برغبة الأب فيلهلم شميدت (Wilhelm Schmidt) (1868-1954) في اقتفاء أثر عقائد التوحيد الأصلية عند جميع الشعوب غير الكتابية، الوجود الفعلي للإيمان بالخالق، الذي صار **محايداً** (*otiosus*)، عند المجموعات الثلاث التي ذكرنا. لكن كولن تورنبول ينفي أن يكون المبوتي (Mbutis) مؤمنين بالإله الخالق؛ فالإله عندهم هو الموطن، الأدغال. ونلفي عندهم نوعاً من العوز الطقسي؛ فلا هم يتوافرون على كاهن، ولا هم يمارسون العرافة. ولديهم طقوس عبور مرتبطة بالختان، بالنسبة إلى الذكور، وباحتجاب الفتيات الشابات خلال أول دورة شهرية.

4,3- أديان إفريقيا الجنوبية:

هاجر البانتو نحو الجنوب في موجتين: موجة أولى بين (1000 و1600 ح.ع) (السوتو Sothos، وتسوانا Tswanas، ونغوني Ngunis -ومنهم الزولو Zulus- ولوفيندو Lovendus، وفيندا Vendas)، وموجة ثانية خلال القرن التاسع عشر (تسونغا Tsongas). ويرى المتخصّص في الدراسات الإفريقية ليو فروبنيوس (Leo Frobenius) (1873-1938) أن تأسيس مملكة الزيمبابوي مرتبط بأسلاف الهانغوي (Hungwes) القادمين من الشمال. وتذكر أسطورة من أساطير كارانغا (karanga) أن الملكية المقدسة تستطيع أن تحقق التوازن بين الأضداد؛ الحرارة والرطوبة، اللتين يرمز إليهما بالأميرات ذوات الفروج الندية والأميرات ذوات الفروج الناشفة. أمّا ذوات الفروج الندية، فكنّ يُلزَمن بمضاجعة الثعبان المائي العملاق، المسمّى، أحياناً، الثعبان قوس قزح، وهو كائن خارق للطبيعة نجده عند العديد من شعوب إفريقيا الغربية والجنوبية. أمّا ذوات الفروج الناشفة، فكنّ هنّ العذارى اللواتي يزودن النار الطقسية المقدسة. وفي زمن القحط، كانت تتمُّ التضحية بإحدى الأميرات من ذوات الفروج الندية أملاً في نزول أمطار الغيث.

وتعدُّ طقوس المُسارَّة البلوغية أكثر تعقيداً عند الأولاد الذكور بالمقارنة مع الفتيات، والختان لا يطبّق على الجميع، كما أن استئصال البظر غير موجود، على الرغم من أن الممارسة الطقسية تنطوي على التمثيل الرمزي لعملية البتر. وتتأسس الرمزية المُسارِّية على العبور من حيز الليل إلى حيز النهار، ومن الظلمة إلى نور الشمس.

5.3- ظهرت **الأديان الإفريقية- الأمريكية** في صفوف العبيد المنحدرين من غرب إفريقيا، وذلك في أرخبيل الكارايبي، وفي الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية (سورينام، البرازيل)، وفي أمريكا الشمالية.

1.5.3- تعدُّ **العبادات الإفريقية- الكارايبية**، إلى جانب الأديان الإفريقية- الغويانية، أكثر تعبيراً عن الأصول الإفريقية، وذلك على الرغم من أنها اقتبست من الكاثوليكية بعض الأسماء وبعض الأفكار. ويعدّ فودو (Vaudou) هايتي، الذي نعلم دوره في نيل استقلال البلد، عبادة استحواذية تدور في فلك معبودات (لوا *Iwas*) نلفي أصلها عند الفون (Fon) واليوروبا، بينما نجد في عبادة السانتيرية (Santeria) الكوبية، وعبادة شانغو (Shango) في جزيرة ترينداد (Trinidad)، أن الأرواح المستدعاة ليست سوى **أوريشات** (*orisas*) اليوروبا (↔ 1.1.3). ففي الحالات الثلاث، تمثل القرابين الدموية وضروب الرقص، التي تنتهي بالجذب، وسيلة تواصل مع الآلهة الذين يحملون تارةً أسماء إفريقية، وتارةً أسماء بعض قديسي الكنيسة الرومانية التي أُطلقت على معبودات إفريقية خالصة. وتغطي شبكة الفودو المجتمع الهايتي برمّته، مع كل ما يتضمّنه الفودو من أعمال سحر وفك سحر وأسرار وباع طويل في الأمور الخفية.

ويقدّس الأسلاف، في عدة عبادات توليفية، كما في الكومينا (Kumina)، الكونفنس (Convince) ورقص كرومانتي (Kromanti) عند العبيد الفارّين في جامايكا، وبيغ دروم دانس (Big Drum dance) في جزيرتي غرينادا وكارياكو، والكيلي (Kele) في سانتا لوسيا (Santa Lucia)...

وفي عدة عبادات أخرى، مثل عبادة الميالين (Myalistes) في جامايكا، وعبادة المعمدانيين (Baptistes) الذين ينعتون بالصرّاخين (Shouters) في ترينداد، وعبادة الشيكرز [الهزازين] (Shakers) في سانت فينسنت، نجد أن العناصر المسيحية هي الغالبة بالمقارنة مع العقائد الإفريقية.

أمّا الرستفاريون (Rastafariens) في جامايكا، فهم في المقام الأول حركة ألفية. وبالنسبة إلى المواطن الغربي العادي، فالرستفارية تعني تسريحة الشعر من نوع **دريدلوك** (*dreadlock*) وموسيقا الريغي (Reggae)، غير أن فلسفتهم وموسيقاهم يحظيان، في الواقع، بالعديد من المريدين في العالم الغربي كما في إفريقيا.

لقد أسفرت المماثلة بين إثيوبيا [كوش]، التي يحدثنا عنها المزمور (31:68)، وبين الوطن الموعود عند الأفارقة-الجامايكيين، عن ميلاد حركة سياسية حين توج الأمير (راس Ras) الإثيوبي تافاري (Tafari) (وهذا هو أصل لفظ "رستفاري") إمبراطوراً على الحبشة، عام (1930)، تحت اسم هايله سيلاسي (Hailé Sélassié). ومع مرور الزمن، ولا سيّما بعد وفاة الإمبراطور، حصل انشقاق داخل الحركة، فانشطرت إلى مجموعات متعددة لا تؤمن بالإيديولوجيا نفسها، ولا تتقاسم التطلّعات السياسية نفسها.

2.5.3- ظهرت **العبادات الإفريقية- البرازيلية** نحو (1850)، حيث اعتمدت في نشأتها على مصادر مختلفة، وتميزت بسمات إفريقية أصيلة، مثل عبادة **الأوريشات** (*orixas*) الاستحواذية والرقص الانجذابي. وفي الشمال الشرقي، هناك العبادة المسماة **كاندومبلي** (*Candomblé*)، وفي الجنوب الشرقي هناك **الماكومبا** (*Macumba*)، غير أن الأومباندا (Umbanda) المنحدرة من مدينة ريو دي جانيرو أصبحت أكثر شعبية منذ (1925-1930). ومع أن العبادات الاستحواذية تعرّضت للحظر في البداية، فإنها تمثل اليوم مكوّناً أساسياً من مكونات الحياة الدينية في البرازيل.

3.5.3- ظهرت **الأديان الإفريقية- الغويانية** في سورينام (غويانا الهولندية

سابقاً) في صفوف الكريول من أهل الساحل، كما في صفوف العبيد الفارّين اللاجئين إلى المنطقة الداخلية من البلد. ويسمى دين الكريول من أهل الساحل **وينتي** (*winti*)، أو **أفكودري** (*afkodré*) (من الهولندية afgoderij التي تعني «عبادة الأوثان»)، وكلاهما يحتفظ بعقائد إفريقية قديمة وأصيلة.

4.5.3- تتسم **الحياة الدينية لأفارقة الولايات المتحدة الأمريكية** بطابعها النشط القوي، وتتميّز بهذه الخصوصية المتمثلة في أن السود الأمريكيين خضعوا لعملية التنصير على نحو أعمق وأكثر فعالية مما حصل لغيرهم، فنتج عن ذلك أنهم لم يحافظوا على الطابع الأصيل للعديد من العقائد والطقوس الإفريقية. ولم تنجح عندهم فكرة العودة إلى إفريقيا، التي روجت لها **جمعية الاستيطان الأمريكية** (*American Colonization Society*) منذ (1816)، قبل أن تروّج لها، بأساليب مغايرة، عدة كنائس زنجية ما يُقارب (1900). وقد بادر العديد من الأفارقة الأمريكيين، مستائين من عجز الكنائس المسيحية عن الاستجابة لتطلعاتهم الاجتماعية، إلى اعتناق اليهودية، والإسلام على الخصوص. وفي وقتنا هذا، توجد في صفوف الأفارقة الأمريكيين جماعتان تنتسبان إلى الإسلام، وهما تنحدران معاً من حركة **أمّة الإسلام** (*Nation of Islam*)، التي أسسها إليجا محمد (Elijah Muhammad) (إليجا بول، 1897-1975) عام (1934)، انطلاقاً من تنظيم سابق أرساه رجل مسلم (والاس د. فارد Wallace D. Fard)، ومستفيداً من تجربة **معبد العلم الموريسكي** (*Moorish Science Temple*) لمؤسسه نوبل درو علي (Noble Drew Ali) (تيموتي درو، 1886-1929)، ومستفيداً، أيضاً، من نشاط الدعاة الأحمديين (Ahmadiyahs) الهنود، الذي بدأ عام (1920). ففي عام (1964)، انشقّت جماعة **مسجد الإسلام** (*Muslim Mosque*) بزعامة مالكولم إيكس (Malcolm X) (مالكولم ليتل، 1925-1965) عن حركة **أمّة الإسلام**. وبعد وفاة إليجا محمد عام (1975)، قام نجله وريث الدين (والاس دين Wallace Deen) محمد بتحويل تنظيم **أمة الإسلام** إلى الإسلام الأرثوذكسي (السنّي) تحت اسم **دعوة المسلمين الأمريكية** (*American*

(*Muslim Mission*). وفي وقتنا هذا، يُوجد تنظيم **أمة الإسلام** تحت قيادة المرشد لويس فرخان (Louis Farrakhan) من شيكاغو، الذي يواصل السير على نهج إليجا محمد.

6.3- بيبليوغرافيا:

فيما يتعلق بالأديان الإفريقية بصورة عامّة، انظر:

- B. C. Ray, *African Religions: An Overview*, in ER 1, 60-69; E. M. Zuesse, *Mythical Thems*, in ER 1, 70-82; B. Jules-Rosette, *Modern Movements*, in ER 1, 82-9; V. Grottanelli, *History of Study*, in ER 1, 89-96.

وانظر أيضاً:

- B. Holas, *Religions du monde: L'Afrique noire*, Paris 1964; Benjamin C. Ray, *African Religions: Symbol, Ritual, and Community*, Engelwood Cliffs N. J. 1976; Noel Q. King, *African Cosmos. An Introduction to Religion in Africa*, Belmont CA 1986.

وهناك عمل جيد أنجزه لوي فانسن توما وروني لونو، ويتمثل في جمع وتدوين مجموعة من النصوص الدينية الإفريقية؛ انظر:

- L. V. Thomas et R. Luneau, *les Religions de l'Afrique noire. Textes et traditions sacrées*, 2 vol., Paris 1981.

وفيما يتعلق بأديان إفريقيا الغربية، انظر:

- H. A. Witte, *Symboliek van de aarde bij de Yoruba*, Groningen 1982, et I. P. Couliano in Aevum 57 (1983), 582-3; Marcel Griaule, *Dieu d'Eau*, Paris 1966; M. Griaule-G. Dieterlen, *le Renard Pâle*, Paris 1965; G. Dieterlen, *Essai sur la religion bambara*, Paris 1951; Geneviève Calame-Griaule, *Ethnologie et langage, la parole chez les Dogons*, Paris 1965; Dominique Zahan, *la Dialectique du verbe chez les Bambaras*, Paris-La Haye 1963; D. Zahan, *Sociétés d'initiation Bambara: le N'Domo, le Koré*, Paris-La haye 1960.

وفيها يتعلق بأديان إفريقيا الشرقية، انظر:

- W. A. Shack, *East African Religions: An Overview*, in ER 4, 514-52; B. C. Ray, *Northeastern Bantu Religions*, in ER 4, 552-57; J. Beattie, *Interlacustrine Bantu Religion*, in ER 7, 263-6; J. Middleton, *Nuer and Dinka Religion*, in ER 11, 10-12; E. E. Evans-Prichard, *Nuer Religion*, Oxford 1956; idem, *Wichcrat Oracles and Magic among the Azande*, Oxford 1980 (1937); Godfrey Lienhardt, *Divinity and Experience: The Religion of the Dinka*, Oxford 1961.

وفيها يتعلق بأديان إفريقيا الوسطى، انظر:

- E. Colson, *Central Bantu Religion*, in ER 3, 171-8; S. Bahuchet et J. M. C. Thomas, *Pygmy Religion*, in ER 12, 107-10; Colin M. Turnbull, *The Forest People. A Study of the Pygmies of the Congo*, New York 1962.

وفيها يتعلق بأديان إفريقيا الجنوبية، انظر:

- M. Wilson, *Southern African Religions*, in ER 13, 530-38; L. de Heusch, *Southern Bantu Religions*, in ER 13, 539-46.

أما فيها يتعلق بالأديان الإفريقية-الأمريكية، فانظر:

- G. Eaton-Simpson, *Afro-Caribbean Religions*, in ER 3, 90-98; Alfred Métraux, *le Vaudou haïtien*, Paris 1958; A. J. Raboteau, *Afro-American Religions: An Overview*, in ER 1, 96-100; idem, *Muslim Movements*, in ER 1, 100-102; Y. Maggie, *Afro-Brazilian Cults*, in ER 1, 102-5; R. Price, *Afro-Surinamese Religions*, in ER 1, 105-7.

4
الإسلام

0.4- صيغت كلمة **إسلام** من وزن الفعل الثلاثي المزيد[32] المشتق من الجذر **سلم**، وهو **أسلم** الذي يعني: «خضع (لله)»؛ ومنه صيغة اسم الفاعل **مسلم**، التي تعني: «(من) يخضع (لله)».

وفي أيامنا هذه، يسجل الإسلام، الذي يُعدّ أحد أهم أديان البشرية، حضوره في جميع قارات العالم؛ فهو الدين المسيطر في الشرق الأوسط، وفي آسيا الصغرى، وفي المنطقة القوقازية، كما في شمال شبه القارة الهندية، وفي آسيا الجنوبية كما في إندونيسيا، وفي إفريقيا الشمالية كما في إفريقيا الشرقية.

1.4- كانت جزيرة **العرب** قبل [ظهور] الإسلام موطناً للشرك

---

32 - في الأصل: (le mot *islām* provient de la quatrième forme verbale de la racine *slm*: *aslāma*)؛ وترجمتها: «اشتقت كلمة إسلام من الصيغة الفعلية الرابعة للجذر سلم، وهي: أسلم»؛ وهذا كما نرى كلام غير واضح؛ فالمشهور عند دارسي اللغة العربية أن أوزان الفعل أربع فئات: أوزان المجرّد الثلاثي، أوزان المزيد الثلاثي، وزن المجرّد الرباعي، ثم أوزان المزيد الرباعي؛ والمشهور عندهم أيضاً أن «أسلم» فعل ثلاثي مزيد بحرف (أو فعل ماض رباعي الأحرف فيه حرف زائد)، وأن المزيد من الثلاثي بحرف يأتي على ثلاثة أوزان، وهي: «فعل» (بالتضعيف)، و«فاعل»، ثم «أفعل» نحو «أسلم». (م)

السامي[33]، علاوةً على اليهودية المستعربة والمسيحية البيزنطية. وقد تأثّرت المناطق الشمالية والشرقية، التي تخترقها الطرق التجارية الكبرى، تأثّراً عميقاً بالثقافة الهلنستية وبالرومان. وفي زمن محمّد، كانت عبادة الآلهة القبلية قد احتلّت مكان الصدارة على حساب عبادة النجوم والكواكب القديمة؛ أي عبادة الشمس والقمر والزهرة. وكان إله القبيلة الرئيس يعبد في صورة حجر -نيزكي ربّما- أو شجرة أو خشبة. وكانت تقام له الهياكل، وتقدّم له الهدايا والقرابين الحيوانية، تعظيماً لمقامه وإجلالاً له. وقد ساد الاعتقاد، قبل مجيء الإسلام وبعده، بوجود الأرواح ذات الحضور الكلّي -والخبيثة أحياناً- التي يُطلق عليها اسم **الجن**. وكان الله (Al-lāh)، «الإله»، يُعبد إلى جانب الإلهات العربيات العظيمات. وتتمثل الممارسات الدينية الرئيسة في الأعياد والصيام والحج. فالهينوتية[34]، والتوحيدية -التي تمثلها عبادة الرحمن (al-Raḥmān)- كانتا بدورهما معروفتين. واستقرّت قبائل يهودية عظمى وقوية في المراكز الحضرية، مثل واحة يثرب، التي سيطلق عليها لاحقاً اسم **المدينة**. وقد استقطبت البعثات [التبشيرية] المسيحية بعض الأنصار (نذكر منهم أحد أقارب زوجة محمد الأولى[35]). وفي القرن السادس (ح.ع) كانت مكّة، بكعبتها التي تضمّ الحجر النيزكي الأسود، بمقام المركز الديني للمنطقة الوسطى من جزيرة العرب، كما كانت عبارة عن مدينة تجارية مهمّة. وطوال عمره، لم يفتأ محمد يرثي أحوال نُظمها الاجتماعية، وفظاظة أهلها وفوارقهم الاقتصادية وأخلاقهم المنحطة.

33- «الشرك» مقابلاً للفظ المركب (polythéisme)، الذي يعني حرفياً: «تعدّد الآلهة»؛ أمّا «السامي» (sémitique)، فنسبةً إلى الساميين. (م)

34- مصطلح نحته الفيلسوف الألماني شيلنغ (F. Schelling)، على الأرجح، ثم تطور لاحقاً على يد مولر (F. M. Müller) في أبحاثه حول الفيدية؛ ويعني: عبادة «الواحد» المفضل على غيره من الآلهة تفضيلاً نسبياً، بخلاف المونولاترية. انظر تعليقنا على هامش مادة «الديانة المصرية». (م)

35- يقصد ورقة بن نوفل الأسدي القرشي؛ وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوجة النبي محمد. (م)

2.4- وُلِد **محمد** في أسرة من تجّار مكة (بنو هاشم، من قبيلة قريش) نحو (570). توفي والداه وجده، تاركين إيّاه فقيراً، فتعاطى التجارة، وتزوّج من مشغّلته خديجة وهو ابن خمس وعشرين، وكانت أرملة ثرية تبلغ من العمر أربعين. وفي نحو (610)، وبينما هو مستغرق في إحدى خلواته التأمّلية، التي كان يداوم عليها بصورة دورية في إحدى المغارات الواقعة بالقرب من مكّة، بدأت تحصل له الرؤى، وصار يتلقّى الوحي سماعاً. وبحسب التقليد، قد ظهر له الملاك جبريل، وأراه كتاباً[36]، ثم أمره بالقراءة، قائلاً: **اقرأ!** واعتذر محمد عن القراءة مراراً، لكن الملاك ألحّ عليه بأن يقرأ، فاستطاع النبي أو رسول (*rasūl*) الله أن يقرأ من غير مشقّة. وكشف له الله، كما كشف لأنبياء بني إسرائيل، عن العظمة الإلهية التي لا نظير لها، وعن وضاعة الفانين [البشر]، بصفة عامة، ووضاعة أهل مكّة بصفة خاصّة. ومرّت فترة لم يحدث فيها محمد سوى أقرب أقربائه عن الوحي الذي نزل عليه وعن رسالته النبوية، غير أن دائرة المؤمنين به ما فتئت تتّسع، ووتيرة اجتماعه بهم ما برحت تزداد. ولما انصرمت ثلاث سنوات، طفق محمد يبشّر علانيةً برسالته التوحيدية، فواجه من ضروب الجفاء أكثر مما لقي من الترحيب، حتى أن أفراد عشيرته اضطروا إلى حمايته من خصومه.

وفي السنوات اللاحقة تلقى محمد وُحِيّاً[37] جديدة، سيشكل العديد منها ثيولوجيا القرآن. وأحد هذه الوُحِي التي نُسخَت لاحقاً ونسبت إلى الشيطان، يمنح صفة الشفاعة عند الله لثلاث إلهات محليات يتمتعن بشعبية كبيرة. وبقدر ما كان محمد يكسب المزيد من الأتباع، كان الاعتراض على رسالته يزداد حدّةً وضراوةً. فقد اتهم بالكذب، وطُلب منه أن يأتي بمعجزة برهاناً على نبوته؛ وكانت حياته مهدّدة. وهكذا، سيبحث لحركته عن مقرٍّ جديد مكّنته منه بعض عشائر المدينة [يثرب]، التي تقع على بعد (400) كلم شمال مكة، وكانت [المدينة] تؤوي العديد من اليهود. وبدأ أتباع

36- هذا قول بعض المفسرين المسلمين، ولم ينعقد عليه إجماع. (م)

37 - بضم الواو وكسر الحاء وتشديد الياء، جمع وحي. (م)

محمد يستقرّون في المدينة؛ وفي عام (622)، خرج محمد نفسه بصحبة مستشاره أبي بكر [الصدّيق] خلسةً قاصدين المدينة. وهذا الحدث، الذي يُسمّى **الهجرة**، يُشكل بداية التاريخ الإسلامي. لكن تحويل التاريخ بحسب التقويم الإسلامي إلى الحقبة العامة (ح.ع) لا يتم بمجرد إضافة (622) إلى السنة الهجرية؛ ذلك لأن التقويم الديني الإسلامي قمري، ولا يضم سوى ثلاثمئة وأربعة وخمسين يوماً.

وفي السنوات العشر التي قضاها محمد في منفاه في المدينة ظلّ يتلقى الوحي، وسيشكل هذا الوحي المدوّن كتابياً، إلى جانب أقوال وأفعال [محمد] المدوّنة بوصفها **أحاديث** [نبوية] -والتي تشكل بدورها جزءاً من التقليد- سيشكل جماع قانون أو شرعة الحياة الإسلامية. وخلال هذه الفترة، ظلّ محمد منشغلاً بتدبير الحياة الدينية لأتباعه؛ وأوفد بعثات عديدة لمعاقبة أعدائه في المدينة، ولا سيّما أعدائه المكيين الذين كان يستولي على قوافلهم بالقوة. وستسفر هذه التصرفات عن نشوب الحرب بين المدينتين؛ وخلالها كانت تجري المفاوضات من أجل دخول المكيين في الإسلام. وفي الأخير، استولى محمد وجيشه على مكّة التي صارت **قبلة** (*qiblah*) للصلاة ووجهة **حج** (*ḥadj*) سائر المسلمين. لقد حوّل محمد الإسلام إلى قوة رهيبة، قبل أن يموت عام (632) في المدينة من غير أن يخلف ذكراً يرثه.

3.4- كلمة **قرآن**، [المشتقة] من **قرأ**، تعني عند المسلمين كلام الله الذي نقله الملاك جبريل إلى النبي محمد، الآخر في سلسلة أنبياء الكتاب المقدس. إنه، إن شئنا، بمقام «عهد جديد» جديد، لا يعارض، وإنما يؤكّد ويتجاوز كتاب اليهود والمسيحيين المقدّس. غير أن القرآن، بدوره، شأنه في ذلك شأن يسوع المسيح في التأويل الأفلاطوني لإنجيل يوحنا والآباء، ينطوي على وظيفة **اللوغوس** (*Logos*)، أو كلمة الإله الخالق الأزلية. أمّا محمد، فإنه لا يتولى هذه الوظيفة؛ إنه ينفي إمكان أن يتقلدها شخص من البشر؛ فمع أنه [محمد] مصطفى ومعصوم من الزلل، إلا أنه بشر. وقد قام محمد بمعية العديد من الكتاب بتدوين معظم الوحي. وبعد موته، كانت هناك قطع مكتوبة عديدة، كما كان هناك العديد من

الشهود الذين يحفظون أقواله. وقد تشكل نص القرآن الكامل في عهد الخلفاء الأوائل؛ وفي عهدهم [أيضاً] تمّت تنحية النسخ التي تنطوي على وجوه الاختلاف. ويتألف القرآن من (114) فصلاً تسمّى **السور**، تشتمل بدورها على عدد متفاوت من الأسطر (vers)، التي تسمّى **الآيات**. وليست هذه الفصول [السور] مرتبة ترتيباً زمنياً [ترتيب النزول]، أو بحسب الموضوع، وإنّما هي مرتبة وفقاً لعلاقة عكسية مع طولها، حيث نجد أن معظم الوُحِي الشعرية[38] الأولى المنتمية إلى الطور المكي توجد في آخر المجموعة [القرآن]، في حين توجد **السور** الأطول في أول المجموعة. ولكل **سورة** عنوان، وكلّها -إلا واحدة- تبدأ بالسطر الذي يسمى **بسملة**، وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم». والعديد منها [السور] مميّز بحروف رمزية[39] تُشير، ربّما، إلى المجموعة التي كانت تنتمي إليها في الأصل. وقد كتب القرآن بطريقة النثر المسجوع، وينطوي على ضروب من التصوير [الفني] الجميل والقوي.

لقد حقّق مجيء القرآن مقصده الأصلي المتمثل في تمهيد الطريق أمام العرب لولوج دائرة «أهل الكتاب»، مثل اليهود والمسيحيين الذين تلقوا التوراة والأناجيل. والتيمتان [الموضوعتان] الرئيستان في القرآن هما: [أولاً] عقيدة التوحيد وعظمة الله، و[ثانياً] طبيعة ومصير البشر في علاقتهم بالله. فالله هو خالق الكون والبشر والأرواح الذي لا شريك له، وهو الرفيق والعدل. وقد أطلقت عليه أسماء تمثل صفاته مثل العليم والعزيز. والبشر هم عبيد المولى المفضلون، وفي مستطاعهم التجافي عن أوامر الله؛ ذلك أنهم معرضون في الأغلب لإغواء الملاك الساقط إبليس (الشيطان)، الذي طُرِد من السماء بعد أن رفض السجود لآدم (2، 31-33؛ وهي قصة نلفيها سلفاً في كتاب **حياة آدم وحواء** *Vie d'Adam et d'Eve* المنحول). وفي يوم الحساب، يُبعث جميع الموتى، وتُوزن أعمالهم، قبل أن يُرسَلوا إلى الجحيم، أو

38- كذا في الأصل (révélations poétiques). (م)

39- يقصد الحروف المقطعة التي في أوائل السور مثل «كهيعص»، «حم عسق»، «ألم»... (م)

الفردوس، إلى الأبد. ويتصرّف القرآن في العديد من قصص الكتاب المقدّس (آدم وحواء، مغامرات يوسف، توحيدية أبراهام [إبراهيم] وإسماعيل)، كما يتصرّف في العديد من المواعظ الأخلاقية، التي تشكل مع التقاليد المتعلقة بسيرة النبي أساس القانون الإسلامي، أو **الشريعة**. والكرم والصدق خصلتان محمودتان، بينما أنانية التجار المكيّين مذمومة على الإطلاق. والممارسات الأساسية التي تحفل بها الحياة الدينية للمسلم هي الصلوات (*ṣalāts*) اليومية، والزكاة، وصيام رمضان، ثم الحج إلى مكّة. وقد أقرّت صيغة العبادة العمومية الإسلامية في نهاية القرن السابع. وكل مسلم مطالب بأن يؤدي الصلوات الخمس اليومية المعلن عنها بوساطة **الأذان** (النداء[40]) الذي يرتله **المؤذّن** من أعلى **المنارة** [المئذنة] (*manārah*). وليس من اللازم أن يكون المسلم حاضراً في المسجد؛ فحيثما كان موجوداً، يجب عليه قبل كل شيء أن يغتسل الاغتسال الطقسي (**الوضوء**)، ثم يولي وجهه ناحية مكة (**القبلة**)، ويتلو عبارات قرآنية مثل **الشهادة** (إعلان العقيدة credo الإسلامي)، ويتلفظ بعبارة **التكبير** (الله أكبر)، ثم يركع مرتين أو أكثر (*raka'āt*). وفي المسجد تكون القبلة مميّزة بكوّة غير نافذة تُسمّى **المحراب**. وتُقام الصلوات الجماعية تحت إشراف **إمام**. وفي كل يوم جمعة (*yawm al-jumu'ah*)، يلقي **الخطيب** (نيابةً عن الخليفة أو الوالي)، من أعلى **المنبر** (*minbar*)، خطبةً (*khuṭbah*) أمام جمع المؤمنين في المسجد الجامع. ولا تُوجد في المساجد مذابح؛ لأنها ليست معابد تُقدّم فيها القرابين كما تفعل بعض الكنائس المسيحية، ولا هي أماكن تودع فيها اللفائف المقدسة التي تحتوي على الوحي الكتابي كما تفعل البيع اليهودية. مع ذلك، المسجد (*masjid*) مكان مقدّس؛ ويمكن أن يؤوي قبر أحد القديسين [الأولياء]، أو آثار النبي.

وأنجزت إصلاحات اجتماعية وقانونية بعد الإصلاح الديني الذي أنجزه محمد.

40- في الأصل (convocation)؛ أي «الاستدعاء»؛ والأصح ما ذكرنا بدلالة النص القرآني (5، 58؛ 62، 9). (م)

وهكذا، التقليد الإسلامي هو أساس العدالة المدنية، والقواعد الضابطة للعلاقات الزوجية، ولمعاملات الوالدين والأبناء، وملاك العبيد، والمسلمين تجاه غير المسلمين. وقد منع [حرّم] الربا، وأعلنت قوانين تتعلق بأمور الأكل والشرب، وتحسّنت وضعية النساء؛ فقد أصبحن يرثن مقدار نصف ما يرث الذكر. وتتسم آراء العلماء في هذه الممارسة بالتعارض.

4.4- **الخلافة والانشقاق:** عندما تُوفي محمد (632 ح.ع)، وبينما كان ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب وعمّه العباس[41] منشغلين بتجهيزه للدفن، وقد فارق جسده الحياة، اجتمع باقي الأتباع في موضع مجاور لاختيار خليفة (من **خلف**، «جاء بعد»). وسيعني هذه اللقب، فيما بعد، أن الخليفة يجمع في شخصه بين وظيفتين من المفروض أن تظلّا منفصلتين عند جميع البشر؛ الوظيفة العسكرية لأمير المؤمنين (*amîr al-mu'minîn*)، والوظيفة الدينية لإمام المسلمين (*imām al-muslimîn*). وعند حلول الفجر، وبعد مشاورات طويلة، قرّر المجتمعون أن يتقلّد الخلافة أبو بكر [الصديق]، والد زوجة النبي، ورفيقه في الهجرة إلى المدينة، الذي كان محمد قد كلّفه بأن يصلّي بجماعة المسلمين نيابةً عنه. وخلال مدة السنتين، التي استغرقتها خلافته، تمكن أبو بكر من فرض سيطرة الإسلام التامّة على جزيرة العرب، وأوفد جيوشه لقتال البدو العصاة وبيزنطيي سورية [الشام]. وبعد موته، تولّى الخلافة عمر [بن الخطاب] (634-644) ثاني الخلفاء السنّة. وقد غزا عمر بلاد سورية، وأجزاء مهمّة من مصر وبلاد الرافدين. وبعد موت عمر، بدأت الانشقاقات الدينية الكبرى تقع في صفوف المسلمين؛ وستسفر عن ظهور (272) فرقة[42] على ما يذكر التقليد.

41- في الأصل «ابن عباس» (Ibn 'Abbās)؛ والأصح: «العباس [بن عبد المطلب]» إن كان المقصود العم وليس الفضل وقثم ابني العباس؛ وكانا فيمن جهّز النبي للدفن. (م)

42- هذا العدد خيالي ولا سند له؛ والظاهر أنه ناتج عن خطأ مطبعي. ولعله يقصد حديث افتراق الأمّة إلى نيّف وسبعين فرقةً... (م)

وبالفعل، أنصار علي، ابن عم وزوج ابنة النبي فاطمة، كانوا ينتظرون أن يُقلّد علي منصب الخلافة، لكن الأرستقراطي عثمان [بن عفان] (644-656)، المنحدر من بني أمية المكيين -خصوم محمد القدماء- اختير مكانه لتولي الخلافة. وقد أوجبت إيديولوجيا **الروافض** («الذين نبذوا [أوائل الخلفاء]») الشيعة («الأنصار»؛ من **شيعة علي**، «حزب علي») أن تكون الخلافة بحسب روابط القرابة الضيّقة جداً؛ فهم يرون أنه لا يكفي أن يكون الخليفة قرشياً؛ بل ينبغي أن يكون هاشمياً وفاطمياً كذلك؛ أي لا يكفي أن يكون من قبيلة النبي؛ بل ينبغي كذلك أن يكون من آل بيته، ومن أولاد فاطمة الشرعيين من زوجها علي بن أبي طالب؛ وبعبارة أخرى، لقد أراد **الشيعة** إقامة أسرة حاكمة علوية، لكن الأقدار شاءت أن تكون هذه الأسرة الحاكمة أموية.

وفي عام (656)، قُتل عثمان على يد جماعة من أنصار علي، الذي لم يتبرأ منهم. وعندما اختير علي لتولّي الخلافة [رابع خليفة في سلسلة الخلفاء السنّة]، توجّب عليه أن يواجه خصمين خطيرين يتهمانه بالتواطؤ مع قتلة عثمان، وهما: حاكم سورية الأموي القوي معاوية، وجنراله الداهية عمرو بن العاص غازي مصر. وبينما كان علي بن أبي طالب على وشك هزم معاوية في معركة صفّين على نهر الفرات (657)، إذا بعمرو بن العاص يأمر جنوده برفع ورقات من المصحف القرآني على أسنّة الرماح، فتراجع جيش علي بن أبي طالب. ثمّ دعا عمرو بن العاص عليّاً ومعاوية إلى القبول بالتحكيم؛ واستطاع أن يمثل هذا الأخير بألوان من المكر تمخّضت عن هزيمة الشيعة. ثم برزت معضلة جديدة عمّقت من حيرة علي [المأخوذ بذمامته النبيلة]؛ فقد رفضت طائفة عريضة من جيشه، وهم الخوارج، أو «المنشقّون» بامتياز (من «خرج، غادر»)، [رفضت] اللجوء إلى تحكيم البشر، محتجةً بأنه **لا حكم إلا لله**[43]. ولم يكن

43 - في الأصل (lā ḥukmatu illa Allāh)؛ أي «لا حكمة إلا الله»؛ والصواب ما ذكرنا؛ لأن فرقة الخوارج، كما هو معلوم، احتجّت بنص قرآني (6، 57). (م)

هؤلاء الخوارج، الذين هم بمقام طهرانيي[44] الإسلام، يأبهون بأمر تنصيب الأسر الحاكمة؛ فالخلافة عندهم لا تسند إلا بالانتخاب، ولا يتقلّدها إلا خير المسلمين وأتقاهم، من غير تمييز على أساس الانتماء القبلي أو العرقي؛ فإذا توافرت في عبد حبشي المؤهلات المطلوبة، فإنه سيكون أحقّ بهذا المنصب من عربي ينحدر من قبيلة قريش. وثمّة جوانب أخرى من مذهب الخوارج ما زال يستنكرها معظم المسلمين، الذين يرون أن [تكفير الناس] وإخراجهم من **أمّة** (*Ummah*) المؤمنين يُعادل في خطورته، إن لم يفق في خطورته، الحرمان الكنسي عند مسيحيي العصر الوسيط. والحال أن طهرانيي الإسلام، وبخلاف طهرانيي المسيحية الذين سيظهرون في زمن لاحق، يعتقدون بأن الإيمان غير كافٍ، وبأنه لا بدّ من الأفعال الدالّة على صدق الإيمان؛ ويلزم عن ذلك أن المسلم الذي يرتكب المعاصي يخرج من دائرة المؤمنين. وهذا الاهتمام بالطهارة الأخلاقية -الذي يستحق الإجلال- يقترن عندهم بهاجس استعادة الحقيقة التاريخية. وفي هذا المضمار، أعلنوا أن القرآن ليس كلّه وحياً[45]. وبدلاً من قتال معاوية تصدّى علي لقتال الخوارج، الذين انصرفوا بدورهم عن معاوية ليغتالوا علياً في عام (661). وعادت الخلافة إلى معاوية مؤسّس أسرة الأمويين في دمشق (661-750).

5.4- **التوسّع الإقليمي**: غزا أوائل الخلفاء (632-661) بلاد الشرق الأدنى من إيران إلى مصر. وسقطت دمشق عام (635)، وبعدها بيت المقدس وأنطاكية وبصرى [الشام][46] (638). وتتالت الغزوات بوتيرة سريعة؛ فارس (637-650)، مصر

---

44 - ترجمة: (puritains). (م)

45 - تعميم لا يصح. وكل ما في الأمر أن بعض كتب الفِرق نسبت إلى العجاردة والميمونية من الخوارج أنهم أنكروا سورة «يوسف»، وقالوا إنها ليست من القرآن. (م)

46- في الأصل (Basra) أي «البَصرة»؛ والصواب: (Bosra) أي «بُصرى الشام» كما ذكرنا. أمّا تاريخ (638)، الذي عمّمه المؤلف على المدن الثلاث، فهو غير دقيق. (م)

(639-642). ومن (661 إلى 750) واصل الخلفاء الأمويون في دمشق توسّعهم الإقليمي ناحية الشرق (أفغانستان)، وناحية الغرب (إفريقيا الشمالية وإسبانيا)، وقد استغلّ [الغزاة]، بمهارة، تعلّق البربر [الأمازيغ] بخصوصيتهم [القومية]، [هؤلاء] الذين استطاعوا، مع ذلك، أن يقاوموا الغزو بتوظيف سلاح الانشقاق (ولا سيّما الخارجي [نسبة إلى الخوارج])، فعبروا بجيشهم الإسلامي بلاد إفريقية، عام (711)، حتى بلغوا المغرب الأقصى ومضيق جبل طارق، وواصلوا المسير، بمساعدة محتملة من حاكم سبتة البيزنطي، ومن يهود الحواضر المضطهدين، قاصدين غزو بلاد الأندلس (أصل هذا الاسم غير معروف، وربّما كان مشتقاً من **فندليسيا** *Vandalicia*)؛ أي مملكة القوط الغربيين في شبه الجزيرة الإيبيرية، التي تضمُّ في أيامنا هذه إسبانيا والبرتغال. كان العرب بعد سقوط طليطلة هم أصحاب الصولة المسيطرين في المنطقة حتى [جبال] البرانس (Pyrénées)، لكنّ غاية أمانيهم لم تجاوز الجبال، ولا سيّما عندما وضع شارل مارتيل (Charles Martel) في بواتييه (Poitiers) (732) حدّاً لتقدّمهم نحو فرنسا. وقد شدّ آخر الأمويين رحالهم إلى بلاد الأندلس بحثاً عن ملاذ آمن لهم بعد أن هزمهم بنو العباس البغداديون عام (750). وقد استمرت [دولة] الخلافة البهية في قرطبة من (756) إلى عهد «ملوك الطوائف» (**رؤساء الطوائف**، من 1031 إلى 1090) الموسوم بالاضطراب والفوضى، حيث تمكّنت الممالك المسيحية في الشمال من تحقيق جملة اختراقات حاسمة، واستولت على طليطلة عام (1085). وقد تعرّضت الأندلس للاحتلال، تباعاً، من قبل أسرتي المرابطين (1090-1145) والموحّدين (1157-1223) البربريتين [الأمازيغيتين]، لكن المسلمين سيشرعون في إخلائها بالتدريج، وسينحصر وجودهم، إلى غاية (1492)، داخل شريط أرضي ضيق على ساحل البحر الأبيض المتوسط؛ [ونعني به] إمارة بني نصر في غرناطة. وفي (827)، نهض الأمراء الأغالبة من إفريقيا لغزو صقلية وجنوب إيطاليا، التي سيصدهم عنها البيزنطيون. واحتُلّت الجزيرة عام (902)، ثم صارت فاطمية عام (909)، فشبه مستقلّة عام (984)، واستولى عليها النورمانديون عام (1091). وابتداء من القرن الحادي عشر،

أصبح رجال الإسلام الأقوياء ممثلين بالأتراك، الذين سبق أن أسلموا في القرن العاشر، ولا سيّما السلاجقة، الذين استولوا على عرش العباسيين عام (1058). وستكون نهاية السلاجقة في عام (1258) على يد المغول (أسلم منهم نحو 1300)، الذين احتلوا العراق قبل أن يسارع الأتراك المماليك إلى وضع حدٍّ لزحفهم؛ وسيحكم هؤلاء المماليك بلاد مصر إلى غاية الاحتلال العثماني عام (1517). ومن القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر، ظلّ الإسلام ممثلاً، في المقام الأول، بالإمبراطورية العثمانية القوية، التي تأسست عام (1301) في آسيا الصغرى، وفي (1453) استولى العثمانيون على القسطنطينية، التي أصبحت عاصمة لهم (إسطنبول). وفي الشرق، أقام الأتراك المماليك سلطنتهم في دلهي (1206-1526). ومن (1526) إلى (1658) خضعت الهند الشمالية لحكم كبار سلاطين إمبراطورية الهند الإسلامية الذين ينحدرون من المغول. أمّا إندونيسيا وماليزيا، فإن الفضل في اعتناقهما الإسلام يعود، بدرجة كبيرة، إلى الطرق التجارية التي كانت تربطهما ببلاد المسلمين، ويصدق هذا الأمر أيضاً على بعض مناطق [إفريقيا] جنوب الصحراء.

6.4- تنطوي **الانشقاقات** الحادثة في الإسلام، دوماً، على ثلاثة أبعاد متشابكة شديدة التعقيد؛ بُعد جنيالوجي [نَسَبي]، وبُعد لاهوتي، ثم بُعد سياسي. فعلى الرغم من الخلافات الحاصلة بين المجموعات الدينية الكبرى، فإنه لا واحدة منها تشكك في انتماء خصومها إلى ملّة الإسلام، وإنما هي [تشكّك] في أرثوذكسية هؤلاء الخصوم فحسب. فالإسلام لا يقصي من دائرته سوى بعض فرق **الغلاة** الذين يقولون بألوهية الأئمة، ويؤمنون بتناسخ الأجساد[47] (*tanāsukh al-arwāḥ*).

لقد أنجبت فاطمة من علي ولدين، هما: الحسن والحسين. وبعد مقتل علي، حثّ

47- كذا في الأصل (métensomatose) أي «تناسخ الأجساد»؛ والصواب: «تناسخ الأرواح» (métepmsychose). وإيراده مصطلح (tanāsukh al-arwāḥ) بحروف لاتينية بين قوسين يؤيّد صحة تنبيهنا على هذا الخطأ في عدة مواضع. (م)

شيعة مركز الكوفة، في العراق، الحسن بن علي على المطالبة بالخلافة، لكن الحسن تخلّى عن ذلك علناً، وكانت الكلفة باهظة، وتُوفي في المدينة عام (670) أو (678). وبعد موت معاوية عام (680)، أراد الحسين وحاشيته الالتحاق بأنصارهم في الكوفة، فاعترضه جيش[48] يزيد بن معاوية وولي عهده. وفي العاشر من محرّم (أكتوبر [تشرين الأول]) (680)، قُتِل الحسين في اشتباك في كربلاء. وإلى يومنا، ما زالت **عاشوراء** («العاشر» من أكتوبر [تشرين الأول])[49] تمثّل يوم حداد عند الشيعة. ولمّا قُتل الحسين، عقد الشيعة الكوفيون آمالهم على ولد علي المولود خارج رباط الزوجية[50]، وهو محمد ابن الحنفية، الذي أعلنه المختار [الثقفي]، بدعم من **الموالي** (*mawāli*)؛ أي أهالي البلاد الذين اعتنقوا الإسلام، [أعلنه] خليفةَ [إمام] المسلمين، وقال إنه **المهدي** (*Mahdî*) الموعود. لكن محمد ابن الحنفية سينفصل كليةً عن المختار، وسيواصل العيش بسلام في المدينة حتى بعد مقتل هذا الأخير. وقد قام أحد أتباع المختار، ويسمّى كيسان، بإنشاء أول مذهب شيعي؛ وهو المذهب القائل إن الخلفاء الشرعيين [أربعة] هم علي، الحسن، الحسين، ومحمد [ابن الحنفية]. وأبى بعضهم الاعتراف بموت محمد ابن الحنفية، فصار لقب المهدي يعني الإمام المختفي في الجبال، والذي ستكون عودته مسبوقة بعلامات إسخاتولوجية [أخروية].

1.6.4- ترى **أكثر المذاهب الشيعية نفوذاً** أن الأئمة هم المنحدرون من ذريّة شهيد كربلاء، الذي خلّف ابناً وحفيداً، مع أن كليهما لم يوافق أماني الشيعة على

48- في الأصل (cavaliers) أي «فرسان»؛ والحال أنه جيش يقوده عمر بن سعد بن أبي وقاص. (م)

49- تجدر الإشارة إلى أن العاشر من محرّم لا يوافق دائماً العاشر من أكتوبر [تشرين الأول] لاختلاف التقويم القمري عن الشمسي. (م)

50- في الأصل (enfant naturel)، التي تعني حرفياً: «الولد الطبيعي»؛ والمُراد، كما يظهر، أن أمّه من سبايا حرب اليمامة، على ما تذكر بعض المصادر. (م)

الإطلاق؛ علي الملقب بزين العابدين وابنه محمد الباقر. وكان زيد بن علي -وهو شقيق محمد الباقر من أبيه- أكثر اهتماماً بمصارعة الأمويين؛ ومع أنه أبدى تسامحاً تجاه الخليفتين الأولين [أبي بكر وعمر]، إلا أنه عدّ حكم بني أمية باطلاً، وقال: إن الخلافة تجب لبني هاشم، وأنها لا تورّث. ومات زيد عام (740)، وهو في ابتداء مسيرته في مكافحة الأمويين.

وبعيد ذلك، نهضت أسرة العباس[51] الهاشمي عم النبي -بمؤازرة الشيعة- للمطالبة بالخلافة. وفي (749)، حلّت الرايات السود في الكوفة محلّ الرايات البيض الأموية؛ لكن بني العباس، الذين استقروا في العاصمة الجديدة بغداد، قطعوا جميع صلاتهم بالشيعة الذين كان لهم، من الناحية العملية، الفضل في وصولهم إلى سدّة الحكم، وجعلوا على العلويين عيوناً تراقبهم.

وفي عداد هؤلاء العلويين نلفي أهم شخصية في تاريخ التيارين الشيعيين الكبيرين، وهي شخصية جعفر الصادق (le Juste) الذي تحفّظ بصراحة من أولئك الذين عرضوا عليه الخلافة، مثلما تحفّظ من المتطرّفين [الغلاة] الذين ألهوه. وكان لجعفر ثلاثة أولاد: عبد الله الأفطح، وإسماعيل، ثم موسى الكاظم. وقد مات إسماعيل (755) في حياة أبيه، في حين مات عبد الله بعد موت أبيه ببضعة أشهر (766). أمّا الشيعة **الاثنا عشرية** (الذين يعترفون باثني عشر إماماً)، وهم الأكثر عدداً والأقوى نفوذاً في بلاد فارس، إلى يومنا هذا، فإنهم يسوقون الإمامة من جعفر الصادق إلى موسى الملقّب بالكاظم (سجين هارون الرشيد العباسي في بغداد) وإلى ذريته من بعده: علي الرضا الذي بايعه المأمون [العباسي] على ولاية العهد عام (817)، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، ثم الحسن العسكري الذي توفي عام (873) من دون أن يخلّف أولاداً من الذكور. وقد زرع موت الإمام الحادي عشر الحيرة (*al-*

51- في الأصل (Ibn ʻAbbās) أي «ابن عباس»؛ والأصح ما ذكرنا. وقد قمنا بإصلاح الخطأ نفسه في الكشاف. (م)

ḥaira) في صفوف الشيعة. وأعلن الاثنا عشريون أن للحسن ولداً كان قد أخفاه عن الناس، وهو محمد الإمام المستور (**الصامت** *ṣāmiṭ*)، الذي سيعود باسم المهدي (Mahdî) ليكون حاكم العالم (**صاحب الزمان** *ṣāḥib al-zamān*). وقد تمتّعت الشيعة الاثنا عشرية، أو «الإمامية» بحماية أسرة البويهيين (945-1055). وأعظم فقهاء الإمامية هو محمد بن علي بن بابويه القمي (918-991).

2.6.4- يجمع **«المتطرفون»**، أو **الغلاة**، على العموم، بين القول بألوهية الإمام والقول بمذهب تناسخ الأجساد[52]. وقد وصف بعض العلماء هذا الجمع بأنه «غنوصي» [عرفاني]، وهو أمر غير صحيح على الإطلاق. وكان أول هؤلاء الغلاة، على ما يبدو، المسمّى عبد الله بن سبأ الكوفي[53]، الذي ادعى ألوهية علي. ولم تبقَ من هؤلاء الغلاة اليوم سوى فرقتين: فرقة الأكراد **العلي- إلهيين** (*Ali-ilāhî*)، («مؤلهي علي»)، الذين يسمّون أنفسهم «أهل الحق» (Ahl-i Ḥaqq)؛ وفرقة النصيرية، التي يقوم مذهبها على تعاليم الإمام الحادي عشر، الحسن العسكري، كما نقلها عنه تلميذه محمد بن نصير [النميري]. ومعظم النصيريين (600.000) يعيشون، اليوم، في سورية، التي استولوا فيها على السلطة عام (1970).

3.6.4- أما الإسماعيلية، أو الشيعة السبعية، التي ما زالت موجودة إلى يومنا هذا ممثلةً في الأغاخانات (Aga Khans)، فإنها تستمدُّ اسمها من إسماعيل، الابن الثاني لجعفر الصادق، الذي مات في حياة أبيه عام (755). ويمثل إسماعيل سادس الأئمة في سلسلة الأئمة السبعية، التي تبدأ بالحسن؛ أما سابع الأئمة، فهو محمد بن إسماعيل، الذي كان في الأصل الإمام المستور (**الصامت** *ṣāmiṭ*)، الذي كان ينتظر خروجه، أو قيامه (*qiyām*)، باسم المهدي، أو قائم الزمان (Qā'im al-Zamān).

52- كذا في الأصل: (métensomatose) أي «تناسخ الأجساد»؛ والأصح: (métempsychose) أي «تناسخ الأرواح». ويتكرّر هذا الخلط في مواضع عديدة. (م)

53- هناك خلاف فيما يتعلق بأصله عند القائلين بوجوده التاريخي. (م)

بيد أنه في القرن التاسع، سيظهر المسمّى عبد الله[54]، الذي زعم أنه من نسل علي، وطفق ينشر دعوته، التي تبشّر بظهور المهدي، لكنه تعرض للاضطهاد، فلجأ إلى سلَميّة (Salamya) في سورية. ومن بين أوائل الدعاة، نجد المسمى حمدان قرمط، الذي سُمي باسمه إسماعيليو العراق، وهم القرامطة. وفي إيران، ولا سيّما في الري (Rey)، استقطب الإسماعيليون عدداً لا يُستهان به من الإمامية في أعقاب «الحيرة»، التي حاقت بهم بعد موت إمامهم الحادي عشر. وستتكلّل بعثات اليمن والجزائر، أيضاً، بالنجاح الفائق. ويتمثل مذهب القرامطة، خلال طور «الستر»[55]، في سلاسل مزدوجة من الأنبياء؛ فمن جهة، هناك **الناطق** (*nāṭiq*) الموكل بالكشف عن الوجه **الظاهر** (*ẓāhir*) من الدين؛ ومن جهة أخرى، هناك «وريثه»، وهو **الوصي** (*wasi*) الموكل بالكشف عن الوجه **الباطن** (*bāṭin*) من الدين. وكلّ زوج من هؤلاء الأنبياء موكل بتبصرة أو تنوير **دور** (*daur*) من أدوار العالم. وأوائل الأنبياء هم شخصيات من العهدين القديم والجديد. أمّا محمد **ووصيه** علي، فهما خاتما هذه السلسلة. وقد تلاهم ستّة أئمة. والإمام السابع، محمد بن إسماعيل بن جعفر، هو المهدي المنتظر الذي سيتم في عهده إلغاء أو **رفع الشرائع** (*'raf' al-charā'i*)، والعودة إلى النعيم الفردوسي الذي كان يعيش فيه آدم قبل السقوط. وأعلن **حجة** (*Ḥujjā*) سلمية (Salamya) الرابع [عبيد الله] أنه المهدي (899/ 286)، وباسمه نهض الدعاة، بدعم من قبيلة كتامة البربرية [الأمازيغية]، لغزو إفريقيا الشمالية. وأعلن المهدي نفسه خليفة في البلاد المغزوة عام (910/ 297)، مدشناً بذلك عهد أسرة الفاطميين، الذي دام إلى غاية (1171). وأقام خلفه المعز لدين الله [الرابع بعد عبيد الله المهدي][56] عاصمته الجديدة [بالقرب من الفسطاط]، وسمّاها القاهرة

54- لعله يقصد عبد الله بن ميمون القداح. (م)

55- في الأصل (occcultation). (م)

56- بينهما خليفتان: القائم بأمر الله ثم المنصور بالله. (م)

(باسم كوكب المريخ «القاهر»). وذهبت فرقة من الغلاة، وهي فرقة الدروز، إلى تأليه الحاكم بأمر الله، الخليفة [السادس][57]. وبعد موت الخليفة الفاطمي [الثامن][58]، المستنصر بالله (1094)، انبرى الداعي الإيراني حسن الصباح للدعوة إلى إمامة [الهادي] نجل نزار بن المستنصر المقتول، الذي كان يؤويه عنده في قلعة ألموت المنيعة في جبال ألبرز (Elbourz). وهذا هو أصل فرقة الإسماعيليين النزاريين، أو الحشاشين، أسلاف الأغاخانات. وفي (1164)، بشّر الإمام النزاري الحسن الثاني (Ḥassan II) بحلول **القيامة** (*qiyāmma*)، أو إلغاء الشريعة، وأعلن نفسه إماماً. ومع سقوط ألموت، عام (1256)، وجد النزاريون أنفسهم بلا قاعدة، أو أساس، يعتمدون عليه، ثم اختفوا، باستثناء خوجات (Hojas) الهند الشمالية الغربية، الذين يعترفون منذ (1866) بالأغاخانات أئمةً لهم. وفي (1978) ناهز عدد الخوجات العشرين مليون نسمة.

وقد ترك الخليفة الفاطمي السادس الآمر [بأحكام الله] (الذي قتله الحشاشون عام 1130)، بعد موته، وريثاً ذكراً عمره ثمانية أشهر، وهو الطيّب [أبا القاسم]. وبعد اختفاء هذا الأخير، أعلنه داعي اليمن إماماً مستوراً. وهذا هو أصل طيبية (Tayyibites) اليمن والهند (البهرة Bohoras)، الذين ما زالوا موجودين إلى يومنا هذا.

7.4- **الشريعة** (*shari'ah*): هي القانون الإلهي المعتمد في الإسلام؛ وتفسير هذا القانون يسمّى **الفقه**. ولم يفرّق محمد بين القانون الديني والقانون الدنيوي. وفي كلّ بلد إسلامي يرتهن تطبيق الشريعة بمدى علمانية الدولة نفسها. ويشتمل تطبيق الشريعة على سائر مجالات الحياة، بما في ذلك العلاقات الأسرية والميراث **والزكاة** (*zakāt*) (2,5% [ربع العشر] تدفع للفقراء) والوضوء والصلاة... ويسهر **الفقهاء**

57- في الأصل: «الخليفة الثالث»؛ والأصح ما ذكرنا. (م)

58- في الأصل: «الخليفة الفاطمي الرابع»؛ والصواب ما ذكرنا. (م)

(*fukahā*) على ضبط الأنشطة البشرية كافةً وفقاً لسلّم [أحكام] يتدرّج من «الحلال» إلى «الحرام»، مروراً بدرجات وسطى. ومصادر التشريع عند علماء الشريعة أربعة، وهي: القرآن، **والسنّة**، **والإجماع**، ثم **القياس**. أمّا الفقه الشيعي، فهو يمتاز بطابع خاص به يتمثّل في تشبّثه بالتقليد المأثور عن الأئمة؛ كما أنه ينفرد بتصوّر خاصّ عن الإجماع والاجتهاد[59].

وتوجد في الشريعة الإسلامية أربعة مذاهب[60]، هي: [المذهب] الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي. وكل واحد من هذه المذاهب يسعى إلى حلّ المعضلة الآتية: إلى أيّ حدٍّ يجوز للفقيه أن يلجأ إلى «الاجتهاد» إذا كانت النازلة [التي تحتاج إلى حكم شرعي] ليس لها مثيل في حياة محمّد نفسه؟ وأنشأ أبو حنيفة (توفي 767)، أحد تجار الكوفة، مذهباً فقهياً قيضت له الغلبة في العراق. وشيّد مالك بن أنس (توفي 795) أحكامه [مذهبه الفقهي] على إعادة البناء الدقيقة لممارسات المجتمع النبوي نفسه، مبرزاً ألوان الانسجام الجماعي التي تنشأ عن احترام الواجبات الفردية. وقد هيمن مذهبه في إفريقيا الشمالية وإسبانيا [الأندلس]؛ وهو مذهب موسوم بالصرامة إلى درجة الوقوع في النزعة الحرفية. ويتأسّس التقليد [المذهب] الفقهي المنسوب إلى محمد بن إدريس الشافعي (توفي 820) على القرآن ونخبة من الأحاديث؛ وهو يعترف للقياس بدور محدّد، ويعترف على الخصوص برأي الجماعة، مستنداً في ذلك إلى الحديث [النبوي] الذي جاء فيه أن أمّة محمد لا تجتمع على ضلالة[61]. أمّا بالنسبة إلى أحمد بن حنبل (توفي 855)، فقد كان يرى أن حديث النبي أهم من قياس الفقهاء.

---

59 - ترجمة (raisonnement indépendant). (م)

60- في الأصل «أربع مدارس كلاسيكية [مرجعية]». (م)

61- في الأصل (la communauté de Muḥammad ne sanctionnerait jamais une erreur)؛ ويتعلق الأمر بالحديث المشهور. (م)

8.4- القرآن هو **كلام** (*kalām*) الله. وعلم **الكلام** (*'îlm al-kalām*) هو لاهوت الإسلام الجدلي، الذي يتعين البحث عن أصوله في التقليد الأبولوجي [الدفاعي] والهرسيولوجي [الهرطقي]. لقد كان غرضه يتمثل في إقامة [مرجعية] أرثوذكسية، وقد استدمج عناصر مستمدة من المنطق اليوناني ومن المذهب العقلاني.

لقد خلق الحوار مع مسيحيي دمشق وبغداد، الذين كان الإسلام (وقد أطلقوا عليه اسم هاجرية hagarisme أو إسماعيلية ismaélisme) يمثل في نظرهم هرطقة، [خلق] للاهوتيي الإسلام مشكلات جديدة، ووضعهم في مواجهة التقليدين الأرسطي والأفلاطوني المحدث، اللذين يصدر عنهما مخاطبوهم. فيسوع المسيح، بالنسبة إلى المسيحيين، هو **اللوغوس** (*logos*) الإلهي؛ أمّا عند المسلمين، فالقرآن هو الخليق بهذا الوصف. والمسيح، بالنسبة إلى المسيحيين، متّحد بالآب؛ أمّا عند المسلمين، فهذا القول عبارة عن **شرك**. وهناك مجادلات أخرى تدور حول حقيقة الصفات الإلهية، وحول ما إذا كانت هذه الصفات ثابتة أم متغيرة. ووصف اللاهوتي البيزنطي يوحنا الدمشقي (Jean Damascène) (توفي نحو 750) مساجلة تتعلق بأصل الشر: فالمسيحيون ينسبون الشرّ إلى حرية الإرادة، حفاظاً على صفة العدل الإلهي؛ أمّا المسلمون، فإنهم يعدّون الله خالقاً للخير والشرّ معاً، حفاظاً على صفة القدرة الكلية. وقامت مجادلات تتعلق بالجبر والاختيار في فترة مبكّرة من [تاريخ] الإسلام. وقد انتصر القدرية والمعتزلة، على الخصوص، لدعوى حرية الإرادة، على الرغم من وجود النصوص القرآنية التي تعارضها في الظاهر.

ومن (827) إلى (848)، وهي الفترة التي يُطلَق عليها اسم **المحنة**، حاولت الخلافة العباسية، بشتى الطرق، أن تفرض مذهب المعتزلة العقلاني، [هؤلاء] الذين يرفضون بشدّة كلّ صفة تقوم على تشبيه لله بالإنسان، مؤكدين توحيد وعدل الذات الإلهية، وعلى الفكرتين اللتين نافح عنهما الطهريون الخوارج؛ فكرة أن الإيمان غير كافٍ في تبرير المؤمن، وفكرة أن المعصية تسقط عن مرتكبها صفة المؤمن. وقد أعقب

هذه الفترة ردّ فعلٍ عكسي؛ فقد انتصرت وسطية أبي الحسن الأشعري (874-935)، وأصبحت بمقام المذهب الأرثوذكسي السنّي. فبخلاف المعتزلة قبِل الأشعري بمذهب الجبر، وبِقدم القرآن، وبالغفران الإلهي للذنوب، علاوةً على حقيقة الصفات الإلهية، وعدم قابليتها للفهم[62].

وقد دأبت الأرثوذكسية، وأبطالها من الفقهاء والمتكلّمين، على التصدي لمعارضة المدارس الفلسفية المتحررة، والطعن في علوم الأوائل التي انتقلت إلى الإسلام من طريق الترجمات العربية للنصوص السريانية، المنقولة بدورها عن النصوص اليونانية (خلال القرنين الثامن والتاسع). وعلى الرغم من المعارضة الأرثوذكسية، تمكن ألمع مفكري هذا العصر، أمثال الفيلسوف السياسي الفارابي (870-950 ح.ع) والطبيب الفيلسوف الأرسطي -والأفلاطوني المحدث- ابن سينا (980-1037)، من استدماج عناصر من المنطق والكوسمولوجيا اليونانيين في الرؤية الإسلامية للعالم.

9.4- **التقويم** الديني الإسلامي قمري يضمُّ ثلاثمئة وأربعة وخمسين يوماً؛ لذلك الأعياد متنقلة عبر الفصول. ويكتسي شهر رمضان، بالتحديد، أهميّةً خاصّة؛ فوقت النهار منذور، خلال هذا الشهر، للصيام وأعمال العبادة، وفي أواخر رمضان يتمُّ الاحتفال بليلة القدر، التي نزلت فيها أولى آيات القرآن على محمد، وخلال هذه الليلة ترتفع الحدود التي تفصل عالم الملائكة عن عالم البشر. وينتهي الصيام بعيد الفطر.

وذو الحجة هو شهر الحجّ إلى مكة، حيث يطوف الحجاج حول الكعبة وهم محرمون [من **الإحرام** *iḥrām*]، ويزورون قبري هاجر وإسماعيل وبئر زمزم، ويسعون بين الصفا والمروة تذكاراً لسعي هاجر بينهما ملتمسةً الماء [لابنها]، ويقفون في جبل عرفة خلال الفترة الزوالية من النهار، ثم يتوجّهون إلى منى لكي يرموا بالحصى عمود

62- هذا لا يصدق عندهم إلا على الصفات التي يشملها «التفويض مع التنزيه». (م)

العقبة الذي يرمز إلى الشيطان عند محاولته إغواء أبراهام [إبراهيم]، وثنيه عن ذبح ولده إسماعيل؛ وينتهي الحج بالأضحية العظمى، وتوزيع اللحم، تذكاراً للقربان الأبراهامي [الإبراهيمي] (عيد الأضحى)، ويتم الاحتفال بذلك في جميع أرجاء العالم الإسلامي.

وللإسلام الشيعي أعياده الخاصّة به، وأهمّها مناسبة عاشوراء (العاشر من محرّم)، التي يتمّ خلالها إحياء ذكرى استشهاد الحسين (↔ 6.4). ويجري، خلال أيام الحداد على مقتل الإمام، إنشاد الأشعار، وقراءة قصة الشهيد على الجمهور، وإعادة تمثيل وقائع الصراع الدرامي التي قد تنتهي باشتباكات، علاوةً على مواكب جلد النفس، التي تجوب الشوارع بنعوش من خشب. ويحتفل الشيعة بموالد الأئمة، بما في ذلك مولد علي. ويحتفل المسلمون قاطبةً بعيد مولد النبي محمد (الثاني عشر من ربيع الأول)، وبليلة الإسراء والمعراج خلال شهر رجب.

10.4- **التصوّف**، أو الوجه الباطني للإسلام، هو عبارة عن سيرة، أو طريقة عيش، تروم التحقق بمعاني الوحدة والحضرة الإلهيتين من خلال العشق، ومن خلال المعرفة المؤسّسة على التجربة والزهد والالتحام الانجذابي (extatique) بالخالق المعشوق.

1.10.4- **الأصول**. تظهرنا المتون الصوفية [الإسلامية] نفسها على أن نزعة الزهد والأعمال التعبدية المسيحية، علاوةً على رواج أفكار الأفلاطونية المحدثة والهرمسية، قد أدّت دوراً مهمّاً في فترات معينة من تاريخ التصوّف [الإسلامي]؛ بيد أنه يتوجّب البحث عن الأصول الحقيقية لهذه الحركة في الإسلام نفسه، ولا سيّما في القرآن والحديث [النبوي] والتيارات التعبّدية والزهدية [الإسلامية]. إن السلوك إلى الله، كما لاحظ ذلك سيّد حسين نصر (S. H. Nasr)، لا يمكن أن يُفسَّر بأنه نتاج نقول أو استعارات تاريخية [من الغير].

ويغلب على الظن أن كلمتي «صوفي» و«تصوّف» مشتقّتان من لباس الصوف،

الذي كان يرتديه الزهّاد المسلمون، [هؤلاء] الذين كان يُطلق على الواحد منهم اسم الجنس «فقير» (أو درويش).

لقد بدأ التصوّف مع [النبي] محمد؛ ذلك أن صلة القرب التي ربطته بالله، والوحي [الذي نزل عليه]، ومعراجه العابر للسموات، علاوةً على سموّ مكانته في المخلوقين، ذلك كلّه] جعل المتصوفة يعدّونه واحداً منهم. ويتمّ التدليل على نزعته الصوفية بالحديث [النبوي]؛ بل بالقرآن نفسه، بوصفه معيناً تربوياً روحياً لا ينضب؛ ذلك أنه [القرآن] ينقل إلينا شهادة ذرية آدم وحواء على نفسها، في أول الخلق، بأن الله هو ربّها أبد الآبدين، فنشأ عن ذلك ميثاق ملزم للطرفين (7، 172). وهناك سورة أخرى (50، 16)، عزيزة على المتصوّفة، تصف الله بأنه «أقرب [إلى الإنسان] من حبل الوريد». وأخيراً، هناك عنصر في القرآن يوافق توجه المتصوّفة ويجدون فيه ضالّتهم، وهو الدعوة إلى ذكر الله (13، 28؛ 33، 41)[63]. ويمكن للذكر، كما يمارسه المتصوّفة، أن يكون مصحوباً باستعمال السبحة، وبضبط حركة التنفّس، وبالموسيقا، أو الرقص الانجذابي، مثل رقص المولوية، أو الدراويش الدوّارين المنتسبين إلى طريقة جلال الدين الرومي (1207-1273) شاعر قونية (Konya) (تركيا) الصوفي الكبير.

وفي التقاليد المأثورة ذات الصلة بالمجتمع المحمدي، نلفي طائفة من المؤمنين المتشددين والمحافظين، الذين يمثلون العنصر [الزهدي] النابذ للدنيا في دائرة الدين الناشئ. ويرى بعضهم أن هؤلاء هم أوائل المتصوّفة. وفي عهد الخلفاء، وزمن الغزو [الفتوحات]، صدعت أصوات بالاحتجاج على التغيرات التي طالت الأخلاق والممارسة. لقد طرحت مشكلة أخرى تتمثل في معرفة ما إذا كان يجب اتّباع سبيل التمسّك بطقوس الدين وشرائعه، أم اتّباع سبيل الإيمان الباطني وسبيل الحب. فهل الله ربٌّ قصي ومغاير تمام المغايرة، أم أنه عاشق ودود وفي متناول البشر؟ وعندما نقل

63- أشار المؤلف في الأصل إلى الآية (14) من سورة الأحزاب، التي لا تعلق لها بالذكر كما نعلم؛ والظاهر أنه يعني الآية (41). (م)

الأمويون مقر الخلافة إلى دمشق بعيداً عن جزيرة العرب القاسية، ازدادت حدّة التوتر بين المنحى الدنيوي، الذي اتخذته الأخلاق، وبين الأصوليين الذي يأسون لذلك ويحزنون. ويلتمس الحسن البصري (توفي 728) -وهو أحد أوائل الزهّاد المسلمين، الذين لم يفتؤوا يستحضرون حكم الله منتفضين في وجه طلاب الدنيا- مبرّراً لتشدّدهم بالحديث النبوي القائل: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً».

2.10.4- **الممارسات** [الصوفية]: هناك منعطف مهم في تاريخ التصوف [الإسلامي]، وهو ذلك الذي تمثله رابعة العدوية (القرن الثامن). إنها صاحبة المفارقات والتصوف المشبوب، اللذين ارتقيا بالتقليد الزهدي، الذي تنتمي إليه، صوب آفاق جديدة. وتتحدث الأخبار العديدة عن مآثرها كاشفةً عن نفوذ التصوف وتأثيره في الأوساط الشعبية. فقد عظم عشقها لله حتى أنه بلغ مبلغاً جعلها تنفي كل ما سواه، بما في ذلك الخوف من عقاب جهنم والطمع في دخول الجنة وكراهية الشيطان[64]. وبالفعل، إن ورع المتصوفة يحملهم في الأغلب على الانشغال بحب الله وحده من دون سائر المخلوقين. فلا الصداقة ولا الأهل ولا البيت ولا المأكل أو المشرب ولا جمال الطبيعة يشغل بال المتصوفة؛ ذلك أن من شأن هذه الأمور كلها الإخلال بالمثال الذي يصبون إليه، ويسعون إلى التحقق به، وهو **الفقر** (*faqr*) إلى الله.

وفي قلب الممارسة الصوفية هناك العلاقة بين الشيخ والمريد. فالشيخ، أو البير (pîr) [من پير الفارسية]، يملك سلطة مطلقة على مريده [تلميذه]. وقد ينتهي الأمر بالشيخ الصوفي الكبير إلى أن يصبح قديساً («**ولي الله**»)؛ وفي هذه الحالة، إن بركته تستمر في التأثير بعد موته، ويصبح قبره قبلة للحج [الزيارة]. وفي أواخر القرن الثامن، بدأت جماعات من المريدين تجتمع حول كبار المشايخ، وتحوّلت محال الإقامة

64- يقصد الرواية التي تقول: إن رابعة سئلت عما إذا كانت تكره الشيطان، فقالت: «إن حبي لله لم يترك في قلبي كراهيةً لأحد». (م)

الجماعية إلى **ربط** [جمع رباط] و**خانقاهات** [جمع **خانقاه** *khānqāh*][65]. وكانت هذه [الربط والخانقاهات]، في بدايتها، غير منتظمة وعابرة، ثم انتهى بها الأمر، في القرن الثاني عشر، إلى أن أصبحت مؤسسات مترفة وقوية لها نظامها الهيراركي [التراتبي] وقواعد اشتغالها وتقاليدها المُسارِّية[66] المنسوبة إلى طائفة من مشاهير المتصوفة في الماضي. وابتداء من القرن الثاني عشر، شرع المتصوفة في إنشاء تنظيمات وأخويات [طرق] تنتسب إلى تعاليم كبار الشيوخ: البكتاشية (القرن الرابع عشر)، السهروردية (نحو 1200، ذوي النفوذ في الهند)، الرفاعية أو الدراويش الصياحين (القرن الثاني عشر)، الشاذلية في مصر، القادرية والنقشبندية. وقد نجحت هذه [الطرق] في نشر الإسلام في البلاد غير المسلمة، لكننا نجد كذلك أن بعض الأبيار [جمع بير pîr] المحليين قد تحولوا إلى أمراء صغار محاربين. واتبع الأبيار الهنود أنموذج الغوروات [جمع غورو guru] الهندودسيين الكاريزميين. وهم، في الأغلب، يرثون مواقعهم [مناصبهم] عن آبائهم.

وتشترك الشيعة الإمامية مع التصوف في بعض السمات، مثل المكانة التي يشغلها **الولي** (القديس) و**الأقطاب** (جمع **قطب**، وهو المرشد الروحي العام الذي يتولى عصراً من العصور)، وخلافة الأنبياء، ومراحل التطور الروحي. وقد عني التصوف، مثله في ذلك مثل المذهب الشيعي، بالبعد الباطني لدين الإسلام.

وغالباً ما تهزأ المذاهب والممارسات الصوفية بطوائف الأرثوذكسيين. ويلجأ هؤلاء، بدورهم، إلى تكفير المتصوفة لقولهم بمذهب البنثيائية[67] [شمول الألوهية]، ولنزعتهم التحررية، ونزعتهم المناهضة للشرع، ولتركهم الصلاة والصيام والحج. وقد طورد المتصوفة، واضطهدوا، من قبل بعض الأنظمة. وكان المتسولون منهم

65- فارسية معربة من «خانگاه»، وهو المكان الذي ينقطع فيه المتصوفة إلى العبادة. (م)

66- نسبة إلى المُسارَّة (initiation). (م)

67- في الأصل (panthéisme): التي درج على ترجمتها بعبارة «وحدة الوجود». (م)

يُتهمون، أحياناً، بالشعوذة وبالمروق من الدين. وتعرض المتصوف الكبير الحسين بن منصور الحلاج (857-922) للتعذيب والقتل في بغداد بسبب غلوه الديني وميوله السياسية. واشتهر الحلاج بأنه أثنى على إبليس (اسم الشيطان في القرآن) بسبب رفضه السجود لآدم عندما أمر الله جميع المخلوقات بأن يفعلوا ذلك (السورة 2، 28-34)[68]. وبدلاً من أن يرى في موقف إبليس معصيةً لله، رأى فيه برهاناً على تفانيه في التوحيد. واشتهر الحلّاج كذلك بعبارته الجريئة الدالة على الاتحاد الانجذابي بالله: «أنا الحق». وبالنسبة إلى الأرثوذكسي، تنطوي هذه العبارة على أشنع ضروب التجديف؛ ويرى المتصوفة، بدورهم، أن الحلاج أخطأ؛ لأن قوله المذكور، وإن كان حقّاً، إلا أن صاحبه لم يلتزم بمبدأ كتمان السر عن العوام. ويمكن مقارنة مجاهرات الحلاج الصوفية بأقاويل [أبي يزيد] البسطامي (توفي 874)، مثل قوله: «سبحاني! ما أعظم شأني!»، أو قوله: «رأيت البيت يطوف حولي».

كان أبو حامد الغزالي (1058-1111) أحد شيوخ الفقه والكلام والفلسفة؛ غير أن أزمة أصابته في منتصف العمر، فحملته على الانخراط في سلك التصوف. ويذكره التاريخ بوصفه أحدَ أبطال المعرفة المتحصّلة بالمشاهدة والكشف لا بالنظر الفلسفي. ويعد كتابه (**تهافت الفلاسفة**)، علاوةً على سيرته الذاتية[69]، وكتابه (**إحياء علوم الدين**)، بمقام دفاع مقنع عن خط الأرثوذكسية وعن شرعية وضرورة التصوف.

ولقيت الأشعار الصوفية، مثل ديوان **المثنوي** لمولانا جلال الدين الرومي، ومنظومة **منطق الطير** لفريد الدين العطار، نجاحاً لدى الجمهور الواسع يفوق بكثير ما لقيته مصنّفات المتصوفة ذات الطابع التعليمي. فهذه الدلائل [الإرشادية]، الممعنة في العناية بدقائق الأمور الفنية، تكتسي، في الوقت نفسه، طابعاً مجرداً وصعب المنال.

68- أمر الملائكة، ومعهم إبليس، كما جاء في الآية (34). (م)

69- يعني كتاب (المنقذ من الضلال). (م)

ويتم تقنين مراحل السير، أو التطور الروحي، بكيفيات شتى، بحسب المدرسة أو الطريقة الصوفية المتبعة. ويتفاوت عدد المقامات والأحوال الصوفية. فنحن نجد أبا نصر السراج (توفي 988) في (**كتاب اللمع**)، الذي هو عبارة عن مدخل إلى التصوف، يذكر سبعة مقامات، هي كالآتي:

1- التوبة.

2- الورع.

3- الزهد.

4- الفقر.

5- الصبر.

6- التوكُّل.

7- الرضا.

وهناك مقامات أخرى يُشار إليها في الأغلب (عددها ينيف على المئة)، ومنها: الإنابة، الذكر، التسليم، المعرفة، الكشف، الفناء والبقاء.

أمّا الأحوال الصوفية، فهي أكثر تعلقاً بالشخص وأقلّ وضوحاً من المقامات. وقد ذكر منها السراج عشرة، هي:

1- المراقبة.

2- القرب.

3- المحبة.

4- الخوف.

5- الرجاء.

6- الشوق.

7- الأنس.

8- الاطمئنان.

9- المشاهدة.

10- اليقين.

ويمكن للمريد، بفضل النعمة [الإلهية] وخبرة الشيخ المربي وحصول المُسارَّة والتطهير الباطني، علاوةً على حدس الحضرة الإلهية (**الذوق**)، أن يبلغ درجة **التوحيد** (*tawḥīd*)؛ أي الاتحاد المطلق بالله.

وهناك المدرسة التي أسّسها الإيراني شهاب الدين يحيى السهروردي (1153-1191 ح.ع)؛ وهي ترى -مستلهمة في ذلك كتاب (**حكمة الإشراق**)- أن ماهية الله تكمن في النور المنبثّ في جميع مخلوقاته.

وتنطوي كتابات المتصوف المدهش أبي بكر بن عربي المرسي (1165-1240)، الملقّب محيي الدين والشيخ الأكبر -وهو **قطب** زمانه في التصوف- على نظريتين صوفيتين رئيستين. وكان هذا الشاعر، والمعلم الروحاني السائح في البلدان، كاتباً غزير الإنتاج أيضاً. وغالباً ما تنطوي كتاباته على أثر من الإلهام، أو الكشف المباغت. وأشهر تصانيفه (**ترجمان الأشواق وفصوص الحكم**)، ثم كتابه الضخم (**الفتوحات المكية**). وعلاوةً على ذلك، صنّف ابن عربي كتابين يشتملان على تراجم واحد وستين متصوفاً أندلسياً، وهما: (**روح القدس**)، و(**الدرة الفاخرة**).

وتحتلّ نظرية «وحدة الوجود» مكانةً جوهريةً في مذهب ابن عربي. فالله وحده يتمتع بالوجود الحقيقي في تعاليه الذي لا تناله العبارة، ولا يحيط به وصف لسان. وهو إنما يخلق الخلق من أجل أن يكون له كالمرآة يعرف بها ذاته؛ فنحن [البشر] بمقام صفات الله. وهذه النظرية ليست بنثيائية [شمول الألوهية] ولا واحدية[70].

أما النظرية الثانية [التي يقول بها ابن عربي]، فتتعلق بالإنسان الكامل، الذي يمثل أعلى مراتب المخلوقات. وينطوي هذا الكائن على أبعاد شتى؛ فقد يكون أحد

70- على التوالي: panthéisme وmonisme. (م)

الأشخاص [الأقانيم] الكونية التي تمثل حجر أساس عملية الخلق؛ وقد يكون قطباً روحانياً يرشد أهل عصره؛ وقد يمثل جوهر [حقيقة] الأنبياء من آدم إلى محمد. فالإنسان هو الميكروكوزم [الكون الأصغر]، بينما العالم هو الماكروكوزم [الكون الأكبر]. وهذه العلاقة المرآوية يمكن أن تستثمر في تحقيق التحوّل التام الذي ينشده المتصوف. فالإنسان، من حيث هو ذروة الخلق، يمثل صورة الألوهية الأكثر جلاءً في مرآة الخلق، ويمتلك القدرة على هتك حجاب الوهم الذي يضفي على الخلق طابع الحقيقة المضاهية لحقيقة الخالق.

11.4- ببليوغرافيا:

هناك مصنف مرجعي لا غنى عنه، وهو:

- *The Encyclopaedia of Islam*, second edition, Leiden 1954;

ويقع في ستة مجلدات[71].

وفيما يلي أحد أجود المراجع الوافية عن تاريخ الإسلام:

- Marshall G. S. Hodgson, *The Venture of Islam: Conscience and History in a World Civilization*, 3 vol., Chicago 1974.

وانظر:

- D. Sourdel, *l'Islam médiéval*, Paris 1979, et *Histoire des arabes*, Paris 1985, 3e éd.; A. Miquel, *l'Islam et sa civilisation: VIIe -XXe*, Paris 1977, 2e éd.; C. Cohen, *les Peuples musulmans dans l'histoire médiévale*, Damas 1977; M. Gaudefroy-Demombynes, *les Institutions musulmanes*, Paris 1946, 3e éd.; E. Lévi-Provencal, *Histoie de l'Espagne musulmane*, Paris 1950-1953, 3 vol.

71- والحال أن الطبعة الثانية التي اعتمد عليها المؤلف لم تكتمل إلا في عام (2005)؛ وتشتمل على (13) مجلداً. (م)

وفيها يتعلق بالخلافة العباسية، انظر الكتاب الجيد لفرانشيسكو جابريلي Francesco Gabrieli ومن معه:

- *Il Galiffato di Bagdad*, Milan 1988.

وفيها يتعلق بالفرق الإسلامية، انظر:

- Henri Laoust, *les Schismes dans l'Islam*, Paris 1983.

ونتوافر على أجود دراسة عن الفرق في ثلاثية هاينز هالم Heinz Halm:

- *Kosmologie und Heilslehre der frühen Isma'iliya*, Wiesbaden 1978; Die Islamische Gnosis, München 1982; Die Schia, Darmstadt 1988.

غير أن هالم (Halm) يذهب إلى أن الإسلام تشبع بأفكار «غنوصية»، وهو الأمر الذي لا يستند إلى أي أساس.

وفيها يخص الإسماعيلية، انظر:

- S. H. Nasr (éd.), *Isma'ili Contributions to Islamic Culture*, Teheran 1977.

وفيها يتعلق بفرقة الحشاشين، انظر:

- M. G. S. Hodgson, *The Order of the Assassins*, Lahaye 1955, et Bernard Lewis, *The Assassins*, Londres 1967.

ويتضمن كتاب جان كلود فرير (Jean-Claude Frère) الصادر تحت عنوان (*l'Ordre des Assassins*)، باريس 1973، تخاريف سخيفة وخطيرة في الوقت نفسه، لكنها وجدت طريقها، مع الأسف، إلى كتاب فيليب عزيز (Philippe Aziz) الصادر تحت عنوان:

- *Les Sectes secrètes de l'Islam: de l'Ordre des Assassins aux frères musulmans*, Paris 1983.

وفيها يخص الدروز، يبقى كتاب سلفستر دي ساسي (Sylvestre de Sacy) القديم مرجعاً لا غنى عنه، وهو:

- *Exposé de la Religion des Druzes tiré des livres religieux de cette secte, et précédé d'une Introduction et de la Vie du khalife Hakem-Biamr-Allah* (1837), Réimpression, Paris/Amsterdam 1964.

وفيما يتصل بالتصوف الإسلامي، انظر:

- Annemarie Schimmel, *Mystical Dimensions of Islam*, Chapel Hill 1975; G.-C. Anawati et Louis Gardet, *Mystique musulmane*, Paris 1961; S. H. Nasr, *Sufi essays*, Albany 1972; J. Spencer Trimingham, *The Sufi Orders in Islam*, Oxford 1971.

ومن جملة الدراسات الكلاسيكية، التي تناولت التصوف، ينبغي أن نذكر:

- Louis Massignon, *la passion d'al-Hosayn ibn Mansur al-Hallaj*, Paris 1922 et *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane*, Paris 1922, 1954; Reynold A. Nicholson, *Studies in Islamic Mysticism*, Cambridge 1921.

وقد نقل نيكولسن (Nicholson) إلى اللغة الإنجليزية ديوان المثنوي لجلال الدين الرومي:

- *The Mathnawi of Jalalu 'ddin Rumi*, 8 vol., Londres 1925-1971.

ونتوافر على ترجمات فرنسية جزئية لابن عربي مثل كتاب:

- *la Sagesse des prophètes*, tr. Par Titus Burkhardt, Paris 1955.

وهناك نصوص صوفية أخرى في المتناول، مثل:

- 'Abd-ar Rahman Al Jami, *Vies des soufis ou les Haleines de la familiarité*, traduit du persan par Sylvestre de sacy (1831), Paris 1977; Ibn 'Arabî, *les Soufis d'Andalousie* (Ruh al-quds et ad-Durrat al-fakhirah). Introduction, trad. Par R. W. J. Austin, tr. G. Leconte, Paris 1979.

5
أديان أمريكا الجنوبية

0.5- **أمريكا الجنوبية** عبارة عن أرض مترامية الأطراف، تقطنها شعوب على درجة كبيرة من التنوع. ومع أنه يتعذر على كلّ محاولة تروم تقسيم هذه الأرض إلى مناطق أن تعكس بالدقة المأمولة درجة التنوع الذي يطبع حال تلك الشعوب، إلا أن التقسيم الآتي يعدُّ مقبولاً على وجه العموم، وهو:

أ) منطقة الأنديز (Andes) (من كولومبيا إلى الشيلي)، التي احتضنت ثقافة شعب الإنكا (Incas) البيروفيين.

ب) منطقة الغابة الاستوائية، التي تغطي أدغال الأمازون الجزء الأكبر منها، والمشتملة أيضاً على غويانا Guyane.

ج) منطقة غران تشاكو Gran Chaco.

د) المنطقة الجنوبية، إلى غاية أرض النار.

وقد تمكنت بعض الثقافات من البقاء بعد الغزو الأوربي للقارة، مثل ثقافتي الكيتشوا (Quechuas) والأيمارا (Aymaras) في البيرو وبوليفيا، وثقافة الأروكان (Araucans) في الشيلي؛ وثقافات التوبي (Tupis)، والكاريب (Caribes)، والأراواك (Arawaks)، والتوكانو (Tukanos)، والبانو (Panos) في غويانا؛ وثقافة

قبائل الجي (Gé) في البرازيل الشرقية؛ وأخيراً ثقافات الفوجيين (Fuégiens)، مثل السالكنام (Selk'nams)، التي هي اليوم في عداد الثقافات المنقرضة.

فقبل ظهور كتاب (**طبل إيكانشو**) (*Icancu's Drum*) للورنس إ. سوليفان (Lawrence E. Sullivan)، لم نكن نتوافر على أية دراسة تتناول تاريخ أمريكا الجنوبية الديني في مجمله. بيد أنه يمكن للقارئ الذي يودُّ التعمّق في الموضوع أن يعتمد، من الآن فصاعداً، على هذا العمل الفريد في بابه، وهو العمل الذي يستهدف الجمهور الواسع غير المتخصص من القرّاء.

1.5- **المنطقة الأندينية**: نشأت الثقافات الأندينية الكبرى -وأشهرها ثقافة الإنكا (القرن 15)- في أودية الجبال العليا، التي نعلم أنها كانت آهلة بالسكان منذ عشرة آلاف سنة. وخلال فترة الغزو الإسباني، كانت إمبراطورية الإنكا تغطي المساحة المترامية، التي تمتد على طول الساحل الغربي، من البيرو إلى الشيلي. وكانت نهاية الإمبراطورية عام (1532)، عندما قطع الغزاة الإسبان رأس آخر ملوك الإنكا.

1.1.5- **الفترة القديمة**: ظهرت الزراعة، التي لا يبدو أنها كانت مسبوقة باقتصاد رعوي، [ظهرت] بصورتها البدائية على الساحل البيروفي نحو (7000 ق.ح.ع)، بعد مرور ثلاثة آلاف سنة على زمن الهجرات القادمة من الشمال. ونحو (2500 ق.ح.ع)، أدّت التغيرات المناخية إلى الانتقال من اقتصاد قوامه جمع الثمار إلى اقتصاد يعتمد على زراعة الخضراوات والفواكه، التي مبناها على الاستقرار. ويتمثل مصدر البروتينات الحيوانية في صيد الطرائد وليس صيد الأسماك. أما الذرة، التي يرجع أصلها في أمريكا الوسطى إلى أكثر من ستة آلاف سنة، فقد انتشرت في بلاد البيرو نحو (1400 ق.ح.ع)، واستنبت منها ضرب متطور نحو (900 ق.ح.ع)، وفي هذا العصر، تتضافر أشغال الري، التي سمحت بقيام زراعة متطورة، مع مجهودات الدولة التي تسهر على تنظيم تلك الأشغال، وتستحث إحداهما الآخرى على نحو متبادل، وهو الأمر الذي لم يكن ممكناً حصوله لولا وجود شعائر دينية تشيد، على الأرجح، بالمنشأ الأسطوري لهذه الحضارة

الجديدة التي لا نظير لها في المنطقة. وترتبط هذه الفترة بمجمع ثقافي تم اكتشافه في قرية تشافين (Chavin)، الواقعة على الهضبة الشمالية، في حين سادت، خلال الفترة نفسها، على طول الشريط الساحلي الجنوبي، ثقافة أخرى خلّفت لنا مدينة جنائزية عظيمة في كهوف باراكاس (Paracas). لكن، للأسف، إذا ما استثنينا المعالم الأثرية الباقية، فإننا لا نتوافر على معلومات مفيدة عن شعائر تشافين الدينية، التي تبقى معانيها مستغلقة على أفهامنا. وقد كان لمعبود تشافين المركزي، الذي يمثل بهيئة حيوان من فصيلة السنوريات (اليغور jaguar، أو أسد الجبال puma)، نفوذ واسع في المنطقة الأندينية خلال فترة تناهز الخمسمئة سنة.

وفجأة يختفي كل أثر للتجانس الثقافي من الأنديز نحو (300 ق.ح.ع)، بينما لا تفتأ التقنيات الزراعية تتحسن باعتماد نباتات جديدة وزراعة المصاطب. وتظهرنا مقبرة واحدة من مقابر باراكاس -وتضم (429) مومياء لشخصيات وازنة- على أن مراسم دفن الموتى والمعتقدات ذات الصلة بالعالم الآخر قد تغيرت.

ويبدو أن الثقافات المنتمية إلى هذه المرحلة الوسطى قد بلغت أوجها نحو (200 ح.ع.)، وهي ثقافات ثيوقراطية، جددت العهد بالعبادة السنورية، ودأبت على تقديم القرابين البشرية، ونجدها، على غرار سابقاتها من الثقافات، مهووسة بالجماجم البشرية؛ إذ يجري تشويه شكلها بعناية عند الولادة، كما يُلاحظ شيوع عملية تربنة هذه الجماجم سواء خلال الحياة أو عند الموت؛ بينما يتم الاحتفاظ بجماجم الأعداء بوصفها تذكارات حرب.

وكانت الأودية الساحلية تُؤوي عدداً من السكان يفوق عددهم الحالي، من غير أن تسجل أيّ اكتظاظ من هذه الناحية. وكان هؤلاء السكان ينعمون بالوفرة، وكانت تحكمهم مثل عليا دينية مكّنتهم من إبداع تكنولوجيا متقدّمة، وأكسبتهم القدرة على إنجاز مشاريع تتحدى بجرأتها المستحيل، مثل قناة لاكومبري (La Cumbre)، التي يبلغ طولها (113) كلم، والتي ما زالت تستعمل إلى غاية يومنا هذا.

وتمكنت إحدى هذه الثقافات، وهي ثقافة الموتشي (Moches)، من إقامة معابد عظيمة، أشهرها هرمان، يُطلَق عليهما معبد الشمس ومعبد القمر. ويظهرنا الخزف المزين بالرسوم على أن الموتشي كانوا يزاولون الختان، والعلاج الشاماني للأمراض عن طريق امتصاص الروح التي تتمثل لهم في صورة شيء مادي ملموس، وكانوا يستخدمون رموزاً فكرية يرسمونها على حبات الفول. لقد كان مجتمع الموتشي ثيوقراطياً، وتحظى طبقة المحاربين عندهم، على الخصوص، بالتوقير والاحترام. أما النساء، فكان دورهن لا يتعدى البيت.

أما ثقافة النازكا (Nazcas) الساحلية، التي تنتمي إلى الفترة نفسها، فقد خلفت لنا نماذج عديدة من الجماجم التذكارية المسطحة، التي تطلى بالصباغة، وتجعل على هيئة إكليل حتى تصير قابلة للحمل. وأبدع النازكا تلك الرسوم العملاقة المنقوشة على أرض صخرية مشبعة بالحديد، في وادي بالبا (Palpa)، بقصد أن تشاهدها معبوداتهم السماوية من الأعلى؛ وهي تنطوي على أسرار فلكية نكاد نجهل فحواها جهلاً تاماً.

ومايقارب نهاية هذه الفترة، كان لحضارة تياهواناكو (Tiahuanaco) (بوليفيا) الميغاليتية تأثير على الثقافات الأندينية يضاهي تأثير أهل تشافين في فترة سابقة. وتشكل الجنادل، المنصوبة على علو (4000) متر، مركزاً فريداً من نوعه في العالم؛ فنحن نلفي، إلى جانب هذه الجنادل، أهراماً مصطبية وأبواباً مزينة بالنقوش ومنصّات وصهاريج وتماثيل. وعندما هجرها سكانها، لم تكن أعمال بناء وتشييد تياهواناكو قد اكتملت بعد.

وفي نحو (1000 ق.ح.ع)، عرفت الأنديز مرحلة من التنظيم السياسي تشبه النظام الفيودالي الغربي؛ ففي الشمال، قامت مملكة تشيمو (Chimú) -وهي أهم ممالك هذه الفترة- فبسطت سلطانها على أودية عديدة، وكانت لكل وادٍ حاضرته الخاصة. وتعدُّ عاصمة تشيمو، تشانتشان (Chanchán) (الواقعة بالقرب من تروخيلو

Trujillo)، معلمة في التخطيط العمراني؛ فهي تُؤْوي أزيد من خمسين ألف نسمة، وتلتئم من عشرة أحياء مستطيلة المساحة، لكلّ واحد منها بيوته وخزاناته المائية ومعابده ذات الشكل الهرمي.

2.1.5- **قصة مذهلة:** ينسب تأسيس إمبراطورية الإنكا، نحو (1200 ح.ع)، إلى البطل الأسطوري مانكو كاباك (Manco Capac) وإلى شقيقاته، الذين استقرّ بهم المقام في وادي كوزكو (Cuzco). ولم يتسن لدولة الإنكا أن تبسط سلطانها وتنشر نفوذها في الربوع إلا ابتداءً من عهد الإمبراطور الثامن، فيراكوتشا إنكا (Viracocha Inca)، ونجله باتشاكوتي (Pachacuti) الذي تربّع على عرش الإمبراطورية من بعده نحو (1438). وحتى تاريخ وفاة توبا إنكا (Topa Inca)، نجل باتشاكوتي، عام (1493)، كانت الإمبراطورية تشغل خمسة آلاف كلم طولاً، وتمتدُّ من الإكوادور إلى قلب الشيلي. ويعدُّ بناء هذه الإمبراطورية مماثلاً لفتوحات الإسكندر ونابليون. وإنه لحري بنا أن نعجب من تعرّض هذه الأرض الشاسعة الأطراف إلى غزو عصابة من المغامرين الإسبان.

وبعد وفاة الإمبراطور هواينا كاباك (Huayna Capac)، عام (1525)، نشبت حرب بين نجليه المتنازعين على الخلافة: هواسكار (Huascar) (المقيم في كوزكو) وأتاهوالبا (Atahualpa) (المقيم في كيتو Quito في الإكوادور). وانتصر أتاهوالبا، وأُعلن إمبراطوراً عام (1532). وكان بيثارو (Pizarre)، محموماً بما سمع من حكايات عن ذهب البيرو الأسطوري، قد نزل برجاله البالغ عددهم مئة وثمانين. وفي هذا المضمار، تتشابك خيوط الدين بالتاريخ بدرجة كبيرة. لقد اعتقد أتاهوالبا أن بيثارو هو الإله الأعظم فيراكوتشا (Viracocha)، الذي عاد إلى الأرض مع حاشيته لإعلان نهاية العالم. وانتهز بيثارو الفرصة، فأسر الإمبراطور من غير أدنى مقاومة. ورام الإمبراطور افتداء نفسه، فملأ زنزانته ذهباً، لكن لم يتم إخلاء سبيله. ولما حكم عليه بالإعدام، قبِل أن يخضع للتعميد المسيحي، فقُتِل خنقاً بدلاً من أن يُحرق بالنار وهو حي، في (29 آب/ أغسطس 1533). وقطعت رأس آخر المطالبين بعرش الإنكا أربعين سنة بعد ذلك.

3.1.5- **دين الإنكا**: في إمبراطورية الإنكا الشيوعية، كان الدين الرسمي -الذي كان هو دين الكيتشوا في كوزكو، والذي كان على الأرجح شديد الشبه بالعبادات الصغرى التي استوعبها- كان هذا الدين الرسمي يمثل شأناً من شؤون الدولة. فمن بين القطع الأرضية الثلاث التي كان يتعين على الفلاحين أن يزرعوها، كانت الأرض المنذورة للآلهة هي الأولى؛ وتليها أرض الإمبراطور، ثم الأرض المخصّصة لمعاش الأسرة. أمّا الأشياء المقدسة، أو **الهواكا** (*Huacas*)، التي تغنم من السكان المغلوبين في الحرب، فقد كانت تنقل في موكب احتفالي إلى كوزكو، وتجعل في هياكل يقصدها الحجاج من الأقاليم البعيدة. لكن اسم **الهواكا** ينطبق أيضاً على كل شيء يوسم بالطابع المقدس: تلال، وحجارة، وأشجار، وكل ما هو غريب أو هائل.

ويتسم تنظيم إمبراطورية الإنكا، من جميع نواحيه، بطابع اليوتوبيا العقلية، التي لا شك أن أصداءها الواصلة إلى أوربا قد أثّرت على الفيلسوف توماسو كامبانيلا (Tommaso Campanella) نحو (1600). وبفضل تنظيمها المحكم، تنضبط هيئة رجال الدين الإنكا للقاعدة العامة للنسق. في المركز يوجد الإمبراطور، الذي هو الدولة، والقانون، وهو الإله أيضاً. إنه هو نفسه بمقام **هواكا**، وبهذا الاعتبار، هو كفؤ لذلك الذي ليس له كفؤ، الإله فيراكوتشا، الذي وُلِد من زبد بحيرة تيتيكاكا (Titicaca)، ثم اختفى في عرض البحر المحيط مشياً على المياه في اتجاه الشمال الغربي، وهي الجهة التي خرج منها، عام (1532)، بيثارو ورجاله.

وتتسم الميتافيزيقا الفيراكوتشية بالتعقيد؛ ففيراكوتشا هو خالق العالم الطبيعي والاجتماعي، ممّا يظهرنا على نفوذه وسلطانه العظيم على بانثيون (panthéon)، أو مجمع آلهة الإنكا، الذي تحتل الشمس مكانةً مركزيةً فيه. وقد أفرد لفيراكوتشا أكبر معابد كوزكو. ولم تكن معابد الإنكا مفتوحة في وجه المؤمنين، وإنما كانت تُؤْوي الكهنة وعذراوات الشمس، اللائي يُختَرنَ من بين أعفّ الفتيات المتعلّمات على نفقة الدولة من أجل أن يصرن إمّا كاهنات عذراوات (vestales)، وإمّا زوجات ثوانٍ لكبار الشخصيات، أو للإمبراطور نفسه. وإذا حدث أن ارتكب الإمبراطور «خطيئةً»

مع إحدى الكاهنات العذراوات، فإنه يكفيه الرضا بالانتهاك؛ لكن، إذا حدث أن ارتكب غيره «خطيئةً» مماثلةً، فإنه يُقتل هو وخليلته.

وكانت الشمس تمثّل في المعابد بوساطة تماثيل إنسانية الشكل، وبوساطة أقراص ذهبية عملاقة. وإذا كان الإمبراطور هو ابن الشمس، فإن الإمبراطورة هي بنت القمر، زوجة-أخت الشمس، التي تحظى بألوان التعظيم والإجلال من خلال التماثيل الفضية، الإنسانية الشكل، التي تمثلها في المعبد. وقد استخدم الإنكا، على نطاق واسع، تقويماً قمرياً إلى جانب استخدامهم التقويم الشمسي.

وثمّة آلهة أخرى مهمّة من قبيل باتشاكاماك (Pachacamac)، إله الأرض، وقرينته السفلية باتشاماما (Pachamama)، ثم إيلابا (Illapa)، إله الظواهر المتصلة بالأحوال الجوية [الأنواء].

وعلى رأس هيئة رجال الدين الإنكا يوجد الحبر الأعظم، الذي يمتّ للإمبراطور بصلة قرابة، ويؤازره مجلس مكون من تسعة رجال، جميعهم من النبلاء. وكان العديد من الكهنة ينتدبون لتفقّد الأقاليم التي يقيم بها حراس **الهواكا** الشيوخ، وهم طائفة من الكهنة المتطوعين، الذين لا يتقاضون أيّ أجر من بيت مال الحكومة المركزية.

وليس المعبد عندهم موضعاً لعقد التجمعات؛ فقد كانت الاحتفالات الجماعية تقام في الأماكن العمومية، وهي غالباً ما تكون مصحوبة بتقديم قرابين حيوانية لأغراض استرضائية وتكهنية. بيد أن القرابين الأكثر وفاءً بالغرض، عندهم، كانت تتمثل في الصبيان البالغين عشرة أعوام، هؤلاء الذين يتم اختيارهم من أجل ما يتمتعون به من كمال بدني وخلقي، والسعداء بأن يرسلوا مباشرةً إلى العالم الآخر، الذي أُعِدّ في الأصل لاستقبال النبلاء. وبخلاف ما جرت به عادة الأزتك؛ بل حتى المايا، لم يكن تقديم القرابين البشرية كثير الوقوع عند الإنكا. وكانت التضحية تتم -وبصورة نادرة الوقوع أيضاً- بطرق تشبه طرق الأزتك، فهم يختارون أضاحيهم من بين أسرى الحروب الأشدّاء.

وكما هو الشأن في مصر (↔ 28)، كان كهنة الإنكا هم القيّمين على كلّ ما يتعلق بأمور الصحة، من صحة «الجسم السياسي» إلى صحة جسم الإنسان، جامعين بذلك بين وظائف الكهنة والعرّافين والمعالجين-السحرة. وعلى غرار **البارو** (*barus*) (↔ 16)، الكهنة العرّافين البابليين، كان كهنة الإنكا يفحصون أحشاء الأضاحي الحيوانية بعناية، ويستطلعون من خلالها غيب المستقبل. لكنهم كانوا كذلك يعالجون الأمراض بوساطة امتصاص الشيء الذي يفترض أنه العامل المسبب لاختلال التوازن العضوي. وفضلاً عن ذلك، كانوا يزاولون العلاج اليدوي، أو المياداة، ويرجعون الأعضاء المنخلعة إلى مواضعها، باستعمال اليد من الخارج، وكانوا على الخصوص جرّاحين مهرة قادرين على إجراء عمليات دقيقة مثل التربنة التي نجهل الغرض الحقيقي منها في العديد من الحالات.

وللأسف، إن غياب وثائق كتابية صادرة عن الإنكا أنفسهم يجعل التشوّف إلى معرفة أكثر عمقاً بمعتقداتهم الدينية أمراً مستحيلاً. وقد اندهش رجال الدين الإسبان من وجود «رهبان» و«أخوات» (عذراوات الشمس)، كما اندهشوا من مزاولة الإنكا للاعتراف السري. غير أنه لا سبيل للاطلاع على الجوانب الدقيقة في فكر الإنكا، الذي افتقدناه إلى الأبد، إلا من خلال التقارير الفضفاضة، الساذجة والكاذبة -بصورة غير متعمدة- التي قدّمها عنهم المخبرون الأجانب.

2.5- **أديان الغابة الاستوائية**: نجد المنطقة الشاسعة، التي تغطّيها أدغال نهري أورينوكو والأمازون، والتي تشمل، كذلك، مرتفعات غويانا الجبلية، مأهولة بعدة قبائل تنتمي إلى العائلات اللسانية للأراواك، الكارايب، البانو، التوكانو، والتوبي. وعلى الرغم من أن لكلّ مجموعة دينها الخاص، أو بديلة [72]معينة من بدائل دين قائم، فإنه من الممكن أن نستخلص منها كلّها العديد من السمات المشتركة، سواء على

72- ترجمة (variante). (م)

مستوى الأساطير، مثلما فعل كلود ليفي-ستروس في كتابه الكبير (**أسطوريات**) (*Mythologiques*)، أو على مستوى الأفكار والممارسات والمؤسّسات، مثلما فعل لورنس إ. سوليفان في الآونة الأخيرة.

تشغل **الآلهة** الرئيسة، في هذه المنطقة، مكانة متوسطة بين الكائن الأسمى والبطل الثقافي، مع رجحان هذه الوظيفة الأخيرة على العموم. وكما سبق أن أشرنا في موضع آخر من هذا الكتاب (↔1.1.7)، لاحظ الإثنولوجي أدولف إ. ينزن (Ad. E. Jensen)، بصدد البنى الأسطورية لأهالي أرخبيل جزيرة الملوك (moluqois) الإندونيسية، أن هناك أنموذجين أوليين يمكن أن ينطبقا على العديد من أساطير الخلق الموجودة في جميع أنحاء العالم؛ أولهما: أنموذج الآلهة **الديمات** (*demas*)، التي ينتج عن التضحية بأجسادها ميلاد النباتات الدرنية مثل البطاطس، وثانيهما: أنموذج بروميثيوس (Prométhée)، الذي يتعلّق، عموماً، بسرّ النباتات المثمرة للحبوب المسروقة من السماء.

ويعدُّ موما (Moma)، إله القمر عند الويتوتو (Witotós) في الأمازون الشمالية الغربية، من الآلهة **الديمات** (*Demas*) المميزين الذين لا تناسبهم تماماً خانة الكائن الأسمى السماوي التي أُدرجوا فيها من قبل بعض الإثنولوجيين. غير أن ميثولوجيا الإله الشمسي الخالق بورا (Pura)، عند الواريكيانا (Warikyanas) في غويانا، وبالنظر إلى إقدام هذا الإله على التدمير الدوري للعالم، هي، في المقابل، أقرب إلى مفهوم الكائن الأسمى، هذا الأخير الذي تجليه، على نحو أفضل، صورة الإله المحايد (*Deus Otiosus*) كاروكاسايب (Karukasaibe) عند قبيلة مجاورة من قبائل بلاد الكارايب، وهي قبيلة الموندوروكو (Mundurukús). وبالفعل، بعد أن خلق العالم الطبيعي والعالم الإنساني عومل كاروكاسايب بمنتهى الإساءة من قبل البشر، فانسحب نحو أماكن في السماء يتعذّر الوصول إليها، وسيعود عندما يحين موعد نهاية العالم ليهلك البشرية بالنار.

وتقوم التجربة الدينية لهنود الغابة الاستوائية على اعتقاد جوهري: وجود عالم غير مرئي يطابق عالمنا المعتاد، عالم لا يدرك إلا من خلال حالات الوعي المتغيرة، مثل الحلم والجذب والرؤى المستحثة من شم المخدرات...، أو بفضل استعداد روحاني فطري، أو مكتسب، بوساطة تدريب خاص. إن تطابق العالمين المذكورين يحمل كائنات العالم الآخر على التشكل، على العموم، في صور حيوانات، من قبيل الكايمن والأناكوندا واليغور، أو النسر، وهي الصور التي لا يفقه ماهيتها العلوية الرفيعة إلا المتخصصون؛ بل إن كل شيء يمكن أن يكون له امتداد في العالم غير المرئي؛ وقد كان السانما (Sanemás)، على الحدود الفاصلة بين البرازيل وفينزويلا، يميزون بين ثمانية أصناف من الهيوكولا (hewkulas)، أو الكائنات الخفية.

ومن جملة هذه الأرواح، يكتسي أرباب الحيوانات أهمية خاصة في بعض المجتمعات؛ ذلك أنه يفترض فيهم القدرة على التحكم في منسوب تدفق الحيوانات والأسماك الموجهة نحو الاستهلاك.

وتكتسي أرواح الأسلاف كذلك أهمية مماثلة، بالنظر إلى أنها تشارك، بوصفها كائنات غير مرئية، في حياة مجتمع الأحياء. ويمكن لإحدى الأرواح البشرية، تلك التي تستأنف وجودها بعد فناء الجسد، أن تسكن الأحياء، أو أن تجلب لهم المنافع بحسب الأحوال. إن أفكار هنود أمريكا الجنوبية عن النفس [الروح] البشرية تختلف، عموماً، عن المذاهب الثلاثة الرئيسة التي نلفيها سواء في الشرق أم في الأديان المتوسطية: تناسخ الأجساد، زرع الأرواح (traducianisme)، النشأة المستأنفة (nouvelle genèse). ويؤمن الهنود بوجود خزان يحتوي على مادة نفسانية، تؤوب إليه النفس [الروح] لتذوب في حالة اللا-تمايز. وترتبط حياة المولود البشري الجديد بإمداده بقسط من هذه المادة. وتتفق هذه الأفكار، إلى حدٍّ ما، مع أفكار بعض الغنوصيين الذين اعتنقوا، جزئياً، مذهب الخلق المتجدد للأرواح الكاثوليكي؛ وتتفق مع أفكار ابن رشد (1126/520-1198/595)، الذي كان يرى أن النفس العاقلة واحدة ولامتمايزة، وأنكر، من ثمّ، مسألة الخلود الفردي للروح؛ وتتفق، وإن بدرجة

أقل، مع أفكار القبالة المتأخرة، التي تقول بإمكان حيازة الفرد الواحد أكثر من روح، وبإمكان استيعابه في ذاته ما يشاء من أرواح الأعلام المشاهير. وتتخذ الفكرة نفسها لبوسا لائكيا عند بنديكتو كروتشي (Benedetto Croce)، الذي يذهب إلى أن قارئ دانتي (Dante) يكون هو دانتي نفسه أثناء القراءة.

ويسعفنا هنود الجيفارو (Jivaros)، في الإكوادور الشرقية، بسيكولوجيتهم التي تعطينا فكرة عن مسألة تعدد الأرواح البشرية؛ ذلك أنهم يميزون بين الروح [النفس] «العادية» والروح «الكاملة» والروح «الناقمة». فالروح العادية هي من صفات سواد البشر؛ أما الروح الكاملة، فلا تنال إلا بعد رؤية العالم غير المرئي. غير أنه يتعين على الجيفارو أن ينتزع من الآخرين هذه الروح الكاملة، التي تجعله إنساناً متعطشاً للدم؛ فهو يحوز على روح إضافية بقتل أحد أعدائه؛ وحين يصبح مالكاً لروحين كاملتين تقوى شكيمته، فيصير شخصاً لا يُهزم. ومع أنه لا يستطيع أن يحوز على أكثر من روحين، إلا أنه يستطيع، بعد هذا، أن يستولي على القدرات التي تنطوي عليها أرواح أخرى.

أمّا الروح الناقمة، فهي تلك التي تظهر عند موت مالك الروح الكاملة، الذي يرغب في الثأر من قاتله. ولهذا السبب يعمد الجيفارو إلى **تقليص حجم رأس** (*head shrinking*) العدو؛ لأنهم يعتقدون أن الروح الناقمة ستحبس على هذا النحو في الرأس المتقلص كما لو كانت واقعة في شرك.

والقيّم على أمر الدين عند هنود أمريكا الجنوبية هو الشامان (↔ 20)، الذي يجمع بين وظيفتي معالج الجسم الاجتماعي والطبيب الذي يعالج جسم الإنسان عندما يُصاب بعلّة مرضية مصدرها العالم غير المرئي.

ومن اليسير على المرء أن يلاحظ أن النسق الديني، عند هنود أمريكا الجنوبية، يمثل الشبكة الأكثر تعقيداً بالمقارنة مع غيرها من الشبكات التي تنهض عليها ثقافتهم، وأن التمييز بين البعد «الدنيوي» والبعد «الديني» من وجودهم غير ممكن.

وعلى كل حال، العالم بالنسبة إلى كل واحد منا لا يعدو أن يكون عملية ذهنية واحدة، ولا تنقسم إلى أجزاء متمايزة؛ فليس هناك حدٌّ نتتهي عنده من «التفكير بطريقة دنيوية» لكي نمرّ إلى «التفكير بطريقة دينية»، أو العكس. إن «المقدس» و«الدنيوي» يتقاطعان حتماً، فهما يتكلّمان اللغة نفسها، ويشهران، بصوت واحد، «الكلام» نفسه.

3.5- **أديان غران تشاكو**: تقع الغران تشاكو (Gran Chaco) (تشاكو تعني في لغة الكيتشوا «أرض الصيد») في وسط قارة أمريكا الجنوبية، بين الماتو غروسو (Mato Grosso)، والبامبا (Pampas). وتشغلها العائلات اللسانية للزاموكو (Zamukos)، التوبي-غواراني (Tupis-Guaranis)، الغايوكورو-كادويفو (Guaiacurus-Caduevos) والأراواك. وتشترك جميع القبائل المنتمية إلى هذه الجهة في التعلق بالمؤسسة الشامانية (↔ 20)، وفي الإيمان بوجود كائنات خارقة للطبيعة تسكن العالم غير المرئي الذي يطابق عالمنا. وتحكي أساطير هذه القبائل عن أصل العالم والنباتات والحيوانات والبشر، كما تحكي عن أصل المُسارَّة والشامانية. ومن جملة الكائنات الخارقة للطبيعة توجد كائنات علوية تختلط، إلى حدٍّ ما، بالأبطال الثقافيين وبالديمات (Demas)؛ كما يوجد بروميثيوسات[73]، وسرّاق للحبوب و/أو النار؛ فضلاً عن وجود مكارين (Tricksters)، هؤلاء المحتالين الذين نلفيهم في القارتين الأمريكيتين (وفي غيرهما من القارات كذلك)، والذين تتفاوت أدوارهم الخلاقة بهذه الدرجة أو تلك. ويتعذّر علينا، هٰهنا، أن نقف على السمات الفردية المميزة لهذه الكائنات الأسطورية عند القبائل المنتمية إلى هذه الناحية.

4.5- **أديان البامبا، باتاغونيا وأرض النار**: مع أنها انقرضت اليوم، إلا أن العديد من قبائل هذه الجهة كانت هدفاً لزيارات الإثنوغرافيين. وقد أعار هؤلاء اهتماماً خاصاً للهنود الفوجيين (السالكنام أو الأونا Onas، الياهغان Yahgans أو اليامانا

73- جمع بروميثيوس (Prométhée). (م)

Yamanas والألاكالوف Alacalufs)، الذين لوحظ عندهم إيمان بوجود كائن أسمى. وعند السالكنام، ينسحب الإله تيماكويل (Temakuel) إلى ما وراء السماء، ويترك للجدّ الأول كينوس (Kenos) مهمة تدبير العالم. ويحرص السالكنام على عدم إزعاج تيماكويل بالصلوات المتكررة، لكنهم يتقربون إليه، يومياً، بهدايا الطعام.

5.5- يبدو أن **الحركات الألفية** المنسوبة إلى التوبي- غواراني، في الماتو غروسو، قد بدأت قبل مجيء المستوطنين الأوربيين بقليل؛ ففي عام (1539) غادر اثنا عشر ألف فرد من التوبي بلاد البرازيل بحثاً عن الأرض الخالية من الشر؛ وعندما وصلوا إلى البيرو، لم يكن عددهم يتعدّى ثلاثمئة فرد. فقد قضى المرض والجوع على الآخرين. وفي عام (1602) وضع اليسوعيون حدّاً لهجرة ثلاثة آلاف هندي من هنود باهيا (Bahia)، الذين كان يقودهم نبي (**باغي** *pagé*) بحثاً عن الأرض الخالية من الشر. واستمر الأمر على هذا النحو إلى غاية القرن العشرين. وقد قُدِّمت لهذه الهجرات الانتحارية تفسيرات عديدة، تتراوح بين القول إن الأمر يتعلق بظواهر «مسيانية»، محلية أو ناتجة عن مثاقفة، والقول إنها «حركات شعوب مستضعفة» (وهو ما لا يُصدَّق على التوبي)، أو القول، كذلك، إن الأمر يتعلق بإوالية داخلية لمجتمع يدافع عن نفسه بتدمير نفسه بنفسه في مواجهة الخطر الذي يمثله ظهور مؤسسة الدولة (بيير كلاستر P. Clastres).

6.5- بيبليوغرافيا:

- P. Rivière, *Indians of the Tropical Forest*, in ER 13, 472-81; M. Califano, *Indians of the Gran Chaco*, in ER 13, 481-86; O. Zerries, *South American Religions*, in ER 13, 486-99; J. A. Vásquez, *Mythic Themes*, in ER 13, 499-509; D. A. Poole, *History of Study*, in ER 13, 506-12.

وفيما يتعلق بالإنكا، انظر:

- J. Alden Masson, *The Ancient Civilizations of Peru*, Harmondsworth 1968.

وفيما يتعلق بميثولوجيات هنود أمريكا الجنوبية، لن تجد أفضل من كتاب كلود ليفي-ستروس **أسطوريات** *Mythlogiques* الواقع في أربعة أجزاء، ثم كتابه الأحدث عهداً الذي يحمل عنوان **ربة الفخار الغيورة** *la potière jalouse*، باريس، 1986.

وفيما يتعلق بألفيات التوبي-غواراني، انظر على الخصوص:

- Hélène Clastres, *la Terre sans mal. Le prophétisme tupi-guarani*, Paris, 1975; Pierre Clastres, *la Société contre l'Etat. Recherches d'anthropologie politique*, Paris, 1974; I. P. Couliano, *Religione e accrescimento del potere*, dans Romanato-Lombardo-Couliano, Religione, e potere, Turin 1981, 218-22.

أمّا فيما يتعلق بأديان أمريكا الجنوبية بصورة عامة، فانظر كتاب لورنس إ. سوليفان الممتاز:

- Lawrence E. Sullivan, *Icancu's Drum. An Orientation to Meaning in South American Religions*, New York 1988.

6
أديان أمريكا الشمالية

0.6- خضع **هنود أمريكا**، كما بين ذلك إلمير زولا (Elémire Zolla)، في كتابه الممتاز الذي أصدره تحت عنوان (**الكتبة والشامان**) (*les Lettrés et le chaman*) (باللغة الإيطالية، 1969)، خضعوا لطائفة من التأويلات، المتغيرة على الدوام، من قبل المعمرين الذين دمروا ثقافتهم. ومعظم هذه التأويلات، كما يشير إلى ذلك إلمير زولا، لا يكشف لنا شيئاً عن الإنسان الهندي نفسه، بقدر ما يعبر عن تصورات المعمرين الأورو-الأمريكيين السائدة في هذه الحقبة أو تلك: الطهرانية الدينية، الأنوار، الرومانسية، تعظيم فكرة التقدّم (حيث ينظر إلى الأهليين تارةً بنوع من العطف المشوب بالازدراء، وتارةً بألوان الضغينة والعداء). وتشترك هذه الرؤى، على العموم، في فكرة أنّ الهندي قلّما يعترف بحضارة المعمرين الأوربيين، سواء أتعلق الأمر بأديانهم، أم بتكنولوجياتهم. (ما عدا الاستثناء الآتي: بعض هنود السهول، الذين يصعب على خيالنا المتأثر بأفلام الوسترن أن يراهم بلا خيول، لم يسبق أن رأوا أحداً من المعمرين قبل القرن الثامن عشر، حين أتوا إليهم من المكسيك قادمين من إسبانيا). ولم يكن يعوز السلطات أكثر من هذا لتبرير أعمال الإبادة الجماعية؛ فلم يتردد الكالفينيون الهولنديون -الذين اشتهروا بإنجازاتهم المعروفة في جنوب إفريقيا- في السماح بمعاملة الهنود كما تُعامَل الحيوانات المفترسة؛ بل إن الحاكم كيفت (Kieft) خصص مكافأة مالية لكل من يستطيع أن يأتيه بفروة رأس (scalp) أحد هنود هولندا الجديدة. وقبل أن تصبح في

عداد المناطق الإنجليزية، كانت منطقتا جنوب ولاية نيويورك ونيوجيرسي قد أُخليتا من السكان الأهليين. ونسج الإنجليز على المنوال نفسه، إلا أنهم زادوا في قيمة المكافأة؛ ففي ماساتشوستس، بلغ ثمن فروة رأس الهندي (60) دولاراً، عام (1703)، وفي بنسيلفانيا بلغ ثمن فروة رأس الهندي الذكر (134) دولاراً، في مقابل (50) دولاراً لفروة رأس الأنثى، بموجب منطق بطريركي بليد؛ لأنه من الواضح المعلوم أن معدل تزايد السكان يرتبط بالنساء وليس بالرجال. أمّا هنود الساحل الشرقي، الذين نجوا من القتل، فقد أبعدوا إلى غربي المسيسيبي من قبل الرئيس أندرو جاكسون (Andrew Jackson)، بعد صدور قانون تهجير الهنود (Removal act) عام (1830)، الذي لم يستثنِ حتى أولئك الشيروكي (Cherokees) الطيبين، الذين خضعوا للتعميد بحسب الأصول، والمتباهين بأنهم استطاعوا أن يحاكوا، بفعالية، حضارة الغزاة. إن الهندي «المتوحش» على الدوام، و«الهمجي» أحياناً -والذي أصبح يُرمز إليه بقبيلة الشوشون (Shoshones)، المقيمين في منطقة الحوض العظيم، الذين أطلق عليهم المستكشف جيديديا سميث (Jedediah Smith)، عام (1827)، اسم **ديغرز** (*Diggers*) (الحفارين، أكلة الجذور)- إن هذا الهندي يُفترَض أنه يوجد في وضع يُرثى له بسبب شظف العيش وسوء الأحوال الصحية. ويذكر الكاتب الرومانسي واشنطن إيرفين (Washington Irving)، أن المغاوين (trappeurs) الفرنسيين أنفسهم -الذين عرفوا بتأييدهم لسياسة الإدماج العرقي خلافاً للطهرانيين- لم يجدوا عند الشوشون شيئاً يحمدون عليه؛ بل كانوا ينعتونهم بصفة **القوم الجديرين بالشفقة**. ولا أحد منزّه عن الزلات الأشدّ فظاعة؛ ففي عام (1861)، ارتأى الفاضل مارك توين (Mark Twain) أن يصحح خطأ الداروينية بخصوص الهنود؛ إذ بدا له أن أسلاف هؤلاء الهنود لا ينحدرون من الرئيسيات؛ بل من الغوريلا، أو الكنغر، أو الجرذ النرويجي. وفي عام (1867) وصفتهم صحيفة **ويكلي ليدر** (*Weekly Leader*)، الصادرة في توبكا (Topeka) -وهي الوريثة الشرعية للهولنديين الأتقياء- بأنهم ليسوا سوى عصبة من سفلة اللصوص، البطّالين، المكروهين والكفار، وتقول: إن أي إنسان شريف لا يسعه

إلا أن يدعو عليهم بالهلاك التام. نقرأ في الصحيفة: «إنهم عصبة البائسين، القذرين، المقمّلين، المتدثرين، اللصوص، الكفرة والظرابين آكلي الأحشاء، الذين قضت مشيئة الرب أن تبتلى بهم الأرض، والذين يجدر بجميع البشر أن يصلوا من أجل يُبادوا فوراً، وبصورة نهائية، باستثناء الوكلاء منهم والتجار». وهذا الدعاء، الذي هو دعاء الجنرال وليام شيرمان (William Sherman) نفسه، في الفترة نفسها، لقي نوعاً من الاستجابة، وذلك على الرغم من الرجّات الكبرى التي وسمت أواخر القرن التاسع عشر، والتي شهدت ظهور الحركة الدينية الألفية المسماة رقصة الأشباح (Ghost Dance Religion)؛ فقد أوصى الجنرال فيل شريدان (Phil Sheridan) بإهلاك قطعان البيسون حتى يحرم الهنود من أسباب العيش، كما أن مذبحة الركبة الجريحة (Wounded Knee) (29 [كانون الأول/ديسمبر] 1890) دشّنت عهداً أصبحت معه «المحمية» البديل الأوحد المتاح لتحقيق الاندماج. لكن في غضون ذلك، تمكّن بعض العلماء الإثنوغرافيين والإثنولوجيين، الذين أصبحوا، اليوم، في عداد المشاهير، أمثال جيمس موني (James Mooney)، أو فرانز بواس (Franz Boas)، من وصف الثراء الفريد والتنوّع الذي يسم معتقدات وعادات المجتمعات الهندية. وفي وقتنا الحاضر، ما فتئ هذا العالم الغريب، كما كان دائماً، يثير الخيال، لكن اكتشاف تعقيدات جديدة، وأمور عميقة لم تكن منتظرة، لا يسهل علينا، بالضرورة، فهم هذا العالم بصورة أفضل من المتقدّمين، ولا سيّما أن الواقع قد يختلط، أحياناً، بالوهم، مثلما هو الحال في الحكايات -الخارقة دائماً- التي يقصّها علينا الروائي كارلوس كاستنيدا (Carlos Castaneda).

1.6- شكلت مسألة **أصل الهنود الأمريكيين** موضوع جدال طويل. ولم يُكتفَ بنسبة أصلهم إلى المصريين، أو الطرواديين، أو القرطاجيين؛ بل نجد أن إحدى الفرضيات الأكثر عناداً تقول: إن الهنود الأمريكيين هم أسباط بني إسرائيل العشرة المفقودون.

والواقع أن أسلاف الهنود الأمريكيين ينحدرون من سيبريا. لقد اجتازوا مضيق بيرنغ (Bering) المتجمّد مشياً على الأقدام، بحثاً عن طرائد الصيد. واستطاعوا الوصول، منذ إحدى عشرة ألف سنة، إلى أقاصي أمريكا الجنوبية. أما الثقافات العريقة التي تم

الكشف عن بقاياها في شمال المكسيك، فلا تضاهي، في عظمتها، ثقافات أمريكا الوسطى (↔ 7). ومع ذلك، إن هنود أمريكا الشمالية ينافحون عن خصوصياتهم. وعند مجيء أوائل الأوربيين، كان هؤلاء الهنود يتكلمون ما ينيف على خمسمئة لغة.

ويقطن شعب الإسكيمو في مناطق أقصى الشمال والجزر. وما بين هذه المناطق، وإلى غاية الحدود الحالية الفاصلة بين كندا والولايات المتحدة، تمتد الأراضي التي يقطنها هنود ينتمون إلى العائلات اللسانية للألغونكيين (Algonquins) (ناحية الشرق، مثل الأوجيبوا Ojibwas، والبينوبسكوت Penobscots) والأتابسكانيين (Athapascans) (ناحيتي الوسط والغرب: اليلونايف Yellowknifes، الشيبيوان Chipewyans، الكاسكا Kaskas، السلاف Slaves، البيفرز Beavers).

وفي شرق وجنوب البحيرات الكبرى، تمتد الأراضي التي تشغلها العائلتان اللغويتان الإيروكوا (iroquois) والسيوكس (sioux). وفيما بعد، سيُضاف المسكوكيون (Muskogeans) إلى الألغونكيين والسيوكس والإيروكوا والكادوانيين (Caddoans).

وكان معظم سكان منطقة السهول الوسطى من قبائل السيوكس (الأسينبوان Assiniboines، الكرو Crows، الدغيغا Deghigas، الغرو-فانتر Gros-Ventres، الشيوير Chiweres، الماندان Mandans، الأريكارا Arikaras، الهيداتسا Hidatsas...). وأما اسم «سيوكس» (sioux)، الذي ينطوي في الأصل على معنى قدحي، فيراد به على الخصوص قبائل الداكوتا (Dakotas) واللاكوتا (Lakotas) والناكوتا (Nakotas)، التي تجمع بينها أواصر القرابة. ونلفي، هٰهنا، أيضاً، ستّ عائلات لسانية أخرى: الألغونكية (الكري Crees، الشايان Cheyennes، البلاكفوت Blackfoots)، الأتاباسكانية (الأباتشي Apaches)، الكادوانية (الباوني Pawnees، الأريكارا Arikaras)، الكيوا-تانوانية (Kiowa-Tanoine)، والتونكاوانية (Tonkawan)، واليوتو-أزتكية (Uto-Aztèque) (الكومانش Comanches، الأوت Utes)...

وقد قسّمت منطقة الساحل الشمالي الغربي إلى ثلاثة قطاعات: قطاع شمالي (التلينغيت Tlingit، الهايدا Haidas، التسمشيان Tsimchian)، وقطاع أوسط (البيلا كولا Bella Coolas، النوتكا Nootkas، الكواكيوتل Kwakiutl)، ثم قطاع جنوبي (الساليش Salish، الشينوك Chinook).

وكان الحوض العظيم موطناً لطوائف من الهنود ينتمون إلى العائلة اللسانية نفسها، مثل الشوشون والبايوت (Païutes). أمّا منطقة الهضبة وكاليفورنيا، فكانت تؤوي شعوباً على درجة كبيرة من التنوع الثقافي واللغوي.

وإذا اتجهنا ناحية الجنوب، سنلفي ستّ عائلات لسانية: اليوتو-أزتكية، والهوكانية (Hokane)، والأتاباسكانية، والتانوانية، والزونية (Zuñi)، والكيرية (Keres). أمّا الخارطة الاقتصادية، فلا تجاري حدود القرابة اللسانية؛ فالهنود الحضر، أهل القرى (**بويبلوس** *Pueblos*)، يتكلمون اللغات التانوانية (تايوا Tiwas، تيوا Tewas، توا Towas)، والكيرية، والزونية، واليوتو-أزتكية (الهوبي Hopis). وبعض هذه **القرى** (*Pueblos*) كان مأهولاً على الدوام منذ القرن الثاني عشر. ويُعدُّ النافاجو (Navajos) والأباتشي في جملة الهنود الأتاباسكانيين الذين هاجروا من كندا صوب الجنوب قبل مجيء المعمّرين الإسبان.

2.6- يعيش **الإسكيمو** (*Esquimaux*)، الذين يطلقون على أنفسهم اسم **إينويت** (*Inuit*) («الناس»)، على طول السواحل القطبية لآسيا الشمالية الشرقية وألاسكا وكندا وغرينلاند. أمّا جزر ألوتيان، فهي مأهولة بشعب تجمعه بالإسكيمو أواصر القرابة. وعلى شاكلة شعوب سيبريا الشمالية، يتخذ الإسكيمو من الشامانية مرتكزاً لدينهم (↔ 20)[74]. وحيث إن معايشهم مرتبطة بالصيد، أو بالقنص، نراهم يقيمون شعائر تكفيرية واسترضائية لأرواح الحيوانات القتيلة.

74- أحال في الأصل إلى رقم المادة الخاصة بالمسيحية، فأصلحنا الأمر بالإحالة إلى رقم المادة الخاصة بالشامانية كما يقتضي ذلك السياق. (م)

3.6- يمتلك **هنود الشمال** ميثولوجيات على درجة من التعقيد، وتتعلق بعهود شتى من تاريخ العالم. ولكل عهد أبطاله الأسطوريون المختصون به، فيما يشبه البطل الثقافي الذي تتنوع مآثره بحسب الظروف والأحوال. وهذه المنجزات، التي غالباً ما تربط بأفعال مكار (Trickster)، أو تتأثر بها، نجد أن بطلها في ألاسكا هو عبارة عن حيوان، بينما هو في باقي البلاد فرد من أفراد الإنسان. وتؤدي الطقوس دوراً أقل أهمية نسبياً في الحياة الجماعية لسكان كندا الأهليين. ويعدّ الشامان، الذي توحى إليه المعرفة في المنام، المتخصّص الوحيد في أمور الدين في المنطقة.

4.6- ويتقاسم **هنود شمال شرق** الولايات المتحدة مفهوماً مشتركاً يتعلق بقوة ذات حضور كلي تُسمّى **مانيتو** (*Manitou*) عند الشعوب الألغونكية، **وأوكي** (*Oki*) عند الهورون (Hurons)، **وأوريندا** (*Orenda*) عند الإيروكوا. وسواء أكانت هذه القوة خيّرة، أم شريرة، فهي تتجسد في بعض الكائنات والأشياء، كما أنها تتصل بالبشر عن طريق الأرواح. وتتوافر شعوب الساحل الشمالي الشرقي على رصيد طقسي في غاية الثراء، حيث إنهم يزاولون شعائر تكفيرية واسترضائية، من أجل طرائد الصيد والنباتات الصالحة للأكل، كما أنهم يمارسون طقوس عبور تتفاوت في درجة التعقيد. ويفترض في الفرد أن يتوافر على أرواح شخصية يستدعيها بوساطة طقوس من النوع الشاماني. وتحظى التمائم والأقنعة، وغيرها من الأشياء الأخرى التي تنطوي على «القوة»، بعبادات خاصة. وقد نشأت في بعض المجتمعات الهندية أخويات مُسارِّية خاصة برجال الطب[75]، أو المعالجين، مثل أخوية الميدويوين (Midewiwin) عند الأوجيبوا، بينما لا نجد أثراً لهذه الأخويات في مجتمعات أخرى. والشخصية الدينية المركزية في المنطقة تتمثل في الشامان، وهو المتخصص في العلاج (والعرافة) بوساطة تقنية «الخيمة المرتجة» (**شيكين تنت** *shaking tent*)، وتقنية امتصاص، أو رشف، العناصر الروحية الخبيثة المسببة للأمراض.

75- ترجمة: (hommes-médecine). (م)

وهذا الإيمان بالسحر، وكذا الطقوس التي يزاولها رجال الطب من أجل القضاء على السحر، يعدّان من الأمور التي تميز هنود الساحل الجنوبي الشرقي، مثل الشيروكي، عن هنود المنطقة الشمالية الشرقية. وكانت طقوس الغطس في الماء تُقام بصورة يومية؛ إذ عدت ممارستها ضرورية لبقاء الجماعة. وتعدّ شعيرة رأس السنة أبرز الشعائر الموسمية التي تقام عندهم؛ وكانت مرتبطة بنضج الذرة.

5.6- يشكل **هنود السهول** تجمع ثقافات لم يظهر إلى الوجود إلا في القرن الثامن عشر مع نزوح مجموعات شتى من الهنود، مصحوبين بجيادهم، قادمين من المكسيك بحثاً عن طرائد الصيد. وفي هذه البوتقة، التي انصهرت فيها الثقافات، اكتسبت الحياة الدينية للشعوب المختلفة سمات مشتركة عديدة، مثل شعيرة رقصة الشمس والأخويات الحربية. وفي الواقع، أضحت هذه المنطقة مسرحاً لصراعات لا تنتهي، وقد استغل المعمرون ولع المحاربين الذكور بالرؤى الكشفية، فوجدوا في الكحول الرخيص أداةً فعالة للتخلص من الأهالي؛ وقد شجع استيراد الأعشاب المهلوسة، مثل صبار البيوت (peyolt)، نحو (1850)، على ظهور عبادات وأخويات يتقاسم أعضاؤها بعض الطقوس السرية وبعض الرؤى الكشفية.

وخلال طقس **الساونا** (*sauna*) (**سويت لودج** *sweat lodge*)، يتعين على مجموعة من الذكور أن يتحملوا درجة حرارة عالية جداً، كما يتعين عليهم أن يجلدوا أنفسهم بأغصان الشجر، وأن يرقصوا ويغنوا؛ فالساونا عندهم قادرة على تطهير المحارب، أو الرائي.

ويؤدي الشامانات ورجال الطب، أو نساء الطب، في السهول الدور المهم (والمأجور) المتمثل في إدارة الشعائر. وهم يشكلون طائفة متميزة تستعمل، مثل أطبائنا، لغة خاصة. ويتولى أحد شيوخ الباوني (**كوراهوس** *kurahus*) الإشراف على شعيرة **هاكو** (*hako*) الاسترضائية، التي تتقوى خلالها الروابط الرمزية بين الأجيال. ويتولى أحد رجال الطب (وإحدى نساء الطب بالنسبة إلى البلاكفوت) الإشراف على

رقصة الشمس (**صان دانس** *Sun Dance*)، التي تعود في الأصل إلى أخوية الماندان (Mandans) الطبية، إلا أنّها أمست أهم الشعائر المعروفة عند جميع القبائل الهندية المجتمعة في المنطقة. وخلال رقصة **صان دانس** يتحمل الذكور آلاماً جسمانية رهيبة ابتغاء التقرّب من الروح العظمى. ومع أنها تعرضت للحظر نحو (1880)، فإنها عادت إلى الظهور مجدداً عام (1934)؛ ومنذ (1959)، أدخل عليها الأوجيبوا واللاكوتا، مرةً أخرى، ضروباً قاسيةً من إماتة النفس.

وعند هنود السهول دائماً، ستظهر، نحو (1870)، العبادة الألفية المسمّاة **غوست دانس** (*Ghost Danse*) (رقصة الأشباح). وهي العبادة التي شجعها المورمونيون في ولاية يوتا (Utah)، الذين ما فتئوا يؤمنون بأن الهنود هم أسباط بني إسرائيل العشرة المفقودون. وقد صرّح المتنبئ الهندي وفوكا (Wovoka) بأنه يجب على الهنود أن يمسكوا عن محاربة أعدائهم، وأن يتطهروا، وأن يخلصوا العبادة للروح العظمى عن طريق الرقص؛ لأن الاضطهاد الممارس عليهم من قبل المعمرين الأوربيين سينتهي كما بدأ؛ إذ إن الزلزال المدمر قادم لا ريبَ فيه، وستبلع الأرض المعمرين، ولن ينجو من هذا الزلزال سوى الأهالي. وقد منيت محاولة القضاء على الغوست دانس بالفشل؛ فقد أرسلت الحكومة، عام (1890)، قوات قتلت (260) من الهنود السيوكس الأبرياء، الذين كانوا قد التحقوا بغدير الركبة الجريحة (Woonded Knee Creek) في داكوتا الجنوبية من أجل إقامة احتفالاتهم.

لقد انتشرت عبادة الصبار المكسيكي المهلوس، المسمى **بيوت** (*peyolt*) («غشاء») في اللغة الأزتكية (لوفوفورا ويليامسي Lophophora williamsii)، عند هنود السهول، في الفترة نفسها تقريباً، التي ظهرت فيها الغوست دانس. ولم تكن العبادة محظورة قانونياً حتى عام (1964)، حين أعلنت محكمة الاستئناف، في كاليفورنيا، أن منعها لا يشكل أيّ مساس بالحرية الدينية المنصوص عليها في الدستور، مادامت هذه العبادة لا تكتسي صورة الدين بمفهومه المعتاد. ويغلب على الظن أن باكورة أعمال الروائي كارلوس كاستنيدا (**عشبة الشيطان وخيط الدخان**

الرفيع *l'Herbe du diable et la petite fumée*)، الذي صدر عام (1968) بوصفه كتاباً في الإثنولوجيا، كان ينطوي على نية إظهار عبادة البيوت (peyolt) بمظهر الدين الحقيقي.

6.6- يعتمد **هنود الشمال الغربي** -المرتبطون في أذهاننا بأعمدة الرسوم الطوطمية التي لم يشرعوا في صنعها إلا بعد أن جلب إليهم المعمرون الأدوات الحديدية- يعتمد هؤلاء الهنود في عيشهم على صيد السمك، الذي حققوا بفضله وفرة غذائية لم تعرفها القبائل التي تعيش على صيد الطرائد إلا بعد وصول الخيول الإسبانية من المكسيك. فقبائل التلنجيت (Tlingits)، والهايدا (Haidas)، والتسيمشين (Tsimshians)، والهايسلا (Haislas)، والبيلا كولا (Bella Coolas)، والكواكيوتل (Kwakiutl)، والنوتكا (Nootkas)، والساليش (Salishs)، والماكاه (Makahs)، والكويلوت (Quileutes)، والسكوكوميش (Skokomishs)، والشينوك (Chinooks)، والتيلاموك (Tillamooks)، والكو (Coos)، والتولوا (Tolowas)، واليوروك (Yuroks)، والهوبا (Hupas)، والكروك (Karoks)، من كولومبيا البريطانية والساحل الشمالي الغربي للولايات المتحدة (واشنطن، أوريغون)، تشترك في العديد من المؤسسات والمعتقدات والطقوس. وتسمح وفرة الأغذية، ونظام المشيخة (chefferie) بتفسير ظاهرة **البوتلاش** (*potlach*)، التي هي عبارة عن حفل يتبرع فيه كل شخص بالعطايا إلى باقي أعضاء المجموعة التي ينتمي إليها، وإلى الجيران. وتتفاوت مقادير العطايا المتبرَّع بها تبعاً للمرتبة الاجتماعية التي يحتلها المعطي، ويتعين على الشيوخ (chefs)، أو أولئك الذين يتطلّعون إلى تحسين وضعهم في الهرم الاجتماعي، أن يهبوا (أو أن يخسروا) كميات هائلة من العطايا. وتسود الهيراركية أو التراتبية الاجتماعية نفسها بفضل وجود نظام استدانة على درجة عالية من التعقيد. فعدم قابلية الديون للاسترداد هو، بالتحديد، العامل الذي يمنحها سلطانها الاجتماعي؛ وبهذا المعنى، يمثل تسديد الدين إهانة للدائن ونيلاً من شرفه. زيادةً على ذلك، كانت الارستقراطية تحتكر حقّ التعامل مع أرواح الأسلاف التي لا تحصى.

ويؤمن العديد من هنود الشمال والشمال الغربي بالوجود السابق للأرواح بأعداد محدودة وبتناسخ الأجساد[76]؛ وهذا الأمر يسهّل علينا تفسير عبادة الأسلاف، وتبجيل أماراتهم التي لا يحق الظهور بها لغير ذريّاتهم.

أما الشامانية، التي قلّما تنتقل بالوراثة، والمتاحة على العموم لكل شخص راءٍ، فقد كانت معروفة على صعيد المنطقة كلها. ويستطيع الشامان أن يزاول، كذلك، أعمال السحر ضد فئة اجتماعية أخرى. وكانت عقوبة مزاولة السحر هي القتل.

وتتميز ميثولوجيات الساحل الشمالي الغربي بالحضور القوي للمكار (Trickster)، مثل غراب التلنجيت.

وأهم شعائر المنطقة تتمثل في شعيرة الرقص الانجذابي التي تُقام خلال فصل الشتاء.

7.6- يؤمن **الهنود الكاليفورنيون** بأرواح الأسلاف وأرواح الحيوانات، كما يؤمنون بالكائنات الأسطورية، مثل البطل الثقافي والمكار (Trickster)؛ وهم يزاولون الشامانية، ويسعون وراء الرؤى الكشفية مثل هنود الهضبة والحوض العظيم والسهول. ونلفي عندهم أعياداً دينية منذورة للاحتفال ببواكير الغلال، وشعائر بلوغ (خاصة بالفتيات)، وطقوس ساونا لإزالة ضروب الرجس. غير أن ما يميز المنطقة هو استهلاك شراب مخدّر مستخلص من **التولواش** (*toloache*)، وهو الاسم الذي يُقابل، في لغة النهواتل، نبات **داتورا سترامونيوم** (*Datura stramonium*) السام، المعروف أيضاً في تقاليد السحر الأوربية. وفي بعض المناطق، نجد أن **التولواش**، الذي يفتح أبواب الرؤى الكشفية، ومن ثمّ عالم الأرواح، هو عبادة خاصّة بالنخبة فحسب. وهناك العديد من الشعائر الجماعية (مثل طقوس تشييع الموتى) التي ترتبط باستعمال

76- كذا في الأصل (métensomatose) أي «تناسخ الأجساد»؛ ولعله يقصد (métempsychose) أي «تناسخ الأرواح». ويتكرّر هذا الخلط في عدة مواضع. (م)

التولواش. وقد تطورت إحدى هذه الشعائر في ظل عبادة **الكوكسو** (*Kuksu*) (اسم البطل الخالق عند شعب البومو Pomos) في شمال كاليفورنيا، فأسفرت عن ميلاد أخويات سرية للمقنعين.

8.6- يتقاسم **هنود القرى** (*Pueblos*) -إحدى وثلاثون قرية مأهولة بهنود ينتمون إلى ستّ مجموعات لسانية مختلفة- نمطَ عيش زراعي مستقراً، وعدداً كبيراً من المعتقدات؛ فهم يشاطرون أديان أمريكا الوسطى القديمة أسطورة الخلق والدمار المتعددين للعالم، وجميعهم يؤمنون بكائنات خارقة للطبيعة، تسمى الكاشينا (Kachinas)، وهي كلمة تعني، كذلك، الأقنعة الشعائرية، التي هي وسيلة استحضار الأرواح في طقوس أهل القرى.

ويتوافر هنود الهوبي (Hopis) على نسق معقّد من الأخويات الدينية، التي تشرف كل واحدة منها على إحدى الشعائر الموسمية؛ فالكاشينا (وهو اسم تسمّت به أيضاً إحدى الجمعيات الدينية) تُعلن عن نفسها للعموم خلال الفترة الفاصلة بين شهري مارس [آذار] ويوليو [تموز]؛ أمّا في الفترة الفاصلة بين شهري يناير [كانون الثاني] ومارس [آذار]، فتعلن عن نفسها في الكيفا (kivas)، أو الغرف التي تُقام فيها الشعائر. وفي شهر فبراير [شباط]، حين تقام شعيرة بواموي (Powamuy)، تتم مُسارَّة الأطفال برسم عبادة الكاشينا. وفي شهر تموز/ يوليو، تختتم دورة الكاشينا بوساطة شعيرة نيمان (Niman) («الأوبة»)، وبعدها تبدأ الدورة الخالية من الأقنعة. وأهم الرموز في طقوس الهوبي الذرة، التي ترمز إلى الحياة لدى هذا الشعب المزارع، وريش الطيور الذي يعتقد أنه ينقل صلوات البشر إلى الأرواح.

وتوجد في قرية الزوني (zuñis) الهندية أخويات دينية أخرى، ومنها أخوية الكاشينا وأخوية كهنة الكاشينا.

وقد خرج محاربو الكاشينا من سائر القرى الهندية، عام (1680)، لمحاربة المعمرين الإسبان، فقتلوا رهبانهم، وأجبروهم على الانسحاب نحو الجنوب؛ وفي

عام (1690)، استعاد الإسبان سيطرتهم على المنطقة، باستثناء قرية الهوبي المعزولة، التي لم تعد تخضع لأية مثاقفة قسرية. هذا، وقد نشأت عبادات توليفية في باقي القرى الهندية.

9.6- بيبليوغرافيا:

فيما يتعلق بالهنود الأمريكيين، بصورة عامة، وتاريخ الاستيطان في الولايات المتحدة، انظر:

- Elémire Zolla, *I letterati e lo sciamano*, Milan 1969; Peter Farb, *les Indiens. Essai sur l'évolution des sociétés humaines*, tr. Fr. Paris 1972; William T. Hagan, *American Indians*, Chicago 1979.
- W. Müller, *North American Indians: Indians of the Far North*, in ER 10, 469-76; J. A. Grim et D. P. St. John, *Indians of the Northeast Woodlands*, in ER 10, 476-84; D. P. St. John, *Iroquois Religion*, in ER 7, 284-7; Ch. Hudson, *Indians of the Southeast Woodlands*, in ER 10, 485-90; W. K. Powers, *Indians of the Plains*, in ER 10, 490-99; S. Walens, *Indians of the Northwest Coast*, in ER 10, 499-505; T. Buckley, *Indians of California and the Intermountain Regions*, in ER 10, 505-13; P. M. Whiteley, *Indians of the Southwest*, in ER 10, 513-25; A. Hultkrantz, *North American Religions: An Overview*, in ER 10, 526-35; S. D. Gill, *Mythic Themes*, in ER 10, 535-41; J. D. Jorgensen, *Modern Movements*, in ER 10, 541-45; R. D. Fogelson, *History of Study*, in ER 10, 545-50.

وفيما يتعلق بأديان أمريكا الشمالية بصورة عامة، انظر:

- Åke Hultkrantz, *Belief and Worship in Native North America*, Syracuse N. Y. 1981; [idem], *The Study of American Indian Religions*, New York 1983.

وفيما يتعلق بالجمعيات وطقوس المُسارَّة الشامانية، يبقى أروع كتاب في الموضوع هو الذي ألفه فيرنر مولر:

- Werner Müller, *Die blaue Hutte. Zum Sinnbild der Perle bei nordamerikanischen Indianern*, Wiesbaden 1954.

وفيما يتعلق بحركة **الغوست دانس** (*Ghost Danse*)، المرجع الكلاسيكي في الموضوع يبقى كتاب جيمس موني:

- James Mooney, *The Ghost Dance Religion and The Sioux Outbreak of 1890, édition abrégée*, Chicago 1965 (1896).

أما فيما يتعلق بعبادة صبار البيوت (Peyotl)، منذ القديم وإلى غاية (1964)، فانظر:

- Weston La Barre, *The Peyotl Cult, Hamden*, Connecticut 1964.

7
أديان أمريكا الوسطى

0.7- تعدّ منطقة أمريكا الوسطى بمقام المعادل الأمريكي -إذا صحّ القول- لمنطقة الهلال الخصيب؛ فقد شهدت ميلاد عدد كبير من الحضارات المتقدمة (التولتك Toltèques، الأولمك Olmèques، الزابوتك Zapotèques، الميكستك Mixtèques...)، أبرزها حضارة المايا (Mayas) وحضارة الأزتك (Aztèques).

1.7- يعدُّ **المايا**، الذين يتوافرون على كتابة هيروغليفية -تمّ حلّ رموزها جزئياً- وعلى تقويم معقد ودقيق نستطيع في الوقت الحالي ترجمته إلى التقويم الغريغوري، يعدّ هؤلاء المايا الورثة الثقافيين للأولمك الذين ازدهرت حضارتهم نحو (1200 ق.ح.ع). وفي المقابل، إن أقدم آثار المايا المعروفة لا تتعدى السنوات (200-300 ح.ع)؛ ثم لا تلبث أن تنطمس شيئاً فشيئاً على إثر غزو عسكري قادم من تيوتهواكان (Teotihuacán) (المكسيك حالياً)، لكنّها تعاود الظهور، بعد ذلك، وتبلغ ذروتها في ظلّ الظروف الطبيعية غير المواتية السائدة في الغابة الاستوائية. ونحو (750 ح.ع)، تظهر أربعة مراكز حضرية مهمة (تيكال Tikal، كوبان Copán، بالنك Palenque وكلاكمول Calakmul)، تدور في فلكها مدن صغرى وقرى؛ لكن من غير المرجح وجود دولة مركزية عند المايا.

ولأسباب مجهولة -يرجّح أن يكون في طليعتها الغزو والحروب الدينية- قام المايا، بين سنوات (800 و900)، بإخلاء تلك المدن، تاركين صروحهم الرائعة في

ذمّة الأدغال. وبعد هذه الكارثة، تركزت ثقافة المايا في شبه جزيرة يوكاتان (Yucatán)، حيث ستظهر هناك مراكز حضرية عديدة بين (900 و1200 ح.ع). ومن هذه المراكز نذكر تشيتشن إيتزا (Chichén Itzá)، التي يبدو أنها تعرّضت للغزو من قبل التولتك أصحاب تولان (Tollán) (المتقدمين على الأزتك)، فصارت أحد معاقلهم التوسعية. وتقول الحكاية إن البطل الأسطوري كيتزالكواتل-كوكولكان (Quetzalcóatl-Kukulkán) (الثعبان الذي له ريش طائر الكوازال) هو الذي قاد، في عام (987)، فلول التولتك المنفيين من تولان (Tollán) (تولا Tula، في شمال المكسيك)، التي اجتاحتها قوى الإله المدمر، المرآة المعتمة، (تيزكاتليبوكا Tezcatlipoca)، حتى وصل بهم إلى شبه جزيرة يوكاتان، فبنى هناك مدينة تشيتشن إيتزا. وعلى إثر إخلائها، نحو (1200)، انتقل إشعاع تشيتشن إيتزا إلى مدينة مايبان (Mayapán) بالقرب من ميريدا (Mérida)، والتي تعرّضت بدورها للتخريب نحو (1441). وعندما وصل الغزاة الإسبان إلى أمريكا الوسطى، كانت حضارة المايا في طريقها نحو الأفول. وفي ربيع عام (1517)، عندما رأى سكان يوكاتان قافلة السفن السوداء العملاقة المجهولة الهوية، وهي تقترب من اليابسة، تذكروا النبوءات القديمة المتعلقة بعودة تيزكاتليبوكا: «عند حلول ذلك اليوم، سيعمّ الخراب بالعالم...».

وقد أفلتت بعض المجموعات المتفرقة من المثاقفة القسرية؛ وسيعثر عليهم، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، في أدغال شياباس (Chiapas) بجوار معابد عجيبة مهجورة. وفي وقتنا هذا، يعيش أكثر من مليوني شخص من أحفاد المايا في أمريكا الوسطى: اليوكاتك (Yucatèques)، والشول (Chols)، والشونتال (Chontals)، واللاكاندون (Lacandóns)، والتزوتزول (Tzotzols)، والتزيلتال (Tzeltals)، والتوجولابال (Tojolabals)، والكيشي (Quichés)، والكاكشيكل (Cakchiquels)، والتزوتوهيل (Tzutuhils)...؛ وهم يتكلمون نحو ثلاثين لهجة مختلفة. ونشير إلى أنهم يحافظون على طائفة من طقوسهم المقدسة؛ ذلك أنهم، على الرغم من اعتناقهم الكاثوليكية منذ أربعمئة سنة، ما فتئوا يمارسون تلك الطقوس.

7.1.1- **الدين**: لم تنج سوى ثلاثة كتب خطّت بلغة المايا الهيروغليفية، بعد أن قام الراهب الفرنسسكاني المتعصب دييغو اللنداوي (Diego de Landa) بإتلاف كتب القوم. بيد أن طائفة من كهنة المايا لجؤوا إلى استخدام لهجتهم، علاوةً على الأبجدية اللاتينية، لكي ينقلوا إلينا أساطيرهم القديمة. وأقدم النصوص، التي من هذا القبيل، تتمثل في كتاب **بوبول فو** (*Popol Vuh*) لشعب الكيشي من المايا، ومخطوطات **شيلام بالام** (*Chilam Balam*) لشعب اليوكاتك.

وتوجد أعلى سلطة كهنوتية عند المايا في حوزة **هلاش وينيك** (*halach uinic*) («الإنسان الحق»)، الذي تتسع وظائفه لتشتمل كذلك على تعليم الكتابة الهيروغليفية والحسابات المتعلقة بالتقويم والكهانة.

ورأس العبادة عندهم يتمثل في طقس القربان المسمى **با شي** (*p'a chi*) («فتح الفم») باللغة اليوكاتية (Yucatec)، وذلك نسبةً إلى عملية مسح فم الصنم المصنوع للإله بدم القربان. وقلّما تكون الأضاحي من الحيوانات؛ فقد كانوا يفضلون عليها القرابين البشرية، وكانت لبعض الآلهة قرابينهم المفضلة، مثل التشاك (Chacs)، آلهة الغيث، التي كانت تحبّ دم الصبيان النفيس. وكان الدم -هذا الجوهر النبيل التي بلغ تشريف المايا له حدّ تمثيله في نقوشهم بريش **الكوازال** (*quetzal*)- كان هذا الدم يستخلص من جسد الضحية بطرق مختلفة؛ طريقة اقتلاع القلب المثيرة، وطريقة الثقب، وطريقة الكشط... وفي طقس التكفير كان الكل يفتصد ويسيل الدم؛ ومن أجل تخليد آثار الجرح، كانوا يستخدمون شوك سمك الشفنين.

ومع أنها لا تنطوي على أية نزعة توحيدية، بالمعنى الدقيق الكلمة، فإن عبادة الإله السماوي إيتزام نا (Itzam Na) («بيت الإغوانة»)، الذي يصور على هيئة مبنى يمثل بابه فم الإله، هي عبادة قريبة من نزعة التوحيد الدينية، بدليل أن بقية آلهة المايا (الشاك، الشمس، القمر...) هم خدام الإله السماوي. وإيتزام نا هو كذلك إله سفلي، إله النار وإله الطب.

ويستأنف الوجود البشري بعد الموت في الفردوس السماوي، وفي العالم السفلي، أو في ذلك المكان السماوي المنذور، بدوره، لاستراحة المحارب.

وتتناول أساطير المايا، المدونة في كتاب **بوبول فو** (*Popol Vuh*) المتميز، موضوعات مألوفة: الخراب الدوري للعالم، بالماء والنار، خلق إنسان قابل للذوبان في الماء وعاجز عن الحركة، أو كذلك خلق إنسان خشبي تمثل صلابته الطرف النقيض من رخاوة الإنسان الأوّل... أمّا الأصل الأسطوري للذرة، فهو عبارة عن توليف بين ما يسميه الإثنولوجي أدولف إ. ينزن (Ad. E. Jensen) (1899-1965) بأساطير **الديمات** (*demas*)، وما يسميه بالأساطير **البروميثية**. تتحدث الأولى عن ظهور بعض النباتات الصالحة للأكل، ولاسيّما الدرنيات، بوصفها نتيجة لقتل إله يُسمّى **ديما** (*Dema*) في بلاد إندونيسيا، في حين أن الأساطير الأخرى تتعلق، على الخصوص، بسرقة الحبوب الغذائية من السماء. وتشكل رؤوس الآلهة المقطوعة أصل لعبة الكرة الطقسية، التي كانت تحتلّ أهمية كبيرة في أمريكا الوسطى، وكانت أطوار مباراة الكرة تتميّز بالضراوة؛ لأن رؤوس لاعبي الفريق الخاسر كانت تُقطع.

2.7- أمّا **الأزتك** (*Azteques*)، **أو المكسيكا** (*Méxicas*)، الذين هم، على شاكلة التولتك، مجموعة تتكلم لغة الناهواتل (nahuatl)، فقد استقرّ نحو (1325) في جزيرة تينوشتيتلان (Tenochtitlán)، في البحيرة التي كانت تغطّي، يومئذٍ، جزءاً من وادي المكسيك. وقد قدموا من الشمال، حيث لم يكونوا شعباً غالباً؛ بل كانوا مغلوبين على أمرهم مقهورين، وساروا في الأرض بحثاً عن الأرض الموعودة، يقودهم إليها الكاهن الأعظم[77] هويتزيلوبوشتلي (Huitzilopochtli)، بقدرة الإله-المرآة المعتمة (تيزكاتليبوكا Tezcatlipoca)، الذي يبعث فيه الحياة، وبفضل الإلهة-الأم كواتليكو (Coatlicue)، التي تعاود إنجابه من جديد. لكن، ما إن استقرّ بهم

77- هويتزيلوبوشتلي هو إله الأزتك كما أورد المؤلف في الكشاف؛ ولعل الأصح: "يقودهم الإله هويتزيلوبوشتلي". (م)

المقام في هضبة المكسيك حتى أصبحوا شعباً غازياً يتمثل همه الرئيس في إقامة نوع من «الإمبريالية الروحانية». وبالفعل، آلوا على أنفسهم، من أجل تأمين حركة الشمس، أن يقدموا أضاحي جديدة دأبوا على التزوّد بها من عند جيرانهم.

وعندما وصل هيرنان كورتيس (Hernán Cortés) (1485-1547) إلى يوكاتان عام (1519)، على رأس جيش قوامه (508) من الجنود و(10) مدافع، لم تكن تظهر على إمبراطوية الأزتك، في عهد موكتيزوما الثاني (Moktezuma II) (ولا على إمبراطورية الإنكا تحت حكم أتاهوالبا Atahuallpa)، أية علامة من علامات انحطاط حضارة المايا. وقد تمكن كورتيس، مستغلاً بدهاء، إيمان الأزتك برجعة كيتزالكواتل وبنهاية العالم، ومستغلاً، أيضاً، الصراعات التي كانت قائمة بين مدن الأزتك، تمكّن في ظرف سنتين من هزم إمبراطورية عظمى، واضعاً بذلك نهاية لقرنين من التاريخ الدموي والظافر لشعب الأزتك.

1.2.7- **دين الأزتك**: استوطن الأزتك أرض تيوتيهواكان (Teotihuacan) («مقام الآلهة») الأسطورية المدهشة، التي كانت معقل ثقافة متقدّمة اختفت نحو (700 ح.ع)، لكنها خلفت لنا ثقافة التولتك أصحاب تولا (Tula). وقد ورث الأزتك عن هؤلاء عدة آلهة، مثل كيتزالكواتل وتيزكاتليبوكا، كما ورثوا عنهم الكتابة والتقويم والعرافة. وفي إحدى أساطير الأزتك الأكثر استتباعاً للطقوس، ينظر إلى تيوتيهواكان بوصفها الأرض الأسطورية التي تجري فيها التضحية بالآلهة من أجل تدشين عصر (شمس) خامس من عصور العالم؛ فقد تعرضت الشموس الأربع الأولى للخراب المدمّر. وهناك، على هضبة تيوتهواكان يجتمع الآلهة بغية خلق شمس جديدة وجنس بشري جديد، ويتولى تيزكاتليبوكا وكيتزالكواتل خلق الزوج البشري البدئي وإطعامه طعام الذرة؛ لكن، لأجل خلق الشمس يلزم ذبح أحد الآلهة، غير أن الشمس والقمر الجديدين، الناجمين عن التضحية بإلهين بوساطة النار، يعجزان عن الحركة؛ لذلك يعمد باقي الآلهة إلى إسالة دمائهم بوساطة خنجر الإيكاتل (Ecatl) القرباني، فتتولد عن ذلك حركة الشمس الخامسة. وحده كسولوتل (Xolotl) يفرّ من

الموت بطريقة مخجلة مخزية؛ وهو الذي تحوّل إلى إله للوحوش، ولكل ما هو مزدوج مثل التوائم.

وينبغي أن يتجدد هذا القربان البدئي، بصورة دورية، حتى تتمكن الشمس من المداومة على حركتها. ولهذا السبب نجد الأزتك، شعب الشمس، مسكونين بالدم، وبضرورة الحصول عليه من أجل ضمان استمرارية العصر الخامس. وهذا ما يفسر المجازر المرتكبة في حق الضحايا، من النساء وأسرى الحرب، الذين يتعرضون للذبح الطقسي أمام مقام هويتزيلوبوتشلي في أعلى معبد تمبلو مايور (Templo Mayor) في تينوشتيتلان، الذي يعدُّ بمقام المركز الرمزي للسلطة الأزتكية. وعلى الرغم من معرفتهم، مثل المايا، بشتى طرق القتل، فإنهم كانوا يفضلون عليها طريقة اقتلاع القلب. ففي جو روحاني تتخلله أصوات الآلات الموسيقية، النفخية والإيقاعية (إذ لم يكن سكان أمريكا الوسطى يعرفون الآلات الوترية)، يعمد الكاهن، الذي يتولى الذبيحة، إلى وضع القلب المقتلع بعجلة في وعاء مخصّص لطعام الآلهة الدموي، فيرش صورة هويتزيلوبوشتلي العملاقة بالدم، ثم بعد أن يقطع رأس الضحية، يضعه في درج مخصّص لهذا الغرض بجوار غيره من الرؤوس. أمّا جثة الضحية الملقى بها إلى أسفل المصطبة التي تجري فيها التضحية، فتشكل مادة وجبة آدمة تشارك فيها جموع الهنود.

وعلى غرار المايا، يتوافر الأزتك على كوسمولوجيا تنطوي على قدر من النضج، وتتعلق بثلاث عشرة سماء. والعدد ثلاثة عشر عندهم هو العدد المرجعي في التقويم الكهاني، الذي يلتئم من مئتين وستين يوماً (ولا يجب أن نخلط بين هذا التقويم وبين التقويم الشمسي العادي)، كما أنه يمثل العدد الأساسي في التخمينات ذات الصلة بأسرار الأعداد. وقد أدى وجود نوعين من التقويم إلى تكريس عدد كبير من الأعياد، القارة أو المتغيرة، التي تُضاف إليها شعائر الاسترضاء، وأعمال الشكر والنذور... ويستهلك الأزتك نبيذ **البولك** (*pulque*) -بكميات وافرة مثل باقي شعوب أمريكا الوسطى- خلال الأعياد الكبرى، التي غالباً ما يتم الاستعداد لها بضروب الإمساك

والزهد. وفي عيد الشمس، الموافق (4) أولن (Ollin)، يفتصد الأزتك، ويسيلون الدم، ابتغاء التكفير عن الذنوب.

3.7- فيما عدا بعض الاستثناءات، تمكنت **شعوب أمريكا الوسطى المعاصرة** من استدماج لغات الغزاة المسيحيين ودينهم، مما أدى إلى تعديل، أو بصريح العبارة إلى طمس تقاليدهم الثقافية الخاصة.

ومع ذلك، ما زالت تطفو على سطح المتخيل الأمريكي -ونعني أمريكا الوسطى- نتف غير مفهومة من الميثولوجيات والكوسمولوجيات، ومن الإحالات ذات الصبغة الكهانية والطقسية، فيما يشبه بقايا صرح ديني قديم هائل طمرته الأدغال.

أمّا الكائن الأسمى عند الهنود، في وقتنا هذا، فهو إما الإله- الأب، وإما يسوع الذي جاء به كورتيس (Cortés)، أو بيثارو (Pizarre)، والذي صار عديلاً للشمس عند قبائل الكيشي (Quichés) والتيبهوا (Tepehuas). وتحتل مريم، على الخصوص، عذراء غوادلوبي (Guadeloupe)، مكانة مركزية في مجمع الآلهة الهندي. ففي كانون الأول/ ديسمبر من عام (1531)، تجلّت العذراء الهندية على الربوة المقدسة للإلهة الأزتكية تونانتزان (Tonantzin)، والدة هويتزيلوبوشتلي الطاهرة، وكلمت الأهليين بلسان الناهواتل. وهي، منذ ذلك الوقت، ترعاهم، وتسهر على تحقيق أمانيهم المتواضعة، على نحو أفضل مما استطاعت أن تفعله أية سلطة نافذة في هذه الربع من الأرض.

4.7- بيبليوغرافيا:

- M. Léon-Portilla, *Mesoamerican Religions: Pre-Columbian Religions*, in ER 9, 390-406; H. von Winning, *Preclassic cultures*, in ER 9, 406-9; D. Heyden, *Classic Cultures*, in ER 9, 409-19; H. B. Nicholson, *Postclassic Cultures*, in ER 9, 419-28; K. A. Wipf, *Contemporary Cultures*, in ER 9, 428-38; D. Heyden, *Mythic*

Thems, in ER 9, 436-42; Y. González, *Torres, History of Study*, in ER 9, 442-46; J. M. Watanabe, *Maya Religion*, in ER 9, 298-301; D. Carrasco, *Aztec Religion*, in ER 2, 23-29, D. Carrasco, *Human Sacrifice: Aztec Rites*, in ER 6, 518-22.

وفيها يتعلق بالمايا، انظر على الخصوص:

- J. E. S. Thompson, *Maya History and Religion*, Norman Oklahoma 1972.

وقارن:

- Couliano in *Aevum* 49 (1975), 587-90.

وأيضاً:

- Charles Gallenkamp, *Maya. The Riddle and Rediscovery of a Lost Civilization*, New York 1987.

وفيها يتعلق بالأزتك، انظر:

- Jacques Soustelle, *les Aztèques*, Paris 1970.

وانظر على الخصوص كتاب دافيد كراسكو الصادر حديثاً:

- David Carrasco, *Quetzalcoatl and the Irony of Empire: Myths and Prophecies in Aztec Tradition*, Chicago 1982.

وفيها يتعلق بأساطير الديمات (*Demas*) والأساطير البروميثية، انظر:

- Ad. E. Jensen, *Mythes et cultes chez les peuples primitifs*, tr. Fr., Paris 1954.

8
أديان أوقيانوسيا

0.8- جرى تقليدياً تقسيم **جزر المحيط الهادئ** إلى ثلاث مناطق هي: ميكرونيزيا (Micronésie)، ميلانيزيا (Mélanésie) (التي تضمّ غينيا الجديدة، جزر سليمان، الجزر الأميرية، تروبرياند، فيجي، كاليدونيا الجديدة، سانتا كروز، تيكوبيا، فانواتو-هبريدس الجديدة...)، ثم بولينيزيا (Polynésie) (زيلاندا الجديدة، ساموا، تونغا، تاهيتي، جزر ماركيساس، هاواي، جزيرة الفصح...). ويتسم هذا التمييز بالتمحل؛ ذلك أن ميكرونيزيا هي الوحيدة التي تتمتع بسمات ثقافية مميزة بفضل التأثيرات الآسوية. وتضم ميكرونيزيا أربع مجموعات من الجزر (ماريانا، كارولين، مارشال، جيلبرت)، ويناهز عدد سكانها، الذين يتكلمون اللغات المالايو-بولينيزية، (140.000) نسمة. وتضم ميلانيزيا ساكنة أوفر عدداً، كما تنعم برصيد ثقافي أكثر إشعاعاً. أمّا بولينيزيا، فإنها تتميز بمساحاتها الشاسعة، وبآلاف الجزر التي تتكون منها. ومعظم اللغات التي يتكلمها سكان ميكرونيزيا وبولينيزيا تنتمي إلى المجموعة الأسترونيزية؛ أمّا في ميلانيزيا، فمعظم اللغات ليست أسترونيزية؛ بل هي قريبة من لغات الأبوريجان الأستراليين.

1.8- تتأسس العديد من المفاهيم، التي بلورتها الإثنولوجيا الغربية، على تفسير (مغلوط) للأديان الأوقيانية. فنحن نجد، على سبيل المثال، أن الشهرة الواسعة، التي اكتسبها مفهوم **المانا** (*mana*)، تتأسس، في نهاية المطاف، على الدراسات التي أنجزها

المبشر الإنجليزي روبرت هـ. كدرينتون (R. H. Codrington) (1830-1922) عن هبريدس الجديدة (فانواتو Vanuatu). ويسعفنا كدرينتون -ومن بعده روبرت ر. مريت (R. R. Marett)- بتعريف لمفهوم **المانا** بوصفها نوعاً من الطاقة- المادة التي يمكن، على شاكلة الكهرباء، تخزينها واستغلالها في أغراض ومنافع شتى. والحال أن **المانا** هي، بالأحرى، خاصية تمنحها الآلهة لأشخاص، أو لأماكن، أو لأشياء. وفي المجتمع، تقترن **المانا** بالمرتبة أو المقام، وبالإنجازات الباهرة.

وكذلك مفهوم الطابو (tabou) (من **تابو** *tapu* البولينيزية)، العزيز على الإثنولوجيين وعلماء التحليل النفسي؛ فإنه مستعار، في المقام الأول، من شعب الماوري (Maoris) في زيلاندا الجديدة. ويرتبط مفهوم **التابو** (*tapu*) ارتباطاً شديداً بمفهوم **المانا**، ويدلّ على ضروب التأثير الإلهي، ولا سيّما التأثير السلبي، الذي يجعل بعض الأماكن، أو الأشخاص، أو الأشياء، موضوعات خطيرة، أو يحظر الاقتراب منها. وهناك حقول نشاط يتطابق فيها مفهوما **المانا** و**التابو**، لكن، إجمالاً، يشير مفهوم **المانا** إلى التأثير البعيد المدى وغير القابل للنقل، بينما يختص مفهوم **التابو** بحالات الاستحواذ العابر، ويمكنه [التابو] أن يكون معدياً. فدم الحيض، مثلاً، يعد بمقام **تابو**؛ أي أنه ينطوي على عدوى؛ لذلك، لا ينبغي للمرأة الحائض أن تهيىء طعاماً إلا لنفسها، وذلك حتى لا تنقل الأذى إلى أحد. وتتمثل إحدى وظائف الكهنة في تطهير الأمكنة التي أصابها **التابو**.

وبالنسبة إلى الجمهور الغربي، تقترن أوقيانوسيا، في المقام الأول، بالأبحاث التي أنجزها الإثنولوجي الوظيفي الإنجليزي برونسلاو مالينوفسكي (Bronislaw Malinovski) (1884-1942) في جزيرة تروبرياند (1915-1918)، أو بأبحاث المبشر الفرنسي موريس لينارت (Maurice Leinhardt) في كاليدونيا الجديدة (**دو كامو**، *Do Kamo* 1947).

2.8- نحو (**1500 ق.ح.ع**)، بدأت أرض بولينيزيا المترامية الأطراف تستقبل

البحارة القادمين من إندونيسيا والفلبين (ثقافة لابيتا Lapita)، والذين حلّوا في جزيرة الفصح قبل عام (500 ح.ع). ونحو (1200)، تعرضت بولينيزيا الشرقية للاستيطان. وفي القرن السادس عشر، كان العنصر الغالب على الحياة الدينية في المنطقة هو عبادة الإله أورو (Oro)، ابن الإله السماوي تا(نغ)روا (Ta(ng)aroa)، في جزيرة راياتيا (Raiateia). فهناك تأسست جمعية الأريوا (Ariois) الشامانية المعروفة، على الخصوص، بنفوذها القوي (وتجاوزاتها أيضاً) في تاهيتي، التي كانت بمقام مركز ديني عام (1800) تقريباً. وكانت مراسم العبادة تجري في باحات مستطيلة الشكل تسمى **مارايات** (*maraes*) [جمع ماراي *marae*]، تعلوها مصطبة هرمية الشكل في الغالب (**أهو** *ahu*). وفي جزيرة الفصح، كما في ماركيساس ورايفافاي (raivavae)، تنتصب تماثيل ضخمة مصنوعة من الحجر. وتمثل حضارة جزيرة الفصح، التي دمرت بالكامل بمجيء تجار العبيد من البيرو في القرن التاسع عشر، أحد ألغاز التاريخ الغامضة؛ فسكان هذه الجزيرة كانوا على صلة بالإنكا قبل (1500)، وعرفوا نوعاً من الكتابة يُسمى **رونغورونغو** (rongorongo)، وهي كتابة محراثية[78] لم يتم بعد حلّ رموزها.

3.8- ليست **وحدة الأديان الأوقيانية** سوى وحدة تقريبية، لكن فكرة أن معظم الآلهة الأوقيانية هم أسلاف يقيمون في عالم آخر، ويزورون البشر بشكل متواتر، هي فكرة شائعة جداً في المنطقة. ويعدُّ الإله السماوي بعيداً عن المنال، لكن الأساطير تحكي عن أعماله ومنجزاته. وقد ضمّ تانغروا (Tangaroa) الأرض ضماً، حتى أن أبناءه اضطروا إلى فصلها بالقوة لكي يصبح المكان قابلاً للسكن[79]. وقام تان

78- ترجمة: boustrophédon؛ وهي عبارة عن نظام كتابة يجمع بين الاتجاهين (يمين/يسار ويسار/يمين). (م)

79- أما المراجع المتاحة، وخاصة تلك التي تتحدث عن نشكونية الماوري Maoris، فتقول: إن تانغروا Tangaroa هو أحد الأبناء الستة الذين سعوا إلى فصل أبيهما رانغينوي Ranginui

=

(Tane) إله الماوري -في زيلاندا الجديدة- وأشقاؤه، بصنع امرأة من التراب، ونفخ تان فيها الحياة [الروح]، لكن من غير أن يميز الفتحة التي يكون منها الإنجاب. ومن باب الاحتياط، عمد إلى تلقيحها من جميع الفتحات. وفي الأخير، أنجب منها بنتاً اتخذها زوجةً له. وهذه البنت هي التي ستلد أسلاف البشر. وقام البطل الثقافي ماوي (Maui)، الذي هو بمقام مكار (Trickster) أيضاً، بتثبيت مدتي الليل والنهار، وأوقع في شباكه العديد من الأسماك، التي تحوّلت إلى جزر بولينيزيا. وبعد ذلك، عقد العزم على نيل الحياة الأبدية عن طريق قتل الوحش الأنثى هين- نوي- تي- بو (Hin-nuit- te- po). وبينما هو يستعد للدخول في مهبلها، ويخرج من فمها بعد ذلك، لم يتمالك رفاقه من العصافير أنفسهم عن الضحك، فاستيقظ الموت النائم، وسحق ماوي.

يلعب حشد الآلهة دوراً مؤثراً حاسماً في حياة البشر. ويمكن الوقوف على مشيئتهم عن طريق العرافة التي تتطلب الإلمام بمعارف خاصّة، أو عن طريق الاستحواذ الروحاني. وقد زاول كهنة تاهيتي وهواي العرافة عن طريق قراءة أحشاء القربان الحيواني. أمّا السحرة، فكانوا يتصرفون في مشيئة الآلهة، من أجل فعل الخير أو ارتكاب الشر، عن طريق استدعائهم طقسياً، وحثّهم على الحلول في أشياء معينة، هي، عموماً، تماثيل بسيطة مصنوعة لهذا الغرض، أو عصي لاقطة للآلهة[80]. وحين يحضر الآلهة، تهدى إليهم القرابين (التي غالباً ما تكون بشرية) لكي يقضوا الحاجات التي من أجلها تمّ استدعاؤهم. إن حضور الآلهة يخلق وضعاً [جديداً] موسوماً بأنه **تابو**؛ ولذلك كان يتحتم إجراء طقوس خاصة تتمثل في رش الماء، والمعالجة بالنار، أو بحضور امرأة، من أجل صرف الإله واستعادة الوضع الطبيعي المسمى **نوا** (*noa*).

(السماء) عن أمهما باباتوانوكو Papatuanuku (الأرض). ويستفاد منها أيضاً أن تانغروا هو إله البحر المحيط وجميع ما يعيش في أعماقه من المخلوقات. (م)

80- ترجمة: (bâtons attrape-dieux). (م)

ويقترن الموت بمراسم خاصة جدّ مطولة. وخلال إجرائها، يفترض أن الميت قد اهتدى إلى الطريق التي ستوصله إلى مملكة العالم السفلي؛ ومن هذه، سيواصل زيارة الأحياء، إمّا ليستحوذ عليهم، وإمّا ليجيبهم عن أسئلتهم حين يقومون باستدعائه.

4.8- بيبليوغرافيا:

- J. Guiart, *Oceanic Religions*: *An Overview* et *Missionary Movements*, in ER 11, 40-49; D. W. Jorgensen, *History of Study*, in ER 11, 49-53; W. A. Leesa, *Micronesian Religions*: *An Overview*; in ER 9, 499-505; K. Luomala, *Mythic Themes*, in ER 9, 505-9; A. Chowning, *Melanesian Religions*: *An Overview*, in ER 9, 350-9; F. J. Porter Poole, *Mythic Themes*, in ER 11, 359-65; F. Allan Hanson, *Polynesian Religions*: *An Overview*, in ER 11, 423-31; A. L. Kaeppler, *Mythic Themes*, in ER 11, 432-5.

وفيما يتعلق بما قبل تاريخ بولينيزيا، انظر:

- Peter Bellwood, *The Polynesians: Prehistory of an Island People*, Londres 1987.

9
البوذية

1.9- يستدعي تصنيف **أدبيات** البوذية، الموسومة بالشساعة، اعتماد التقسيم التقليدي المسمّى **تريبيتاكا** (*Tripiṭaka*)، أو متن «السلال الثلاث» الذي يلتئم من أسفار **السوترا** (*sūtras*) (**أحاديث** *logias* البوذا نفسه)، و**الفينايا** (*vinaya*) (سلوك الرهبنة)، ثم **الأبهيدارما** (*abhidharma*) (المذهب). وتُضاف إلى ذلك كله مصنفات **الشاسترا** (*śāstras*) التعليمية العديدة، التي وضعها مؤلفون معروفون، ومصنفات **الجاتكا** (*Jātakas*) أو حيوات [جمع حياة] البوذا السابقة...

وقد وصلتنا ثلاث نسخ من **التريبيتاكا**؛ نسخة رهبان جنوب شرق آسيا التيرافاديين (Theravāda)، المتشذرة والمدونة بلغة البالي (pali)؛ ونسخة السرفاستيفادا (Sarvāstivāda)، والمهاسانغيكا (Mahāsaṅghika)، في ترجماتها الصينية؛ ثم المجموعات التبتية (الكنجور Kanjur والتنجور Tanjur) التي تعدُّ أكمل النسخ. وعلاوةً على ذلك، تناهت إلينا كتابات سنسكريتية عديدة.

وقد أوصى البوذا تلامذته بأن يتكلموا بلهجاتهم؛ وكانت البالي، التي هي لغة القانون التيرافاداي، إحدى هاته اللهجات (إقليم أفنتي Avanti)، ولم تكن هي اللغة الأصلية التي تكلم بها البوذا. ولهذا السبب، ليس هناك مبرر علمي يدعو إلى الاستخدام الدائم لمفردات البالي بدلاً من المفردات السنسكريتية البوذية، وهي ضرب من السنسكريتية التي تستخدم الكثير من الكلمات البركريتية.

2.9- من المرجح أن **البوذا**، الذي يعني اسمه، بلغة البالي وبالسنسكريتية، «الصاحي»، كان في الأصل شخصية تاريخية. ومع ذلك، في **الجاتكا**، أو المصنفات التي تتحدث عن حيوات البوذا السابقة، تطغى الجوانب الأسطورية إلى الدرجة التي يتحول فيها البوذا إلى أنموذج «الإنسان الربّاني» كما يتصوره التقليد الهندي (انظر: **جاينية** *Jaïnisme*، 3.21)، وهو الأنموذج الذي ينتمي إلى نسق نلاحظ حضوره في مناطق جغرافية أخرى. ويتقاطع هذا النسق، في بعض جوانبه، مع فكرة **الرجال المتألّهين** (*theioi andres*) عند اليونان، ومع السير الأسطورية المتأخرة لمؤسسين آخرين للأديان، مثل يسوع وماني... وعلى الرغم من تعذر استخلاص ما هو تاريخي من المعلومات المتوافرة، إن العديد منها يستحق أن يوضع في الحسبان، مثل أن الشخص الذي سيصبح البوذا كان هو نجل أمير عشيرة الشاكيا (Śākyas) في شمال غرب الهند. ويقع تاريخ ميلاده، حسب المصادر، بين (624 و448 ق.ح.ع). وقد ماتت أمه بعد بضعة أيام من إنجابه، وكانت قبل ذلك قد بشّرت بأنها حبلى بكائن خارق. وبحسب الروايات الدوسيتية، أو الظهورية، لميلاد البوذا، فإن الحبَل به كان حبَلاً بلا دنس، وولادته كانت عذريّة. لقد قيل: إن جسده يحمل جميع العلامات الدالة على أنه ملك العالم.

ولما بلغ ست عشرة سنة من عمره، تزوج سيدارتا (Siddhārtha) من أميرتين، وعاش في قصر والده حياة هنية لا يشغل باله هم، لكن خروجه من القصر ثلاث مرات جعله يتعرّف على الشرور الثلاثة المحتومة، التي تلم بالشرط الإنساني: الشيخوخة، المعاناة، والموت. وعند خروجه للمرة الرابعة فكر في إيجاد علاج ناجع لهذه الشرور، وهو يتأمل مشهد ناسك فقير مستغرق في الهدوء والسكينة. وحدث أن استيقظ في منتصف إحدى الليالي، فأكد له منظر أجساد خليلاته المترهلات، وهنّ مستغرقات في النوم، حقيقة الطابع العرضي والزائل للعالم. وسرعان ما ترك القصر، ليتفرّغ للزهد، مستعيراً اسماً جديداً هو غوتاما (Gautama). وبعد أن انفصل عن شيخين كانا يعلّمانه، على التوالي، الحكمة وفنون اليوغا (yoga)، اتبع، بمعية خمسة من تلامذته، رياضة صارمة قوامها إماتة الجسد عن الشهوات. لكن، حين تبيّن له عدم جدوى هذا النوع من

الزهد، قبل وجبة من طعام الأرز أهديت إليه، وتناولها. واستاء تلامذته من هذا التصرف، الذي يدلّ عندهم على الضعف، فأعرضوا عنه. وقعد الشاكياموني (Śākyamuni) (زاهد عشيرة الشاكيا) تحت شجرة التين، مصمّماً على ألا يقوم من مكانه حتى يبلغ حال الصحو. وتعرّض لغواية مارا (Māra)، الذي يجمع في شخصه بين الموت والشر. وما إن طلع الفجر، حتى كان الشاكياموني قد انتصر على عدوه، وأصبح هو البوذا، العارف بالحقائق الأربع، التي سيلقنها في بيناريس، أو فاراناسي (Bénarès) لتلامذته الذين هجروه. فالحقيقة الأولى هي أن عالمنا كله مبني على المعاناة (*Sarvaṃ duḥkhaṃ*): «الولادة معاناة، الهرم معاناة، المرض معاناة»، وكل ما هو زائل (*anitya*) ينطوي على المعاناة (*duḥkha*). والحقيقة الثانية هي أن أصل المعاناة هو الرغبة (*tṛṣṇā*). أمّا الحقيقة الثالثة، فهي أن القضاء على الرغبة يؤدي إلى الخلاص من المعاناة، وأمّا الحقيقة الرابعة، فإنها تكشف عن الطريق الثمانية (*aṣṭapāda*)، أو طريق الوسط التي تؤدي إلى اختفاء المعاناة؛ وتشتمل هذه الطريق على مجالات الرأي (*dṛṣṭi*)، والفكر(*saṃkalpa*)، والكلام (*vāk*)، والفعل (*karmanta*)، ووسائل العيش (*ajīva*)، والجهد [الرياضة] (*vyayama*)، والانتباه (*smṛti*)، ثم التأمّل (*samādhi*). ويبدو أن التأمّل هو الأقرب إلى روح رسالة البوذا الأصلية.

وفي أعقاب هذه الموعظة الأولى، التي جرت في بيناريس [فاراناسي]، اتسعت **سمغا** (*saṃgha*)، أو **جماعة** المؤمنين الجدد بصورة مذهلة، لتشتمل على البراهمة والملوك والنسّاك، حتى أن «الصاحي» وجد نفسه مرغماً على قبول النساء في سلك الرهبنة. وفي هذا الصدد، تنبأ البوذا بزوال الشريعة (**دارما** *dharma*). ولم يكن بمنأى عن كيد الحساد وحروب الرهبان السخيفة؛ فبعض المصادر تقول إن ابن عمه ديفاداتا (Devadatta) حاول اغتياله طمعاً في خلافته. ويفترض أن البوذا قضى نحبه في سن الثمانين بسبب مرض عسر الهضم الذي ألمّ به. ويعتقد العلماء أن تفاصيل من هذا القبيل هي في غاية الإحراج بالنسبة إلى الدين نفسه، ومن ثمّ لا يمكن أن تكون مختلقة. فمن المحتمل، إذاً، أن تكون صحيحة.

3.9- وبعد الانتهاء من مراسم الجنازة (**البارينرفانا** *parinirvāṇa* ، أو **الانطفاء الأخير**) التي أقيمت للبوذا، انتهت رئاسة **السمغا** (*saṃgha*) إلى مهاكاشيابا (Mahākāśyapa)، وليس إلى آننداا (Ānanda)، تلميذ البوذا المخلص، الذي سلخ خمساً وعشرين سنة من عمره في خدمة «الصاحي» عن قرب، فلم يتسنّ له، أبداً، أن يتفرغ لتعلّم تقنيات التأمل حتى يصبح **أرهات** (*arhat*)؛ أي ذلك الذي بلغ **النرفانا** (*nirvāṇa*) وتحرّر، من ثمّ، من دورة التناسخ. وحين دعا مهاكاشيابا **الأرهاوات** إلى حضور مجمع راجغرا (rājagṛha)، استثنى من المدعوين آننداا. واعتكف آننداا مدةً، فأحكم فنون اليوغا، وأصبح **أرهات**. وعندما سأله مهاكاشيابا، أجابه بتلاوة **السوترا**، أو أحاديث البوذا، بينما كان أوبالي (Upali) يتلو عليه قواعد السلوك من سفر **الفينايا** (*vinaya*).

بناءً على هذه الوثائق الجليلة القدر، نتساءل: ما هي الصورة التي اتخذتها دعوة البوذا عند أول خروجها للناس؟

بخلاف ما ذهب إليه العديد من العلماء، نقول: إن البوذية ليست «متشائمة». فالبوذية هي، في الأصل، عقيدة موسومة بطابع يميزها عن أديان العالم كافةً؛ [فهي] عقيدة لا تقوم على الإثبات؛ بل تقوم بالدرجة الأولى على **السلب**. إن طريق البوذية هي طريق الفناء عن الذات، ومن ثمّ الفناء عن عالم الظواهر. فاليقينيات التي تشي بها تعاليم البوذا، الذي يعطى مثالاً أنموذجياً في الاحتراس من كل قول ميتافيزيقي، هي يقينيات ذات صبغة سلبية. ولهذا، إن دعاة الصرامة المنطقية وجدوا نوعاً من التشابه بين منهج البوذا ومنهج بعض الفلاسفة الوضعانيين الجدد، ولاسيّما لودفيغ فتغنشتاين (Ludwig Wittgenstein).

وبهذا المعنى، فالأنموذج الأبلغ دلالة على ما ذكرنا نجده في حكاية الراهب مالونكيابوتا (Malunkyaputta) (**مجهيما نيكايا** *Majjhima Nikaya*، سوتا sūtta 63)، الذي حيّره أن تنصّ تعاليم البوذا، في الوقت نفسه، على «أن العالم أزلي وغير

أزلي، وأنه متناهٍ ولامتناهٍ، وأن النفس [الروح] والجسد شيء واحد وأنهما ليسا الشيء نفسه، وأن الأرهات (arhat) يبقى حياً بعد الموت ولا يبقى حياً بعد الموت، وأنه لا هو باقٍ ولا هو غير باقٍ...». ولما ذهب مالونكيابوتا إلى البوذا ليرشده إلى الحق، أجابه الأخير، قائلاً: «ما أشبه حالك بحال رجل أصابه سهم مسموم، فبينما أصحابه وذووه يسارعون في نجدته بطبيب، إذا هو يقول: «لا تسلّوا السهم حتى أعرف هل الذي أصابني به محارب أم برهمن، هل هو **فايشيا** (*vaiśya*) أم **شودرا** (*śūdra*)... ما اسمه وإلى أية طبقة ينتمي... هل هو طويل القامة أم متوسطها أم قصيرها...هل هو أسود البشرة أم أسمرها أم أصفرها...» إلخ.

كذلك، لما جاء إليه الناسك السائح في البلدان المسمّى فاكا (Vaccha)، وعرض عليه كل الدعاوى ونقائضها، التي ذكرنا، قاصداً أن يأخذ فكرة عن مذهبه، أنكر البوذا الدعاوى ونقائضها في الوقت نفسه، معلناً أنه «في حِل من كل نظرية». وأمام ارتباك الناسك فاكا، الذي اعتاد على التفكير بمقتضى منطق ممعن في التبسيط (إذا كانت أ غير صادقة، فإن لا أ صادقة)، سأله البوذا إن كان يستطيع الإجابة عن السؤال الآتي: إلى أين تذهب شرارت النار بعد انطفائها، إلى ناحية الشرق، أم ناحية الغرب، أم ناحية الجنوب، أم ناحية الشمال؟ وعند اعتراف الناسك فاكا بجهله، عمد البوذا إلى مقارنة الأرهات (arhat) بالنار المنطفئة؛ فكل ما يُقال عن بقائه لا يتعدى الظنون والتخمينات (**مجهيما نيكايا**، سوتا 72).

وللاعتبارات نفسها، التي حملته على إنكار كل نظر، اعترض البوذا على مذهب **الآتمان** (*ātman*)، أو الذات البرهمي، بوصفه ذلك المبدأ الثابت الذي لا يتغير في الكومة البشرية، لكن من غير أن يؤكد صحة النقيض، ولا سيّما الفناء التام للأرهات (arhat) بعد الموت (انظر: **سميوتا نيكايا** 22، Samyutta Nikāya 85)؛ وذلك لسبب بسيط، وهو أن ما نسميه «أرهات» لا يعدو أن يكون، كغيره من الأشياء، مواضعة لسانية (انظر: **ميليندبنها** *Milindapañha* 25)، ومن ثمّ، لن نستطيع أن

ننسب إليه صفة الوجود الواقعي. وإذا تقرر هذا، فإن هناك فاعلين لا ثالث لهما في هذا الكون، وهما المعاناة والانطفاء:

ليس ثمة إلا المعاناة، ولا وجود لمن يعاني.

ما في الوجود فاعل، ولا وجود سوى للفعل.

النرفانا كائنة، لكن لا وجود لمن يفتش عنها.

وها هي الطريق، لكن لا وجود لمن يسلكها.

(**فيسودهي مغا** *Visuddhi Magga*، 16)

تأبى دعوة البوذا أن تنجرّ إلى طريق النظر المجرد التي بلا نهاية، وتتطلع، بالدرجة الأولى، إلى تحقيق الخلاص. لقد صاغ البوذا قانون «النشأة المعتمدة» (**برتيتيا ساموتبادا**؛ **سميوتا نيكايا** 22، 90 *Pratītya samutpāda; Samyutta Nikāya*)، فأرجع كل سيرورة كونية إلى **الأفديا** (*avidyā*)، أو الجهل، وجعل الخلاص في زوال الجهل: «فعن الجهل ينتج **السمسكارا** (*saṃskāra*) أو الخبر الميلادي؛ وعن السامسكارا ينتج **الفجنانا** (*vijñāna*) أو الوعي؛ وعن الفجنانا تنتج **النامروبا** (*Nāmarūpa*) أو الأسماء -و-الصور؛ وعن النامروبا تنتج **السداتيايانا** (*ṣaḍātyayana*)، أو أعضاء الحس الستة؛ وعن السداتيايانا ينتج **السبرشا** (*sparśa*) أو التماس؛ وعن السبرشا ينتج **الفيدانا** (*vedanā*) أو الإحساس؛ وعن الفيدانا تنتج **الترسنا** (*tṛṣṇā*) أو الرغبة؛ وعن الترسنا ينتج **الأوبدنا** (*upadana*) أو التعلق؛ وعن الأوبدنا تنتج **البهافا** (*bhava*) أو الكينونة؛ وعن البهافا ينتج **الجاتي** (*jāti*) أو الميلاد؛ وعن الجاتي ينتج **الجارمرانا** (*jaramarana*) أو الهرم والموت». ولذلك، علاج الهرم والموت يكمن في زوال الجهل، الذي يعادل اتباع سبيل البوذا والإقبال على شريعته (*dharma*) وجماعته (*saṃgha*).

غير أن الانشقاق سيطول صفوف السمغا أو الجماعة، بعد انعقاد مجمعها الثاني في فيشالي (Vaiśālī)، مما سيؤدي إلى ظهور نسق الفرق البوذية، الذي سنعرض له فيما بعد.

واعتنق الإمبراطور أشوكا (Aśoka) (234/236-268/274)، حفيد كاندراغوبتا (Candragupta) (نحو 320-296)، مؤسّس أسرة الموريين (Mauryas)، اعتنق دين البوذية، فأرسل بعثات تبشيرية إلى باختريا (Bactriane)، وسوغديانا (Sogdiane)، وسريلانكا (سيلان). وكان نجاح آخر بعثة باهراً، حيث إن السنهاليين ما زالوا على دين البوذية إلى يومنا هذا. ومن البنغال وسريلانكا، زحفت البوذية إلى بلاد الهند الصينية وجزر إندونيسيا (القرن الأول ح.ع). ومن طريق كشمير وإيران الشرقية انتشرت في ربوع آسيا الوسطى والصين (القرن الأول ح.ع)، ومن الصين إلى كوريا (372 ح.ع)، ومن كوريا إلى اليابان (552 أو 538 ح.ع). واستتب لها الأمر في بلاد التبت في القرن الثامن (ح.ع) .

ومن عام (100) إلى عام (250) (ح.ع)، تطوّرت صورة جديدة من البوذية، ترى أنها وسيلة عتق وتحرير أسمى من الوسائل التي اعتمدتها مذاهب المتقدمين. ولهذا، قدّمت نفسها بوصفها **ماهايانا** (*Mahāyāna*)، أو «مركبة كبيرة»، حتى تتميز عن البوذية القديمة، التي صارت تُعرف باسم **هينايانا** (*Hīnayāna*)، أو المركبة الصغيرة. وعلى الرغم من المعنى التبخيسي الخفيف الذي يشي به هذا اللفظ في استخدامه الأصلي، يمكن الاعتماد عليه في التأريخ، وفي تصنيف المذاهب البوذية، شريطة أن يجرد من كل دلالة قدحية. ولا نعلم كل شيء عن السيروة التي أسفرت عن نشوء الماهايانا، لكن هناك مرحلة وسيطة (نحو 100 ح.ع) تسعفنا بوثائق في غاية الأهمية. ونحو القرن السابع (ح.ع)، خبت جذوة الماهايانا، وستحلّ محلها البوذية التنترية، التي تمثل الفجريانا (Vajrayāna)، أو مركبة الألماس، إحدى شعبها. وقد انتشرت التنترية (tantrisme) مبكراً في بلاد الصين (716 ح.ع).

كانت دروس الماهايانا والفجريانا تلقن في مراكز جامعية هندية أهمها نالندا

(Nālandā) وفكرماشيلا (Vikramaśīla). وبعد أن دمر الغزاة الأتراك هذين المركزين، عامي (1197 و1203)، اختفت البوذية بصورة عملية من بلاد الهند. ويتعذر علينا أن نجد تفسيراً لانحدار البوذية أمام الإسلام، في الوقت الذي أبدت فيه الهندوسية والجاينية صموداً ومقاومة. لكن، كما اصطبغت البوذية بالهندوسية، فإن الهندوسية، بدورها، استوعبت وتمثلت العديد من الأفكار والممارسات البوذية. وسنستأنف الحديث لاحقاً (↔ 7.9–10) عن مصير البوذية في آسيا والغرب.

4.9- من وجهة نظر نسقية، تمثل **بوذية الهينايانا** حالة جديرة بأقصى درجات الاهتمام، حيث يتعين علينا أن نقارنها بحالة أنساق أخرى تتفرق منها شعاب متعدّدة (تشكل الفرق sectes)، مثل الجاينية والمسيحية والإسلام. ومن نافلة الحديث القول إن الصراع المذهبي يمثل بعداً أساسياً من أبعاد النسق، وإنه لا ينبغي لنا، بأيّ حالٍ من الأحوال، أن نفسره بالرجوع إلى عامل اقتصادي، أو اجتماعي–سياسي. وأيّاً كان الرهان، فإن «البرنامج» الديني يسبق «اللعب»، ويتقدّم أفاعيله في مجرى التاريخ البشري، ويحافظ على بقائه الدائم من خلال مختلف التعبيرات الدينية؛ بل إن تأثيراته على الأنساق الفرعية الأخرى، التي تشكل التاريخ، تأثيرات لا حد لها وغير متوقعة في الغالب.

ويكتسي نسق الفرق الهينايانية طابعاً معقداً، وتعوزنا العديد من الحلقات التي نحتاجها من أجل إعادة تركيبه. غير أن هناك ثنائية أساسية، تماماً كما في الأديان الأخرى التي ذكرنا أعلاه، ثنائية يتقابل بموجبها تقليد «فقير» وتقليد «غني»، اتجاه أنثروبي أو إنسي واتجاه ترنسندنتالي أو متعالي؛ يشدّد أولهما على البعد الإنساني لشخصية المؤسس، في حين يشدّد الثاني على بعدها الإلهي.

وحدث أول انشقاق في تاريخ البوذية في حاضرة باتلبوترا (Pāṭaliputra)، في أعقاب المجمع الثاني المنعقد في فيشالي (Vaiśālī)، وقبل حكم الإمبراطور أشوكا (Aśoka). فقد تجادل القوم في موضوع خلق الأرهات (arhat)، وفي مدى تحرره أو

عصمته من ضروب الخطيئة. وأسفرت مناقشة المسائل الخمس الخلافية، عن تمسّك أصحاب التقليد «الغني» بدعوى عدم عصمة الأرهات، بينما تمسّك أصحاب التقليد «الفقير»، الأكثر تشبثاً بالأصول، بدعوى كمال الأرهات. لقد احتيج إلى معرفة مدى قابلية الأرهات للإغواءات الحلمية، ومدى تخلّصه من الجهل، ومدى خلوص إيمانه من الشكوك، ومقدار حاجته إلى المدد أوالمساعدة من أجل مواصلة السير في طريق المعرفة، ثم مدى قدرته على إدراك الحقيقة القصوى المشفوع بعبارة الدهشة «آهو!» (Aho). ولم يتفق الفريقان إلا في مسألة واحدة من المسائل الخمس الخلافية؛ أما فيما يتعلق بالمسائل الأخرى، فقد انقسمت الجماعة بصدد مسألة يستحيل الحسم فيها، وهي مسألة الدنس الليلي، أو الأحلام الجنسية للأرهاوات، حيث ذهبت أغلبية أعضاء السمغا (*Mahāsāṃghika*) إلى أنه يمكن للأرهات، في الحلم، أن يقع في شرك فتنة الإلهات، بينما اعترض «القدماء» (**Sthāviras** ومنها **Sthāviravādins**) على هذه الفكرة. ومن الآن فصاعداً، سيصبح الستافيرفاديون ممثلين للنزعة الأنثروبية أو الإنسية، بينما سيصير المهاسامغيكيون ممثلين للنزعة الترنستدنتالية أو المتعالية في حظيرة البوذية.

وفيما بعد، سيحدث شقاق في صفوف الستافيرفاديين بسبب مفهوم «الشخص» (*pudgala*). فما صلة هذا الأخير بالكومات (**سكاندا** *skhandas*) الخمس، التي يلتئم منها الكائن البشري، وهي **الروبا** (*rūpa*)، (كيفيات تضاهي «الصور» الأرسطية)، و**الفيدانا** (*vedanā*) (الإحساس)، و**السمجنا** (*saṃjñā*) (الإدراك)، و**السمسكارا** (*saṃskāra*) (الخبر الميلادي) ثم **الفجنانا** (*vijñāna*) (الوعي)؟ يرى الستافيرفاديون الأرثودوكس أن **البودغالا** (*pudgala*) لا تعدو أن تكون مواضعة لسانية لا يقابلها شيء في الواقع، بينما يرى تلامذة فاتسيبوترا (**Vātsīputra**) أن **البودغالا**، إذا صحّ أنها لا تماثل **الكومات** (*skhandas*) الخمس، فهي لا تختلف عنها؛ فلا هي معدودة في الكومات الخمس ولا هي موجودة خارجها. ومع ذلك، البودغالا عندهم عبارة عن جوهر لطيف ينتقل من جسد إلى آخر؛ لهذا السبب، سيأخذ عليهم

خصومهم أنهم تبنوا في الخفاء مفهوم **الآتمان** (ātman) (الروح) البرهمي القديم الذي أعرض عنه البوذا.

وما إن انصرمت خمسون سنة حتى تمخضت المهاسانغيكا (Mahāsāṅghika) عن مدرستين جديدتين، هما: مدرسة الإكافيافهاريكيين (Ekavyāvahārikas) الذين يرون أن النفس العاقلة تسمو بطبيعتها على جميع ألوان الخطيئة، ثم مدرسة الغكولكيين (Gokulikas) (ويقرأ الاسم بطرق أخرى شتى) الذين يرون أن **الكومات** (*skhandas*) الخمس هي عبارة عن عدم.

ومن المحتمل أن يكون آخر مرسوم أصدره الإمبراطور أشوكا الموري (Aśoka Maurya) (237 ق.ح.ع)، الذي كان منحازاً إلى جهة الستافيرفاديين، قد ألمح إلى طرد بعض الرهبان من صفوف جماعة القدماء، قبل أن يقدم المطرودون على تشكيل نواة إحدى أهم فرق الهينايانا؛ فرقة السرفاستفاديين (Sarvāstivādins) (من **سرفام أستي** *sarvam asti* التي تعني «الكل موجود»). يرى المذهب السرفاستفادي، أن جميع **الدارمات** (*dharmas*)، أو الظواهر، في الماضي كما في المستقبل، تتمتع بالوجود الواقعي. وبخلاف ذلك، يذهب الستافيرفاديون الأرثوذوكس إلى أن الماضي والمستقبل غير موجودين، هذا بينما تذهب فرقة أخرى، انشقت عن فرقة السرفاستفاديين نفسها، وهي فرقة الكاشيابيين (Kāśyapīyas)، أو السورفسكيين (Survaskas)، إلى أن الأفعال الماضية، التي لم تثمر بعد أية نتائج، هي وحدها التي تتمتع بالوجود.

وقد أدى تكاثر **الأبهيدارمات** (*abhidharmas*) (الشروح على **السوترا** *sūtras*)، الموسومة بالتضارب، إلى ميلاد أربعة مدارس جديدة تنحدر من فرقة الفاتسيبوتريين (Vātsīputrīyas): الدارمطارية (Dharmottarīyas)، والبدريانية (Bhadrayanīyas)، والسامتية (Sammitīyas)، ثم السناغريكية (Ṣaṇṇagarikas)، لكن، لم تصلنا سوى **الأبهيدارما** السامتية، التي ترى أن **البودغالا** لا تعدو أن تكون مجرد مفهوم.

ونشب سجال آخر حول **الأبهيدارما**، أدى إلى انشقاق الغكولكيين وظهور

البهوشروتيين (Bahuśrutīyas) السباقين إلى التمييز -المهم في مذهب **الماهايانا**- بين تعاليم البوذا «الأرضية» وتعاليمه «المتعالية»، وكذلك البرجنابتفاديين (Prajñaptivādins) (من برجنابتي prajñapti التي تعني «المفهوم»)، الذين ذهبوا إلى أن كل وجود لا يعدو أن يكون وجوداً مفهومياً.

وانشق اللكوتاريون (Lokotaras) («المتعالون») القريبون جداً من المذهب الذي سيُعرف، لاحقاً، بالماهايانا، انشقوا بدورهم عن المهاسانغيكا. فالبوذا عندهم كائن متعال (*lokottara*)؛ ولذلك نجدهم يدعون إلى نوع من الدوسيتية أو الظهورية. وعلاوةً على ذلك، من الملاحظ أن نسق الدوسيتية البوذي يطابق، بصورة شبه تامة (إذا ما استثنينا الأسطوريات)، نظيره الذي سيتبلور، لاحقاً، في الأوساط المسيحية (أو شبه المسيحية).

لا يجدينا، في هذا المقام، أن نذكر أسماء جميع فرق الهينايانا؛ حسبنا الإشارة إلى أن التيرافاديين (Theravādins)، الذين استقروا في سريلانكا في منتصف القرن الثالث (ق.ح.ع)، والذين يعادل اسمهم في اللغة البالية (pali) اسم الستافرفاديين (Sthāviravādins) السنسكريتي، يمثلون فرعاً من فروع مدرسة الفبهاجيفاديين (Vibhajyavādins). ومن غير الممكن إعادة تركيب نسق المدارس برمّته؛ فالمعلومات التي نتوافر عليها قليلة ومتضاربة، والعديد من الحلقات الوسطى تعوزنا. ومع ذلك، يمكننا أن نتصور أن المشهد التاريخي للفرق، أو الطوائف، يطابق جانباً من عملية السبر المنطقي لجميع «باقات أو حزم العلاقات» التي ينطوي عليها تاريخ كلّ من البوذا، والجماعة الأم، والثيولوجيا[81] الأصلية المنحدرة من تعاليمه. وعلى هذا النحو، إن فرقاً، أو طوائف، أخرى معروفة لنا، تعمد إلى تفعيل تقابلات من قبيل: بوذا/ **سمغا** (*Bouddha/samgha*)، **سوترا/ أبهيدارما** (*sutra/abhidarma*)، تناسخ/ لاتناسخ **الكومات** (*skhandas*)...

81- تعريب (théologie)؛ ويُقال أيضاً: «اللاهوت». (م)

وأياً كانت درجة تشعب النسق، من الممكن تعقب منطق الاتجاهين؛ الاتجاه الأنثروبي أو الإنسي، والاتجاه الترنسندنتالي أو المتعالي. إن الذي يظهر من كلام الستافرفاديين للوهلة الأولى، عندما يقولون إن الأرهات معصوم من الخطأ، أنهم يناصرون الاتجاه الثاني؛ أي الترنسندنتالي. والحال أن المهاسانغيكا، بقبولهم مبدأ عدم عصمة الأرهات، هم الذين وضعوا بشرية البوذا بين قوسين؛ فإن ما يهم ليس هو أن يبلغ المرء مرتبة الكمال اعتماداً على وسائل بشرية؛ بل العكس، إن ما يهم هو أن يحوز المرء على هذه المرتبة **سلفاً**. وبالسير في هذا الاتجاه، ستظهر العديد من المدارس المهاسانغيكية، التي ستثمر معظم الأفكار التي نشأت عنها الماهايانا.

5.9- إن التعقيد، الذي يسم **بوذية الماهايانا** (*mahayānā*) يدعونا، منذ البداية، إلى اعتماد مقاربة نسقية؛ لكن استقصاء تشعباتها وامتداداتها تعدّ عملية صعبة ودقيقة ليس في وسعنا القيام بها في هذا المقام.

لقد ظهر مذهب الماهايانا، أول الأمر، في أدبيات السوترا (sūtras) المنتسبة إلى العرفان المتعالي (برجنابارميتا *prajñāpāramitā*)، الذي ينبغي الرجوع بنشأته الأولى إلى نحو (100 ح.ع). ويؤشر الانتقال من الهينايانا إلى الماهايانا على حصول **تحوّل في المثل الأعلى للكمال**. فبينما يتشوف المريد الهينياني إلى أن يصبح **أرهات** (*arhat*)؛ أي ذلك الكائن الذي استغرق في حال **النرفانا** (*nirvāṇa*) إلى الأبد، حيث لا يمكنه الارتماء مجدداً في **السمسارا** (saṃsāra)، أو دورة التناسخ المقيتة، يتطلع المريد الماهاياني إلى أن يصير بوذيساتفا (Bodhisattva)؛ أي ذلك الكائن الذي يكرّس وجوده، بعد أن يبلغ حال الصحو، لخير البشرية جمعاء، ويفضل، من ثم، أن يخرج إلى العالم بدلاً من الاستغراق في **النرفانا**. وعندئذ، لن يكون البوذيساتفا هو **البراتيكا بوذا** (*Pratyeka Buddha*) أو البوذا الصامت؛ بل سيكون هو الصاحي الذي يتكلم ويعمل ويغيث البائسين؛ إنها نظرة جديدة نعتقد أنها متأثرة بتيارات الحب الإلهي (**بهاكتي** *Bhakti*) الهندوسية.

وإذا كان الإشفاق على البشرية المبتلاة بالجهل هو الطابع الذي يميز، على ما يبدو، المثل الأعلى للبوذيستافا، فإن مذهب الماهايانا يتقلد الرهان الصعب المتمثل في بلورة منطق يتيح العمل بمفاهيم متضاربة دون الوقوع في تناقض. إنه يسمّى، أحياناً، «المنطق السلبي»، لكنه في حقيقة الأمر ضرب من المنطق غير الأرسطي، الذي لا يعترف بمبدأ الثالث المرفوع، فيتجاوز حالتي الإيجاب والسلب معاً. ولذلك نتفهّم بالقدر الكافي الأسباب التي حملت بعض أهل العلم المتعطشين إلى الدين، في الآونة الأخيرة، إلى القول: إن الماهايانا تقدم لنا أنموذجاً نفيساً لفهم مفارقات الفيزياء الحديثة، هذه الفيزياء التي صارت متعودة على الهندسات اللا-أقليدية، وعلى تصور المكان ذي الأبعاد المتعددة. وفي الواقع، إن تطابق النسقين لا يتعدى مستوى الظاهر؛ ففي حالة البوذية، يتعلق الأمر برفض الخيار المبسط (إذا كانت أ غير صادقة، فإن لا أ صادقة) الذي يبعث على ضروب من النظر الجريء، في حين أن الفيزياء تستنبط طوبولوجياتها الخيالية، أوّلاً، من التخلي عن مسلّمة التوازي الأقليدية، وثانياً، من رواد فكرة البعد الرابع، أمثال تشارلز هوارد هنتون (Charles Howard Hinton) (1853-1907).

ولمنطق «الثالث الممكن» البوذي هذا تعبيرات شتى، كما يشهد على ذلك، سلفاً، نصٌّ منسوب إلى الماهايانا القديمة، وهو **السدهرمابوندريكا** (*Saddharmapuṇḍarīka*) (سوترا اللوتس)، حيث نجد أن البوذا، بوصفه كائناً أزلياً، لا يعرف للصحو سبيلاً. وبالفعل، البوذا لم يكن دائم الصحو فحسب؛ بل إنه لا يوجد شيء خليق بأن يصحو **من أجله** [أيضاً]؛ ذلك أن النرفانا لا تعلق لها بالجوهر أو المادة. وتذهب مدرسة اليوغاكارا (Yogācāra) إلى أن الكائن المتعالي، الذي هو البوذا، يستطيع، من أجل خلاص البشر، أن يتعدد بلا نهاية، سواء في فترات مختلفة، أم في الفترة نفسها. وعلاوةً على «الجسد المطلق» (*dharmakāyā*) الذي يتمتع به، تنسب الماهايانا إلى البوذا جسداً ثانياً تسميه «الجسد الأثيري» (*saṃbhogakayā*: حرفياً «جسد المسرة»)، وهو الجسد الذي «ينعم» فيه البوذا بمزاياه الدينية التي

يستحقها في الفردوس المسمى الأرض الخالصة، وتنسب إليه، ثالثاً، وأخيراً، جسداً تطلق عليه «الجسد السحري» (*nirmāṇakāya*)، وهو الجسد الذي يتقمّصه البوذا من أجل إغاثة الناس.

وستحظى هذه المفارقات، التي نلفيها حاضرة، سلفاً، في نصوص ما قبل الماهايانا، كما في نصوص الماهايانا القديمة، بالتأييد والاعتراف النهائي بفضل الأعمال التي أنجزتها شخصية تضاهي سيرتها الأساطير، ويتعلق الأمر بناغارجونا (Nāgārjuna) (نحو 150 ح.ع)، صاحب «مذهب الوسط»، أو المادهيامكا (Mādhyāmika). يلجأ ناغارجونا، في البداية، إلى ضرب من الشكّ الإيجابي في حق جميع الآراء الفلسفية التقليدية (*drṣṭi*)، متوسّلاً إلى ذلك ببرهان الخلف (*prasaṅga*). فعلى هذا النحو يفنّد دعوى المذهب الماهوي [أو الجوهراني] ذي الأصول البرهمية، مؤكداً أن الأشياء لا تنطوي على أية ماهية ذاتية خاصّة، ومن ثمّ، إن الموجود **شونيا** [فارغ أو خاو] (*śūnya*). ويلزم عن هذه الحقيقة القصوى، التي تنافي الحقيقة الظاهرة والمنطقية التي اعتدناها، [يلزم عنها]، أيضاً، التماثل بين النرفانا والسمسارا في **الشونياتا** أو الفراغ (*śūnyatā*)، وبين الوجود الظاهر المكبل بأغلال الدورات الكارمية وعملية توقف هذه الدورات.

ونحو (450 ح.ع)، حدث انشقاق في صفوف مدرسة المادهيامكا، فانقسمت إلى طائفتين: طائفة اكتفت بتعاليم ناغارجونا السلبية، وهم الشكاك أو البراسنغيكا (Prasaṅgika)، وطائفة أخذت بتعاليمه الإيجابية، وهم السفتنتريكا (Svatantrikas). وقد دخل مذهب المادهيامكا البوذي إلى بلاد الصين واليابان قبل أن يختفي من هناك في القرن العاشر؛ لكنه، مع ذلك، ساهم بنصيب وافر في ظهور مذهب التشان (Ch'an) البوذي (الزن Zen الياباني).

أما المدرسة الماهايانية الكبيرة الأخرى، اليوغاكارا (Yogācāra)، فقد تمخّضت عنها نصوص وسيطة، مثل نص **اللنكافتارا سوترا** (*Laṅkāvatāra Sūtra*)، وغيره من

النصوص التي تذهب إلى أن العالم محض إنشاء ذهني، ومن ثمّ، لا يمكن أن ينطوي على أية «حقيقة»، وإن كانت متوهمة. وقد أسند إلى المسمى مايتريا (Maitreya)، سواء أكان شخصية تاريخية بالفعل، أم محض شخصية أسطورية (لأن مايتريا هو اسم البوذا الإسخاتولوجي [الأخروي] الذي سيظهر في المستقبل)، أسند إليه دور جوهري في ظهور اليوغاكارا. غير أن الفضل في نشر هذا المذهب يرجع إلى الأخوين أسنغا (Asaṅga) وفاسوبندهو (Vasubandhu)، اللذين طوّرا فكرة **السترا ماترا** (*citra matra*) («الكل فكر»)، ومنحاها أساساً سيكوكونياً (psychocosmique) موسعاً في دائرة الآليفجنانا (ālyayavijñāna)، التي تعني حرفياً «الوعي الأثيري»، وهي عبارة عن وعاء يحتضن الخبرات المتراكمة على شكل رواسب أو أدران كارمية، خبرات تحدّد مآل كينونات الإنسان المتعاقبة. وفي الغرب، كانت هذه النظرية هي السائدة منذ بداية ظهور المذهب الغنوصي أو العرفاني (↔)، وهو مذهب أفلاطوني متطرّف. وقد تبنّى هذه النظرية معظم ممثلي الأفلاطونية المحدثة بعد أفلوطين (Plotin). وفي الشرق، كما في الغرب، صارت المشكلة تتمثل في كيفية «حرق» تلك الرواسب، أو الأدران، التي تشدّنا إلى الكوسموس، أو العالم، من دون ترك أي أثر لها.

6.9- **البوذية التنترية**: استطاعت البوذية التنترية، التي تتضمن مؤثرات هندوسية وتكتسي طابعاً شعبياً، أن تتغلب، بالتدريج، على الماهايانا (القرن الثامن)، وأن تحلّ محلها في نهاية المطاف. والعديد من المدارس المنتسبة إلى البوذية التنترية الهندية هي معروفة لنا، وأهمها الفجريانا (Vajrayāna)، أو «مركبة الألماس»، التي ينطوي اسمها، سلفاً، على رمزية جنسية (فجرا vajra = القضيب) تهيمن على البنية الدالة للتنترية، وعلى «لغتها السرية»، على عدة مستويات. فالمفاهيم التنترية تتميز بهذه السمة التي يختص بها الثعبان الأسطوري الذي يعضّ ذنبه، وهي استحالة بعضها إلى بعض بلا نهاية، على نحو يجعل كل فعل جنسي منفتحاً باستمرار على القراءة المزدوجة. فعلى سبيل المثال، نجد أن لفظ **بوذهيسيتا** (*bodhicitta*)، «فكر الصحو»، أو روح الصحو، هو الاسم السري لماء الرجل على المستوى الجنسي، وكذلك لفظ

«المرأة-الغنوص» (Femme-Gnose) (*Prajñā*)، فإنه يدلّ، في الوقت نفسه، على شريكة الرجل، الملموسة أو المتخيلة، في عملية الجنس الطقسي، وعلى المجرى المركزي للطاقات العصبية النخاعية. وعلى هذا النحو، يحتمل كل فعل جنسي تنتري تفسيرين؛ تفسير أوّل مرجعه طقس سري ينتهي، عموماً، بالجماع الذي يكون هدفه بلوغ حال الصحو، وتفسير ثانٍ مرجعه ميتافيزيقي.

7.9- **البوذية في جنوب شرق آسيا**: إن البوذية، التي انتشرت في جنوب شرق آسيا، وفي إندونيسيا (قبل أن يدحرها الإسلام)، هي بوذية التيرافادا، فرع مدرسة الستافيرفادا، التي اضطلعت بنشر مذاهبها بعثات الإمبراطور أشوكا. إلا أن بوذية بلاد الهند الصينية ظلت تكتسي طابعاً اصطفائياً إلى غاية القرن الخامس عشر (ح.ع)، حين عمدت حكومات تلك البلاد إلى تبنّي الأرثوذكسية التيرافادية القادمة من سريلانكا (سيلان). وقد تمتعت البوذية السنهالية بكامل مجدها في القرن الحادي عشر (ح.ع). ومن اللافت للانتباه أنه في كلٍّ من بورما وتايلاند ولاوس وكمبوديا وفيتنام لا ينظر إلى البوذا بوصفه داعيةً إلى الزهد في العالم؛ بل ينظر إليه بوصفه **كاكرافرتن** (*cakravartin*)؛ أي ذلك الذي يدير عجلة الدارما، الملك أو السلطان، ومن هنا علاقة التعايش، أو الوئام، بين البوذية والسلطة السياسية. وقد أسفرت هذه العلاقة عن إنشاء معالم تذكارية ملهمة هي، في الوقت نفسه، بمقام موسوعات وتأملات منقوشة على الحجارة، معالم تلخص المذهب والطريق المُسارِّي المؤدي إلى الصحو.

وفي مواجهة الاستعمار الغربي، ستسعف البوذية شعوب الهند الصينية بمعنى أو أساس ثابت لهويتهم الخاصة، لكنها، في الوقت نفسه، ستقيم العقبات في طريق التحديث الحتمي لبلدانهم. وسيتفاقم هذا المسار البطيء لتدهور البوذية في أعقاب الثورات الشيوعية، التي زعزعت بعض تلك البلدان. ومن ثمّ، يمكننا القول: إن البوذية في جنوب شرق آسيا تجتاز، في وقتنا الحالي، مرحلة حرجة.

8.9- **البوذية الصينية**: هناك ما يدلّ على وجود البوذية، منذ نحو (130 ح.ع)، في

تشانغان (Chang-an)، عاصمة إمبراطوية هان (Han) (206 ق.ح.ع- 220 ح.ع)، التي هيمنت عليها كونفوشيوسية (↔) صارمة ومدرسية. في البداية، كان يُنظر إلى البوذية بوصفها فرقة طاوية غريبة، ولاسيّما أن أولى الترجمات الصينية الصحيحة للنصوص الهندية لم تظهر إلا في أواخر القرن الثالث (ح.ع)، ويُضاف إلى ذلك أن هذه الترجمات كانت تعتمد على الألفاظ الطاوية المقابلة لمفاهيم الدين الجديد.

وفي أعقاب غزو الهون (Huns) للشمال، حافظت البوذية على بقائها في جنوب البلاد، الذي يُؤْوي القليل من السكان، حيث احتضنها الأرستقراطيون والمثقفون أمثال هويوان (Hui-yüan) (334-416) مؤسس الأميدية (عبادة البوذا أميتابها Amitābha)، أو مدرسة الأرض الخالصة. وفي القرن السادس، اعتنق الإمبراطور يو ليانغ (Wu Liang) دين البوذية، الذي ناصره على حساب الطاوية (↔). لكن، قبل هذا العهد، كانت البوذية الشعبية، ثم الأميدية فيما بعد، قد عادتا إلى شمال البلاد، على الرغم من المقاومة الشرسة التي أبدتها الكونفوشيوسية (↔) في وجهيهما. وفي هذا الشمال، سيستقر المترجم الكبير كوماراجيفا (Kumārajīva) في القرن الخامس.

وتحت حكم أسرتي سوي (Sui) وتانغ (T'ang)، في ظلّ الصين الموحدة، لقيت البوذية نجاحاً واسعاً لدى شرائح المجتمع كافةً. وقد ضمنت انتشارها وتغلغلها في الناس بفضل مدرسة التشان (Ch'an) (الزن Zen باليابانية؛ من السنسكريتية **دهيانا** *dhyāna*، التي تعني «التأمّل»)، التي تقول بالبوذا المحايث، كما تعلم التقنيات الخاصة بالتأمل من أجل تحقيق الصحو المباشر. وينتسب التشان إلى البوذيدارما (bodhidharma)، الذي يفترض أنه البطريرك أو الأب الثامن والعشرون للبوذية الهندية بدايةً من البوذا نفسه.

وهناك مدرسة أخرى كان لها تأثير كبير، وهي التيانتاي (T'ien-t'ai) (باليابانية تنداي Tendai)، التي قامت في الجبل، الذي يحمل الاسم نفسه، في إقليم تشيكيانغ (Chekiang) على يد تشي يي (Chih-i) (531-97).

لكن هذا النجاح الفائق، الذي أحرزته البوذية، سيثير، للأسف، غيرة البلاط، وسيسفر عن ألوان من الاضطهاد الوحشي (من 842 إلى 845)؛ فقد نُبذ الدين، وهُدمت المعابد، كما أُجبر الرهبان على التحول إلى عوام لائكيين. وكان ذلك مؤشراً على أفول نجم البوذية الصينية التي تراجعت أمام الكونفوشيوسية (↔)، التي أصبحت مذهب الدولة الرسمي (القرن الرابع عشر).

وقد بيّن خبراء مرموقون في البوذية الصينية، مثل أنتوني س. يو (Anthony C. Yu)، في مناسبات عديدة، أن طائفة من علماء الصينولوجيا[82] تميل، تحت تأثير إيديولوجيا الأنوار، إلى التجاهل الدائم للمساهمة الجوهرية للبوذية في الثقافة الصينية. وهناك مؤشر يدلنا على حيوية البوذية، ولو في الفترة التي أعقبت الاضطهاد وضياع القوة والنفوذ أمام زحف الكونفوشيوسية (↔)، ويتمثل في رواية **سي يو شي** [رحلة إلى بلاد الغرب] (*Hsi-yu chi*) المنسوبة، في الأغلب، إلى الموظف الحكومي يو تشنغن (Wu Ch' eng-en) (القرن السادس عشر). وكما أن بول مو (Paul Mus) يسعفنا بتاريخ البوذية في آسيا الجنوبية انطلاقاً من وصف معبد بوروبودور (Borobudur) في جزيرة جاوة (Java) الإندونيسية، كذلك أنتوني س. يو، في ترجمته البارعة لنص رواية (**رحلة إلى بلاد الغرب**) بالكامل، يقدم لنا، في العمق، تاريخ البوذية الصينية برمّته، مشفوعاً ببيان أصولها الهندية والمثقفة، وتغلغلها المدهش في الأوساط الشعبية أيضاً. وتحكي الرواية عن مآثر الراهب شوانتسانغ (Hsüan-tsang) الذي سافر إلى بلاد الهند، عام (627)، من أجل جلب مصنفات البوذية الأصلية. لكن شوانتسانغ، الذي غالباً ما تطوله سخرية الكاتب الرقيقة، ليس هو البطل الحقيقي للرواية. فالذي يجذب انتباه القارئ، في الحقيقة، هو القرد، السلف شبه الإلهي الذي يملك جميع القدرات السحرية العظمى؛ إنه شخصية جليلة بقدر ما هو مضحك، ويجسد مظهرين متعارضين لماضٍ أسطوري: القوة الروحية ونوع من البساطة الهزلية.

82- تعريب (sinologie) أي «علم الصينيات». (م)

9.9- **البوذية في كوريا واليابان.** زحفت البوذية من الصين إلى كوريا منذ القرن الرابع (ح.ع)، وشُيّد أول دير بوذي في هذه البلد، الذي أطلق عليه اسم «مملكة النسّاك»، في عام (376). وفيما بعد، ستبذل البوذية الكورية وسعها من أجل مسايرة ومواءمة جميع تطورات البوذية الصينية. وعلى غرار ما حدث في الصين، أحرزت الكنائس البوذية، إلى غاية القرن العاشر، نجاحاً لا حدود له، لكنه نجاح يوازيه تقهقر على صعيد رسالتها الروحية. وسيعبر ممثلو بوذية الشون (Shon) (التشان Ch'an، الزن Zen الياباني) عن تبرّمهم واستيائهم من نزعة تلك الكنائس المدرسية الصارمة، وذلك بتشكيل جماعة مستقلة. لكن هذا الانشقاق القومي لم يعقبه أفول لدين البوذية كما وقع في الصين بعد القرن التاسع؛ ذلك أن الكونفوشيوسية لن تصبح مذهب الدولة الرسمي إلا في زمن لاحق، مع أسرة يي (Yi) (1392-1910). فلم تنبذ البوذية، لكنها ستجبر على الامتثال لتشريعات صارمة (من 1400 إلى 1450)، وستصبح منقسمة، رسمياً، إلى كنيستين: كنيسة الشون التأملية وكنيسة الكيو (Kyo) المذهبية. وفي العصر الحديث، ستعيش البوذية الكورية في وئام وانسجام مع البوذية اليابانية.

وفي وقتنا الحاضر، تتفوق البوذية اليابانية على مثيلاتها، بلا شك، من حيث الإبداع أو الإنتاج الفكري. وقد جلبت البوذية إلى اليابان من كوريا، خلال النصف الثاني من القرن السادس، دون أن تحقق، في بداية الأمر، أي نجاح يذكر. وسيدشن إقدام الإمبراطورة سويكو (Suiko) (592-628) -التي تحولت إلى راهبة، مع ابن أخيها الأمير الوصي شوطوكو (Shotoku) (573-621)- على اعتناق البوذية، عهداً من عهود ازدهار هذا الدين، الذي حافظ على بقائه في العاصمة نارا (Nara) المشيدة عام (710) (وهو العهد المسمى «عهد الفرق الست»). وفيما بعد، عندما نقلت العاصمة إلى هييآن (Heian) (كيوطو، 794-868)، ستخضع البوذية للمراقبة الصارمة من طرف الدولة. وقد حقّقت انتشاراً واسعاً في الأوساط الشعبية إبان فترة حكم الشوغونات الكاماكوريين (shogunats des Kamakura) (1185-

1333)، وذاع معها صيت الأميدية، أو مذهب الأرض الخالصة (جودو Jodo)، والفردوس الغربي للبوذا أميتابها، الذي يشير اسمه (**نمبوتسو** ***nembutsu***) إلى أحد الأذكار التأملية البسيطة والفعالة. وقد كان الشوغونات التوكوغاويون (shoguns Tokugava) (1600-1868)، الذين نقلوا عاصمتهم إلى إيدو (Edo) (طوكيو)، من أتباع مذهب جودو (Jodo)، الذي ناصروه وآثروه على غيره. لكن المراسم التوكوغاوية (1610-1615) ستلحق البوذية بالشنتوية (↔) الرسمية، واضعةً إياها تحت المراقبة الصارمة للحكومة.

وفي عهد الميجي (Meiji) (1868-1912) سينتهي التعايش السلمي بين البوذية والشنتوية، على نحو مباغت وفظ، بإعلان عدم شرعية البوذية، وقيام حركة **هايبوتسو كيشاكو** (*haibutsu kishaku*)، ومعناها بالحرف: «اقتلوا البوذيين، واهجروا الكتب». وتمت الاستجابة للنداء؛ فقد لقي العديد من رجال الدين حتفهم، أو تحولوا إلى عوام لائكيين، كما أن العديد من المقامات المقدسة دُمرت، أو حُولت إلى معابد شنتوية.

والحال أنه إذا كنا قد تحدثنا، قبل قليل، عن الإبداع الفكري، الذي تمتاز به البوذية اليابانية المعاصرة، فإن هذا الإبداع ليس ثمرة تنظيم متقدم يماثل تنظيم الجمعيات الدينية التطوعية في الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال. فإن العديد من الإصلاحات، المنجزة منذ (1945)، علاوةً على عملية التحديث الجذري التي شهدها البلد، أدّت دوراً كبيراً في حرمان الكنائس البوذية من مواردها الاقتصادية التقليدية.

وإذا صح أن تناسل المذاهب البوذية في اليابان يماشي تطور البوذية الصينية عموماً، فإنه، مع ذلك، لا يخلو من طابع الأصالة. وكما سنرى، بعض التطابقات المدهشة الملحوظة بين نسق العقيدة المسيحية وبين نسق المذاهب البوذية تقود إلى طرح مشكلات مشتركة، مشكلات تتم معالجتها أحياناً بالطريقة نفسها من قبل مصلحي الديانتين.

ومن جملة الفرق الست القديمة، هناك فرق انخرطت في مناقشات مذهبية مماثلة لتلك التي أسفرت عن ميلاد مدارس البوذية الهندية. فطوائف مثل جوجيتشو (Jojitsu) والكوشا (Kusha) والريتشو (Ritsu) تنتسب إلى الهينايانا؛ بينما تنتمي كل من السانرونشو (Sanron) والهوسوشو (Hosso) والكيغونشو (Kegon) إلى بوذية الماهايانا.

وأمّا التنداي Tendai (التيانتاي T'ien-t'ai بالصينية، نسبة إلى الجبل الحامل الاسم نفسه) الذي جلبه إلى اليابان الراهب سايتشو (Saicho) (767-822)، فقد حظي برعاية بلاط هييآن (Heian) الإمبراطوري. ويتمثل النص المرجعي لهذه المدرسة في كتاب **السدهرمابوندريكا** (*Saddharmapuṇḍarīka*) كما ترجمه كوماراجيفا (Kumārajīva) (406 ح.ع)؛ أما دعواه، فمفادها أن جميع الكائنات تملك طبيعة البوذا، وتشاطره **دارماكاياه** (*dharmakāyā*)، أو «جسده المطلق».

وأمّا الشنغون (Shingon) (تشن ين Chen-yen باللغة الصينية، ومانترا mantra بالسنسكريتية)، فهو أحد أشكال التنترية المعروفة بتنترية «اليد اليمنى»؛ أي التنترية غير الجنسية. وقد وضع أصوله المذهبية الراهب كوكاي (Kukai) (774-835) الذي سافر إلى الصين (804-806)، وأخذ عن أحد المعلمين الهنود من كشمير. وتحتل الإيقونوغرافيا الشنغونية مكانةً متميزةً في الفن الديني الياباني.

وهناك مدرسة ثالثة، وهي الأميدية، أو جودو شو (Jōdō shū)، التي أسسها الراهب هونن (Honen) (أو جنكو Genku: 1133-1212).

وأخيراً، إن الزن (Zen) (التشان Ch'an باللغة الصينية، من **ديانا** *dhyāna* السنسكريتية)، الذي سبق أن تمخّض في الصين عن عدة مدارس، قد وصل إلى اليابان في صورتين؛ زن الرنزاي (Rinzai Zen)، الذي سيعتنقه العديد من المحاربين الساموراي (samouraïs)؛ وقد جلبه الراهب إيساي (Eisai) (1141-1215)؛ ثم زن السوتو (Sōtō Zen)، الشعبي والأمعن في التأمّل؛ وقد جلبه الراهب دوغن

(Dōgen) (1200-1253). أمّا الأصول الاجتماعية لمريدي المدرستين، فتلخصها العبارة الآتية: **رنزاي شوغون، سوتو دومين**، (*Rinzai shugon, Sōtō domin*)، ومعناها: الرنزاي للنبلاء، والسوتو للمساكين.

لقد تبنّت هذه الفرق الأربع الكبرى في البوذية اليابانية مواقف متباينة حيال مشكلة النعمة (grâce) نفسها، التي أسفرت، في الغرب، عن النزاع المعروف بين بيلاجيوس وأوغسطين، وأدت، لاحقاً، إلى تصادم البروتستانتيين والكاثوليكيين. فالتنداي والجودو هما أكثر ميلاً إلى النزعة السكينية من الزن والشوغون. فالتنداي تؤكد أن الصحو كامن فينا منذ الولادة؛ ومن ثمّ، ما علينا إلا أن نجدد العهد به. أما الجودو شو، فتعلن، مثلما فعل أوغسطين في مجادلته بيلاجيوس، أن لا أحد يستطيع أن يبلغ حال الصحو بمجهوداته الخاصة (*jiriki*)، وأن كل خلاص إنما يتم بفضل نعمة البوذا (*tariki*). وفي مواجهة المشكلة نفسها، عثر شينران (Shinran) (1173-1262)، تلميذ هونن (Hōnen) ومؤسس مذهب الجودو شينشو (Jōdo Shinshu) أو مدرسة الأرض الخالصة الحقيقية، على حلٍّ كان يمكن وصفه باللوثري، لو لم تكن تعوزه عبارة أساسية وردت في تأملات مارتن لوثر النظرية حول أوغسطين: إنها عبارة القضاء والقدر. فبما أن الخلاص، عند شينران، ذو طبيعة ديمقراطية، فإننا نستطيع أن نجد وجوه شبه بينه وبين بعض دعاة مذهب تجديدية العماد؛ ذلك أن شينران يؤكد أن البشر كافةً مخلصون **سلفاً**، وأن المرء ليس مضطراً، من ثمّ، إلى اتّباع سبيل الزهد، وأنه يجوز له الزواج.

وبخلاف ذلك، يؤكد مذهب الشنغون مبدأ **السوكوشين جوبوتسو** (*sokushin jobutsu*) القائل: إنه يمكن للمرء أن **يصير** بوذا في الحاضر الآني بفضل مزاولة بعض الطقوس التنترية.

وعلى النحو نفسه، يرى مذهب الزن (Zen) أنه يمكن للمرء أن يبلغ حال الصحو بمجهوداته الذاتية الخاصة، لكن بينما يعتمد الرنزاي (Rinzai) على

تقنيات بسيطة ذات فعالية آنية مثل **الكوان** (*Koan*)، التي هي عبارة عن أقوال، أو ألغاز، تنطوي على مفارقات، وتصحبها، في الأغلب، أفعال غير متوقعة، لا يحفل السوتو (Sōtō) إلا بقاعدة واحدة، وهي قاعدة **الزازن** (*zazen*)، أو التأمّل الجالس.

وقد شهدت اليابان ميلاد مدرسة بوذية قومية ممثلة في الجماعة التي أسسها الراهب نيشيرن (Nichiren) (1222-1282)، وكان فيما مضى من مريدي مدرسة التنداي (Tendai) التي سرعان ما انقلب عليها؛ لأن أفقها بدا له أضيق من أن يماشي رغبته في الإصلاح. وعرف نيشيرن هذا بعناده وتصلبه العجيب والخارج عن المألوف، كما يتجلى ذلك في هجومه الشرس على بوذية عصره؛ ويُضاف إلى هذا أنه ادعى الحقّ الروحي المباشر في إطلاق انتقاداته؛ ذلك أنه مؤمن بأنه بوذيستفا (Bodhisattva)؛ بل مؤمن بأنه يجمع في شخصه بوذيستفات عديدين في الوقت نفسه. ومع أنه تعرّض مراراً للإبعاد والنفي، وحُكم عليه بالإعدام قبل أن يستفيد من العفو، إلا أنه لم يتخلَّ أبداً عن حروبه التي شنّها على الرهبان، وعلى الحكومة، وعلى الزمن الرديء والفاسد الذي وُلِد فيه. وأمّا الرسائل التي بعث بها، وهو قاب قوسين أو أدنى من الموت، فقد كانت غامضة ومربكة بالقدر الكافي الذي يضمن لصاحبها شهرة شعبية واسعة؛ فمن ذلك قوله في كتاب **الكايموكوشو** (*Kaimokusho*) [«الصحو على الحقيقة» L'Éveil à la verité، 1272]: «أنا، نيشيرن، ضربت رقبتي بين ساعة الفأر وساعة الثور، في اليوم الثاني عشر من الشهر التاسع من العام الماضي، فمات من حينها الغبي الذي كان يسكنني. وقد جئت إلى سادو Sado كروح، وفي الشهر الثاني من العام الثاني، أكتب هذا الكتاب لأرسله إلى تلامذتي. وحيث إن كاتبه روح، فإنكم قد تشعرون بالفزع».

وفي وقتنا الحاضر، تنقسم البوذية اليابانية إلى عدد من المدارس يتجاوز عدد جميع المنظمات الدينية في بلاد اليابان: (162) مدرسة عام (1970).

10.9- **البوذية التبتية**: قامت البوذية الرهبانية الهندية، أو بوذية الأديرة المنذورة لسلوك الرهبنة (*vinaya*)، على طريقة المدرسة المولاسرفاستفادية (Mūlasarvāstivāda)، قامت هذه البوذية في بلاد التبت نحو أواخر القرن الثامن (ح.ع)؛ لكن التأثيرات -الصينية على الخصوص، وكذلك التنترية الهندية- التي خضعت لها، كانت بادية منذ منتصف القرن التاسع. وفي القرن الحادي عشر، عرفت البوذية التبتية نهضةً تجلت في العودة إلى المصادر الهندية؛ فقد استقدم الراهب أتيشا (Atiśa) -المعلم (لاما lama) بلا منازع- إلى بلاد التبت (1042-1054)، حيث سيكون أحد تلامذته هو مؤسس رهبنة الكادامبا (Bkagdam-pa)؛ كما أن ماربا (Marpa) الترجمان (1012-1096) سافر إلى الهند ليجلب إلى التبت صيغةً من التنترية الزهدية تلقاها من معلمه ناروبا (Naropa) (956-1040) قبل أن ينقلها، بدوره، إلى ميلاريبا (Milarepa) الشهير، معلم كامبوبا (Sgam-po-pa)، الذي هو مؤسّس رهبنة الكاغيوبا (Bka-brgyud-pa). وعند تأسيسه رهبنة الكارما- با (Karma-pa) («القلانس السود»)، وضع أحد مريدي الكامبوبا، مستنداً إلى معطيات باطنية خفية، قائمة بأسماء كبار اللامات أو المعلمين الذين سيخلفونه. وستنسج رهبنات أخرى على منواله، ولا سيّما رهبنة الغيلوكسبا (Dge-lugs-pa)، أو «القلانس الصُّفر» (القرن الرابع عشر)، التي حصل رئيسها، المسمى دالاي لاما (Dalaï Lama)، في القرن السابع عشر، على حق ممارسة السلطة المدنية في التبت، في حين عادت السلطة الروحية إلى دالاي لاما آخر من أكابر الغيلوكسبا، وكان يقيم في دير تاشيلومبو (Tashilumpo).

إن الوقوف على أوجه الاختلاف المذهبي بين هذه الرهبنات «الأرثوذكسية»، وبين فروعها وتشعباتها العديدة، من شأنه أن يجور بنا عن المقاصد التي نروم تحقيقها في هذا الكتاب. وإلى جانب هذه الرهبنات، نلفي رهبنة أخرى ينضوي تحتها أتباع الدين السابق على مجيء البوذية (↔)، وهو المعروف بالبون (Bon-po)، كما نلفي طائفة الرنينمابا أو البوذيين القدماء (Rñin-ma-pa)، الذين يُفترض أن بادماسمبهافا

(Padmasambhava) (القرن الثامن) هو معلمهم الأول، والذين تتميز ممارساتهم ومذاهبهم بكونها، في معظم الأحوال، سابقة على نهضة القرن الحادي عشر.

وينتظم البون (Bon-po)، بجلاء، في صف المبتدعة المنبوذين من جوقة الرهبنات البوذية، التي تهيمن عليها رهبنة القلانس الصُّفر. وإذا كانوا يتطلعون إلى الانضمام إلى الجوقة التي ذكرنا، فلأن مذاهبهم تشكلت بصورة جدلية عند أول عهد للتبت بدين البوذية. ويتمسك البون بحجة الأقدمية، وبموطنهم الأصلي المقدس القابع في غيابة البلاد الأسطورية الغربية المسماة شمبالا (Shambhala) (تازيغ Tazig)، كما يؤمنون بوجود البوذا الحقيقي، الذي ليس هو الشاكياموني (Śākyamuni) الأفاك. وقد أثرت ممارساتهم الشامانية والسحرية تأثيراً كبيراً في طائفة القدماء (الرنينمابا أو القلانس الحمر، إحدى الرهبنتين اللتين اتخذتا هذا اللون شعاراً لها)، الأمر الذي حمل رهبنة القلانس الصُّفر الإصلاحية التي أسسها تسونغكابا (Tsong-ka pa) (1357-1419)، على اتهامهم بالتساهل المفرط، وتكريس الشعوذة.

وبسبب هذا الاعتراض على القلانس الحمر، الذي يؤرخ لميلاد أقوى رهبنة في حظيرة البوذية اللامية السائدة في التبت، لا نستغرب إذا وجدنا أن الرهبان الصُّفر غير مستعدين للاعتراف بأصالة مذاهب الرهبان الحمر، في حين نجد رهبنات أخرى أكثر تسامحاً تجاههم. ثم إن الأمر يزداد تعقيداً بسبب دأب رهبنتي القدماء البون، معاً، على إعلان وجود «كنوز مدفونة» (**تيرما** *gter-ma*)، وهي عبارة عن كتابات منحولة ينسبونها إلى بادماسمبهافا (Padmasambhava) نفسه، أو إلى غيره من المعلمين الأجلاء، ويقولون إنهم «عثروا» عليها في أماكن خفيّة، أو بكل بساطة في الأغوار السحيقة لروح شخص ما. وعلى هذا، فتصنيف مدارس البوذية التبتية يمكن أن يتردّد بين الحدين الأقصيين اللذين يمثلهما الرهبان الصفر والرهبان الحمر.

وقد تحولت البوذية اللامية إلى دين الدولة الرسمي في بلد آخر هو منغوليا، التي انتشر فيها الدين على مرحلتين: القرن الثالث عشر والقرن السادس عشر.

11.9- بيبليوغرافيا:

فيما يتعلق بالبوذية بصورة عامة، انظر:

- Eliade, H 2/147-54; 185-90; F. E. Reynolds et Ch. Hallisey, *Buddhism*: *An Overview*, in ER II, 334-51; F. E. Reynolds, *Guide to the Buddhist Religion*, Boston 1981; Edward Conze, *Buddhism. Its Essence and Developement*, New York 1959.

وفيما يتعلق بالبوذا، انظر:

- F. E. Reynolds et Ch. Hallisey, *Buddha*, in ER II, 319-32; André Bareau, *Recherches sur la biographie du Bouddha dans les Sutrapitaka et les Vinayapitaka anciens*, 2 vol., Paris 1963-1971.

وفيما يتصل بتاريخ البوذية الهندية، انظر:

- L. O. Gómez, *Buddhism in India*, in ER II, 351-385; Étienne Lamotte, *Histoire du Bouddhisme indien des origines à l'ère Śaka*, Louvain 1958; A. K. Wander, *Indian Buddhism*, Delhi-Patna-Varanasi 1970; John S. Strong, *The Legend of King Aśoka. A Study and Translation of the Asokavadana*, Princeton 1983.

وفيما يتصل بفرق الهينايانا، انظر:

- A. Bareau, *Buddhism, Schools of: Hīnayāna Buddhism*, in ER II, 444-57; André Bareau, *les Sectes Bouddhiques du Petit Véhicule*, Saigon 1955; du même, *les Premiers Conciles Bouddhiques*, Paris 1955; Nalinaksha Dutt, *Buddhist Sect in India*, Calcutta 1970.

وفيما يتعلق ببوذية الماهايانا، انظر:

- Nakamura Hajime, *Buddhism, Schools of: Mahāyāna Buddhism*, in ER II, 457-72.

وفيما يخص البوذية التنترية، انظر:

- A. Wayman, *Buddhism, Schools of: Esoteric Buddhism*, in ER II, 472-82.

وفيما يتعلق بالبوذية في جنوب شرق آسيا، انظر:

- D. K. Swearer, *Buddhism*, in SE Asia, in ER II, 385-400.

وفيما يتعلق بالمفاهيم الأساسية المعتمدة في البوذية السنهالية، انظر:

- Nyantiloka, *Buddhist Dictionary. Manual of Buddhist Terms and Doctrines* (1952), Colombo 1972.

وفيما يخص التعايش أو الوئام الحاصل بين البوذية والسلطة الملكية في تايلاند، انظر:

- S. J. Tambiah, *World Conqueror and World Renouncer. A Study of Buddhism and Polity in Thailand against a Historical Background*, Cambridge 1976.

وفيما يتصل بالبوذية الصينية، انظر:

- E. Zürcher, *Buddhism in China*, in ER II, 414-26; S. Weinstein, *Buddhism, Schools of: Chinese Buddhism*, in ER II, 482-87; Arthur F. Wright, *Buddhism in Chinese History*, Stanford-Londres 1959; Paul Dmièville, *le Biuddhisme chinois*, Paris 1970; Kenneth K. S. Ch'en, *The Chinese Transformation of Buddhism*, Princeton 1973; W. Pachow, *Chinese Buddhism: Aspects of Interaction and Reinterpretation*, Lanham MD 1980.

أما الترجمة الكاملة لرواية (**رحلة إلى بلاد الغرب**)، فقد أنجزها أنتوني س. يو؛ انظر:

- Anthony C. Yu, *The Journey to the West*, 4 vol., Chicago 1977-1983.

وللمؤلف نفسه أيضاً، انظر:

- *Religion and Literature in China: The ''Obscure Way'' of the Journey to the West*, in Ching-i Tu (Éd.), *Tradition and Creativity: Essays on East Asian Civilization*, New Brunswick-Oxford 1987, 109-154; et *''Rest, Rest, Perturbed Spirit !'' Ghosts in Traditional Chinese Prose Fiction, in Harvard Journal of Asiatic Studies* 47 (1987), 397-434.

وفيما يتعلق بالبوذية الكورية، انظر:

- R. E. Buswell, Jr., *Buddhism in Korea*, in ER II, 421-6.

وفيها يخص البوذية في اليابان، انظر:

- Tamaru Noriyoshi, *Buddism in Japan*, in ER II, 426-35; Araki Michio, *Buddhism, Schools of: Japanese Buddhism*, in ER II, 487-93; Joseph M. Kitagawa, *Religion in Japanese History*, New York 1966; *Japanese Religion: A survey by the Agency of Cultural Affairs*, Tokyo-New York-San Francisco 1972; E. Dale Saunders, *Buddhism in Japan. With an Outline of its Origins in India*, Philadelphia 1964; *A Short History of the Twelve Japanese Buddhist Sects* (Tokyo, 1886). Translated from the Original Japanese by Bunyin Nanjio, Washington 1979.

وفيها يتعلق بالشنغون Shingon، انظر:

- Minoru Kiyota, *Shingontsu*, in ER XIII, 272-8.

وفيها يتعلق بالراهب شينران Shinran، انظر:

- A. Bloom, *Shinran*, in ER XIII, 278-80.

وفيها يتصل بالزن Zen، انظر على الخصوص:

- D. T. *Suzuki, Essais sur le Bouddhisme Zen*, traduits sous la direction de Jean Herbert, Paris 1972 (1940).

وهناك مجموع جيد يشتمل على نصوص كبار مؤسسي البوذية اليابانية، وهو:

- *Hōnen, Shinran, Nichiren et Dōgen, Le Bouddhisme japonais. Textes fondamentaux de quatre moines de Kamakura*. Préface et traduction française de G. Renondeau, Paris 1965.

أما الترجمة الإنجليزية لكتاب **(الصحو على الحقيقة)** لنيشيرن (Nichiren)، فقد أنجزها ن. ر. م. إيهارا (N. R. Ehara)، وهي هذه:

- *The Awakening to the Truth or Kaimokusho*, Tokyo 1941.

في حين أن عنوان الترجمة الفرنسية، كما ورد في مجموع رنوندو (Renondeau) المذكور، ص 190- 296، هو:

- *Le Traité qui ouvre les yeux.*

وفيما يتعلق بالراهب كوكاي (Kokai)، انظر:

- Thomas Kasulis, *Reference and Symbol in Plato's Cratylus and Kukai's Shojijissogi, in Philosophy East and West* 32 (1982), 393-405.

وفيما يخص البوذية في بلاد التبت، انظر:

- H. Guenther, *Buddhism in Tibet*, in ER II, 406-14; D. L. Snellgrove, *Buddhism, Schools of: Tibetan Buddhism*, in ER II, 493-98; Guiseppe Tucci, *The Religions of Tibet*, Berkley 1980.

وفيما يتعلق بمسألة التصنيف المذهبي، انظر:

- Matthew Kapstein, *The Puficatory Gem and its Cleansing*: *A late Tibetan polemical discussion of apocryphal texts*, in *History of Religions* 1989.

وأما فيما يتصل بالبوذية المنغولية، فانظر:

- W. Heissig, *Buddhism in Mongolia*, in ER II, 404-5.

10
ديانة التبت

1.10- شهدت الآونة الأخيرة تحوّلاً -على صعيد المنظور- في تفسير ديانة التبت القديمة، التي درج العلماء، تقليدياً، على المماثلة بينها وبين **البون** (*Bon*) (↔ 10.9). وفي الواقع، نجد أن الديانة المحلية المسماة "ديانة البشر" ("**مي-تشوس**-*mi-chos* ") سابقة الوجود على البون، وعلى مجيء البوذية، المشار إليهما بعبارة «ديانة الآلهة» (**«إيها تشوس** *lha-chos*»). إن مصادر معلوماتنا عن **مي-تشوس** (*mi-chos*) عجفاء لا تسمن ولا تغني من جوع؛ نتف من أساطير، أو طقوس، أو تقنيات كهانة، ونقوش وردود كلامية على الديانة القديمة كتبها البوذيون، وسجلات أخبار صينية تتعلق بعهد أسرة تانغ (T'ang) (610-907). لقد استوعبت كل من الديانة البوذية وديانة البون ممارسات قديمة، غير أنه من الصعب جداً فرزها وتمييزها عن البنى الجديدة التي أدمجت فيها.

2.10- تتمحور الديانة القديمة حول مؤسسة مركزية هي الملكية المقدسة. وقد كان يعتقد أن أول ملك هبط من السماء عن طريق جبل، أو بوساطة حبل أو سلم؛ وكان ملوك الأزمنة الغابرة يعودون جسدياً إلى السماء، كما يفعل الخالدون الطاويون (↔ 2.22)، من غير أن يخلفوا أجثاثهم وراءهم. لكن الملك السابع قُتل، وعند موته رسمت أولى الطقوس الجنائزية، التي استنّت تقديم العديد من القرابين الحيوانية لتكون هادية ومرشدة للميت في طريقه إلى العالم الآخر. وفي زمن الملوك الخالدين،

نقلت النماذج[83] السماوية الخاصة بالنباتات والحيوانات إلى الأرض لكي ينتفع بها البشر، غير أن البشرية مجبرة، دوماً، على الاختيار بين أحكام الآلهة و[أحكام] الشياطين القادمة من الجحيم (**كلوس** *klus*)، والمتسبّبة، سلفاً، في انحطاط العالم. وبعد أن يتعرض العالم للدمار، يبدأ دور جديد، ويكون منطلقه من الصفر. ومن المتعذّر تحديد مقدار أقدمية هذه المعتقدات؛ ويرى بعض العلماء أنها لم توجد قبل القرن السادس أو السابع، وأنها عبارة عن تسويغ لعبادة الملوك المستعارة من الصين الإمبراطورية.

3.10- على الرغم من أنه يطلق على الديانة القديمة، عادةً، اسم **بون** (*Bon*)، إن هناك اليوم إجماعاً على جعل هذه التسمية تخص، فحسب، **البون-بو** (*Bon-po*)، التي لم تتشكل بوصفها ديانة قبل القرن التاسع، إلا أن بعض مكوناتها سابقة على ظهور البوذية. ويفترض أن مؤسّس البون-بو هو شنراب ني-بو (Shenrab ni-bo)، الذي قدم من بلد غربي اسمه زهان-شونغ (Zhan-Shung)، أو تازيغ (Tazig). وتكتسي ولادته وسيرته طابع المعجزة الخارقة. وعندما دخل في النرفانا خلف شنراب وراءه ابنه، الذي واصل الدعوة إلى المذهب مدة من ثلاث سنين. وقد تم، خلال القرن الخامس عشر، إقحام النصوص المنسوبة إلى شنراب، والتي زعم أنها مترجمة عن لغة زهان-شونغ، في [مجموعتي] **الكنجور** (*Kanjur*) **والتنجور** (*Tanjur*)، على نحو يعكس بوضوح تأثرها بالديانة البوذية.

4.10- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 3/312-14; P. Kvaerne, *Tibetan Religions*: *An Overview*, in ER 14, 497-504; M. L. Walter, *History of Study*, in ER 14, 504-7.

83- ترجمة: (prototypes). (م)

11
ديانة التراقيين

1.11- **السكان**: تدل كلمة **تراكيس** (*Thrakes*)، في اللغة اليونانية، على ساكنة الشمال الشرقي من شبه جزيرة البلقان، التي كانت تضم نحو مئتي قبيلة محصورة ما بين السكوثيين [الإصقوث] (Scythes) في الشرق، والبانونيين (Pannoniens) والدلماسيين (Dalmatiens) والإيليريين (Illyriens) في الغرب، والبلطيين (Baltes) والكلتيين (Celtes) في الشمال. ومن جنوب [نهر] الدانوب يمر الخط الفاصل بين منطقتين لسانيتين وثقافيتين؛ تراقيي الجنوب وتراقيي الشمال (الغيتيون- الداقيون Géto- daces).

2.11- **المصادر**: من غير المؤكد أن يكون التراقيون قد عرفوا الكتابة؛ وإذا كانوا قد عرفوها، بالفعل، فإنه ليس في مقدورنا أن نفكّ شفرة آثارهم القليلة الواصلة إلينا. إن الكتابات النذرية الواصلة إلينا باللغة اليونانية تزودنا بنحو (160) اسماً ونعتاً تخصّ معبودات تراقيا الجنوبية. وعلاوةً على ذلك، نحن مضطرون إلى الاعتماد الكلي على الأخبار التي يسعفنا بها الكتّاب اليونان واللاتينيون من هيرودوت وأفلاطون (القرن الخامس ق.ح.ع) إلى يوردانس (Jordanès) (القرن السادس ح.ع) مؤرّخ القوط، الذي ولِد على الساحل الغربي للبحر الأسود (إقليم الغيتيين Gètes القديم)، وكان من مصلحته، من ثمّ، أن يجعل من الغيتيين الأتقياء أسلافاً للقوط.

3.11- تنقسم **الديانة**، وفقاً للخط نفسه الفاصل بين الشمال والجنوب. والسبب في ذلك هو ما يمكن أن نسميه إصلاح زلموكسيس (Zalmoxis)، الذي يطبع بعمق معتقدات ومؤسسات الشمال، غير أن الآلهة التي كان يعرفها اليونان في القرن الخامس (ق.ح.ع) (سابازيوس Sabazios، بنديس Bendis، كوتيس Cotys)، وكذلك شخوص مثل ديونيسوس وأورفيوس، اللذين كانا ينسبان إلى أصل تراقي، تنحدر [كلها]، من دون شكٍّ، من بلاد تراقيا الجنوبية.

1.3.11- يخبرنا هيرودوت بأن التراقيين كانوا يعبدون أربعة آلهة تطابق أريس (Arès)، ديونيسوس (Dionysos)، أرتميس (Artémis) وهرمس (Hermès)، وأن عبادة هذا الأخير كانت خاصة بالملوك وحدهم[84]. وقد ورد ذكر أريس-مارس (Arès-Mars) في تاريخ يوردانس، لكن اسمه ظل غير معروف. وبالمثل، إنه لم يتم تمييز الآلهة الثلاثة الأخرى بوضوح.

وقد عبدت بنديس (Bendis) في أثينا، أوائل القرن الخامس (ق.ح.ع)، بوصفها إلهة للزواج، وتمت مماثلتها بأرتميس (Artémis)، وبهيقات (Hécate) أيضاً.

أما سابازيوس (Sabazios)، فهو إله تراقي، حلّ في زمن مبكر في بلاد فريجيا (Phrygie) (آسيا الصغرى). وكان معروفاً في أثينا منذ القرن الخامس (ق.ح.ع)، حيث كانت تقام له احتفالات ليلية تتضمن عملية التطهير عن طريق التخضُّب

84- في الأصل (le culte de ces derniers)، التي تعني: «وعبادة هؤلاء الأخيرين»؛ والصواب (le culte de ce dernier)، أي «عبادة هذا الأخير»؛ لأنه بالعودة إلى كتاب هيرودوت، نجد أن «عبادة الملوك»، التي يتحدث عنها المؤرّخ، هي عبادة هرمس؛ انظر: تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، مراجعة أحمد السقاف وحمد بن صراي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001، ص 375: «أمّا آلهتهم الوحيدة، فهي أريس وديونيسوس وأرتميس، في حين أن ملوكهم يختلفون عن الناس عموماً لأنهم يعبدون هرمس، ولا يقسمون بإله سواه». (م)

بالوحل. وفي القرن الرابع، وصل سابازيوس إلى إفريقيا، حيث أصبح إلهاً سماوياً بعد أن تمّت مماثلته، من غير شكّ، بالبعل (Baal) السامي. وصار يُطلق عليه وصف **هبسيتوس** (*Hypsistos*) (الأعلى). ومن المتعذّر معرفة ما إذا كانت هناك بقية من تراقيا في أسرار سابازيوس خلال الفترة الرومانية (↔ 2.2).

وأما فيما يتعلق بكوتيس (Cotys) أو كوتيتو (Kotyto)، فنحن نعلم أنه كانت تُقام على شرفها احتفالات التهتك، التي كان الرجال يتنكرون خلالها في هيئات النساء.

يحتل المعبود السماوي الذكر [الإله] مكانة عظيمة عند تراقيي الشمال؛ بينما يحتلُّ هذه المكانة عند تراقيي الجنوب معبود أنثى [إلهة]، بما أنه يماثل هيرا (Héra).

وقد لوحظ وجود ممارستين في الشمال كما في الجنوب؛ الوشم، ودفن أو حرق أجثاث الأرامل بجانب الزوج الميت (فقد كان التراقيون يتزوجون بأكثر من امرأة). غير أن للوشم قيماً رمزيةً عديدةً؛ ففي الجنوب، نجد أن الأشراف [النبلاء] هم الذين يزاولون الوشم، في حين نجد في الشمال أن النساء والعبيد هم الذين يشمون، تذكاراً لمعاناة كابدها زلموكسيس.

وجميع التراقيين يلجؤون، إما إلى دفن الموتى، وإمّا إلى حرق أجثاثهم؛ وفي الشمال يفضلون الحرق. وكانوا يحتفلون بالموت بوصفه حدثاً سعيداً، لكن بواعث الفرح والبهجة تختلف بحسب المصادر. وفي الشمال، نجد أن إصلاح زلموكسيس يضفي عليها قدراً كبيراً من التماسك.

2.3.11- يبدو أن الخبر الذي أورده الجغرافي أسطرابون (Strabon) عن نباتية وتعفّف **التيوسيبيس** (*Theosebeis*) («عباد الآلهة»)، **الكتيتايس** (*ktistais*) («المؤسّسين») **والأبيويس** (*Abiois*) (حرفياً «الفاقدين الحياة»)، الذين لا يقتاتون إلا بالجبن واللبن والعسل، [يبدو أن هذا الخبر] يهمّ، بالتحديد، الغيتيين (Gètes) سكان إقليم مويسيا (Mésie). ومن المحتمل أن بعض التراقيين، الذين أُطلق عليهم لقب

كابنوباطاي (*capnobatais*) («الذين يمشون على الدخان») كانوا يستخدمون دخان القنب مهلوساً.

4.11- إن **ديانة تراقيي الشمال** هي، نسبياً، معروفة لنا على نحو أوضح؛ ذلك بفضل المصلح زلموكسيس الذي تم تأليهه في وقت لاحق. وفي اليونان، خلال القرن الخامس (ق.ح.ع)، قرن زلموكسيس بفيثاغورس، وبالطب النفسي-الجسماني، الذي أمعن في تثمينه أفلاطون (**خارميدس** *Charmide* 156d-57c).

1.4.11- يقوم التأويل اليوناني لزلموكسيس بتصنيف هذا الأخير في فئة العرّافين والمعالجين الأبولونيين المُشار إليهم بمصطلح «ياترومانت» (↔ 2.3.33). إن مبادئ ديانة زلموكسيس -خلود النفس، النباتية... - هي، في الواقع، قريبة من الفيثاغورية. ويبدو أن زلموكسيس كان، في البدء، نبياً وشريكاً للملك الغيتي. وتشتمل حكايته على سيناريو اختفاء وظهور يشبه، على نحو غامض، [سيناريو] الآلهة المائتة أمثال آتيس، أوزيريس، وأدونيس.

ومع ذلك، إن زلموكسيس كان، تحت اسم غبليزيس (Gebeleizis)، إلهاً سماوياً. وكان الغيتيون يبعثون إليه، كلّ أربع سنوات[85]، برسالة تحملها إليه روح محارب يطوح به الهواء حتى يقع على رؤوس ثلاثة رماح. فإذا لم يُقتل، لزمت إعادة المحاولة. ولم يكن المحاربون الغيتيون يخشون الموت، ومن المحتمل أن يكون زلموكسيس لقنهم [عقيدة] خلود نفس [روح] المحارب في فردوس لا علم لنا بأوصافه.

2.4.11- اقترنت عبادة زلموكسيس بالملكية الغيتية- الداقية وبالأرستقراطية. وأمّا كهنة زلموكسيس، الذين يزودنا المؤرّخ القوطي يوردانس (Jordanès) بلائحة أسمائهم، من نحو (80 ق.ح.ع) وإلى غاية (106 ح.ع)، فقد كانوا في الأغلب من

85- في تاريخ هيرودوت، مرجع سابق، ص 328: «كل خمس سنوات». (م)

الملوك. وأعظم هؤلاء الكهنة، وهو ديسينيوس (Décénée)، كان مستشاراً للملك الغيتي بوربستاس (Bourébiste) (نحو 80-44 ق.ح.ع). وهو الذي علم الغيتيين الكوسمولوجيا والتنجيم والفلك، علاوةً على أصول التقويم الغامض، الذي عثر عليه ضمن آثار عاصمة الملك الداقي ديسيبالوس (Décébale) (توفي 106 ح.ع) القديمة سارميزيغيتوسا ريجياً (Sarmizegetusa Regia) (حالياً غراديشتا مونتشيلولوي Gradistea Muncelului في جنوب شرق رومانيا[86]). ومن هذه الآثار، أيضاً، معبد يشتمل على حجرة سفلية واسعة توحي بأن الأمر يتعلّق بالغرفة التي آوى إليها زلموكسيس لمدة ثلاث سنين متظاهراً بالاختفاء.

3.4.11- كان المؤرّخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس (Flavius Josèphe) (القرن الأول ح.ع) يعلم، سلفاً، بشهرة بعض الداقيين بوصفهم قديسين؛ وكان يشبّههم بفرقة الأسينيين. ويدلنا اسم **بليستوي** (*pleistois*)، الذي كان ينعتهم به، على أنه من المحتمل أنهم كانوا يعتمرون قلانس، وهو الأمر الذي تعضده أقوال يوردانس، الذي يخبرنا بأن الأرستقراطيين الغيتيين كانوا يتخذون أغطيةً لرؤوسهم (**بيليوس** *pilleus*)، في حين كان عوام الشعب يمشون عراة الرؤوس. ونحن نعلم أن الكهنوت الغيتي-الداقي كان مرتبطاً، على نحو وثيق، بالأرستقراطية الحربية وبالملكية، إلى درجة أن خليفتين لديسينيوس، وهما الكاهنان كوموسيكوس (Comosicus) وكوريلوس (Coryllus) -المرجّح أنه سلف إن لم يكن والد ديسيبالوس- كانا من الملوك.

5.11- بيبليوغرافيا:

يجد القارئ بيبليوغرافيا حديثة ومناقشة للوثائق والافتراضات ذات الصلة بالموضوع في:

---

86 - لعل الأصح هو المنطقة الوسطى الغربية. (م)

- I. P. Couliano et Poghirc, *Geto-Dacian Religion*, in ER 5, 537-40, *Thracian Religion*, in ER 14, 494-7, et *Zalmoxis*, in ER 15, 551-4.

12
الأديان الثنوية

0.12- ابتدعت كلمة **ثنوية** (*dualisme*) في عام (1700)[87] للإشارة إلى المذهب الإيراني القائل بوجود روحين (18 ↔). وقد اكتشف العلماء، فيما بعد، أن الأساطير الثنوية شائعة على الصعيد الكوني، وتشهد تحوّلات لا تحصى على جميع المستويات الثقافية، وفي عدد كبير من الأديان، بدءاً من تلك التي تشكل موضوع دراسة الإثنولوجيا، أو علم الأعراق، إلى «الأديان الكبرى» مثل البوذية والمسيحية والدين اليوناني والهندوسية والإسلام واليهودية... وأبسط تعريف للثنوية هو: **تعارض المبدأين**. ويلزم عن هذا حكم قيمة (طيب/ خبيث) واستقطابية هيراركية [تراتبية]، تطول الواقع على المستويات كافةً: الكوسمولوجية، الأنثربولوجية، الأخلاقية...

وقد جرى الاعتراف تقليدياً بوجود صورتين، أو نوعين، من الثنوية الدينية: الثنوية **الجذرية**، وهي التي تقول بوجود مبدأين مشتركين في الأزلية، ومسؤولين عن

87- والحال أن معادل هذا الكلمة في اللغة العربية معروف عند قدماء المؤرخين العرب والمسلمين، وهو «الثنوية»؛ انظر على سبيل المثال لا الحصر: النديم، الفهرست، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ، ط2، 2002، ص495 وما بعدها؛ وكذا الشهرستاني، الملل والنحل، 3 أجزاء، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1968، ج1، ص49 وفي مواضع متفرّقة. (م)

خلق ما هو موجود؛ والثنوية **الملطفة**، أو الموناركية (التي لا تجادل في سلطان أو حاكمية الخالق الأسمى)؛ إذ ترى أن المبدأ الثاني متأخّر الظهور، وأنه يستمد أصله، على العموم، من خطأ وقع في النسق، أو النظام الذي أرساه المبدأ الأول.

1.12- يلاحظ أوغو بيانكي (Ugo Bianchi)، في دراسته المونوغرافية عن **الثنوية الدينية** (*Il dualismo religioso*) (1958، 1983)، أن الأساطير التي يكون بطلها عبارة عن **مكار** (*Trickster*) هي، في الأغلب، أساطير ثنوية. والمكار هذا شخص مراوغ، ينتمي إلى نوع الإنسان أو الحيوان، ويمتلك القدرة على التحوّل، وهو مزّاح ولعوب. ويوجد المكار في أساطير جميع قارات العالم، وهو غالباً ما يتنكر في صورة أحد الآلهة أو أشباه الآلهة المعروفين في الديانات الكبرى، مثل ست (Seth) في الديانة المصرية، وبروميثيوس (Prométhée) في الديانة اليونانية، أو لوكي (Loki) في الديانة الإسكندنافية. ويكون المكار، في معظم الحالات، من جنس الذكور؛ لكن، توجد كذلك أساطير أنموذجية بطلها عبارة عن مكارة أنثى. ونجد فئة بكاملها من الأساطير يتصرف فيها المكار بوصفه خالقاً ثانياً للعالم، أو لجزء من العالم، ويلعب على الخصوص دور ذلك الذي يفسد خليقة الإله الأسمى، ويزرع في العالم كلّ ألوان الشقاء التي يشكو منها اليوم: موت الإنسان، وآلام الولادة... فالأمر يتعلق، عموماً، بفصول أسطورية تنتمي إلى الثنوية الجذرية. ونحن نستشفُّ، من خلال أسطورة الخلق الواردة في الكتاب المقدس، الحضور الخفي للمكار (الحية)، الذي **يخرج من الآلة**[88] (*ex machina*) ليكشف للزوج الإنساني البدئي أمر الجنس، متسبباً في

88- العبارة (ex machina) جزء من العبارة اللاتينية (Deus ex machina)، التي تعني حرفياً «الإله الخارج من الآلة». وقد ترجمت عن الأصل اليوناني (Ἀπὸ μηχανῆς θεός)، التي تشير في المعجم المسرحي القديم إلى الآلة التي يتم بها إنزال إله أو كائن خارق إلى المشهد المسرحي في لحظة درامية حرجة. وتستخدم العبارة في الأسلوب الأدبي للدلالة على معنى الشخص، أو الحدث، غير المنتظر، الذي يأتي في الوقت المناسب ليغيّر مجرى الأمور. (م)

طردهما من الفردوس، الذي سينتج عنه الابتلاء بآلام الولادة، وسيطرة الرجل على المرأة، ولعنة الشغل، ثم الموت. وقد تمّ التمسك بالثنوية الجذرية في صورة ملطفة: إن الإله هو الذي خلق الحية. لكن ما إن نشرع في التساؤل عن طبيعة هذه الحية الماكرة والخبيثة حتى ندرك، سلفاً، أن هذه الأسطورة قابلة لعدة تحويلات تأويلية. وفي كل مكان -في الأمريكتين كما في أوراسيا، وفي إفريقيا كما في أوقيانوسيا- يمكن للمكار أن يكون ذلك «الديميورج[89] أو الصانع المراوغ» المسؤول عن عملية الخلق المضاد التي تنجم عنها في الغالب عواقب كارثية.

2.12- إلى جانب الأساطير ذات المضمون الثنوي تُوجد **أديان وتيارات ثنوية**، يتنوع موقفها حيال العالم والإنسان، بدءاً من الأنتيكوسمية أو كراهية العالم (anticosmisme) (العالم خبيث) والأنتيسوماتية أو كراهية الجسد (antisomatisme) (الجسد خبيث) إلى البروكوسمية أو حب العالم (procosmisme) (العالم طيب) والبروسوماتية أو حب الجسد (prosomatisme) (الجسد طيب). وتعدُّ الزرادشتية (← 18) ديناً ثنوياً، بروكوسمياً وبروسوماتيا؛ في حين تعد الأورفية (orphisme) تياراً دينياً ثنوياً أنتيكوسمياً وأنتيسوماتياً؛ أمّا الأفلاطونية، التي هي تيار فكري كان له تأثير ديني عظيم في جميع العصور، فهي أنتيسوماتية متشدّدة، لكنها ليست أنتيكوسمية؛ وأخيراً، لقد جرى دائماً التعامل مع طائفة من الأديان الأخرى، مثل الغنوصية والمانوية والبولسيانية (paulicianisme) والبوغوميلية ثم الكاثارية، بوصفها مجموعات مستقلّة؛ ذلك لأنها فُسرت تاريخياً بوصفها هرطقات مسيحية. وسنحلل بإيجاز سماتها المميزة في الفقرات الآتية.

3.12- **الغنوصية** ديانة ظهرت خلال أوائل العهد المسيحي في صورة تيارات عديدة مستقلة يخالف بعضها بعضاً أحياناً. ومن خصائص الغنوصية أنها تستخدم

89- تعريب (démiurge). (م)

أسطورتين تنتميان، في معظم الحالات، إلى الثنوية الملطفة: أسطورة المرأة المكارة (femme-Trickster)، وهي الإلهة السماوية صوفيا (Sophia) المسؤولة عن هذه المصيبة أو هذه المساءة، التي سينتج عنها خلق العالم؛ وأسطورة المكار الذكر سقْط [بتسكين القاف] صوفيا، الذي صنع العالم، إمّا من جوهر خسيس يسمّى «الماء» (سفر التكوين 1، 6)، وإما من فضلات، أو من أحلام منحدرة من الأعلى، من الإله الحقيقي. ويطابق ديميورج، أو صانع العالم، على العموم، إله العهد القديم. وطابعه الخبيث لا يتجلى إلا في شواهد قليلة؛ فهو جاهل ومتكبر؛ بل «معتوه» كما يظهر من سلسلة النصوص المحرّرة باللغة القبطية، والمنتمية إلى مجموعة البرديات الغنوصية التي عثر على أهمها في نجع حمادي (Nag Hammadi) في صعيد مصر في عام (1945). وفي الشواهد المنسوبة إلى غنوص فالنتينوس (Valentin) (عاش نحو 140-150)، يتوب الصانع الجاهل، ويُغفر له ذنبه المتمثل في خلق العالم.

وتكتسي الغنوصية، ضمن المشهد العام لأفكار هذا العصر، طابعاً ثورياً، بسبب معارضتها المبدأين اللذين يثبتهما كلٌّ من الكتاب المقدس والفيلسوف أفلاطون؛ مبدأ **الحكمة السارية في الموجودات**[90]، الذي يعني أن وراء خلق العالم علّة عاقلة وخيّرة، **والمبدأ الأنثروبي**، أو الإنسي، الذي يؤكد أن هذا العالم إنما خلق من أجل نوع البشر الذين يعيشون فيه، وأن هؤلاء البشر إنما خُلقوا من أجل هذا العالم. وبخلاف ذلك، تؤكد الغنوصية أنّ صانع العالم جاهل، ومن ثمّ أن العالم خبيث، وأن الإنسان أسمى

90- في الأصل: (intelligence écosystémique)؛ ونعتقد أن الترجمة الأنسب لكلمة (intelligence) في هذا الموضع هي «الحكمة»، وليس «الذكاء» بمفهومه السيكولوجي المبتذل؛ كما نعتقد أن المراد بلفظ (écosystème)، الذي اشتقت منه الصفة (écosystémique)، هو «النسق الكوني» أو «الكون بوصفه نسقاً»، وليس «النسق البيئي» كما هو مشهور؛ وإذا صحّ هذا، فإن المعنى المراد من العبارة هو كما ذكرنا. ونحن نلاحظ أن في استخدام المؤلف مثل هذه العبارات نوعاً من الكلفة. (م)

من العالم، من أجل أنه ينطوي في ذاته على شرارة، أو قبس، من الروح المنحدرة إليه من الأب القصي والطيب الذي صدرت عنه الموجودات الإلهية. وعلى ذلك، سيكون الخلاص من العالم هو غاية أماني الغنوصي.

وتستخدم الغنوصية، في الأغلب الأعم، مواد أو مضامين مستمدة من الديانة المسيحية، ومخلصها يسمى، في معظم الحالات، يسوع المسيح. وتتمثل مهمتها، أو وظيفتها، التي تصدت لها، في أنها تكشف للمريد عن وجود شرارة الروح المحبوسة في داخله، وهي الغنوص، أو العرفان الأبدي، الذي سيمكنه من الصعود إلى أصله الكوني العلوي. على العموم، ليس ليسوع المسيح جسد مادي (خريستولوجيا **دوسيتية**)، ولا يمكنه، من ثمّ، أن يتعذب عذاباً حقيقياً، وأن يموت على الصليب. وتختلف التأويلات في هذا المضمار اختلافاً كبيراً، لكن في بعض الحالات نجد أن المصلوب شخص آخر (سمعان القيرواني Simon de Cyrène)، بينما يقف المخلص الحقيقي في ظلّ الصليب ضاحكاً على معذّبيه. وهذه الضحكة الساخرة في وجه الديميورج أو الصانع وخدامه هي بلا شك سمة غريبة عن الأناجيل.

4.12- إن معظم نصوص العهد الجديد كانت موجودة سلفاً، على هذه الهيئة أو تلك، في عصر **مرقيون السينوبي** (*Marcion de Sinope*) -في منطقة البحر الأسود (Pont-Euxin)- (نحو 80-155)، وهو أعظم الهراطقة الذين أجبروا الكنيسة المسيحية على تحديد موقفها فيما يتعلق بقانون النصوص المرجعية المقدسة، وفيما يتعلق بمذهبها الخريستولوجي... وليس مرقيون هذا غنوصياً، وإنّما ناقد عقلاني للكتاب المقدس فحسب. إن إله العهد القديم لا يوافق معايير القدرة الكلية والعلم الكلي والطيبوبة التي تطبق عليه. ومن ثمّ، يتبنى مرقيون ثنوية جذرية تفرق بين إله طيب ومجهول يعيش في عالمه الخاص (غير المادي؟) في السماء الثالثة؛ وبين ديميورج أو صانع غير طيب لكنه سفلي وعادل، وهو إله العهد القديم، خالق هذا العالم المكون من المادة التي أفسدها الشيطان، وخالق الإنسان. وينعدم الاتصال بين العالمين إلا في اللحظة التي يقرر فيها الإله الطيب أن يجود على نسق العالم، الذي خلقه الديميورج،

أو الصانع العادل، بالهبة الحرة المتمثلة في المسيح. وعلى الرغم من أن جسد هذا الأخير مجرد وهم خادع (وهذه صورة من الدوسيتية المسماة **توهمية** *phantasiasme*)، فإن عذابه وموته حقيقيان حقيقة واقعية، وهي الحقيقة التي يستجيب لها المريد المرقيوني بالشهادة الطوعية المتشوفة إلى الانعتاق أو الخلاص.

وبخلاف الغنوصية، التي تمتاز -في تصورها للإنسان الذي يسمو على خالقه- بضرب من التفاؤل الذي لا نظير له في تاريخ الأفكار، نجد أن المرقيونية (marcionisme) عبارة عن مذهب متشائم في موقفه من العالم، وذلك أنها تنكر مبدأ الحكمة السارية في الموجودات، مع العلم أنها تقبل بالمبدأ الأنثروبي، أو الإنسي؛ فالعالم عندها ذو طابع سافل (وبهذا المعنى هو «خبيث»)، لكن الإنسان لا يستطيع مفارقته، أو التعالي عليه البتة. فهو ليس جديراً بالخلاص بفضل صلة القرابة التي تجمعه بالإله الطيب؛ إن الخلاص هبة حرة وغير مستحقة.

وقد اتخذت المرقيونية صبغة الكنيسة التي انتهى بها الأمر، بسبب دعوتها إلى الشهادة، إلى الأفول في العالم الروماني، الذي دأب، خلال فترة زمنية معينة، على منح الشهادة لمن شاء. وقد عاش عدد لا يستهان به من مشاهير الزهاد المرقيونيين، حتى القرن الخامس، في البادية السورية، حيث تمكن ثيودورت القورشي (Théodoret de Cyr) من استقطاب ثماني قرى إلى حظيرة الأرثوذكسية.

5.12- **المانوية** (*manichéisme*) هي الديانة الغنوصية الأكثر نفوذاً وتأثيراً. وقد أسسها ماني (Mani) (216-276)، النبي الذي ولد في أحضان طائفة معمدانية من بلاد الرافدين، وعاش في بلاد فارس إلى غاية استشهاده تحت حكم بهرام الثاني (Bahram II). وقد انتشرت المانوية في بلاد الغرب، فوصلت روما، حيث واجهت صنوف الاضطهاد حتى القرن السادس، كما انتشرت في بلاد الشرق، فوصلت الصين (694)، حتى أنها صارت، لفترة زمنية معينة، دين الدولة الرسمي في إمبراطورية الأتراك الأويغور (Ouïghours) (763-840). وعلى شاكلة المرقيونيين، الذين

طُردوا من المدن والحواضر، لجأ المانويون إلى البادية، ولا سيّما في بلاد آسيا الصغرى. وبوصفها ديناً عالمياً مؤسساً على وُحي [جمع وحي] مباشرةٍ ومكتوبة، قامت المانوية بترجمة نصوصها إلى جميع اللغات، وتبنّت مفاهيم أساسية استمدتها من الأديان المحلية، مثل الزرادشتية أو البوذية. وفي الحقيقة، لا تتأسس المانوية البتّة على أية خلفية دينية إيرانية، كما زعم في الأغلب، إنما بلورت مذهباً أصيلاً انطلاقاً من أنساق غنوصية سابقة الوجود. وهي تتميز بثنويتها الجذرية، وبفكرتها الخاصّة عن العالم بوصفه «مزيج» ظلمات ونور، وبتفاؤلها الأنتيكوسمي، أو المعادي للعالم، وبزهدها الشديد. والأمر المستجد الوحيد، الذي أتت به المانوية بالمقارنة مع الأنساق الغنوصية السابقة (التي يجب أن نضيف أنها لم تكن تعترض دائماً على الثنوية الجذرية لصالح الثنوية الموناركية)، هو أنها نسبت عملية خلق العالم إلى ديميورج، أو صانع طيب سُمّي بالروح الحية. ولأن المادة التي صنع منها العالم تتشكل من هياكل أمراء الظلمات، استنتج العديد من العلماء أن المانوية ممعنة في التشاؤم، وهذا استنتاج باطل بلا شك؛ ذلك أن هذه الهياكل تمتزج بأجزاء النور التي ابتلعتها المخلوقات الظلمانية. ومهما بلغت معاناة النور الرازح تحت وطأة المادة، فإنه يستطيع، مع ذلك، أن يتبدّى في كلّ قشة نبات. وخبرة المانوي المباشرة بالعالم ليست صادمة على الإطلاق. فبخلاف الغنوصيين، لا يعوزه البتة شعور العظمة والإجلال تجاه الخليقة. إن هذا الجزء من عالم الطبيعة، الذي هو بمقام تجلٍّ للنور، يشكل، بالنسبة إليه، سرّاً خفيّاً؛ أي موضوع ضروب من الدهشة الدائمة. وتعترف المانوية بطائفة متسلسلة من الأنبياء تنتهي بماني نفسه، كما أنها تنسب إلى يسوع وظيفة كوسمية، أو كونية.

6.12- إن **البولسيانية** (paulicianisme)، التي لا نعلم عنها سوى ما تتضمنه الرواية المتأخرة التي أفادنا بها مؤلف بيزنطي من القرن التاسع -وهو بطرس الصقلي(Pierre de Sicile) ، مبعوث الإمبراطور باسيليوس الأول (Basile I^er^) في مهمة (869) كانت تقتضيه الاتصال بحكام دولة بولسيانية معادية لم تلبث أن اختفت- إن هذه البولسيانية تعدُّ صورة من صور المرقيونية الشعبية التي نشأت من

دون تقليد كتابي في وسط يقاوم كل نزعة فكرانية أو عقلية[91]. وفي القرن التاسع، وقع الترحيل الجماعي لبولسيانيي الفرات نحو تراقيا (Thrace) (بلغاريا حالياً)، وهم الذين غالباً ما خلط العلماء المحدثون بينهم وبين طائفة «البولسيين» (pauliens) التبناويين الأرمينيين. وبحسب رواية بطرس الصقلي، تأسست الطائفة البولسيانية على يد المسمى قسطنطين، الذي ينحدر من مدينة مانالي (Mananali) الواقعة على الفرات الأعلى.

ومن جملة النتائج الأخلاقية المترتبة عن الثنوية الجذرية، التي ينافح عنها البولسيانيون، نجد نبذ طقوس الأسرار المقدسة، الذي ربما أرادوا التعبير من خلاله عن ازدرائهم للمؤسسات الأرثوذكسية المنحلّة.

7.12- غالباً ما قرن **البوغوميليون** خطأ بالبولسيانيين؛ وذلك بسبب أصلهم البلغاري. وفي الحقيقة، إن البوغوميليين، وعلى الرغم من أنهم يشتركون مع البولسيانيين في ازدراء الأرثوذكسيين، ليسوا حتى ثنويين؛ ذلك لأنهم يقولون: إن الشيطان ليس هو الخالق؛ بل هو، بحسب اعتقادهم، مجرّد منظم («مهندس معماري» architecte) للعالم. ونلفي عندهم عقائد مسيحية قديمة كانت في زمنها معدودة في جملة العقائد الأرثوذكسية، مثل عقيدة زرع الأرواح (القائلة إن روحاً جديدة تتولد من جماع روحي الوالدين)، ومثل الحبَل والميلاد الأذنيين [نسبة إلى الأذن]، اللذين وهبا يسوع المسيح، وغير ذلك من العقائد، كالتوهمية الدوسيتية، التي، وإن كانت غير أرثوذكسية، فإنها مع ذلك تتمتع بالقدامة التي تضمن لها قدراً من الإجلال والاحترام. وليست البوغوميلية بمقام انتكاسة غنوصية؛ فقد بلورها رجال دين بيزنطيون محافظون متشددون، متزهدون ونباتيون.

91- ترجمة:(intellectualisme). وهذه المقاومة تذكرنا بمفهوم «الميزولوجيا» (misologie) (حرفياً: «كراهية العقل») الوارد في محاورة الفيدون (Phédon) الأفلاطونية. (م)

ولم تلبث البوغوميلية، التي ظهرت في بلغاريا في القرن العاشر، أن انتقلت إلى بيزنطة، التي انطلاقاً منها انتشرت صوب بلاد الغرب. وفي طريقها مرّت، على الأرجح، من دلماسيا، وبالتأكيد من إيطاليا، إلى أن وصلت فرنسا في مستهلّ القرن الثاني عشر، لتختفي بعدها بقليل (1167)، وذلك على إثر اعتناق الأساقفة الفرنسيين، على يد مبعوث بيزنطي، لهرطقة جديدة تتبنى الثنوية الجذرية. وقد استمرت الكاثارية البوغوميلية في شمال إيطاليا إلى غاية القرن الخامس عشر، وتسللت مجدداً، لمدة زمنية قصيرة، إلى جنوب فرنسا في القرن الرابع عشر، من خلال بعض الأنصار الجدد المنتسبين إلى الكاثارية البرفنسالية، وذلك بعد القضاء على الألبيجيين في القرن الثالث عشر.

8.12- يتحصّل ممّا سبق أن **الكاثاريين** هم أتباع مذهبين مختلفين ينحدران من بيزنطة؛ أحدهما بوغوميلي، والآخر -وهو مذهب الألبيجيين في جنوب فرنسا، من (1167) وإلى غاية سقوط مونسيغور (Montségur) عام (1244)- هو عبارة عن مزيج من الأوريجينية، مع نزر قليل من المانوية، أُنجز، بلا شك، في أوساط فكرية زهدية بيزنطية. وفي شمال إيطاليا، ستجد الخلافات المذهبية القائمة بين الكنيستين الكاثاريتين تعبيرها في السجال الذي نشب بين الكاثاريين الموناركيين (البوغوميليين) في كونكورتزو (Cocorezzo) اللومباردية، الذين يطلق عليهم اسم «البلغاريين»، وبين الكاثاريين الجذريين (الأوريجينيين) في ديسينزانو (Desenzano) على بحيرة غاردا (Garde)، الذين يُطلق عليهم اسم «الألبانيين»، وربّما «الألبيجيين».

وكل ما نتوافر عليه من وثائق، تتعلق بمذهب الكاثاريين الجذريين (ومنها سبع رسائل أصيلة باللغة اللاتينية جُمعت تحت عنوان: **(كتاب المبدأين)** (*Liber de duobus princippiis*)، إنما وصلنا من طريق الكاثارية الإيطالية. فهم يرون أن الأوريجينية، التي دعا إليها نسّاك ومفكرون خلال القرنين الرابع والخامس، ولا سيّما في الصحراء المصرية، قبل أن تتعرّض للإدانة في القرن السادس، يرون أنها أصل أهم

أجزاء مذهبهم الاعتقادي، الذي يتضمّن عقائد من قبيل تناسخ الأجساد[92] (الوجود السابق للأرواح)، وجسمانية الملائكة، والخلق المزدوج، ووجود العوالم المتوازية، وفكرة تعدد حساب [دينونة] الأرواح، ووجود أجساد القيامة التي ليست هي الأجساد المادية، ونفي القدرة الكلية علاوةً على حرية الإرادة الإلهية.

وفي القرن الخامس عشر، دعت كنيسة بوسنية هرطوقية، كانت موجودة منذ القرن الثاني عشر، إلى مذهب الثنوية الجذرية على ما يبدو.

9.12- بيبليوغرافيا:

يجد القارئ شرحاً وافياً لمصادر وعقائد الأديان الثنوية الغربية في كتابنا:

- I. P. Couliano, *les Gnoses dualistes d'Occident*, Paris 1990.

92- كذا في الأصل: (métensomatose)؛ أي «تناسخ الأجساد»؛ ولعل الصواب (métempsychose)، أي «تناسخ الأرواح». ويتكرر هذا الخلط في عدة مواضع. (م)

13
الجاينية

0.13- اسم الجاينية (Jaïnisme) مشتق من جينا (*Jina*) (التي تعني «القاهر» [لشهواته])، وهو اللقب الذي كان يُطلق على مؤسّس الديانة.

1.13- **المصادر**: تتسم أدبيات الجاينية بالشساعة، وهي تنقسم إلى فرعين، بحسب التقليدين، أو «الفرقتين»، اللتين تتشكل منهما الجاينية؛ فرع الديغامباريين (Digambaras) («المتلحفين بالسماء»؛ أي العراة)، وفرع الشفيتنباريين (Śvetāmbaras) («المتشحين بالبياض»). وقد جمعت النصوص الشفيتنبارية في قانون مذهبي [مرجعي] يتضمن بضع عشرات من المصنفات موزّعةً على ستّة أقسام؛ وأقدمها مدوّن باللغة البركريتية (لغة المؤسّس)، في حين دوّن الباقي باللغة السنسكريتية. ويمتاز الديغامباريون بتصانيفهم المنهجية (**البراكارنات** *prakaraṇas*)، التي يعود أقدمها إلى القرن الأول (ح.ع).

2.13- **مهافيرا** (Mahāvira) («البطل العظيم») هو مؤسس الديانة الجاينية. أمّا اسمه الحقيقي، فهو فردهامانا (Vardhamāna) («الفالح»)؛ وكان معاصراً للبوذا. وتشكل سيرته الأسطورية محور التقليد الشفيتنباري. وقد عُدّلت هذه السيرة كي توافق أنموذج الشخص الإلهي (**مهابوروشا** *mahāpuruṣa*) المعروف في التقليد الهندي. ويُذكر أن مهافيرا وُلِد في أسرة برهمية من ولاية بهار (Bihar)، وأنه حين كان

ما يزال جنيناً في بطن أمه حرص الإله إندرا (Indra) على نقله إلى رحم الأميرة تريشالا (Triśala) حتى ينشأ في أسرة مالكة ذات سلطان. وقد بُشّرت الأم بالميلاد المدهش من خلال أربع عشرة أو ست عشرة رؤيا رأتها في المنام. ونشأ الأمير -الذي لم يحتج إلى الخروج من بطن والدته ليصنع المعجزات- على التعاليم المنسوبة إلى بارشفا (pārśva) الذي يعده التقليد الجايني بمقام **التيرثامكارا** (*tîrthaṃkara*) الثالث والعشرين؛ وكلمة **التيرثامكارا** تعني «صانع المخاوض (التي تسمح للآخرين بعبور المياه)»، كما هو الحال، تقريباً، مع كلمة **بونتيفكس** [الحبر] (*pontifex*)، التي تعني، على ما يبدو، «صانع الجسور».

ويعدُّ مهافيرا نفسه بمقام التيرثامكارا الرابع والعشرين. وعلى شاكلة البوذا، الذي يبدو أن مهافيرا يكرّر سيرته، كانت للمؤسّس [مهافيرا] زوجة وبنت سيعدُّ زوجها المسؤول الرئيس عن الانشقاق الذي عرفته الديانة الجاينية. ومهما يكن من أمر، إن فردهامانا لما بلغ الثلاثين، وبعد أن قضى والداه نحبهما، تخلى عن أملاكه، والتحق بجماعة **الشرامانات**[93] (*śrāmaṇas*) الغريبي الأطوار؛ فقد اشتهر هؤلاء بطول الباع في سيرة النسك المتعدد الأوجه؛ وكانوا يداومون على العري، ويرعون التعاليم الخمسة، التي صارت تنعت، لاحقاً، بالعهود الخمسة العظمى (**مهافتارا** *mahāvtaras*)، التي لا بدّ من أن يلتزم بها الراهب الجايني، وهي: ألا يقتل، ألا يكذب، ألا يسرق، ألا يمارس الجنس، ألا يملك شيئاً من عرض الدنيا. وأمضى مهافيرا أكثر من اثنتي عشرة سنة على طريق النسك الشاق. وحصلت له الاستنارة، في إحدى الليالي الصيفية، بينما كان مستغرقاً في بعض تأمله تحت شجرة شورية(sāl)، على ضفة نهر. وتحقّق حينها بأتم درجات العلم الكلي (أو العرفان الكامل: **كيفالا-جنانا** *kevala- jñāna*)، [العلم] بكل ما كان، وبكل ما هو كائن، وبكل ما سيكون،

93- يرجح بعض الدارسين أن يكونوا هم «السمنية» أو «الشمنية» المشار إليهم في المصادر العربية القديمة. (م)

في العوالم كافةً. وهذه الحال التي هي حال **الكيفالين** (*kevalin*)، تعادل حال **الأرهات** (arhat) البوذية. وهناك تقليدان مأثوران في الجاينية؛ أحدهما يقول: إن **الكيفالين** هو المتحرر من جميع إكراهات الطبيعة البشرية، في حين أن التقليد الثاني لا يعترف له بأكثر من مقام العلو على الدنس المترتّب عن الخضوع لتلك الإكراهات (الأكل والشرب والتبول والتغوط...). وبعد نيله العرفان الكامل، طفق الجينا يبث الحقيقة فيمن حوله، وأسس الجماعة الجاينية المكونة من رجال الدين والعلمانيين من كلا الجنسين. ويقول التقليد المأثور إنه بلغ حال النرفانا في سن الثانية والسبعين ($2^3 \times 3^2$ بحسب علم الأعداد الباطني)، وذلك عام (527 ق.ح.ع) (التاريخ الذي ينبغي تصحيحه على الأرجح بعام 467). وكما أن تعاليم البوذا يمكن أن ترد إلى الطريق الثمانية التي تبدأ كلها بكلمة **سمياك** (*samyak-*) («الموافق»)، فكذلك تعاليم الجينا (Jina) تختصرها الجواهر، أو النفائس الثلاثة (**التريراتنات** *triratnas*)، المتمثلة في رؤية العالم الموافقة (**ساماياغدرشانا** *samyagdarśana*)، والعرفان الموافق (**ساماياغجنانا** *samyagjñāna*)، ثم السيرة أو السلوك الموافق (**سامياككاريترا** *samyakcaritra*).

3.13- تقول الرواية المأثورة: إن مهافيرا عهد بقيادة جماعته إلى أحد عشر تلميذاً من تلامذته (**الغنادهرايين** *gaṇadharas*)، الذين كان على رأسهم غوتاما إندرابهوتي (Gautama Indrabhūti). وفي عام (79 ح.ع)، انقسمت الجماعة [إلى فرقتين]: فمن جهة، كان هناك أنصار التقليد الليبرالي (الشفيتنباريون)، ومن جهة أخرى، كان هناك دعاة التقليد المحافظ والبطولي، وهم العراة التماميون «المتلحفون بالسماء» (الديغامباريون). ومن شمال شرق الهند (مغادها Magadha، وهي اليوم بهار Bihar)، انتشرت الحركة الجاينية في ربوع الجنوب والشرق، وشهدت فترات ازدهار. أمّا اليوم، فإن الجاينيين منكمشون على أنفسهم، ولا يتعدى عددهم، على ما يبدو، الثلاثة ملايين. إن أخلاقياتهم الاقتصادية، التي تؤهل للنجاح في ميدان التجارة، ضمنت لجماعتهم ثراءً نسبياً. ومن الناحية الفكرية، احتلّ الجاينيون، على الدوام،

مكان الصدارة في الحياة الاجتماعية للهنود. وقد أدّوا في الحركة الروحية، التي تزعمها موهانداس غاندي (Mohandas Ghandi) دوراً جوهريّاً.

4.13- يمكن إجمال **رؤية العالم** (**درشانا** *darśana*) الجاينية في العهود العظمى (**مهافراتات** *mahāvratas*) الخاصّة برجال الدين، والعهود الصغرى (**أنوفراتات** [أنوفراتا] aṇuvratas) الخاصة بالعلمانيين: **أهيمسا** (*ahiṃsā*) (اللا-عنف)، **ساتيا** (*satya*) (الشرف)، **أستيا** (*asteya*) (الاستقامة)، **براهما** (*brahma*) (العفّة؛ ويتعلق الأمر، هنا، بالعزوف عن العلاقات الجنسية المحرّمة)، **أباريغراها** (*aparigraha*) (العزوف عن جمع المال).

وتتقاسم الجاينية مع الهندوسية التقليدية، ومع بعض المدارس البوذية أيضاً، فكرة تناسخ الجزء الحي (**جيفا** *jîva*) من الكائن البشري في عوالم الأحياء كافةً تحت تأثير «الجسم الكارمي» [نسبة إلى الكارما]، الذي هو نتاج الأفعال [المتراكمة] الماضية. ويسعى الصاحي (éveillé) الجايني إلى كبح هذه السيرورة الطبيعية عبر رد فعل دائم وثابت (**سمفارا** *saṃvara*). إنه مدعو إلى الالتزام، في كل لحظة زمنية، بسلسلة طويلة جداً من العزوفات الذهنية والكلامية أو الجسدية، وإلى الخضوع لاختبار الحياة الدينية. فهذه هي الازدواجية الأخلاقية التي تسم المذهب الجايني، حتى أن الانتحار بوساطة الصوم (**سامليخانا** *saṃlekhanā*) صار عملاً محموداً محضوضاً عليه. ومع ذلك، هذه اللامبالاة المفرطة بحياة الذات لا يضاهيها في الدرجة سوى الاهتمام الشديد بحياة الآخرين. وبالفعل، الجاينيون يلزمون أنفسهم باحترام جميع صور الحياة، وإن تعلّق الأمر بحياة برغوث أو نملة؛ لذلك، هم لا يكتفون باتباع النظام النباتي الصارم (إلى درجة الحرص على تعقيم المياه)؛ بل يجهدون بالوسائل كافة من أجل عدم إلحاق الأذى بأي نوع من الأنواع الحية. فرجال الدين عندهم يجتنبون، على سبيل المثال، الأكل بالليل مخافةَ أن يلتهموا الحشرات عن طريق السهو.

وحده عمل النسك (**تاباس** tapas) العسير، الذي تزاوله جماعة الرهبان

(نيرغرانتها *nirgrantha*)، يستطيع أن يحقق ما تصبو إليه **السمفارا** (samvāra) من انعتاق. وحين تنجح **سمفارا** الراهب في التحرر من روابط الكارما، يبلغ [هذا الراهب] المثل الأعلى للكمال (**سيدهي** *siddhi*).

ومع أن الكوسمولوجيا الجاينية شديدة الاتساق، إلا أنّها تكرّر المعطيات البرهمية التقليدية، تماماً مثلما تكرّر سيرة المهافيرا الأسطورية سير طائفة أخرى من المهابوروشات، أو رجال الهند العظام.

5.13- يبدو أن الكهوف كانت هي مساكن الرهبان الجاينيين المفضلة في الزمن الغابر. وقد حوّلت هذه الكهوف إلى أماكن عبادة؛ وهي التي تسعى إلى محاكاتها الهياكل المقدسة المحفورة في جدران الصخر (بدامي[94] Badami، إلورا Ellora). ومع أن عملية إنشاء المعابد الجاينية لا تراعي، دوماً، بنية من هذا القبيل، إلا أن المعبد الجايني يتشكل، في الأغلب، من صورة في المركز تمثل **التيرثامكارا** «ذي الوجوه الأربعة» (**كاتور-موكها** *catur-mukha*)، الذي تؤدّي إليه أربعة مداخل. وتقع أشهر المعابد الجاينية في الهند الغربية، في جبل آبو (Abu) وفي تلال أرافالي (Aravalli).

6.13- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 2, 152-3; C. Caillat, *Jainism*, in ER 7, 507-14 et *Mahavira*, ER 9, 128-31.

انظر كذلك:

- Walther Schubring, *The Doctrine of the Jainas*, Delhi 1962; Colette Caillat, *la Cosmologie Jaïna*, Paris 1981.

94- في الأصل: (Badani)؛ والأصح ما ذكرنا. (م)

14
دين الجرمانيين

0.14- **الجرمانيون** (*Germains*) هم لفيف من القبائل الهند- أوربية القديمة التي أثبت علم الآثار وجودها في أوربا الشمالية نحو (600 ق.ح.ع). وفي هذا العصر، كان يجاورهم اللابيون (Lapons) والفينيون (Finnois) [فنلندا] في الشمال، وشعب البلطيق وقبائل السكوثيين [الإصقوث] (Scythes) والسارماتيين (Sarmathes) الإيرانية في الشرق، والغاليون في الجنوب. وفي عهد الغزوات الرومانية (القرن الأول ق.ح.ع)، كانوا يتعاطون تربية المواشي والزراعة والصيد.

1.14- المصادر:

يعود تاريخ أهم المصادر المباشرة، التي تخبرنا عن دين الجرمانيين، إلى عهد الفايكنغ (Vikings). ويشتمل ديوان إيدا الشعري (Edda poétique)، المدوّن باللغة الأيسلندية، على عشر قصائد تتحدث عن الآلهة وثماني عشرة قصيدة تتحدث عن الأبطال. أما ديوان إيدا النثري (Edda en prose)، الذي ألفه المؤرّخ الأيسلندي سنوري سترلسون (Snorri Sturluson) (1179-1241)، فهو بمقام دليل في فن الشعر الإسكالدي (Escaldique)، ويقع في ثلاثة أجزاء يتصدرها **جيلفاجينينغ** (Gylfaginning) [خداع جيلفي]، الذي هو عبارة عن مقدمة في الميثولوجيا النرويجية. وقد أفرد سنوري الجزء الأول من تاريخ الملوك النرويجيين (**هايسمكرينغلا**

Heimskringla [مدار العالم]) المسمّى **إينلنغاساغا** (*Ynlingasaga*) [ساغا أو ملحمة إينلنغا] للحديث عن الأصل الأسطوري للملوك النرويجيين.

2.14- النشكونية- الكوسمولوجيا، الثيوغونية[95]- الثيولوجيا:

1.2.14- ينطوي نص جيلفاجينينغ على نشكونية تعرضها علينا ثلاث قصائد إيدية [نسبة إلى إيدا] (وهي فافترودنيسمال Vaftrúdnismál [أحاديث فافترودنير]، وغريمنيسمال Grimnismál [أحاديث غريمني]، وفولوسبا Voluspá أو «نبوءة العرّافة»). في البدء لم يكن هناك سوى الفراغ العظيم المسمّى جينونغاغاب (Ginnungagap). وقبل وجود الأرض، وجد نيفلهايمر (Niflheimr)، أو عالم الموت. ومن البئر العظمى هفرغلمير (Hvergelmir) سال أحد عشر نهراً؛ وفي الجنوب يمتدُّ العالم الملتهب موسبل (Múspell)، الذي يسيطر عليه العملاق الأسود سورتر (Surtr). ويتحوّل ماء الأنهار إلى كتلة جليد عند مساسه جينونغاغاب؛ وبتأثير نار موسبل في كتلة الجليد خرج إلى الوجود كائن عملاق شبيه بالإنسان، وهو إيمير (Ymir). ومن عرق إبطه الأيمن خرج رجل وامرأة عملاقان، ومن اتحاد إحدى ساقيه بالأخرى وُلِد له ابن.

ومن الجليد الذائب خرجت البقرة أودهوملا (Audhumla)، التي غدت إيمير بلبنها، وهي تتغذى، بدورها، من الجليد المالح، فتنجب كائناً آخر هو بوري (Búri)، الذي سيتزوج ابنه بور (Borr)، من بيستلا (Bestla) ابنة العملاق بولتهورن (Bolthorn). ومن هذه الزيجة يُولد ثلاثة أبناء: أودهين (Odhinn)، وفيلي (Vili) ثم في (Vé). ويقوم الأشقاء الإلهيون الثلاثة بقتل العملاق إيمير، الذي سيغرق جنس العمالقة بطوفان دمه، الذي لم ينجُ منه سوى برغلمير (Bergelmir) وأهله. وحمل الآلهة جثة إيمير إلى قلب جينونغاغاب، حيث سيتحول لحمه إلى أرض، ودمه إلى مياه،

95- تعريب (théogonie)، التي تعني حرفياً: «نسب أو أصل الآلهة». (م)

وجمجمته إلى سماء، وعظامه إلى جبال، وشعره إلى أشجار... أمّا الأجرام السماوية، التي يضبط حركتها الآلهة، فهي بمقام شرارات متطايرة من موسبل.

وفي وسط الأرض المستديرة التي يحفُّ من حولها بحر محيط عظيم، شيّد الآلهة سوراً من حاجبي إيمير، يسمى ميدهغاردهر (Midhgardhr)، من أجل أن يكون مسكناً للبشر الذين خلقوا بعدها بقليل. وحين فرغوا من بناء أسغاردهر(Asgardhr)، الذي هو مسكن الآلهة، انتهت عملية الخلق.

أمّا الزوج الإنساني البدئي، فقد خلقه أودهين (Odhinn) من الشجرتين أسكر (Askr) وإيمبلا (Embla) اللتين عثر عليهما على ساحل البحر المحيط. لقد زرع فيهما الحياة، بينما منحهما هونر (Hoener) الحس، في حين أكسبهما لودهور (Lòdhurr) الصورة الإنسانية والقدرة على الكلام.

2.2.14- يعيش العالم في ظلّ الشجرة الكونية المسماة إيغدراسيل (Yggdrasill)، وهي **محور العالم** (*axis mundi*) الذي يسند القبة السماوية. وإيغدراسيل بحسب الإسكندنافيين الغربيين عبارة عن شجرة دردار، ينعقد فيها كل يوم مجلس للآلهة. ولإيغدراسيل ثلاثة جذور تضرب في أعماق العوالم الثلاثة؛ عالم الموتى (هيل Hel)، عالم العمالقة الجليديين، ثم عالم البشر. وتجري من تحتها العديد من الينابيع (على الرغم من أنها ترجع في الأصل إلى ينبوع واحد على الأرجح): أودهر (Urdhr) ينبوع القدر، ميمير (Mimir) ينبوع الحكمة، ثم هفرغلمير (Hvergelmir) ينبوع الأنهار الأرضية. ومن لحاء الشجرة الكونية إيغدراسيل يرشح السائل المنشط والمنعش المسمى **آور** (*aurr*).

3.2.14- **الثيولوجيا**: ينقسم الآلهة إلى طائفتين؛ الإيسر(Ases) والفانير (Vanes)[96]. وتعدُّ أسغردهر (Asgardhr) معقل الإيسر، وأعظمهم أودهين (Odhinn)

---

96 - عرّبنا (Ases) بلفظ «إيسر»، الذي يقابل في النرويجية القديمة (æsir)، ومفردها (áss)، الذي يمكن تعريبه بلفظ «آس»؛ وعرّبنا (Vanes) بلفظ «فانير»، الذي يقابل في النرويجية القديمة

=

وثور (Thòrr). وقد خاض الإيسر، في بدء الأزمنة، حرباً طويلة ضد الفانير انتهت بتبادل الرهائن؛ فأقام الفانر نيوردهر (Njordhr) ونجله فرير (Freyr) بين ظهراني الإيسر، في حين استقر ميمير وهونر عند الفانير. وليس واضحاً دور الإلهة الفانرية فريا (Freya) في الحرب، لكن من المحتمل أنها زرعت في صفوف الإيسر حب الشهوات التي لن يستطيع الإيسر مقاومتها. وقد علمت أودهين فنون السحر (**سيدهر** *seidhr*).

4.2.14- سبق ليوليوس قيصر (Jules César)، ولتاسيتوس (Tacite) على الخصوص (**جرمانيا** *Germania*)، أن زودانا بمعلومات مهمة عن آلهة الجرمان. ويماثل تاسيتوس بين الإله أودهين-وودان (Odhinn-Wôdhan) وبين ميركوري [عطارد]، وهو التأويل الذي كان لا يزال شائعاً حتى القرن الرابع، حين كان الجرمان يطلقون على يوم ميركوري (الأربعاء) اسم «يوم ودهان» (باللغة الإنجليزية (*Wednesday*)، وباللغة الهولندية (*woensdag*) ...). وكان الناس يتقرّبون إلى هذا «الإله الذي يبسط سلطانه على كل شيء» (*regnator omnium deus*) بأضاحٍ بشرية. وهناك معبودات أخرى كان يماثل بينها وبين مارس [المريخ] وهرقل (Hercule)، أو يوبيتر [المشتري] إله الرعد. ويشير تاسيتوس، أيضاً، إلى إلهة غامضة تعادل نرتوس (Nerthus)، وإلى عبادة التوءم الإلهي الذي يعادل كاستور (Castor) وبولوكس (Pollux).

وفي عهد الفايكنغ، يبقى أودهين (Odhinn) هو الإله الأسمى، لكن ثور (Thòrr) هو الذي يحظى في هذه العبادة بالنصيب الأوفر من التعظيم والإجلال.

3.14- الإسخاتولوجيا [الأخرويات]:

1.3.14- تقترن **نهاية العالم** بالدور الذي تؤديه شخصية ذات أهمية عظمى في الميثولوجيا الجرمانية، وهي شخصية العملاق لوكي (Louki)، الذي يتدخل في جميع

(vanir)، ومفردها (vanr)، الذي نعربه نحن بلفظ «فانر». ومع هذا، تجدر الإشارة إلى أن اشتقاق اللفظين غير مؤكد عند المتخصّصين. (م)

الأمور التي تخصُّ الإيسر. إنه ابن العملاقة لوفي (Laufey). لقد جامع لوكي العملاقة أنغربودها (Angrbodha)، التي أنجبت منه الذئب فنرير (Fenrir) والحية ميدهارد[97] (Midhard)، التي تحيط بالعالم، وهما كائنان خطيران ومدمران. ويمكن القول: إن لوكي يمثل شخصية المكار(Trickster) المعروفة في سائر ميثولوجيات العالم، وهو كائن أقدم من الآلهة، مزاح وشرير في الغالب، وقد يكون أحياناً خنثى، أو متحوّل الجنس، علاوةً على أنه سخيف ومضحك. يقوم لوكي بدور الأنثى، فيلد المهر ذا القوائم الثماني المسمى سليبنير (Sleipnir) بعد تحوله إلى فرس، وتمكنه من إغواء الفحل سفادهيلافري (Svadhilfari)، فينجب سلالة بكاملها من الكائنات المسماة **فلاغد** (*Flagdh*). وفي الإيدا الشعرية، لا يبدي لوكي أي ميل إلى الشر. إن قصيدة (**لوكاسينا**) [اختصام لوكي] (*Lokasenna*) المتأخرة زمنياً هي وحدها التي تنسب إليه عدداً كبيراً من الأفعال السيئة.

2.3.14- أحد هذه الأفعال السيئة ذو علاقة مباشرة بنهاية العالم، وهو **قتل بالدر** (*Baldr*)، ابن أودهين البهي، الذي رأى في منامه أنه سيموت في مستقبل الأيام. وقد أخذت أمه فريغ (Frigg) من جميع أشياء العالم عهداً بألا تمسّ ابنها بالدر بسوء، لكنها نسيت نبات الدبق (Gui). ومن فرط غيرته من بالدر، تخفّى لوكي في هيئة امرأة عجوز حتى تمكن من معرفة السرّ من الأم فريغ [أنها نسيت أخذ العهد من نبات الدبق]؛ وبعد ذلك أتى بعصا دبق، فجعلها في يد هودهر (Hodhr)، شقيق بالدر الأعمى، ثم قاده نحو بالدر لكي يقذفه بالعصا تعبيراً منه عن سروره. وقُتل بالدر على الفور، لكن الإلهة هيل (Hel) قبلت أن تطلق سراحه شريطة أن يرثيه كلّ من في العالم. والكلّ رثاه، حتى الحجارة، إلا العملاقة تهوك (Thokk)، التي ليست سوى لوكي المتخفّي. وبما أن الشرط لم يُستوفَ، قرّرت هيل الاحتفاظ ببالدر.

وعقاباً له على قتله بالدر، ربط الآلهة العملاق لوكي بصخرة، مستخدمين في ذلك

97- لعل الصواب: «يورمونغاند» (Jörmungand)؛ أما «ميدهارد» (Midhard) فهي «ميدهغاردهر» (Midhgardhr) نفسه التي ذكر المؤلّف من قبل، أي مسكن البشر. (م)

أحشاء أبنائه، وسلطوا عليه حية تنفث سمها على رأسه، وتسومه سوء العذاب. غير أن الخبيث سيتمكن من الفرار من هذا المكان الذي يُعذب فيه قبيل نهاية العالم.

3.3.14- ليس **الراغناروك** (*Ragnarok*) («مصير الآلهة»)، أو نهاية العالم سيرورة طويلة الأمد. إن الخراب يمثل، سلفاً، جزءاً لا يتجزأ من الشجرة إيغدراسيل نفسها، بما أن أحد الأيائل يلتهم أوراقها، وبما أن لحاءها ما انفكّ يفسد، وبما أن الحية نيدهوغر (Nidhhoggr) تزدرد جذورها بشرّه. ومع أن البداية كانت مثالية، أو حالمة، إلا أن الآلهة سرعان ما انخرطوا بعدها في حرب عمياء بعضهم على بعض، فتمكنت الشهوة، خلال ذلك، من النفاذ إلى أسغردهر. ويتمثل الفصل ما قبل الأخير من المأساة في عملية قتل بالدر. أمّا الفصل الأخير، فيتمثل في ثوران كل تلك القوى المخيفة، التي كان يسيطر عليها الإيسر بصورة مؤقتة: لوكي وذريته، والذئب فنرير، ثم الحية الكونية العظمى. وبعد ظهور علامات تنذر بحدوث أمر مفزع، انقضت قوى الدمار على أسغردهر؛ فكان منهم لوكي على رأس العمالقة الهوج الجوامح، وسورتر، سيد الموسبل، على رأس شياطين النار الذين أحرقوا العالم. وتطاحن الإيسر وخصومهم، فأفنى بعضهم بعضاً: الذئب فنرير يقتل أودهين، فيدهار (Vidharr) ابن أودهين يقتل فنرير، ويتقاتل ثور والحية العظمى حتى يهلكا معاً، ويُقتل فرير (Freyr) على يد سورتر (Surtr)، وتنطفئ جميع الأضواء السماوية، وتغرق الأرض المشتعلة في البحر. ثم تنبثق الأرض من جديد ليعمرها بالدر، الطيب والبريء، ومعه سلالة بشرية بلا خطايا تسكن تحت قبة من ذهب.

4.14- شامانية ومُسارَّات[98] حربية:

1.4.14- لقد لوحظ وجود بعض السمات الشامانية (↔ 20) عند أودهين، الآس (Asse) [أحد الإيسر] الأسمى، مالك **سيدهر** *(Seidhr)*، أو القوة السحرية.

98- جمع «مُسارَّة» (initiation) (محدث). (م)

فعلى غرار الشامانات، يملك أودهين جواداً خارقاً (سليبنير) له ثماني قوائم، ويملك غرابين يعلمان بكل شيء؛ ويستطيع أن يغيّر صورته، وأن يكلّم الموتى...

14.4.2- **البيرسيركر** (*Berserkr*): إن أودهين هو كذلك إله الحرب، ومحاربوه التابعون له ينالون الجزاء الأوفى الذي لا يناله غيرهم؛ فبعد الموت، ينتقلون إلى البلاط السماوي فافهول (Vafhol)، وليس إلى هيل (Hel)، إلهة العوالم السفلية. فموت المحارب هو بمقام تجربة دينية سامية وذات طبيعة انجذابية.

ويبلغ المحارب حالة **البيرسيركر** (حرفياً: «فروة الدب»)، التي هي مزيج من الغضب المتعطش إلى الدم ومن الصمود الذي لا يقهر، وذلك بمحاكاة حيوان مفترس هو، في المقام الأول، الذئب.

14.4.3- وفي المجتمع الجرماني، يُعدُّ أودهين إله **اليارل** (*jarls*) (النبلاء)، ولا يحظى بالشعبية لدى **الكارل** (*karls*) (الأحرار) الذين يتخذون ثور (Thorr) إلهاً لهم. وكانت عصابات أودهين المسلّحة ترعب القرى. يُضاف إلى ذلك أن الإله يطلب القرابين البشرية التي تُشنق على الأشجار، ربّما من باب التذكير بما جرى لأودهين نفسه، الذي، لمّا عُلّق على شجرة إيغدراسيل لمدة تسعة أشهر وأصابه الرمح، نال حكمة الحروف الرونية السحرية وموهبة الشعر النفيسة.

14.5- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 1, 173-77; E. C. Polomé, *Germanic Religion*, in ER 5, 520-536.

وفيما يأتي بعض المصادر التي ترجمها ف. فاغنر:

- Félix Wagner, *Les Poèmes héroïques de l'Edda*, Paris 1929; idem, *les Poèmes mythologiques de l'Edda*, Liège 1936.

وفيما يتعلق بلوكي(Loki)، انظر:

- Georges Dumézil, *Loki*, Paris 1986.

15
أديان الحتيين

1.15- كانت **إمبراطورية الحتيين** (*Hittites*)، بدءاً من منتصف الألفية الثانية (ق.ح.ع)، وإلى عهد الغزوات الحادثة أوائل القرن الثاني عشر (ق.ح.ع)، تغطّي تقريباً كل منطقة الأناضول (تركيا الحالية). ويرجع تعددها اللساني والديني إلى التنوع الإثني للشعوب التي شكّلتها: الخاتيون (Hattiens)، والحوريون (Hurrites)، والساميون (Sémites)، والحتيون (الهند-أوربيون). ولذلك، إن عدداً كبيراً من الأساطير التي سنعالجها، هنا، ليست حتية الأصل، وإنما تم إدماجها في اللغة والعبادة الحتيتين. وكانت عاصمة الإمبراطورية، لما بلغت أوجها، هي حاتوشاش بوغازكوي (Hattusas Boğazköy) الواقعة على هضبة الأناضول الوسطى. إننا مدينون بالجزء الأعظم من معرفتنا بثقافة الحتيين لحفريات بوغازكوي الأثرية، التي رمّمت لنا ألواحاً مسمارية وتماثيل وعدة معابد، علاوةً على المقام المقدّس، أو القبر المنحوت في صخرة يازيليكايا (Yazilikaya).

ويضم البانثيون [مجمع الآلهة] الحتي عدداً كبيراً من الآلهة، لكن الحتيين لم يتعبّدوا إلا ببعض الآلهة المهمّة في معابدهم الحضرية. وكما هو الحال في سائر بلاد الشرق الأدنى القديم، كان الآلهة يقيمون، بالفعل، في معابدهم على هيئة صور، يتولى الكهنة غسلها وإكساءها وإطعامها ومؤانستها. وخلال بعض أيام الأعياد -الكثيرة جداً في الروزنامة الحتية- كان يتم إخراج الصور من المذابح. وعدا وظيفتها الدينية، كانت

المعابد تؤدّي وظيفة اقتصادية أيضاً؛ فقد كانت تستخدم مخازنَ للمواد الغذائية، كما كانت تملك عقارات أرضية خاصّة بها، بمزارعيها وحرفييها. وأهم الآلهة عندهم [الحتيين] إله العاصفة المسمى باللغة الحورية تيشوب (Teshub) وابنه تليبينو (Telepinu)، علاوةً على الإلهة الكبرى ذات الأسماء والوجوه المتعددة، والمعبودة على الخصوص، بوصفها إلهة الشمس الأرينية [نسبة إلى مدينة أرينا Arrina].

وتعدُّ الملكية عند الحتيين مؤسسة مقدسة؛ فحتى في زمن الحرب، كان الملوك الحتيون يستعجلون العودة إلى ديارهم للإشراف على المراسم والاحتفالات. وغالباً ما يكون الملك مصحوباً بزوجته الملكة؛ وهو يقوم، من خلال الوظيفة التي يؤدّيها بوصفه الحبر الأعظم، بتمثيل كل أفراد الشعب في خدمة الإله. وبعد موت الملك، يتحوّل هو نفسه إلى إله، ويتلقّى تمثاله ضروب التشريفات الإلهية.

وتشكل العرافة أحد أهمّ مكونات العبادة الرسمية، وتتمثل في أساليب متعددة، بدءاً من تفسير الأحلام الملكية إلى تقنيات قراءة أحشاء الأضحية الحيوانية على طريقة بلاد الرافدين. وهناك أيضاً شهادات كتابية تتعلق بممارسات كهانية أخرى، مثل مراقبة حركات الطيور [العيافة] والحيّات والأضاحي الحيوانية. وتتمثل معظم التقنيات الكهانية المستخدمة في سلسلة من الأسئلة ذات الجواب الثنائي (نعم/ لا)، التي تستهدف الإحاطة بجميع جوانب النازلة. وكانت الأجوبة تُقرأ على [خلفية] بنية ثابتة[99] مكوّنة من خانات تمثل حظ الملك وتقلبات أحوال الزمان[100]، أو الحرب، وبداخلها يتحرك تمثال صغير. وكان اللجوء إلى العرافة أمراً مألوفاً، ويُضاف إلى ذلك أنها خدمة تُطلب كلما أظهر الإله أو الإلهة غضبهما.

99 - الفضاء، حوض الماء، كبد الحيوان... إلخ. (م)

100- في الأصل:(passage du temps)، أي حرفياً: «عبور أو مرور أو مضي الزمن». وهي كما نرى عبارة مبهمة غير واضحة المعنى. واستناداً إلى المراجع المتوافرة، نرجّح أن يكون المقصود هو ما ذكرنا. (م)

2.15- **الميثولوجيا:** يشكّل كل من الغضب والترضية الطقسية للآلهة محور أسطورة الإله الغائب؛ إنه تليبينو(Telepinu)، الذي يختفي عن الأنظار، وتنجم عن اختفائه الجوائح والكوارث الطبيعية. (وفي مثل هذه الحالة، يباشر الكهنة تحديد أسباب غضب الإله، ويسعون إلى تهدئته). وتقول الأسطورة إن نحلة أرسلتها الإلهة هي التي عثرت على تليبينو نائماً في قلب غابة، فلسعته لسعةً وثب على إثرها من مضجعه. وبفضل طقوس ودعوات الإلهة كامروشيبا (Kamrushepa)، سكن تليبينو وهدأ روعه قبل أن يعود إلى سيرته الأولى المسالمة.

وتنطوي أسطورة أخرى، تتعلق بغياب وعودة أحد الآلهة، على الثيمة [الموضوعة] نفسها الشائعة في كلٍّ من الشرق الأدنى واليونان، وهي ثيمة الصراع بين الإله والوحش؛ فقد تمكن الثعبان [التنين] إيلويانكا (Illuyanka) من هزم إله العاصفة، فعرضت الإلهة إينارا (Inara) على إنسان اسمه هوباشيا (Hupashiya) أن يتصدى للثعبان، فقبل هذا الأخير عرضها شريطة أن تمكّنه من نفسها. وهكذا أعدت إينارا مأدبة دُعي إليها إيلويانكا وأولاده، فأكل هؤلاء وشربوا حتى أُتخموا، فلم يستطيعوا النزول مرةً ثانيةً إلى جحورهم. ثم إن هوباشيا ربط الثعبان وأولاده بحبل، فقام إله العاصفة بقتلهم جميعاً. ويتضمن اللوح نفسه روايةً أخرى للأسطورة، وفيها أن إيلويانكا هزم إله العاصفة، فسلبه قلبه وعينيه. وكان لإله العاصفة [بحسب هذه الرواية] ابن من زوجة إنسية، وقد تزوج هذا الابن من ابنة إيلويانكا. ويقتضي العرف أن يعطي والد الزوجة لزوج ابنته ما يطلب من العطايا، فطلب ابن الإله من والد زوجته أن يردّ إليه قلب أبيه وعينيه. وعندما استردّ إله العاصفة قدرته على القتال هزم إيلويانكا وقتله، غير أنه اضطر، كذلك، إلى قتل ابنه الذي أصرّ على أن يبقى وفياً لوالد زوجته.

وهناك أسطورة أخرى تصف لنا المعارك التي تطاحن فيها الآلهة الأوائل من أجل الملك؛ فقد كان ألالوس (Alalu) أول ملوك الآلهة. واستمر على هذه الحال مدة من تسع سنين قبل أن يطيح به ساقيه آنو (Anu). وأمضى كوماربي (Kumarbi) ابن

ألالوس تسع سنين في خدمة آنو قبل أن يطيح به، بدوره، مثلما أطاح آنو بأبيه، فمنع آنو من الطيران نحو السماء بأن جذبه من قدميه إلى تحت وعضّه من عضوه التناسلي. وحين أخذ كوماربي من قدرة [زرع] آنو في أعقاب هذا الانتصار، أنجب ثلاثة آلهة سيكون تيشوب أحدهم، وهو إله العاصفة وخليفة كوماربي.

وفي الفصل الآتي من الأسطورة، المسمّى (**نشيد أوليكومي**) (*Chant d'Ullikummi*)، يحاول كومار بي، بالوسائل جميعها، أن يستولي، من جديد، على عرش الآلهة؛ وهكذا، خصب بزرعه صخرة عظيمة، فوُلِد له العملاق الحجري المرعب أوليكومي، الذي أمعن في التطاول حتى بلغ السماء، ثم هاجم تيشوب وهزمه، فصار يمثل خطراً على وجود الآلهة والبشر. وبعد أن حصلت إيا(Ea) من قدماء الآلهة على المدية، التي استُعملت ماضياً في فصل الأرض عن السماء، سلّمتها إلى الآلهة المذعورين. ولما فرغ هؤلاء من تقطيع رجلي العملاق، صار في إمكان تيشوب أن يهزمه.

3.15- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 1, 43-7; H. Hoffner, Jr., *Hittite Religion*, in ER 6, 408-14.

وانظر النصوص التي ترجمها م. فييرا M. Vieyra في:

- R. Labat, *les Religions du Proche-Orient: Textes et traditions sacrées babyloniennes, ougaritiques et hittites*, Paris 1970.

وأيضا الدراسة الآتية المخصّصة للحثيين:

- O. R. Gurney, *The Hittites*, Harmondsworth 1972 (1952).

16
أديان بلاد الرافدين

1.16- في القرن السابع (ق.ح.ع)، كانت البلاد المحيطة بنهري دجلة والفرات -العراق حالياً- مأهولة بالرعاة والمزارعين. وقد شكّلت نشأة الكتابة، نحو (3500 ق.ح.ع)، مؤشراً على الانتقال من ما قبل التاريخ إلى التاريخ. ومن بين الأشياء المعثور عليها، في خضم الحفريات الأثرية التي جرت في [تل] العبيد وأوروك [الوركاء]، نجد الفخار الرفيع المغشى، وتماثيل صغيرة، وأبنية تتسم هندستها وزينتها بالتعقيد الفائق. ونلفي نماذج من اللغة الأهلية في أسماء أماكن المنطقة الجنوبية، التي ظهر فيها السومريون، وبثّوا فيها لغتهم ونظاماً يصلُح لتمييز قطعان الماشية وعدّها؛ وهو الذي سيتحول إلى أول نظام كتابة عرفوه. وقد حافظ الأكديون، الذين كان يتكلمون لغة سامية، على التقاليد والآلهة السومرية وتصرفوا في تفسيرها خلال قرون من الحرب بين المدن-الدول والغزوات التي استهدفت المنطقة من كل فجٍّ وصوب. ويمكننا، ابتداء من القرن الثامن عشر (ق.ح.ع)، أن نتحدث عن كيانين ترابيين؛ آشور في الشمال، وبابل في الجنوب. وتسعفنا المحفوظات الملكية الخاصّة بالفترة الآشورية-البابلية، ولا سيّما القرنين السابع والسادس، بأساطير ووثائق ملحمية تنتمي سلفاً، في الفترة التي دوّنت فيها، إلى زمن قديم جداً.

2.16- **الآلهة**: تظهرنا أقدم عصور الديانة الرافدينية، التي في وسعنا أن نعلم عنها شيئاً، على أن القوى الإلهية هي قوى الطبيعة. ولكل إله سومري مجاله الترابي

الملازم لألوهيته. وتعدُّ أملاك المعابد العقارية ملكاً للإله، ويعدُّ الناس أقناناً له، كما يعدُّ الكهنة أمناء [نظاراً] وخدماً له. وكانت للأنهار والمروج آلهتها المحلية، التي ظلت ماهيتها [دلالتها]، في ذلك العصر، مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً بماهية [دلالة] الظواهر الطبيعية. لقد كان يُعتقد أن قوى الطبيعة الدينامية هي أفعال وتجليات لآلهة، مثل إشكور/ أدد (Ishkur/ Adad)، الذي يتجلى في الرعد، وأمشومغلنا (Amaushumgalna)، الذي يرعى وينبت نخيل التمر، وإنانا (Inanna) إلهة المخازن المملوءة بالغلال[101].

لقد طفقت الآلهة البدئية تكتسي، بالتدريج، أشكالاً إنسانية، وشرعت تنهض بالأدوار الاجتماعية التي كان يسندها إليها الكهنة والكتبة. وعلى رأس البانثيون الناشئ، يوجد الإله آن (An)، السماء، وهو أبو الآلهة، الذي يشكّل اسمه رمزاً للسماء وللألوهية في الوقت نفسه. وعندما بدأ التاريخ المكتوب في سومر نحو (3500 ق.ح.ع)، كان آنو يمثّل، سلفاً، **إلهاً محايداً** (*Deus otiosus*). وكان هناك إله أكثر فاعلية ونشاطاً، بوصفه رئيساً للمجمع الإلهي، وهو إنليل (Enlil)، الذي كان معبده الأعظم موجوداً في مركز نيبور [نفر] (Nippur) الديني. وجميع الآلهة، تقريباً، سيقترنون بزوجات في نهاية المطاف؛ إلا أن الإلهة الرافدينية العظمى هي إنانا (kInanna)، التي طابق الأكديون بينها وبين عشتار (Ishtar). وهي تتمتع بأهمية في العديد من الأساطير؛ وكانت هي كوكب الزهرة؛ ومجالات اختصاصها كانت هي الخصوبة والحب والحرب. وكان أبوها هو إله القمر نانا (Nanna) (سين Sin)، بينما كان شقيقها هو إله الشمس أوتو (Utu) (شماش Shamash). وإنكي Enki (إيا Ea) هو إله مياه الري الألمعي، الذي ساعد البشر على تطوير طائفة من التقنيات، وعلى النجاة من الطوفان العظيم، الذي سُلّط عليهم لإهلاكهم. ودموزي (Dumuzi) (تموز Tammuz) هو إله الخصوبة والنماء الخاص بطائفة من الحيوانات والنباتات في

101- هي إلهة الخصوبة والحب [الجنس] والحرب عند السومريين، كما سيذكر المؤلّف لاحقاً. (م)

مختلف الأساطير؛ ويؤدّي دوراً مأساوياً يتمثل في ذلك الذي مات في ريعان شبابه. أمّا نيرغال (Nergal)، فإن قرانه[102] جعله إلهاً للعالم السفلي.

وفي العصور كافةً، اتسمت شخصيات الآلهة بالغموض؛ فقد كان من اليسير على طائفة منهم أن يستعيروا الصفات [الأدوار] المميزة لطائفة أخرى بصورة متبادلة. وعلى الرغم من تأنيس[103] الآلهة، فإن التجليات المقدسة[104] لم تتوقف عن الحصول في الطبيعة؛ فاسم نهر من الأنهار كان يُكتَب، على العموم، مسبوقاً بعلامة تشير إلى **إله**. وكان للأفراد، في الأغلب، حماة، هم عبارة عن آلهة شخصية؛ ونرى في الأختام الأسطوانية أنها تفتح لهم أبواب الآلهة العظمى.

3.16- **الاستعمال السياسي للدين**: كان المعبد السومري يشكل، في الوقت نفسه، مؤسسة دينية وسياسية وإدارية. وكانت المدن تتوافر على مجالس شيوخ مهمتها التحكيم واختيار الرؤساء والقادة في زمن الحرب. وعندما تنامت ثروة وسلطة هؤلاء الأخيرين، تحوّلوا إلى ملوك وأسر ملكية حاكمة. وكان من مصلحة هؤلاء الملوك أن يَظهروا للناس بمظهر الأثيرين المفضلين عند الآلهة. وأول ملك اتشح بالإيقونوغرافيا [الصور] الإلهية هو نارام سين (Naram Sin) (نحو 2254-2218 ق.ح.ع)، حفيد الملك الكبير، والغازي الأكدي، سرجون (Sargon). ويظهر هذا الملك في لوحة تذكارية معتمراً تاج الألوهية ذي القرنين، ظافراً مهيمناً على البشر في ساحة المعركة.

وتبين لنا شهادات أحدث عهداً أنه كان يتمُّ اللجوء إلى الكهانات قبل تنظيم الحملات العسكرية، وأن العديد من الملوك كانوا يرون أن بعض الآلهة هم المسببون

102- يقصد زواجه بأرشكيغال (Ereshkigal)، إلهة العالم السفلي. (م)

103- في الأصل (anthropomorphisation)، وتعني حرفياً: «إصفاء الإنسان لصورته على ما سواه». (م)

104- ترجمة: (hiérophanies). (م)

لانتصاراهم والمنتفعون منها. فعلو شأن المدينة المقدسة بابل هو علو شأن إلهها؛ وبالفعل، في **إنوما إليش** نرى مردوخ (Marduk) يتربع على عرش البانثيون، ويحتلُّ مكان إنليل. وفي الرواية الآشورية، يحتلُّ الإله -المُتَسَمّى به[105]- آشور مكان مردوخ.

لقد استخدمت الديانة الملكية نظام كهانة معقداً؛ فقد كان يُستدلُّ بالملاحظات الفلكية الدقيقة -التي شكلت أساس المبحث الكوني المسمّى لاحقاً التنجيم- على مشاعر الآلهة، وبناءً عليها يتم التنبؤ بالقحط والحرب، أو بأزمات تهمُّ الحياة الشخصية للملك. وجواباً على التنبؤات المستنبطة من قراءة أحشاء الحيوان وتفسير الأحلام، كانت تقام طقوس الصلاة والتطهير وتهدئة الآلهة. ويستوجب احتفال رأس السنة مشاركة الملك الذي يحضر، كذلك، في طقس الزواج المقدس في أوروك، حيث يقترن بالإلهة إنانا، ليؤمن للبلاد الرخاء والرفاهية خلال السنة الآتية.

4.16- **الممارسات الشعبية**: يسهر على خدمة مركب المعابد الكبرى جهاز بيروقراطي مكون من الكهنة والكتبة والمنجمين والصناع الحرفيين. وهناك كهنة متخّصصون في صيانة الصور [التماثيل] الإلهية وإطعامها وغسلها وإكسائها والترفيه عنها. ويستطيع المُمارس العامي أن يقدّم هدايا من الطعام، أو التماثيل النذرية الصغيرة، أمام مذبح الإله، كما يستطيع المشاركة في الأنشطة الاحتفالية، وفي عمليات تمثيل الأسطورة التي تصاحب الاحتفالات الإلهية. وكان الشعب يستخدم، علاوةً على ذلك، التمائم والرقى في علاج المرضى، وتأمين الخصوبة الزوجية، وفي أعمال السحر وفكّ السحر. أمّا الرقى العلاجية، فإنها تتضرع، في الغالب، إلى إله، أو عدة آلهة، سائلةً إياهم المغفرة من ذنوب مقترفة، معروفة أو مجهولة؛ وفي صيغها المكتوبة، تشتمل هذه الرقى على خانات فارغة من أجل أن يُدوَّن عليها اسم المنتفع بها. وتتمتّع التماثيل الصغيرة، المصنوعة للآلهة والأرواح من الطين النضيج، بشعبية كبيرة؛ فبعد

105- ترجمة: (éponyme)، أي من يُتَسَمَّى باسمه. (م)

أن «يحييها» السحرة المحترفون، يتم الاحتفاظ بها في البيوت، أو يتم دفنها في الداخل لضمان الحماية المطلوبة. وتدلّنا الأسماء، الثيومورفية[106]، في معظمها، على أن الناس كانوا يثقون في آلهتهم الشخصية ابتغاء نيل العافية والرفاهية.

5.16- ترتبط قصيدة الخلق البابلية، **إنوما إليش** (*Ænuma Elish*) («عندما في الأعالي»)[107]، بأعياد رأس السنة (أكيتو Akitu) المُحتَفل بها كلّ ربيع في مدينة بابل. والقصة تمجد الإله مردوخ، بوصفه أعظم الآلهة؛ وهذا يعني أنها أُلِّفَت، على الأرجح، في القرن الثاني عشر (ق.ح.ع)، حين أُعِيد تمثال مردوخ إلى بابل، وعندما كان التفوّق السياسي للمدينة يعدُّ بمقام الانتصار الأسطوري لإلهها.

ويكشف لنا اللوح الأول، من بين الألواح السبعة التي تتألف منها القصيدة، عن حالة الكون البدئية، حيث لم يكن في الوجود شيء سوى الماء العذب (أبسو Apsu، الذكر) والماء المالح (تيامات Tiamat، الأنثى). لقد انزعجت الآلهة القديمة من صخب أجيال الآلهة الجديدة، وشن أبسو (Apsu) الحرب على هؤلاء، لكنّه قتل على يد الإلهة إيا (Ea)، التي أنجبت ابناً هو مردوخ (Marduk). وعزمت تيامات على الثأر لأبسو؛ ولم يجرؤ أحد من الآلهة الجديدة على التصدي للوحش [الأنثى] سوى مردوخ؛ فصار مردوخ هذا ملكاً على الآلهة؛ وكان يصحب معه رياحه وصواعقه في الحروب. لقد سرت الرياح في فم تيامات الفاغر، وقُتلت برمية سهم، وحُوصر حلفاؤها، وقُبض عليهم. ومن جملة تذكارات النصر، كانت هناك ألواح المصير التي سرقها كينغو (Kingu) زوج تيامات.

شق مردوخ جسد تيامات إلى نصفين متناظرين، فخلق بذلك العالم. ومن دم كينغو صنع البشر لكي يخدموا الآلهة. ومكافأة له على ما فعل، جُعِل ملكاً على الآلهة،

106- تعريب (théomorphes)، وتعني حرفياً «على صورة الإله»، أو «مشاكلة للإله». (م)

107- بهذه العبارة تبدأ القصيدة؛ ومنها أخذ عنوانها «إنوما إليش». (م)

وخُصِّص له معبد عظيم في بابل. وللعديد من العناصر الواردة في هذه القصة ما يطابقها في سفر التكوين [اليهودي]، وفي مشاهد الإله يهوه الظافر في سفري المزامير وأيوب.

6.16- من المحتمل أن **جلجامش** (*Gilgamesh*)، ملك أوروك (Uruk)، كان أحد ملوك الأسر القديمة، وقد حفظت لنا اللغة السومرية بعض القصص عنه. أمّا القصيدة الأكدية، التي وصلتنا، فقد قام أحد الكتبة، في منتصف الحقبة البابلية، على أرجح الظن، بتحريرها وتطويرها، مع إضافة قصة طوفان أتراحاسيس (Atrahasis). وتبدأ هذه النسخة [من جلجامش] -وهي أكثر النسخ اكتمالاً- بالإشادة بالأبنية العظيمة التي تشتمل عليها أوروك، المدينة المشهورة بمعبدها المنذور للإلهة إنانا (Innana)، وبأسوارها الهائلة المشيّدة بالآجر. دأب جلجامش الملك، الذي ثلثاه إله وثلثه الباقي بشر، على الطغيان والتعسف على أفراد شعبه بإجبارهم على السخرة والأشغال الشاقة المفرطة، وبفرض حقه في الليلة الأولى على جميع العرسان[108]. وقامت الآلهة بخلق المتوحش أنكيدو (Enkidu)، الذي عاش في سلام ووئام مع الحيوانات؛ ثم أُرسلت إليه عاهرة لتردّه بشراً متحضراً؛ فاصطحبته معها إلى أوروك، حيث سيواجه جلجامش، ونشبت بينهما معركة رهيبة انتهت بأن صارا صديقين حميمين، ليتجها بعدها إلى جبال الأرز من أجل قتل الوحش هواوا (Huwawa) [خمبابا]. وعرضت عشتار على جلجامش أن يتزوج منها، غير أنه ردّ عليها بكلام لاذع، مذكراً إياها بأن جميع عشاقها ذهبوا إلى الجحيم. ولم تتأخر عشتار في الانتقام من جلجامش، حيث بعثت بالثور السماوي المهول ليعترض طريقه، لكن جلجامش وأنكيدو قتلا الثور؛ فقررت الآلهة معاقبتهما معاً بانتزاع الحياة من أنكيدو. وهكذا وجد جلجامش نفسه أمام ما يشبه القضاء المحتوم؛ لكن البطل سيشدّ الرحال إلى ينابيع الأنهار للقاء الإنسان الوحيد الذي أدرك الخلود، وهو أوتنابشتيم

108- في الأصل (droit de cuissage). (م)

(Utnapishtim) البعيد. ولما بلغ جلجامش الجبال، التي تخترقها أبواب الشمس، التقى الرجل-العقرب المفزع وزوجته، اللذين تركا جلجامش يمرّ من النفق [الشمسي]. وحين بلغ شاطئ البحر الواقع في الطرف الآخر من العالم، التقى الحورية سيدوري (Siduri)، التي حاولت ثنيه عن سعيه، إلا أن جلجامش أصرّ على مواصلة الطريق بحثاً عن مراده فيما وراء مياه الموت، حيث سيلفي هناك أوتنابشتيم، وسيطلب منه أن يطلعه على سرّ الخلود، أو الحياة الأبدية. وفي هذا الموضع من القصة، يقحم المحرر قصة أخرى تتعلق بالطوفان؛ تقول: إن الإلهة إيا (Ea) أخطرت أوتنابشتيم بقرب حدوث كارثة الطوفان؛ فبنى هذا الأخير سفينة [ضخمة]، وملأها [بأجناس المخلوقات]؛ وبعد نهاية كارثة الطوفان، ونجاة من نجا من الأحياء، تحوّل أوتنابشتيم وزوجته إلى إلهين، واستقرّا في المكان البعيد الذي حلا به. فهذه إحدى بدائل قصة الطوفان المختصرة؛ مثلها مثل قصة [الملك] زيوسودرا (Ziusudra)، الذي حثّه الإله إنكي على بناء سفينة من أجل النجاة من الطوفان الذي كان الغرض منه القضاء على جنس البشر المزعج والجاحد. وأمّا قصة أتراحاسيس («الحكيم جداً»)، فإنها تمثل النسخة الأكدية من حكاية [الطوفان]. وقد فشل جاجامش في نيل الخلود؛ إمّا لأنه لم يوفق في امتحان النوم، وإمّا لأنه ضيع العشبة التي كانت ستمنحه الشباب الدائم. وعند عودته إلى أوروك، سلى نفسه وعزاها بصروح مدينته الخالدة.

10.16- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 1, 16-24; T. Jacobsen, *Mesopotamian Religions: An Overview*, in ER 9, 447-66.

وانظر النصوص المترجمة في:

- J. B. Prichard (ed.), *Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament*, Princeton 1969.

وهناك العديد من المداخل إلى أديان بلاد الرافدين، منها:

- Édouard Dhorme, *les Religions de Babylonie et d'Assyrie*, Paris 1945; Jean Bottéro, *la Religion babylonienne*, Paris 1952; S. N. Kramer, *The Summerians*, Chicago 1963; Thorkild Jacobeson, *The Treasures of Darkness: A History of Mesopotamian Religion*, New Haven 1976.

17
ديانة الرومان

0.17- **كانت شبه الجزيرة الإيطالية، قبل أن يوحّدها الرومان،** تؤوي سكاناً من أصول مختلفة؛ ويتشكّل معظم هؤلاء من يونانيي المستعمرات الجنوبية، ولاتينيي المنطقة الوسطى، علاوةً على الإتروسكيين في شمال [نهر] التيبر. ويغلب على الظن أن هؤلاء الإتروسكيين من أصل آسيوي. وقد اشتهروا، منذ فترة نهاية الجمهورية (بداية القرن الأول ق.ح.ع)، بمجموعة كتبهم المسماة (**ليبري أوغوراليس**) [**أسفار الكهانات**] (*libri augurales*)، التي تتضمن الحديث عن تقنيات تفسير النبوءات، ولاسيّما تقنية فحص أحشاء القربان الحيواني؛ غير أنه لم يصلنا أي شيء من هذه النصوص. أمّا المادة الأركيولوجية المتوافرة، فهي وحدها غير كافية لإعطائنا فكرة مقنعة عن عقائد الإتروسكيين.

1.17- قام شعب اللاتينيين الهند- أوربي -الذي كان وجوده، في بداية الأمر، محصوراً في المنطقة الوسطى المسماة لاتيوم [لاتسيو] **فيتوس** (Latium Vetus) (**لاتيوم** [لاتسيو] **القديمة**)- بتأسيس مدينة (**أوربس** *urbs*) روما، وذلك بتاريخ (21 أبريل [نيسان] 753 ق.ح.ع). وفي القرن السادس (ق.ح.ع)، شرع اللاتينيون في التوسع الإقليمي على حساب باقي اللاتينيين والقبائل المجاورة. وقد تعاقب على حكم روما سبعة ملوك -أسطوريين بهذا القدر أو ذاك- أربعة منهم لاتينيون، وهم الأوائل زمنياً، بينما الثلاثة الأواخر إتروسكيون. ويعتقد أن آخر هؤلاء الملوك، وهو

تاركينيوس المغرور[109] (Tarquine le Superbe)، قد طرد، في عام (510)، من قبل شعب روما، التي تحولت منذ ذلك الحين إلى جمهورية. وقد استمرت الجمهورية في سياستها التوسعية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ما أدّى إلى تنامي الدور السياسي الذي أصبح يؤديه قادة الجيش، فطفقوا يحتكرون الوظائف الأساسية التي هي من اختصاص الدولة. وقام أحد هؤلاء القادة، وهو الجنرال الموهوب قيصر (César)، بإعلان نفسه **ديكتاتوراً مدى الحياة** (*dicator perpetuus*) **وإمبراطوراً** (*imperator*)، وذلك عام (45 ق.ح.ع)، قبل أن يتعرض للاغتيال على يد جماعة من السيناتورات الجمهوريين (15 مارس [آذار] 44). وقد أصبح حفيد أخته أكتافيوس (Octavien) -الذي أُطلق عليه لقب أغسطس (Auguste) التشريفي- إمبراطوراً بالفعل في عام (27)، لكنه لم يلغِ المؤسسات الجمهورية التي احتفظ بها **على نحو شكلي** (*pro forma*). وقد أُلِّه أغسطس بعد موته عن عمر يناهز ست وسبعين سنة، في عام (14 ق.ح.ع). وكانت هذه الإمبراطورية الرومانية تغطي، خلال القرن الثاني (ح.ع)، منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط برمّتها، علاوةً على بلاد أوربا الغربية والوسطى والجنوبية الشرقية وآسيا الصغرى؛ وقد انقسمت، في عام (395)، إلى شطرين، هما: الإمبراطورية الغربية التي سيغزوها الجرمانيون عام (476)، والإمبراطورية الشرقية أو البيزنطية (نسبة إلى اسم عاصمتها القسطنطينية/ بيزنطة، التي بناها قسطنطين الأول عام 330) التي سيغزوها الأتراك العثمانيون عام (1453).

2.17- تعتمد ديانة الرومان الغابرة على بانثيون وميثولوجيا، متأثرين جداً بالمعتقدات اليونانية. وعلاوةً على ذلك، يستشفُّ من العدد الوافر من الآلهة الأهلية، ومن الطقوس المستحفرة -المبهمة أحياناً- حضور الموروث الهند-أوربي الأصيل في

109- الصفة Superbe في الفرنسية الحديثة تعني: "الرائع"؛ لكن أصلها اللاتيني القديم Superbus يعني: "المغرور"؛ وقيل: "الفظ". (م)

ديانة الرومان؛ وهو الموروث الذي خضع للعملية التأويلية التي يصفها جورج دومزيل بأنها «مؤرخنة»[110] [بكسر الخاء]. (هكذا، يلاحظ دومزيل، مثلاً، أن الوصف الذي يعطيه المؤرّخ تيتوس ليفوس (Tite-Live) (64 أو 59 ق.ح.ع-17 ح.ع]) لحرب الرومان والسابيين (Sabins) تقابله عند شعوب هند-أوربية أخرى حكايات أسطورية خالصة). وقد نبه ج. دومزيل، أيضاً، إلى حضور «الإيديولوجيا الثلاثية» الهند-أوربية في الثالوث الروماني المكوّن من يوبيتر (Jupiter) (السيادة)، ومارس [المريخ] (الوظيفة الحربية)، ثم كويرينوس (Quirinus) (الوظيفة الغاذية والحمائية). ويلتئم جهاز الكهنوت الروماني القديم من الملك (**ملك المقدسات** *rex sacrorum*؛ وهي الوظيفة التي تمّ الحفاظ على الجانب الديني منها خلال العهد الجمهوري)، ومن **فلامنة** (*flamines*) الآلهة الثلاثة (أو **الفلامنة الكبار** *flamines maiores*: **فلامن يوبيتر** *flamen Dialis*، **فلامن مارس** *flamen Martialis*، **فلامن كويرينوس** *flamen Quirinalis*)، ثم **البونتفيكس ماكسيموس** (*pontifex maximus*)، أو الحبر الأعظم، وهي الوظيفة التي صار يقوم بها الإمبراطور نفسه منذ عهد قيصر.

وغالباً ما شُبّهت الديانة الرومانية باليهودية (↔) والكونفوشيوسية (↔)؛ فهي تشترك مع الأولى في العناية بالحدث الملموس والتاريخي، ومع الثانية في الاحترام الديني الذي تكنّه للتقليد وللواجب الاجتماعي الذي يعبّر عنه مفهوم **البيتاس**(pietas) [التقوى].

1.2.17- لقد تمّ التأكيد مراراً على الطابع الديني الذي وسم عملية تأسيس مدينة روما. وقد خصّصت روما منطقة داخلية محوطة بحجارة لتُقام عليها هياكل الآلهة، أو المعبودات الأهلية، وتسمّى **بومريوم** (*pomerium*). أمّا ميدان مارس [المريخ]، الذي كانت المدينة تتطهر في رحابه، بشكل دوري كل خمس سنوات، عن طريق تقديم قربان مكون من ثور أو خنزير بري أو كبش، فقد كان يقع خارج هذه

110- ترجمة: (historicisante)، أي تضفي على ذلك الموروث طابعاً تاريخياً. (م)

المنطقة، التي لم يكن يُسمح فيها بمزاولة السلطة العسكرية (*impreium militiae*). وكانت هياكل الآلهة الأحدث عهداً، بما فيها تلك التي كانت تحظى بأهمية أعظم، مثل جونو ريجينا [الملكة] (Juno Regina)، تقع خارج **البومريوم** (*extra pomerium*)، على تل أفنتينوس(Aventin) عموماً. (ويستثنى من ذلك معبد كاستور [التوءم الإلهي]، الذي أقامه في دائرة الحرم البومراني الديكتاتور أولوس بوستوميوس (Aulus Postumius) في القرن الخامس). وللآلهة الأهلية الغابرة، الواقعه هياكلها داخل الحرم البومراني، أسماء وخصائص واحتفالات موسومة، في الأغلب، بطابع الغرابة؛ أنجرونا (Angerona) إلهة الاعتدال الربيعي، ماتوتا Matuta إلهة الأمهات...

وفي عهد الأسرة التاركينية، استُعيض عن الثالوث يوبيتر-مارس-كويرينوس، مصحوباً بيانوس ذي الرأسين (Janus Bifrons) والإلهة الخطونية [الأرضية] فيستا (Vesta)، بالثالوث الجديد يوبيتر أوبتيموس ماكسيموس-جونو-مينرفا. وأصبحت الآلهة التي تماثل زيوس (Zeus)، هيرا (Héra) وأثينا (Athéna) تتوافر على تماثيل. وأقام الديكتاتور أولوس بوستوميوس ثالوثاً جديداً على تلّ أفنتينوس، وهو: [ثالوث] سيرس (Cérès) (ديمتير)، وليبر (Liber) (ديونيسوس)، وليبرا (Libera) (كوري) (↔ 3.33). ودأب الرومان على استدماج العبادات المحلية في ديانتهم كلما استولوا على أراضي جيرانهم من الآلهة. ومن أشهرها عبادة الإلهة القمرية ديانا النيمية (Diane de Nemi)، ربة العبيد الفارين، التي نقلت إلى الأفنتينوس.

2.2.17- تتمثل **العبادة المنزلية**، التي تتمحور حول البيت العائلي، في تقديم قرابين حيوانية وهدايا الطعام والزهور إلى الأسلاف، وإلى اللارات [جمع لار] (Larses) والبينات [جمع بينة] (Penates)، علاوةً على الجني (génie) الموكل بحماية المكان. وكانت مراسم الزواج تنظم في البيوت تحت حماية المعبودات الإناث (تيلوس Tellus، سيرس Cérès). وفي وقت لاحق، ستصبح جونو (Junon) ضامنة العهد الزوجي. وكانت المدينة تحتفي، مرتين في السنة، بأرواح الموتى من

المانوسات[111] [جمع مانوس] (Mânes)، والليمورات [جمع ليمور] (Lémures)، الذين يعودون إلى العالم الأرضي، ويتهدنون بفضل الطعام الذي يوضع على قبورهم.

ومنذ (399 ق.ح.ع)، تنامت وتيرة تقديم الرومان للقرابين، التي يُطلق عليها اسم لكتسترنيات[112] (Lectisternia)؛ وهي قرابين مهداة لأزواج من الآلهة كانت تماثيلها تعرض في المعابد (أبولون/ ليتو Appolon/ Latone، هرقل/ ديانا Hércule/ Diane، ميركوري/ نبتون Mercure/ Neptune).

3.2.17- يشكل **الكهنة الرومان** هيئة الأحبار، التي تضم **ملك المقدسات** (*rex sacrorum*)، **والأحبار** (*pontifices*)، وعلى رأسهم **الحبر الأعظم** (*pontifex maximus*)، ثم **الفلامنة الكبار** (*flamines maiores*)، وعددهم ثلاثة، **والفلامنة الصغار** (*flamines minores*)، وعددهم اثني عشر. وبهيئة الأحبار التي ذكرنا تقترن الكاهنات العذراوات (vestales) الست المختارات من بين البنات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ست وعشر سنين لمدة ثلاثين عاماً من الخدمة؛ ويجب عليهن أن يحافظن، خلال هذه المدة، على عذريتهنّ. وفي حالة إخلالهنّ بهذا الشرط، يتم دفنهنّ حيّات. وهناك مؤسسة مماثلة لهذه في إمبراطورية الإنكا. وتتمثل وظيفة الكاهنات العذراوات في صيانة النار المقدسة.

وتستعين هيئة الكهانة [العرافة] بالمصنفات الإتروسكية (**ليبري هاروسبيكيني** [أسفار الأحشاء] (*libri haruspicini*)، **ليبري ريتواليس** [أسفار الطقوس] (*libri rituales*)، **ليبري فولغوراليس** [أسفار الصواعق والبروق] (*libri fulgurales*)، كما

111- نعرب لفظ (Mâne) بالرجوع إلى صيغته اللاتينية (Manus) حتى نميزه عن لفظ «مانا» (Mana) الوارد في الفقرة (1.8) من مادة «أديان أوقيانوسيا». (م)

112- جمع لكتسترنيوم (Lectisternium)، التي تعني حرفياً: «نصب الأريكة أو السرير». (م)

تستعين بالمصنفات اليونانية (النبوءات السيبيلية (oracles sybillins)، التي تعرضت إلى ألوان من التحريف على يد اليهود والمسيحيين) لمعرفة أوقات السعد وأوقات النحس. وكانت توجد في روما هيئات دينية أخرى متخصصة، مثل الفتياليين [كهنة الحرب والسلم] (Fetiales)، والكهنة الساليين (Saliens) [حراس الدروع المقدسة]، **والفراتريس أرفاليس** (*Fratres Arvales*) حماة الحقول، ثم اللوبركيين [كهنة فاونوس لوبركوس Faunus Lupercus]، الذين يحتفلون باللوبركيات (Lupercales) في يوم 15 فبراير [شباط] عن طريق ضرب النساء بسياط مصنوعة من جلد التيس، من أجل تأمين خصوبتهنّ (**لوبا** *Lupa*، أي الذئبة، التي ترادف «العاهرة»، تشير إلى الجنس الطليق؛ وقد أرضعت «ذئبة» كلاً من رومولوس (Romulus)، مؤسس روما الأسطوري، وشقيقه [ريموسRémus]).

3.17- تنامت حماسة الرومان الدينية بصورة ملموسة في العهد الإمبراطوري، كما يلاحظ ذلك جيداً أرنالدو مومليانو (Arnaldo Momigliano) . لقد تمّ تأليه الإمبراطورين قيصر وأغسطس بعد موتهما. ومع أن خلفاءهما لم يؤلّهوا تلقائياً، إلا أن هذه السابقة أصبحت بمقام المثال الذي سيشيع القياس عليه لاحقاً، وذلك حينما سيتواتر تأليه الإمبراطور، أو أحد أقربائه، خلال حياتهم. وقد دشّن ذلك، أيضاً، عهد الجمع، الذي صار غير قابل للحلّ بين وظيفة الإمبراطور ووظيفة القائد الديني التي يؤديها **البونتيفكس ماكسيموس** [الحبر الأعظم]. وعلى شاكلة عبادة الآلهة القديمة، توافرت عبادة الأباطرة بدورها، على كهنة ومراسم. لقد خُصّصت للأباطرة معابد، إما بمفردهم، وإما بمعية بعض الأسلاف المبجلين، أو بمعية الإلهة، الحديثة العهد، روما (Rome)، التي تحمل مدينة روما اسمها. وفي القرن الثالث، نزع الأباطرة إلى التماهي مع الآلهة؛ فقد سمح سيبتيموس سيفيروس (Septime Sévère) وزوجته دومنا (Domna) بأن يعبدا بوصفها يوبيتر وجونو.

4.17- عبادة الأباطرة هي عبارة عن بدعة وسمت نهاية الديانة الرومانية التقليدية؛ وهي دليل دخول هذه الديانة في طور البلاء، أو **الكيتش** (*kitsch*)

[الابتذال]. وإذا كان هناك من شيء يستحق الذكر، في هذا العصر، فهو يتمثل في النتاجات الفكرية الهلنستية من جهة (↔ 29)، وديانات الأسرار من جهة أخرى (↔ 2). ومن أجل وضع حد لانتشار المسيحية الكاسح، لجأ الكتّاب الوثنيون إلى التفسير الأفلاطوني للأساطير القديمة، مانحين إياها حمولةً رمزيةً قويةً. وقد اعترض كل من كلسيوس (Celse) في القرن الثاني، وفرفوريوس (Porphyre) في القرن الثالث، والإمبراطور يوليانوس (Julien)، و«الحزب الوثني» بزعامة سيماخوس (Symmaque)، علاوةً على الأفلاطونيين ماكروبيوس (Macrobe) وسرفيوس (Servius) في أواخر القرن الرابع، [اعترضوا كلهم] على النزعة الكليانية التي تنطوي عليها المسيحية، متبنّين عوضاً عنها رؤية دينية تعددية، بحسب الهرمينوطيقا الأفلاطونية، باذلين وسعهم في سبيل استعادة وتحسين جميع معتقدات الماضي، بما فيها تلك التي تبدو، في الوهلة الأولى، في غاية التنافي مع العقل. وستواصل النخبة الرومانية النهل من هذه المعتقدات إلى غاية سقوط الإمبراطورية، لتستأنف وجودها بعد ذلك في سراديب بيزنطة.

5.17- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 2/161-68; R. Schilling, *Roman Religion: The Early Period*, in ER 13, 445-61; A. Momigliano, *The Imperial Period*, in ER 13, 462-71.

ويشتمل المرجع الأخير على بيبليوغرافيا وافرة.

18
الزرادشتية

1.18- **الديانة ما قبل-الزرادشتية:** ليس من السهل فكُّ رموز الديانة الإيرانية السابقة على إصلاحات زرادشت. فإلى جانب العناصر الأصيلة، التي تتشكل منها هذه الديانة، نجدها تنطوي على سمات تشترك فيها مع الهند الفيدية، من قبيل القربان (**ياز** *yaz*، انظر: **ياجنا** *yajña* في السنسكريتية) الحيواني، الذي يُعتقد أن روحه تلتحق بالكائن الإلهي المسمّى **غيوش أورفان** *Geuch Urvan* («روح الثور»)، وتناول شراب **الهاوما** (*haoma*) (**سوما** *soma* بالسنسكريتية) المهلوس. وتنتمي الكائنات الإلهية في هذه الديانة إلى فئتين؛ **الأهورات** (*ahuras*) («السادة [الموالي]»؛ انظر: **أسورات** *asuras* في السنسكريتية) و**الدايفات** (*daivas*) («الآلهة»؛ **ديفات** *devas* في السنسكريتية)؛ وتكتسي كلتاهما طابعاً إيجابياً.

إنها ديانة تنتمي إلى مجتمع تهيمن عليه طبقة أرستقراطية حربية بأخوياتها الـمُسارِّية[113] ذات الشعائر العنيفة، التي تنتهي بحالة «غضب» (**آيشما** *aēshma*). وتتمحور العبادة حول تقديم القرابين الحيوانية من قبيل البقرة (**كاف** *gav*)، وتناول شراب **الهاوما** (المشار إليه في كتاب **ياسنا** *Yasna* 10.48، 14.32 بوصفه شراباً من البول المتخلّص منه بعد تناول عقار مخدر[114]).

113- نسبة إلى الـمُسارَّة (initiation). (م)

114- يعوزه الدليل. ونشير إلى أن ترجمة النصين المذكورين، فضلاً عن تفسيرهما، محلّ خلاف عند

=

2.18- **زرادشت**: من الصعب تعيين تاريخ محدد لإصلاحات زرادشت (**زرواستر** *Zoroaster* باليونانية[115])، لكن يغلب على الظن أن المصلح كان يعيش في مكان ما من إيران الشرقية نحو (1000 ق.ح.ع). إن رسالة زرادشت الأصلية تتعارض مع التجربة الدينية السابقة على ظهوره على أكثر من صعيد؛ فقد أدان القرابين الدموية، كما شجب تناول **الهاوما**، وأدخل تغييراً شاملاً على البانثيون الذي أصبح بسبب ذلك **توحيدياً** و**ثنوياً**. ويُطلق على هذه الديانة الجديدة، التي أسفر تطورها اللاحق عن حدوث تغيير في سماتها المميزة، اسم **الزرادشتية**.

3.18- الزرادشتية القديمة:

1.3.18- لقد شُرع في تدوين **مصادر** الزرادشتية ابتداءً من القرن الرابع أو السادس (ح.ع)؛ لكن هذه المصادر تتشكل من العديد من الطبقات؛ فكتاب (**أفستا**) (*Avesta*) يلتئم من أقسام[116] عديدة: **ياسنا** (*Yasna*) (طقوس القرابين)، **ياشت**

دارسي أفستا؛ انظر على سبيل المثال تعليق المستشرق شارل دي هارليز على هامش ترجمته الفرنسية للكتاب:

Avesta: livre sacré du Zoroastrisme, traduit, annoté et Introduit. par Charles de Harlez, Paris: Maisonneuve & Cie, 2e éd., 1881, p. 357, note 12.

وقارن:

أفستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، إعداد خليل عبد الرحمن، روافد للثقافة والفنون، دمشق، ط2، 2008، ولا سيّما هايتي 48. 10، ترجمة خالدة حسن عن الإنجليزية، ومراجعة خليل عبد الرحمن، ص 88. (م)

115- ذلك رسمها ونطقها في الإنجليزية؛ أمّا في اليونانية، فهو: «زرواستريس» (Ζωροάστρης). (م)

116- يطلق على الواحد منها اسم «ناسك»(nask). ويلاحظ أن المؤلف جعل من النصوص الثلاثة الأخيرة، التي درج على تصنيفها في قسم «قطع» (Fragments)، أقساماً قائمة بذاتها. هذا، وقد تصرفنا بعض الشيء في ترجمة البيانات الموضوعة بين قوسين؛ وذلك إمّا =

(*Yasht*) (الأناشيد الإلهية)، **فينديداد** (*Vendidad*) (أحكام الطهارة)، **فيسبرد** (*Vispered*) (تكملة طقوس القرابين)، **نيايش** (*Nyāyishu*) وغاه (*Gâh*) (الأدعية)، **خوردا** (*Khorda*) أو أفستا الصغرى (الصلوات اليومية)، **هادوخت ناسك** (*Hadôkht Nask*) (سفر الكتابات)، **أوغيماديشا** (*Aogemadaêchā*) (حرفياً: «نحن نقبل»)، الذي يتضمّن إفادات عن الموت والعالم الآخر، **نيرانغيستان** (*Nîrangistān*) (قواعد تنظيم طقوس العبادة[117]). ويذكر أن أقدم أجزاء **ياسنا**؛ أي جزء **الغاثات** [غاثا] (*Gāthās*) (الأناشيد)، هو من تأليف زرادشت نفسه.

وإلى جانب هذه المصادر الأفستية، نلفي النصوص الفهلوية (الفارسية الوسطى)، التي لا تقل عنها أهميةً؛ ومعظمها دون في القرن التاسع: **زند** (*Zand*) (تفسير **أفستا**)، **بنداهيشن** (*Bundahishn*) (قصة الخلق الزرادشتية)، **دينكرد** (*Dênkard*) (أخبار شتى عن الديانة)، **منتخبات** الكاهن زاتسبرام (Zātspram) ، **دادستان إي دنغ** (*Dādistān î Denîg*) للكاهن مانوشهر (Mānushčihr)، النص الحكمي **دادستان إي منوغ إي خراد** (*Dādistān î Mênôg î Khrad*)، النص الدفاعي **شكاند-غومانيغ فيزار** (*Shkand-gumānîg Vîzar*) (الإبطال المنهجي لجميع الشكوك)، كتاب (**ناماغ** *Nāmag*) لآردا فيراز (Ardā Vîrāz)، الكاهن الذي قام برحلة إلى العالم الآخر. ونجد طائفة من النصوص الزرادشتية الأحدث عهداً مدونة باللغات الفارسية والغواجاراتية (guajarati) والسنسكريتية؛ بل بالإنجليزية.

وهناك العديد من المآثر الإيرانية المصورة، علاوةً على نقوش من زمن الإمبراطورية الأخمينية (داريوش الأول 522-486؛ خشيارشا 486-465؛ أردشير

لغموضها وإمّا لعدم مطابقتها لما في المراجع المتاحة، ولا سيّما الترجمتين العربية والفرنسية لكتاب أفستا المذكورتين آنفاً. (م)

117- في الأصل: (règles culturelles) نسبةً إلى (culture)؛ والصواب كما نرى: (règles cultuelles) نسبةً إلى (culte). (م)

الثاني الأخميني 402-359، ق.ح.ع) إلى عهد الملوك الساسانيين (سابور الأول 241-272؛ ونرسي 292-302، ح.ع). ومع أنها لا تنتمي إلى الحقل الديني، بالمعنى الدقيق للكلمة، إلا أنها تسمح لنا بتسليط بعض الضوء على وضع الدين وطبيعته خلال مختلف هذه الفترات التاريخية. وتحتل نقوش الكاهن الأعظم (**موبد** *mobād*) كرتير (Kerdîr)، التي تعود إلى أوائل العهد الساساني، أهميةً بالغةً في هذا المضمار.

ويسعفنا اليونان والمسيحيون والعرب، كذلك، بمعلومات نفيسة عن الزرادشتية؛ وهي معلومات تغطي الفترة الممتدة من القرن الخامس (ق.ح.ع) إلى غاية القرن العاشر (ح.ع).

2.3.18- يعدُّ **الإصلاح الزرادشتي**، كما أسلفنا، بمقام ردّ فعل مناهض للعبادة التهتكية[118]، التي كانت منتشرة في صفوف الأخويات المُسارِّية الخاصّة بالمحاربين الذكور. فنحن إزاء ثورة طهرانية أخلاقية تشبه، نوعاً ما، الثورة الأورفية في اليونان القديمة، التي كانت تهدف، بدورها، إلى إصلاح جذري للممارسات التهتكية الأنثربوفاجية[119] الديونيسية[120]. وعلى الصعيد الديني، بحصر المعنى، نجد أن التجديد، الذي تفرّد به زرادشت أكثر من غيره، يتمثل في إنشاء نسق يجمع بين التوحيد والثنوية في مركب موسوم بالأصالة. وللتوضيح، نذكر أن حدود المشكلة الثيوديسية[121] تبقى هي نفسها في الأديان كافةً، وأن الثنوية لا تمثل سوى حل من جملة الحلول الأخرى الممكنة. إن الجدير بالاهتمام في الزرادشتية أخذها بفكرة حرية

118- ترجمة: (orgiastique). (م)

119- نسبة إلى (anthropophagie) التي تعني: «أكل لحم البشر». (م)

120- نسبة إلى ديونيسوس (Dionysos). (م)

121- تعريب (théodicée)، التي تعني حرفياً: «العدل الإلهي». وهو مصطلح نحته الفيلسوف الألماني غوتفريد ليبنتز (Leibniz) في القرن السابع عشر على ما هو مشهور. (م)

الاختيار؛ لكن الصيغة البدائية التي اتخذتها الفكرة لم تجنبها الوقوع في التناقض المنطقي؛ فأهورا مازدا (Ahura Mazdā)، المولى الأسمى، هو خالق جميع الأضداد (**ياسنا 3.44- 5**)؛ لكن ابنيه التوءمين، سبينتا مانيو (Spenta Mainyu) (الروح الخيرة[122]) وأنغرا مانيو (Angra Mainyu) (الروح السالبة[123])، مخيران بين نظام الحق (**آشا** *asha*) وبين البهتان (**دروج** *druj*)، اللذين يتجليان معاً في الأفكار والأقوال والأفعال الحسنة أو السيئة. وهذا يعني، بطبيعة الحال، أن أهورا مازدا هو خالق الشر بمعنى مزدوج؛ ذلك أن **دروج** (*druj*) سابق الوجود على اختيار أنغرا مانيو، كما أن هذا الأخير هو ابن أهورا مازدا. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنطوي هذه الثنوية الإيتيقية [الأخلاقية]، كذلك، على أبعاد لاهوتية وكوسمولوجية وأنثروبولوجية.

في الحقبة الهند-إيرانية المشتركة، كما في الديانة ما قبل-الزرادشتية، كانت **الدايفات** [دايفا] (*daivas*) (**ديفات** [ديفا] (*devas*) بالسنسكريتية) و**الأهورات** [أهورا] (*ahuras*) (**أسورات** [أسورا] (*asuras*) بالسنسكريتية) بمقام كائنات إلهية. ومع الزرادشتية، خضعت هذه الكائنات لتطور في اتجاه معاكس لما حدث لها في الهند؛ إن **الأهورات** (*ahuras*) هي الآلهة التي اختارت **آشا** (*asha*)؛ أمّا **الدايفات** (*daivas*)، فهي الشياطين التي اختارت **دروج** (*druj*).

وهناك وسطاء بين الروح الخير وبين البشرية، المجبرة، دوماً، على تحمل مسؤولية اختياراتها الأخلاقية، وهم الأميشا سبينتا (Amesha Spentas)، «الخالدون الأخيار»[124]، الستة[125]: **فوهو مانا** (*Vohu Manah*) (الفكر الخير)، **آشا فاهيشتا**

122- وفي العديد من المراجع: «الروح القدس». (م)

123- وفي العديد من المراجع: «الروح الخبيثة». (م)

124- وفي العديد من المراجع: «المقدسون». (م)

125- في الأصل: «السبعة»؛ والصواب ما ذكرنا. (م)

(*Asha Vahishta*) (الحقيقة الفضلى)، **خشاترا فايريا** (*Khshathra Vairyia*) (السلطان المرتجى)، **سبيتا أرمايتي** (*Spenta Armaiti*) (الإخلاص)، **هورفاتات** (*Haurvatāt*) (الكمال)، ثم **أمريتات** (*Ameritāt*) (الخلود)[126]. ويجسد هؤلاء الخالدون الأخيار الستة[127]، في الوقت نفسه، مجموع خصائص الإله أهورا مازدا وصفات المخلوقين الفانين الذين يتبعون نظام الحق، **آشا** (*asha*). وحين يرتقي المرء الحقاني (**آشافان** *ashavan*) إلى المرتبة الخاصة المسماة **ماغا** (*maga*)، يكون في مستطاعه أن يلتحق بالخالدين الأخيار، وأن يتّحد بالروح الخيرة.

3.3.18- **التوليفة الكهنوتية**: قام الكهنة الأفستيون الشرقيون، الذين يُطلق عليهم اسم **آثرافان** (*âthravans*) (انظر: **أثرفان** *atharvans* بالسنسكريتية)، ومن بعدهم الكهنة الغربيون (الميديون Mèdes) المعروفون باسم المجوس (Mages)، بإخضاع رسالة زرادشت الطهرانية لتأويل جديد، نتج عنه إحياء الإرث المتقدم على الزرادشتية، وإضفاء صبغة نسقية على مكونات الديانة التي صارت تنتمي، منذ ذلك الحين، إلى دائرة التقليد الموروث. لقد انصبت هذه التوليفة الكهنوتية على تراث قديم بكامله؛ بل إنها أحيت طقوس القرابين الدموية وتناول شراب **الهاوما** المهلوس. وقد حولت الأميشا سبينتا إلى **يازاتات** [يازاتا] (*Yazatas*)، أو آلهة كاملة، بينما لم تكن الأميشا سبينتا سوى صفات للإله أهورا مازدا، وفي الوقت نفسه صفات للمخلوقين **الأشفان**. ثم إنها أحيت آلهة قديمة مثل ميترا (Mitra)؛ كما حولت آلهة أخرى، مثل إندرا (Indra)، إلى شياطين. ومن المحتمل أن تكون هذه العملية التوليفية وراء الإلهين المزدكيين المذكورين في نصوص **ياشت** الأفستية، ونعني بهما أردفي سورا آناهيتا (Arədvī Sūrā Anāhitā) وميثرا (Mithra)، اللذين كانا يحتلان مكانةً عظيمةً تحت حكم الأخمينيين؛ وهما ناتجان عن تأويل جديد لإلهة هند-إيرانية، كان

126- تصرفنا في ترجمة بعض البيانات الموضوعة بين قوسين وفقاً لما تذكره المراجع. (م)

127- في الأصل: «السبعة»؛ وهو خطأ مكرور. (م)

الهنود يسمونها **سارسفاتي** (*Sarasvatī*) (تحت تأثير إلهة من الشرق الأدنى) وإله هند- إيراني هو ميترا (Mitra). وفي البانثيون المزدكي، نجد ميثرا (Mithra) موكلاً، مع سراوشا (Sraosha) وراشنو (Rashnu)، بمحاسبة النفس بعد الموت. ومن جملة **اليازاتات** [يازاتا] -أو الآلهة- الأخرى، نذكر فرثراغنا (Verethragna) الموكل بالنصر في الحروب، وفايو (Vāyu) الموكل بالريح، وداينا (Daênā) أو الصورة المجسدة للدين، وخفارينا (khvarenah) أو العظمة الملكية، وهاوما...

4.18- الزروانية:

1.4.18- **المشكلة**: شهدت فترة حكم الساسانيين (القرن الثالث ح.ع) نهضة دينية تمثل شعارها، على ما يبدو، في التسامح. لكن من الصعب معرفة ما إذا كانت المرجعية الأرثوذكسية، في هذه الفترة، تتمثل في المزدكية، أم في الزروانية (نسبة إلى زروانZurvan الذي تمحورت حوله بعض الأساطير الثنوية). ومن المرجّح، كما يذهب إلى ذلك روبرت ش. زينر (R. C. Zaehner)، أن المزدكية كانت هي الأقوى، وأن الزروانية تغلبت خلال بعض الفترات فقط.

ويعدُّ أردشير (أرتاخرخس) محيي الزرادشتية؛ لكن هل يتعلق الأمر بالمزدكية أم بالزروانية؟ وعرف سابور الأول، الذي يرجح أنه زرواني الملة، بميوله القوية إلى ماني(Mani) (↔ 5.12)؛ أما شقيقاه مهرشاه وفيروز، فقد اعتنقا معاً الديانة المانوية. وكان خلفه هرمز الأول نصيراً للمانويين؛ لكن بهرام الأول -بمعونة **موبدان موبد** (*mobādan mobād*)، أو رئيس كهنة النار، كرتير (Kerdîr) الرهيب- قام بحبس ماني، الذي لقي حتفه في السجن، واضطُهِد أتباعه. وسار سابور الثاني، الذي اعتلى العرش في عام (309 ح.ع)، على نهج كرتير وسياسته المنافية للتسامح. ويرى روبرت ش. زينر أن هذا الوضع استمر على هذه الحال حتى عهد يزدجرد الأول -الشهير بلقب «الأثيم»- الذي أشاد بتسامحه المسيحيون والوثنيون. وفي أواخر عهده، تقريباً، أرسل وزيره الأعظم مهر-نرسي (Mihr-Narsê) بعثة تبشيرية إلى أرمينيا.

ومن الممكن أن تكون لأسطورة زروان، التي ينقلها إلينا مؤلفان أرمينيان (ثيودورس بار كوناي Théodore bar Kōnaî ويوحنان بار بنكاي Yohannān bar Penkayê) ومؤلفان سوريان (أليشع فاردبات Elishê Vardapt ويزنيك الكلبي Eznik de Kolb)، علاقة ما بدعاية مهر-نرسي في بلاد أرمينيا، وذلك متى سلّمنا بأن يزدجرد الأول وحاميي مهر-نرسي الآخرين، بهرام الخامس ويزدجرد الثاني، كانا زروانيين. وكان مولود مهر-نرسي البكر [صنيعته الأولى]، الذي تقلّد منصب الكاهن الأعظم (**هربدان هربد** Hêrbadān Hêrbad)، يحمل اسم زروانداد (Zurvāndād)؛ وإذا صحّ أنه هو «الهرطوقي» نفسه (**ستار***sāstār*) المذكور بهذا الاسم في **فيدفدات**[128] (*Vidêvdāt*) (49.4)، فإنه سيصبح من الممكن أن نعزو إلى الأباطرة الثلاثة، الذين ذكرنا، ميلاً إلى الزروانية. وقد تحمس الإمبراطور قباد [الأول] (Kavād) لأفكار مزدك (Mazdak) «الشيوعية»، لكن خلفه كسرى الأول [أنوشيروان] عاد إلى الأرثوذكسية، فقتل مزدك وأصحابه، ثم أصلح المزدكية، وسجن الهراطقة حتى يتوبوا، ممعناً في تقتيل من عاد منهم إلى الهرطقة بلا رحمة. وبعد انصرام عهد كسرى الأول، انخرطت الإمبراطورية الفارسية في عهد الانحطاط. لقد اقتربت ساعة الغزو العربي.

2.4.18- **الأسطورة.** توجد أربع روايات للأسطورة الرئيسة التي تتمحور حولها الزروانية؛ لكن رواية المؤلف الأرميني يزنك الكلبي (Eznik de Kolb) هي أكثر تلك الروايات اكتمالاً؛ وفيها: أن زروان، الكائن الخنثى، على أرجح الظن، الذي يدلّ اسمه على معنى القضاء أو القدر[129]، كان موجوداً قبل أن توجد جميع الأشياء، ثم إنه رغب في إنجاب ولد، فجعل يقدم القرابين لمدة ألف سنة، لكنه لم يلد؛ ثم ساوره الشك في جدوى القرابين التي كان يقدّم طوال تلك المدة. وعند ذلك، حبل

128- يعني فيندبداد. (م)

129- وعند معظم الدارسين: «الزمان». (م)

رحمه «الأمومي» بولدين: أوهرمازد (Ohrmazd) بقوة القربان، وأهريمان (Ahriman) بقوة الشك. وتعهد زروان بأن يتوّج ملكاً أول مولود يخرج من رحمه إلى الوجود. وكشف أوهرمازد عن نية والده إلى أخيه أهريمان، الذي سارع إلى «اختراق رحم» زروان والمثول بين يديه. لكن زروان تنكّر له، قائلاً: «إن ولدي ذو ريح عطرة ونوراني، أما أنت، فأقتم ومنتن الريح». ثم ولد أهريمان «في ساعته نورانياً عطر الريح»؛ لذلك، وجد زروان نفسه مجبراً على الوفاء بعهده، فتوّج أهريمان ملكاً، لكنه ملك لن يستغرق أكثر من تسعة آلاف سنة؛ وبعدها «سيسود أهورمازد، وسيفعل كل ما يشاء». وشرع كل واحد منهما في الخلق: «وكل ما خلقه أوهرمازد كان خيراً وحقاً، وكل ما عمله أهريمان كان شرّاً وعذاباً».

وهناك أسطورة زروانية أخرى قريبة جداً من قصص الديميورج [الصانع]، هذه الشخصية البالغة التعقيد، الهزلية، والمأساوية في الوقت نفسه، التي تبدو في الأغلب أكثر حكمة [فطنة] من الخالق نفسه. وهي تتمثل هنا في حالة أهريمان، الذي يعرف سرّ صناعة يجهلها أوهرمازد؛ فهو يعلم كيف تصنع المصابيح لأجل إنارة العالم. وأثناء حديثه مع شياطينه، كشف لهم أن أوهرمازد قادر على أن يصنع الشمس إذا جامع أمه، والقمر إذا جامع أخته (إشارة إلى **خويثودثه** *xwêtwodatîh* [زواج المحارم]، **خويذ وكدس** *xvetuk das* بالأفستية، التي كانت تعدّ في سياقها عملاً مشرفاً جداً). فركض الشيطان ماهمي (Mahmi) مسرعاً نحو أوهرمازد لإخباره بما سمع.

وهناك، أخيراً، أسطورة ثالثة تصف لنا نزاعاً نشب بين أوهرمازد وأهريمان حول الملكية؛ فالمياه كلها في ملك أهريمان؛ ومع ذلك، تردها حيوانات أوهرمازد (الكلب، الخنزير، الحمار، والبقرة). وحين منع أهريمان هذه الحيوانات من أن ترِد مياهه، حار أوهرمازد في الأمر، ولم يدرِ كيف يتصرّف؛ غير أن أحد الشياطين الأهريمانيين أشار عليه بأن يقول لجاره: «إذاً اسحب مياهك من أرضي!»، لكن الحيلة لم تنطلِ على أهريمان، الذي أمر أحد مخلوقاته، وهو العلجوم، بأن يبتلع كلّ المياه التي كانت في أرض أوهرمازد؛ فوقع أوهرمازد مرةً أخرى في حيص بيص، ولم يجد مخرجاً من

ورطته إلى أن قامت ذبابة من حزب أهريمان، فدخلت في منخر العلجوم، ممّا اضطره إلى الإفراج عن المياه.

3.4.18- **تأويلات الزروانية**: من الواضح أن إعادة بناء نسق زرواني موحّد ومتماسك عملية مستحيلة، وذلك على الرغم من المحاولات المتكرّرة التي قام بها هنريك ص. نايبرغ (H. S. Nyberg)، وإميل بنفنيست (É. Benveniste)، وغيرهما، والتي تُوِّجت بالعمل الأساسي الذي أنجزه روبرت ش. زينر (R. C. Zaehner). ولا يساورنا الشك في وجود الزروانية، التي قد تكون تشكلت من مجموعة من الثيولوجيات الفئوية، التي صارت رسمية في عهد الساسانيين. غير أن الدليل الأقوى على وجود هذه المذاهب، يبقى -ولو مع توافر روايات عديدة للأساطير الزروانية وإشارات شتى إليها- دليلاً سلبياً خالصاً؛ فهو يستنبط من الصمت المتعمّد، الذي لزمته النصوص الفهلوية المتأخّرة؛ فلولا هذا الصمت، ما كنّا نتوافر على أيّ دليل يشهد على القوة التاريخية الحقيقية التي كانت تتمتّع بها الزروانية؛ فالمزدكية المتأخرة تنكر وجودها لتثبت بذلك قوّتها وسلطانها. ومن الطبيعي، عندئذٍ، أن تعترضنا مشكلة تاريخية هي في غاية التعقيد: هل السجال الذي تحفل به النصوص المانوية ضد الزروانية مرتبط بعداء أصلي قائم بين الديانتين؟ أم أن هناك، بالأحرى، ما يدعو إلى افتراض وجود صلة وثيقة بين المانوية والزروانية في عهد سابور الأول، ممّا قد يفسّر تبنّي النشكونية[130] المانوية لاسم زروان؟

5.18- **مزدكية النصوص الفهلوية**: من المؤسف أن تكون المزدكية الوحيدة المتماسكة التي وصلتنا؛ أي مزدكية النصوص الفهلوية، قد دُونت في فترة تاريخية جدّ متأخرة. وكان علماء الماضي، حين يصادفون في هذه النصوص موضوعات أسطورية موجودة سلفاً في كتابات مانوية أو يهودية-مسيحية سابقة، يسارعون إلى استنتاج أن

130- ترجمة: (cosmogonie). (م)

هذه الأخيرة ذات أصل إيراني. والحال أنه من المحتمل جداً أن تكون ذات أصل مانوي، أو يهودي-مسيحي. ومن الممكن إرجاع عدد كبير جداً من الثيمات الأسطورية، التي تنطوي عليها الكتابات الفهلوية، إلى نصّ الأفستا نفسه؛ بل إلى أقدم أقسامه. غير أن التفاصيل الجزئية والحكايات المتماسكة ذات العلاقة بالنشكونية وبالإسخاتولوجيا لا نجدها إلا في النصوص الفهلوية.

1.5.18- **الكوسمولوجيا:** تجري أطوار قصة الخلق المزدكية (**بنداهيشن** *Bundahishn*) في صورتين من صور الوجود؛ فهناك حالة **منوك** (*mênōk*)، أو الحالة «الروحية»، التي تعدّ بدورها بمقام نواة لحالة **جيتيغ** (*gêtîg*) أو الحالة «الطبيعية» [المادية]. وهذه الحالة الأخيرة ليست سلبية على الإطلاق، كما هو حال الأجسام عند أفلاطون، أو كما هو حال المادة في التقليد الأفلاطوني المتأخر؛ وإنّما هي حالة يطبعها «الاختلاط» (**غومشيهن** *gumêčishn*) الذي يقف وراءه أهريمان، الروح الخبيثة. وقد قام هذا الأخير بقتل الثور والإنسان البدئيين (غاو-إي-إيو-داد Gaw-î-êw-dād وكيومرث Gayōmard) اللذين تنحدر من زرع أولهما الحيوانات الطيبة، ومن زرع ثانيهما الزوج الإنساني الأول، ماشيا (Mashya) وماشياناغ (Mashyānag).

وقد خلقت أجزاء العالم على ستة مراحل، بدءاً من خلق السماء البلورية إلى خلق البشر. وفي قلب الأرض يوجد جبل هارا (Harā)؛ وحولها توجد سلسلة جبال هربوس (Harbuz) (هارا بيرزيتي Harā Berezaiti بالأفستية). ولا يسكن البشر إلا في أحد الأقاليم (**كيشوار** *kêshwar*) السبعة من هذه الدائرة، وهو المسمى خوانيراثا (Khvaniratha)، الذي تجري في جنوبه أنهار تنبع من جبال هارا؛ ومن هذه الأنهار يتشكل بحر فوروكاشا (Vurukasha)، الذي يقع في مركزه جبل مخلوق من جوهر سماوي (بلور)؛ وفي هذا الجبل تنبت المثل النموذجية لجميع الأشجار، علاوةً على شجرة الخلود، أو الهاوما (Haoma) البيضاء. ومن بحر فوروكاشا يخرج نهران يحدّان خوانيراثا من ناحيتي الشرق والغرب.

2.5.18- **الإسخاتولوجيا الجمعية**: يُفترض أن تنتهي حالة **الغومشيهن** عند انفصال (**ويزاريشن** *wisārishn*) مخلوقات الروحين. ويلتئم تاريخ الكوسموس [العالم] من ثلاثة أزمنة: الماضي، الذي يطبعه كيومرث وموته، والحاضر، الذي يطبعه زرادشت ودعوته، ثم المستقبل، الذي يطبعه المخلص أو سوشيانس (Sōshans) (ساوشيانت Saoshyant بالأفستية).

ويشتمل تاريخ الكون، بحسب **البنداهشين**، على أربع مراحل، مدّة كل واحدة منها ثلاثة آلاف سنة، بما مجموعه اثنا عشر ألف سنة. وخلال الثلاثة آلاف سنة الأولى، يقوم أوهرمازد بخلق العالم في حالة **منوك** (mênōk)، بينما يشرع أهريمان في ممارسة عمله التخريبي. وفي التسعة آلاف سنة الآتية، تسود هدنة بين الإلهين ومخلوقاتهما المختلطة في حالة **جيتيغ** (*gêtîg*). لكن، بعد انقضاء ثلاثة آلاف سنة، يهجم أهريمان على العالم الذي خلقه أوهرمازد؛ وعندها، يقوم هذا الأخير بخلق **فرافاشي** (*fravashi*)، أو «روح» زرادشت. وبعد انقضاء ثلاثة آلاف سنة أخرى، يظهر النبي، ويبدأ الدين الصحيح مسيرته المظفرة في العالم. وخلال الثلاثة آلاف سنة الباقية، يحكم السوشيانسات [سوشيانس] الثلاثة، أو أبناء زرادشت الثلاثة، الذين سيظهر كل واحد منهم على رأس كل ألف سنة: أوكشاياتيراتا (Ukshyaterata)، أوكشياتنيما (Ukshyatnemah)، أستفاتيراتا (Astvaterata).

وبناء على ما جاء في الغاثات [غاثا] (Gāthās) نفسها، فإن نهاية العالم ستكون عن طريق التطهير بالنار، وحصول تغيير يطول صورة الحياة (فراشوكيرتي Frashōkereti، وفي الفهلوية فرشكرد Frashgird). ويفصل بين الأخيار والأشرار نهر من النار. ويبعث الموتى في أجساد لا تفنى بفضل القربان الذي يقدمه المخلص. ويولد هذا الأخير من زرع زرادشت المخبأ في بحيرة تقع في ناحية الشرق.

3.5.18- **الإسخاتولوجيا الفردية**: إن محاسبة النفس الفَردية فكرة قديمة، لكن بياناتها التفصيلية تقع في الأفستا الحديثة، ولا سيّما في الروايات الفهلوية. فبعد مضي

ثلاثة أيام على مغادرتها الجسد، تصل أرواح الموتى إلى جسر جينفات [جينوت] (Cinvat)، حيث يرى الصالحون منهم إيمانهم مجسّداً في صورة داينا (Daênā) الفتاة العذراء، التي عمرها خمس عشرة سنة، ويراه الآثمون الأشرار مجسّداً في صورة امرأة قبيحة المنظر. وبعد خضوعهم لمحاسبة الآلهة ميثرا، وسرواش، وراشنو، ينجح الصالحون من أهل الديانة في عبور الجسر، في حين يلقى بالآثمين الأشرار في الجحيم؛ أمّا «الفاترون»؛ أي أولئك الذين لم يكونوا، خلال مدة حياتهم الدنيا، لا صالحين ولا طالحين، فإنهم يمرون إلى المطهر المسمى هاميستاغان (Hamestagan). إن فكرة الجسر الذي يتسع في وجه الأبرار ليعبروه بسلام آمنين، ويضيق في وجه الكفار ليقعوا منه في الجحيم، هي فكرة مستعارة، في زمن متأخر، من المسيحية، التي كانت الفكرة شائعة فيها، سلفاً، خلال القرن السادس (ح.ع).

وتصعد النفس [الروح] إلى السماء على ثلاث مراحل؛ مرحلة النجوم، حيث مكان «الفكر الخيّر» (**هوماتا** *humata*)، ومرحلة القمر، حيث تسكن «الكلمة الخيّرة» (**هوختا** *hūkhta*)، ثم مرحلة الشمس، حيث مقر «الأفعال الخيّرة» (**هفاشتا** *hvashta*)؛ وبعدها تنتقل النفس [الروح] إلى مملكة النور اللا-محدود (**أناغرا راوشا** *Anagra Raosha*).

6.18- **الطقوس**: كانت الزرادشتية، في أول أمرها، ديانةً مناوئة للطقسيات، قبل أن ينتهي بها الأمر إلى استدماج القرابين الحيوانية وعبادة **الهاوما** التي كانت تناهضها من قبل. ولم تُعرف لها معابد ولا تماثيل، إلى أن حان عهد أرتاخرخس الثاني [أردشير الثاني الأخميني]، الذي نصب تماثيل لآناهيتا (Anāhitā) متأثراً في ذلك بالشرق الأدنى. وخُصِّصت «بيوت النار» لإجراء العديد من الطقوس التي تتمحور حول النار؛ وأهمها طقس قربان **الهاوما**، الذي يُجريه كاهنان **رابسي** (*rāpsî*)[131] **وزوت**

131- وفي العديد من المراجع «راسبي» (rāspî). (م)

(*zōt*) (**زاوتار** *zaoter* بالأفستية، **وهوتر** *hotr* بالسنسكريتية) بينما يرتلان نصوص **الياسنا الأفستية**.

وتُقام بعض الطقوس وفقاً للروزنامة التي تبدأ برأس السنة (**نوروز** *Nô Rūz*)، وهي المناسبة المكرسة للأرواح (**فرافاشي** *fravashis*). وللأعياد الكبرى علاقة بالاعتدالين [الربيعي والخريفي] وبالانقلابين [الصيفي والشتوي].

7.18- **المزدكية بعد الغزو الإسلامي**: ظلت الزرادشتية موجودة في إيران بعد الغزو العربي، كما تشهد على ذلك الأدبيات الفهلوية. لكن في القرن العاشر، وفي أعقاب محاولتهم التمرد على المسلمين، غادر معظم الزرادشتيين بلاد إيران نحو شمال الهند (بومباي)، حيث يشكلون، إلى يومنا هذا، مجتمعاً منغلقاً وثرياً من البارسيين(Parsis). أمّا من بقي منهم في إيران، فهم بخلاف ذلك، يعانون من صنوف البؤس والاضطهاد.

وفي الوقت الحاضر، يبلغ عدد الزرادشتيين في العالم نحو (130 000) نسمة (إحصاء 1976)، منهم (77000) في الهند، (25000) في إيران، (50000) في باكستان (23000) في الولايات المتحدة الأمريكية.

8.18- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 1, 100-112; 2, 212-17; G. Gnoli, *Zoroastrianism*, in ER 15, 578-91; *Zarathustra*, in ER 15, 556-59; *Iranian Religions*, in ER 7, 277-80; *Zurvanism*, in ER 15, 595-6; R. C. Aaehner, *Zurvan*: *A zoroastrian Dilemma*, Oxford 1955.

19
ديانة السلافيين والبلطيين

0.19- دخل السلافيون [الصقالبة] التاريخ الأوربي نحو عام (800 ق.ح.ع)، لكن توسعهم لم يحصل إلا بعد ألف وأربعمئة سنة من ذلك، حين انقسمت اللغة الهند- أوربية السلافية البدائية[132] إلى ثلاثة فروع (الغربي، والجنوبي ثم الشرقي). وفي القرن العاشر، شغل السلافيون المنطقة الممتدة من روسيا إلى اليونان، ومن [نهر] الإلبه إلى [نهر] الفولغا. ومن اللغة السلافية الغربية تنحدر اللغات البولندية والتشيكية والسلوفاكية والوندية (Wendique) (التي انقرضت)؛ ومن اللغة السلافية الجنوبية تنحدر اللغات السلوفينية والصربية-الكرواتية والمقدونية والبلغارية؛ ومن اللغة السلافية الشرقية تنحدر اللغتان الروسية والأوكرانية. وقد تحوّل السلافيون إلى الديانة المسيحية خلال القرنين الثامن والتاسع.

1.19- إن المصادر المكتوبة، التي تخبرنا عن الديانة السلافية، لا تتعدى القرن السادس (ح.ع) (بروكوبيوس القيصراني Procope de Cesarée). وأهم هذه المصادر (**أخبار كييف**) (*Chronique de Kiev*) (القرن الثاني عشر)، الذي يخبرنا عن تحول روسيا إلى الديانة المسيحية (988) في عهد فلاديمير الأول (Vladimir I^er^)، ثم أخبار الحملات المناهضة للوثنية، التي قادها الأساقفة أوتو البامبرغي (Otto de

---

132- ترجمة:(proto-slave). (م)

(Bamberg (القرن الثاني عشر؛ وكتبها إيبو Ebbo، هيربورد Herbord وراهب آخر مجهول الهوية)، وثياتمار المرسيبورغي (Thietmar de Merseburg) وجيرولد الأولدنبورغي[133] (Gérold d'Oldenbourg) (وكتبها هلموند البوساوي Helmond de Bosau)، والتي تهم السلافين الغربيين. إن المصادر المباشرة الوحيدة التي نتوافر عليها، في هذا المضمار، هي المصادر الأثرية المتمثلة في بضعة معابد وتماثيل. وأخيراً، نجد أن الفلكلور السلافي يحتفظ بذكرى بعض الآلهة السابقة على مجيء المسيحية.

2.19- يذكر كتاب (**أخبار كييف**) سبعة من آلهة السلافين الشرقيين (بيرون Perun، فولوس Volos، خورس Khors، دزبوغ Dazhbog، ستريبوغ Stribog، سيمارغلو Simarglu، موكوش Mokosh)؛ وكانت تقدم لها القرابين. وتعتقد ماريجا غيمبوتاس (Marija Gimbutas) أن خورس ودزبوغ وستريبوغ هي وجوه، أو مظاهر، لمعبود شمسي يسمّى بالإله الأبيض (بيلوبوغ Belobog)؛ وعند السلافين الغربيين، يُطلق على هذا الإله -الذي يتعارض مع الإله الجحيمي فيلس (Veles)- أسماء ياروفيت (Iarovit)، بوروفيت (Povovit)، سفينتوفيت (Sventovit). وفي كتابه (**أخبار السلافين**) (*Chronica Slavorum*)، يحدثنا هلموند [البوساوي] عن إله شمسي، هو أبو الآلهة، لكنّه لا يُعنى بإدارة شؤون العالم. إن هذه الوظيفة تعود إلى بيرون (Perun)، إله الرعد، الذي اشتُقّ اسمه من الجذر بير (*per*)، «ضرب»؛ وفي اللغة البولندية، تدلّ كلمة **بيورون** (*piorun*) على معنى «الصاعقة». وعند البلطيين (الليتوانيين)، نجد أن إله العاصفة بيركوناس (Perkunas) يحمل اسماً مشتقاً من الكلمة الهند-أوربية الدالّة على معنى «السنديان»، الشجرة المكرسة، في الأغلب للآلهة السماوية. ومن المحتمل أنه، تحت اسم بيرون (Perun)، كانت أسرة روريك (Rurikide) الحاكمة في كييف -وهي إسكندنافية الأصل- تعظم الإله الجرماني ثور

133- في الأصل (Gérard d'Oldenbourg) ؛ والصواب ما ذكرنا. (م)

(Thor)، الذي كانت أمّه هي فيورجين (Fiorgyn) (من «السنديان») في الميثولوجيا النرويجية. وبعد دخول روسيا في المسيحية، تحوّلت ميثولوجيا [الإله] بيرون (Perun) إلى ميثولوجيا القديس إيليا (Élie) الملقب باسم **غروموفنيك** (*gromovnik*) («الراعد»)، والذي كان يحتفل بعيده في العشرين من يوليوز [تموز] من خلال طقوس التوبة والإنابة. وحيث إن إيليا موكل بالمطر، كان من الطبيعي أن يعتقد أنه المتحكم في المحاصيل الزراعية.

ومن بين الكائنات الخارقة للطبيعة، التي هي من جنس الذكور، نجد الأرواح المنزلية العديدة، التي يطلق عليها، في مألوف العامة، اسم **ديد** (*ded*) أو **ديدوشكا** (*dedushka*)، «الجد الصغير»، وكذا أرواح الغابة (**ليشيس** *Leshiis*) ثم الأسلاف. لكن معظم الكائنات الخارقة للطبيعة، عند السلافيين، هي إناث: ماتسيرا زمليا (Mat'Syra Zemlia) (الأم الأرض الرطبة)، موكيشا (Mokysha) (انظر: موكوش Mokosh في قائمة القرن الثاني عشر)، الباركا (Parque) [حائكة خيوط القدر]، ومعها كائنات أنثوية أخرى تمتلك مفاتيح أسرار القدر الإنساني، والبابا ياغا (Baba Yaga) الفظة، والبشعة، والفتّاكة، وفيدما (Ved'ma) الساحرة، وحوريات المياه (**الفيلات** *vilas*) والأشجار (**الروسالكات** *rusalkas*)...

3.19- دخل **البلطيون** التاريخ الأوربي في منتصف الألفية الثانية (ق.ح.ع)، لكن المصادر المكتوبة التي تتعلق بهم ظلت خرساء حتى القرن العاشر (ح.ع)، حينما شرع الجرمانيون والدنماركيون في احتلال أراضيهم. وخلال هذا الغزو، الذي انتهى في القرن الرابع عشر باعتناق البلطيين لدين المسيحية، تمّ استيعاب أحد الشعوب البلطية (البروسيون القدماء أو البروثينيون Pruthènes) استيعاباً تامّاً، بينما حافظ شعبان بلطيان آخران على هويتهما (الليتوانيون واللاتفيون Lettons).

1.3.19- على غرار البانثيون السلافي، يضم البانثيون البلطي ثلاثة آلهة رئيسة: إله سماوي عاطل (**ديفاس** *Dievas* بالليتوانية، و**ديفس** *Dievs* باللاتفية)، وإله

للرعد (بيركوناس*Perkunas* بالليتوانية، وبيركونس*Perkuons* باللاتفية)، وإلهة للشمس، وهي ساول (*Saule*)، التي نلاحظ، مع ذلك، أن وظيفتها لا تتفق مع وظيفة بلوتون السلافي، الذي هو فيلس (Veles) . وإلى جانب هؤلاء، نجد الأرض الأم (زيمن مات Zemen mate باللاتفية)، ثم الكائنات الأنثوية العديدة الخارقة للطبيعة، اللواتي يسمين «أمهات».

4.19- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 3, 249-51; M. Gimbutas, *Slavic Religion*, in ER 13, 335-61; H. Biezais, *Baltic Religion*, in ER 2, 49-55.

20
الشامانية

0.20- **ليست الشامانية ديناً** بالمعنى الدقيق للكلمة، إنّما هي عبارة عن مجموعة من الطرق الانجذابية والعلاجية الهادفة إلى الاتصال بالعالم الموازي وغير المرئي الذي تشغله الأرواح، وإلى الحصول على المعونة من هذه الأخيرة في تدبير شؤون البشر. وعلى الرغم من أنها تتجلى، عملياً، في أديان جميع القارات، وعلى الصعد الثقافية كافةً، «اتخذت من آسيا الوسطى والشمالية قبلتها المفضلة» (جان بول رو Jean-Paul Roux، **دين الأتراك والمغول** *Religion des Turcs et Mongols*، ص 61). وكلمة «شامان» ذات أصل تنغوسي(toungouse)، وتعني «الساحر». واللفظ التركي الشائع الذي يعني الشامان هو **كام** (*Kam*). أما الياقوتيون (Yakoutes) والقيرغيز (Kirghiz) والأوزبك (Uzbeks) والكازاخ (Kazaks) والمغول (Mongols)، فيستخدمون ألفاظاً أخرى. وكبير الشامانات في عهد الغزوات المغولية هو **بيكي** (*beki*)؛ وهذا اللفظ هو على الأرجح الأصل الذي ينحدر منه اللفظ التركي **بك** (*beg*)، الذي يعني «السيّد»، والذي تحول إلى **باي** (*bey*). وينسب المؤرخون المسلمون إلى جنكيز خان (Gengis Khan) نفسه امتلاك قدرات سحرية.

1.20- **الشامانية الآسيوية**: ينتمي الأتراك والمغول والتنغوسيون-المانشو إلى العائلة اللسانية الألطية، التي خلفت عائلة لسانية أقدم منها، وهي العائلة الأورالية-الألطية، التي ينضوي تحتها، أيضاً، الفنلنديون والمجريون والإستونيون، وشعوب

آسيوية أخرى عديدة. وفي زمن لاحق، ستعتنق طوائف كثيرة من هذه الشعوب ديناً معيناً؛ بل ستعتنق، على مرّ الأزمنة، أدياناً عالميةً عديدةً (البوذية، المسيحية، الإسلام، اليهودية، المانوية، الزرادشتية). ويمكن اقتفاء أثر المؤسسة الشامانية، سواء في ماضي هذه الشعوب التاريخي، أم في بقاياها المجحودة، أو المُتنكّر لها، الأحدث عهداً. ويسعفنا جان بول رو بعرض مجمل جيد يتضمن الشهادات القديمة ذات الصلة بالشامانية (**دين الأتراك والمغول**، ص61-98). وفي أيامنا هذه، يميل العديد من الإثنوسميوطيقيين[134] إلى إرجاع رسوم سيبيريا الصخرية إلى أصول شامانية (نحو 1000 ق.ح.ع)، وذلك بناءً على السمات المميزة المشتركة التي تجمعها بلباس الشامانات وطقوسهم كما عاينها الإثنوغرافيون (↔ 1.26). وهذه المعطيات تسندها بعض المصادر اليونانية، ابتداءً من القرن السادس (ق.ح.ع)، مصادر تحمل على الاعتقاد، أيضاً، بأن صنفاً من الشامان المحلّي كان ما يزال موجوداً في بلاد اليونان خلال القرن الخامس (ق.ح.ع). وبما أن الملاحظات نفسها تصدق، كذلك، على أديان شعوب أخرى قديمة عرفت الكتابة (الإيرانيون، الصينيون، التبتيون...)، مثلما تصدق على شعوب لم تعرف الكتابة، وعاشت على هامش التاريخ المعروف في عزلة نسبية، مثل شعب الأبوريجان الأستراليين، فإنه ليس من المستبعد أن يكون المنظور التاريخي-الثقافي أجدى في دراسة الشامانية من المنظور التاريخي المحض. وقد يأتي يوم يكتمل فيه بناء علم النفس التاريخي، فيسعفنا بالأدوات المفهومية، التي ما زال يفتقر إليها البحث في الشامانية. ومع أن العلماء يقررون أن الشامانية الأصيلة القحة قد نشأت وترعرعت في بلاد آسيا الوسطى والشمالية (الشعوب التركية-المغولية، شعب الهيمالايا، الشعوب الفينية-الأوغرية finno-ougriens، الشعوب القطبية arctiques)، فإن معظمهم متفقون على ضمّ بلاد كوريا واليابان والهند الصينية والأمريكتين إلى منطقة نفوذ الشامانية.

134- نسبة إلى الإثنوسميوطيقا (Ethnosémiotique). (م)

1.1.20- **في حظيرة شعوب سيبيريا الشمالية، التي تعيش على القنص وصيد الأسماك**، نجد الشامان يؤدي وظيفة عشائرية (اليوكاغير Youkagirs، الإفنكي Evenkis)، أو محلية (النغاناساني Nganasanis)، وقد نجده بلا سند اجتماعي (التشوكتشي Tchouktches، الكورياك Koriaques). وفي الجنوب الزراعي (الياقوتيون Yakoutes، البورياتيون Bouriates، التوفان Touvins، الخقاسيون Khakazes، الإفنكي Evenkis...)، تكتسي مؤسسة الشامانية طابعاً أكثر تعقيداً، كما أن وضع الشامان يختلف حسب قدراته الشخصية. ويتعين على الشامان السيبيري، وإن كان قد ورث هذه الوظيفية عن أبيه، أن يخضع لمُسارَّة فردية، بعض عناصرها عبارة عن تقاليد (معارف منقولة)، وبعضها الأخر يكتسي صبغة خارقة للطبيعة (الحصول على المدد من الأرواح). وعندما يحظى الشامان بزيارة الأرواح له، يُصاب قبل كل شيء بالمرض النفسي، الذي لا يشفى منه إلا بعد أن يجتاز قفار الموت ويعود إلى الحياة، فيصير عالماً بوجوه استخدام زواره من الأرواح، بهدف القيام برحلات انجذابية الغاية منها هي، في الغالب، غاية علاجية. وخلال الجلسات الشامانية، يستعين الشامان بأشياء عديدة ترمز إلى قدراته الخاصّة، وتساعده على شقّ طريقه إلى بلاد الأرواح: الطبل المصنوع من خشب شجرة ترمز إلى الشجرة الكونية، غطاء الرأس؛ أما اللباس، الذي يربط صاحبه بالأرواح، ويذكّر في الوقت نفسه بالهيكل العظمي، فيرمز إلى الموت والبعث المُسارّي. خلال الجلسة الشامانية، يدعو الشامان أرواحه المساعدة، وبعد ذلك يقوم، وهو في طور الجذب (الذي ليس من الضروري أن يصل إليه باستعمال العقاقير المهلوسة أو المواد السامة)، يقوم برحلة إلى بلاد الأرواح. وفي سيبيريا الوسطى والشرقية (اليوكاغير، الإفنكي، الياقوتيون، المانشو، الناناي Nanays، الأورتشي Orotchis)، نجد أن الشامان، في الأغلب، شخص مسكون بالأرواح التي تتكلم من خلاله.

2.1.20- **نلفي المركب الشاماني لدى جميع الشعوب القطبية**، وهي شعوب تنتمي إلى عدة مجموعات لسانية؛ المجموعة الأورالية، التي ينضوي تحتها الساما

(Saamis)، أو اللابيون (Lapons)، الكوميون (Komis) (الزيريون (Zyriens)، الساموديون (Samoyèdes) (النينيتس-يوراك Nenyts-Youraks، النغاناساني-تافغيس (Nganasanis-Tavgis) ثم الشعبان الأوغريان المتمثلان في الخانتي (Khantys) (الأوستياك Ostiaks) والمانسي (Mansis) (الفوغول Vogouls)؛ والمجموعة التنغوسية (tangouse)، التي تضم الإفنكي (Evenkis) والإفني (Evnys)؛ والمجموعة التركية، التي تضم، في المقام الأول، الياقوتيين (وقبيلة الدولغان Dolganes التنغوسية)؛ والمجموعة اليوكاغيرية (youkagir) (اليوكاغير Youkaghirs المنسوبون إلى الشعوب الفينية-الأوغرية)؛ والمجموعة السيبيرية القديمة، التي يندرج تحتها التشوكتشي والكورياك والإيتلمن (Itelmens) ؛ ثم مجموعة الإينويت (Inuit) (الإسكيمو)، وتضم الأليوتيين (Aléoutiens) . ومع أن الجلسات الشامانية عند الشعوب القطبية أقل تعقيداً بالمقارنة مع سيبيريا الجنوبية، فإنها تكتسي عندهم طابعاً أكثر نشاطاً وكثافةً. فنجد عند بعض هذه الشعوب مثل ما نجد عند الهنود الألغونكيين (Algonquins) في أمريكا الشمالية، حيث يُكبّل الشامان، ويوضع في قلب خيمة مغلقة، يعتريها ارتجاج عنيف مصدره الأرواح (*shaking-tent ceremony*)، التي تهب لتحرير الشامان من قيوده.

ومعظم الإينويت يعيشون في غرينلاند وكندا وألاسكا. ويرتبط امتلاك القدرات الشامانية عندهم بتجربة الموت المُسارِّي الممعنة في الشدة. وهم يعالجون الأمراض بوساطة الامتصاص، أو الرشف، ويزاولون العرافة بوساطة التقنية المسماة **كيلانيك** (*qilaneq*)، التي تقوم على مراقبة تغيّر وزن الشيء الممسوك باليد عند توجيه الأسئلة المختلفة إلى الأرواح. وتشتهر عندهم تقنية **الكوامانيك** (*Quamaneq*) أو إراءة (visualisation) الهيكل العظمي[135]، التي تؤشّر إلى امتلاك القدرات الشامانية.

135- وتروم تمكين الشامان من «القدرة على أن يرى نفسه كهيكل عظمي»؛ انظر:
Mircea Eliade, le Chamanisme et les techniques archaïques de l'exstase, =

3.1.20- **في كوريا واليابان** نجد الشامانية، عموماً، من اختصاص النساء. ويُعدّ العمى علامة على الاصطفاء. وفي شمال كوريا، نجد المرأة الشامانة مطلوبة من قبل الأرواح. وفي الجنوب نجدها وارثة لوظيفة الوالدين. وهي ليست معصومة من المرض المُسارِّي، ويمكنها أن تحظى بزيارة روح عاشقة، وفي هذه الحالة تصبح الحياة الزوجية ممتنعة.

4.1.20- نسجل حضور الشامانية لدى شعوب المناطق الحدودية الكائنة بين بلاد التبت والصين والهند (المياو Miaus، الناخي Na Khi، الناغا Nagas، اللوشي-كوكي Lousheis-Koukis، الخاسي Khasis ...)، كما نجدها عند شعوب الهند الصينية (الهمونغ Hmongs، الخمير Khmers، اللاوس Laos ...) وإندونيسيا وأوقيانوسيا.

5.1.20- على غرار الشامانية القطبية، لم تعرف **الشامانية في أمريكا الشمالية** استعمال المواد المهلوسة في الأصل. وتتعدد طرق الحصول على القدرات الشامانية، وأشهرها العزلة والمعاناة. وفي عدة مناطق يتجه الشامانات إلى الانتظام في جمعيات مهنية. ويقوم أعضاء جمعية الطب الكبير (Sociétè de la Grande Médecine) (الميدويوين Midewiwin)، المعروفة لدى قبائل البحيرات العظمى، بإخضاع العضو الجديد للمُسارَّة عن طريق «قتله» (أو «قصفه» بأصداف الودع، أو بأشياء أخرى رمزية يُفترض أنها ستنفذ إلى جسده)، ثم «إحيائه» من جديد في الكوخ المخصّص للعلاج. واستخراج روح المرض عن طريق الامتصاص يعدُّ أمراً شائعاً.

6.1.20- تنطوي **الشامانية في أمريكا الجنوبية** على جميع العناصر التي لاحظنا

Paris: Payot, 2e édition revue et augmentée, 1968, p. 66: «Cette expérience exige un long effort d'ascèse physique et de contemplation mentale ayant pour but l'obtention de la capacité de se voir soi-même comme un squelette». (م)

وجودها في مناطق ثقافية أخرى: المرض المُسارِّي، إراءة الهيكل العظمي، الزواج بالروح، العلاج عن طريق الامتصاص... وزيادةً على ذلك، تتميّز الشامانية في أمريكا الجنوبية باستعمال مواد مهلوسة (ومن أكثرها شيوعاً **بانيستيريوبسيس كابي** *Banisteriopsis caapi*، أو **ياغي** (*Yagé*)، أو استعمال مواد سامّة (مثل التبغ)، وبإقامة احتفالات مُسارِّية جماعية. وتستخدم آلة الهوشي (hochet) في استدعاء الأرواح أكثر ممّا يستخدم الطبل. وتتخذ الأرواح، في الأغلب، صوراً شبيهةً بالطير. ويحدث كثيراً أن يتحوّل الشامان إلى يغور.

2.20- بيبليوغرافيا:

- M. Eliade, *Shamanism*: *An Overview*, in ER 13, 201-8; A.-L. Siikala, *Siberian and Inner Asian Shamanism*, in ER 13, 208-15; S. D. Gill, *North American Shamanism*, in ER 13, 16-9; P. T. Furst, *South American Shamanism*, in ER 13, 19-23; Å. Hultkrantz, *Arctic Religions*: *An Overview*, in ER 1, 393-400; I. Kleivan, *Inuit Religion*, in ER 7, 271-73.

وبصفة عامة، انظر:

- Mircea Eliade, *le Chamanisme et les techniques archaïques de l'exstase*, Paris 1967; Matthias Hermanns, *Schamanen, Pseudoschamanen, Erlöser und Heilbringer*, vol. 1 et 2, Wiesbaden 1970; Jean-Paul Roux, *la Religion des Turcs et des Mongols*, Paris 1984.

21
الشنتوية

1.21- إن ديانة اليابان القومية هي عبارة عن مركب واسع من المعتقدات والعادات والممارسات التي أطلق عليها، في زمن جدّ متأخر، اسم **شنتو** (*shintō*)؛ ذلك من أجل التمييز بينها وبين الأديان الوافدة من بلاد الصين، كالبوذية (**بوتوندو** *butondu*) (↔ 9.9)، والكونفوشيوسية (↔ 25). وإذا أضفنا إليها المسيحية، التي حلّت باليابان بعد عام (1549)، فسيكون الحاصل مجموعة مكوّنة من أربعة أديان احتضنها الأرخبيل الياباني؛ وهي التي لا تزال موجودة هناك إلى يومنا هذا.

وتعني كلمة **شنتو** (*shintō*) «طريق (**تو** *to*، وبالصينية **طاو** *tao*) الكاميات [جمع كامي] *kamis*»، أو الآلهة الموكلة بالأشياء أيّاً كانت.

2.21- تتمثل أقدم المصادر، التي تخبرنا عن تقاليد اليابان الإثنية، في كتاب **كوجيكي** (*Kojiki*) («**حكاية الأشياء القديمة**»)، الذي وضعه، نحو عام (712)، المأمور أونو- ياسومارو (Ono-Yasumaru)، بأمر من الإمبراطورة جيماي (Gemmeï)، وبناءً على الأخبار، التي تزوّد بها من راوية مشهور بجودة الحفظ[136]. ويحكي كتاب **كوجيكي** عن تاريخ اليابان منذ خلق العالم وإلى غاية عام (628).

136- يقصد هيدا نو آر (Hieda No Are). ويعتقد بعض الدارسين أنه اسم امرأة. (م)

ومن هذه المصادر أيضاً كتاب **نيهونغي** (*Nihongi*) (**«سجل تاريخ اليابان»**) الواقع في واحد وثلاثين جزءاً -بقي منها ثلاثون- وهو عبارة عن مجموع ضخم تم الفراغ من تأليفه في عام (720). ونلفي معطيات أخرى عن معتقدات اليابانيين الأوائل في مصنفات من قبيل (**فودوكي**) (*Fudoki*) (القرن الثامن)، **كوغو-شوي** (*Kogo-Shui*) (807-8)، **شوجيروكو** (*Shojiroku*) ثم **إنغي-شيكي** (*Engi-Shiki*) (927). وعلاوةً على ذلك، تعدّ الوثائق الصينية، منذ عهد أسرة واي (Wei) (220-265)، مصدر معلومات نفيساً عن اليابان القديمة.

ويكشف لنا علم الآثار عن وجود ثقافة نيوليثية[137] (**جومون** *Jomon*) تتميز بتماثيل أنثوية مصنوعة من الطين (**دوغو** *dogus*) وأسطوانات (قضيبية؟) مصنوعة من الحجر الصقيل (**سكيبو** *sekibo*). وفي فترة لاحقة (**يايوي** *Yayoi*)، تعاطى اليابانيون العرافة بوساطة عظم الكتف[138] ودرقات السلاحف. وبعد ذلك، نجد أن دفن الموتى في وضع القرفصاء، خلال عصر كوفون (Kofun)، يطرح على تاريخ الأديان معضلات تفسيرية يتعذر الاهتداء إلى حلها.

3.21- لكن ليست هذه هي المعضلات الوحيدة التي يصادفها المفسّر. إن **الميثولوجيا اليابانية القديمة** تبدو بمقام بديلة مقيدة [أو مشروطة][139] لطائفة من الميثولوجيات الموجودة في أماكن أخرى من العالم. وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها مؤلفون قدماء ومحدثون، من أوغسطين Augustin إلى كلود ليفي-ستروس (Claude Lévi-Strauss)، إننا، إلى يومنا هذا، لا نتوافر على أي تفسير مقنع حقاً للوحدة الأساسية التي تلم جميع الميثولوجيات. (والقول إن مناط هذه الوحدة يتمثل في ثبات العمليات المنطقية هو قول مبتكر، لكنه قليل الرجحان؛ ويلزم عنه، زيادةً على

137- أي تنتمي إلى العصر الحجري الحديث. (م)

138- ترجمة (scapulomancie). (م)

139- ترجمة: (variante combinatoire)؛ وهو مفهوم مستعار من اللسانيات. (م)

ذلك، وجود نسق مستتر موكل بتوجيه إوالية التصنيف الثنائي، فيما يشبه الجهاز الدماغي المتخصّص في الإنتاج الأسطوري-الشعري.)

لقد انبثقت الآلهة الشنتوية الخمسة الأولى، بصورة تلقائية، من الكاووس [العماء]. وعلى إثر العديد من التزاوجات، وُلد إيزاناغي (Izanagi) (ذلك-الذي-يدعو)، وشقيقته إيزانامي (Izanami) (تلك-التي-تدعو)، اللذين قاما، من أعلى الجسر السماوي الطافي، بخلق أول جزيرة، عن طريق خضخضة ماء البحر الأجاج. ثم هبطا على تلك الجزيرة، ليكتشفا الجنس، وكيفية ممارسته، من ملاحظة تصرف طائر الذعرة (Hochequeue). وأسفر تزاوجهما -الذي شابه خطأ- عن ميلاد هيروكو (Hiruko) (العلقة)، الذي لم يرقهما؛ لأنه لا يستطيع الوقوف مع أنه أكمل السنة الثالثة من عمره (ميثولوجيا المولود البكر المشوّه). ثم إنهما تزاوجا مجدداً، فأنجبا جزر اليابان والكاميات [جمع كامي kami]. ومازالت إيزانامي تنجب حتى أنجبت كامي (Kami) النار، الذي أحرق مهبل أمه، فماتت بسبب ذلك. واشتعل إيزاناغي غضباً، فضرب عنق ابنه الأرعن، الذي تولّدت من دمه المسفوح كاميات أخرى عديدة. وعلى غرار أورفيوس (Orphée)، يسافر إيزاناغي إلى العالم السفلي (بلاد-الينبوع-الأصفر) من أجل استعادة إيزانامي، التي استمر احتجازها هناك بسبب أكلها من طعام الموتى (أسطورة بيرسيفون Perséphone). ومع ذلك، عولت إيزانامي على مساعدة كامي المكان، شريطة ألا يزورها إيزاناغي بالليل. لكن هذا الأخير لم يفِ بوعده، فأوقد مشعلاً بطريقة مرتجلة[140]، فوجد أن زوجته إيزانامي لا تعدو أن تكون جثة متحللة تنخرها الديدان. ثم طاردته ثماني شيطانات، عجائز-بلاد-الليل-الشريرات، غير أنه رمى وراءه بغطاء رأسه، الذي تحوّل إلى دالية، فتوقفت الشيطانات عن مطاردته ريثما تنتهي من ازدراد العنب. وكما في حكايات العالم بأسره، يتكرر هذا المشهد ثلاث مرات. أمّا العقبات الآتية، فكانت عبارة عن أغصان خيزران ونهر. وحين أيقنت

140- أوقد أحد أسنان المشط الذي يستعمله في تسريح شعره. (م)

إيزانامي بأن إيزاناغي أفلت بجلده، قررت أن تباشر البحث عنه بنفسها، مصحوبةً بكاميات الرعد الثمانية، وبالخمسة عشر مئة محارب من بلاد-الليل؛ غير أن إيزاناغي عمد إلى صخرة، وسدّ بها الممر الذي يصل بين الأرضين. ومن وراء الصخرة، تبادل الطرفان أشد الوعيد؛ توعدت إيزانامي بأنها ستسوق إلى مملكتها، كل يوم، ألفاً من الأحياء؛ وردّ عليها إيزاناغي بأنه سيخلق من أمثالهم، كل يوم، ألفاً وخمسمئة حتى لا يصبح العالم خالياً من السكان. وعند تطهره من الرجس الذي علق به من جراء اتصاله بالموت، أنجب إيزاناغي أعظم كاميات البانثيون الشنتوي شأناً، وهي إلهة الشمس أماتيراسو (Amaterasu) (السراج السماوي الأعظم)، كما أنجب الإله الداهية سوزا-نو-أو (Sosa-no-O).

ويقوم عدد لا يحصى من أجيال الكاميات، تباعاً، بشغل المسافة الفاصلة بين آلهة البدايات وبين البشر. وبعض هؤلاء الكاميات تمحورت حولهم أدوار أسطورية، أهمها إيزومو (Izumo) وكيوشو (Kyushu). وأهل كيوشو هم الذين، بعد هجرتهم إلى بلاد ياماتو (Yamato) (الأسطورية؟)، أصبحوا أباطرة اليابان الأوائل.

4.21- نلفي في **الشنتوية القديمة** تعظيماً خاصاً للكاميات، بوصفهم تجليات كلية [الحضور] للمقدس. وفي البدء، لم يكن هؤلاء الكاميات -سواء أكانوا قوىً طبيعيةً أم أسلافاً مبجلين، أم مجرد مفاهيم- يتوافرون على أية هياكل. ولم يكن مجالهم الترابي يتميز عن غيره إلا في الأوقات التي تجرى فيها طقوس معينة على شرفهم. وبما أن النسق الإنتاجي الياباني التقليدي مبني على الزراعة، فإن الأمر يتعلق بطقوس واحتفالات موسمية؛ وخارج الاحتفالات الجماعية، توجد عبادة شنتوية فردية كذلك. ولمؤسسة الشامانية (↔ 20)، كما للعبادات الاستحواذية، وجود قديم. وتكتسي الكوسمولوجيا، التي تتضمنها هذه المعتقدات، طابعاً بدائياً. وتنطوي على تقسيم للكوسموس [العالم]؛ هو تارةً تقسيم ثلاثي عمودي (السماء، الأرض، عالم الموتى السفلي)، وتارةً تقسيم ثنائي أفقي (الأرض-طوكويو أو «العالم الأبدي»).

وفي البدء، كانت كل مجموعة بشرية منظمة تتوافر على كاميها (kami) الخاص؛ غير أن عملية التوحيد الإمبراطوري أسفرت عن السيطرة التامة لكامي الإمبراطور، وهو الإلهة أماتيراسو أوميكامي (Amaterasu Omikami). وفي القرن السابع، قام المكتب المركزي المكلف بالكاميات -تحت تأثير النظام السياسي الصيني- بجرد جميع كاميات الإمبراطورية، من أجل أن تقوم الحكومة المركزية بتشييد الهياكل الخاصة بهم، وتقدم فروض التعظيم والإجلال الواجبة في حقهم. وفي القرن العاشر، كانت الحكومة ترعى نحو ثلاثة آلاف هيكل.

وأسفر اتصال الشنتوية بالبوذية، التي جلبت إلى اليابان في عام (538)، ودعمت من طرف الدولة خلال القرن الثامن، عن نشوء توليفات مهمة؛ ففي البداية، تمت المطابقة بين الكاميات وبين ديفات (devas) (آلهة) البوذية؛ وفيما بعد، أسند إلى الكاميات دور أسمى بوصفهم أفتارات [تجسدات] (avatars) للبوذيساتفات (Bodhisattvas) أنفسهم. وتبادلت الديانتان، على نحو فعال، تمثيلاتها المصورة للبوذات والكاميات. وخلال عهد الشوغونات الكاماكوريين (shogunat des Kamakura) (1185-1333)، الذي أبدع فيه الفكر البوذي الياباني على نحو قلّ نظيره، ظهرت [مدرسة] تنداي (Tendai) الشنتوية، كما ظهرت [مدرسة] شنتوية تنترية (شنغون Shingon). لكن، في القرون الآتية، ستظهر حركة معاكسة تروم تخليص الشنتوية من الشوائب البرانية (واتراي Watarai، ويوشيدا شنتو Yoshido Shintō). وفي فترة إيدو (Edo) (طوكيو 1603-1867) حصلت عملية توليف بين الشنتوية والكونفوشيوسية (سويغا شنتو Suiga Shintō). ومع أن نهضة (فوكو Fukko) موتوري نوريناغا (Motoari Norinaga) (القرن السابع عشر) رامت إحياء الشنتوية في صورتها الخالصة تماماً من الشوائب، وانتقدت الخلط بين الشنتوية وبين كل من البوذية والكونفوشيوسية، إلا أن هذه الحركة [النهضوية] انتهت إلى القبول بفكرة الثالوث الكاثوليكية وبلاهوت اليسوعيين. وإذا كانت فترة التوكوغاوا (Tokugawa) (إيدو، 1603-1867)، قد شهدت تحول التوليفة الشنتوية-البوذية

إلى دين الدولة، فإن عهد الميجي (Meiji) اللاحق (بعد 1868)، شهد تحول الشنتوية الخالصة إلى دين الدولة الرسمي.

5.21- تمخض **الإصلاح الديني الميجاوي،** [نسبة إلى عهد الميجي[141] Meiji]، عن التمييز بين أربعة أصناف من الشنتوية؛ كوشيتسو (Koshitsu)، أو الشنتوية الإمبراطورية، جينجا (Jinja)، أو شنتوية الهياكل، كيوها (Kyoha) أو الشنتوية الطائفية، ثم مينكان (Minkan) أو الشنتوية الشعبية.

ومع أن طقوس الدين الإمبراطورية ذات طابع خصوصي، إلا أنها أثرت تأثيراً كبيراً في شنتوية الهياكل. وقد كانت هي دين اليابان الرسمي من (1868) إلى غاية (1946). وبعد هذا التاريخ، صارت شؤون الديانة الشنتوية تدار من طرف جمعية مركزية (**جينجا هونشو** *Jinja honcho*)[142].

ويعدّ الهيكل الشنتوي مسكناً للكامي الذي يرتبط بأحد موجودات الطبيعة: جبل، غابة، شلال. وفي حال لم يكن الهيكل مشيّداً في موقع طبيعي، فإنه من اللازم أن يشتمل على منظر [طبيعي] رمزي. والمعبد عبارة عن بنيان بسيط من الخشب (مثلما هو الحال في إيزIse أو إيزومو Izumo)؛ وقد يزيّن، أحياناً، بزخارف صينية؛ وينبغي أن يُجدَّد بناء المبنى في كل عشرين سنة.

وتعدُّ طقوس التطهير أساسية في الشنتوية؛ وتتمثل في بعض صنوف الإمساك التي تسبق الاحتفالات الكبرى، أو ترافق الحيض والموت، والتي كان يزاولها، في البدء، جميع المؤمنين، بينما لا يزاولها اليوم سوى الكاهن الشنتوي. ولهذا الأخير وحده الحق في الهاراي (harai)، أو طقس التطهير، بوساطة قضيب [عصا] (**هارايغوشي**

141- كلمة «ميجي» يابانية الأصل، مركبة، وتعني «الحكم المستنير». (م)

142- «جمعية الهياكل الشنتوية»، التي أسست في عام (1946) استجابةً لمطالب الحلفاء القاضية بفصل الشنتوية عن الدولة. (م)

(*haraigushi*). وبعد الفراغ من طقوس التطهير، تقدّم الهدايا من براعم الشجرة المقدسة سكاكاي (sakaki)، رمز المحصول الزراعي. وتتمثل أهم فصول الاحتفال في هدايا الأرز و[شراب] الساكي(saké) ...، مصحوبة بالموسيقا والرقص والصلوات (**نوريتو** *norito*) للكامي.

ويُرمَز إلى الكامي في الهيكل بشعار معين (كشعار المرآة التي ترمز إلى أماتيراسو) أو -بتأثير من البوذية- بتمثال صغير. وفي الاحتفال المسمّى **شينكو** (*shinko*)، أو طواف الدائرة الرعوية، يُحمل شعار الكامي، ويُسار به في موكب يجوب أطراف الحي. ويُقام احتفال استرضائي (**جيشين-ساي** *jichin-sai*) في الموقع الذي يُشيّد فيه بناء جديد. ويُفهم من ذلك أن الكاميات العديدين يمكن أن يكونوا خطيرين، وأنه يجب تهدينهم في بعض الأوقات. ويُطلق على الممارسة الفردية، أو الجماعية، للشنتوية اسم **ماتسوري** (*matsuri*). ويتوافر كل بيت ياباني، بموجب التقليد، على **كاميدانا** (*kamidana*)، أو مذبح [هيكل] خصوصي، ينصب في وسطه معبد مصغر، ويُستدعى الكامي إليه بوساطة أشياء رمزية.

6.21- **في الفترة التي سادت فيها شنتوية الدولة** (1868-1946)، يوم كان الكهنة موظفين تابعين للجينجكان (Jingikan)، أو دائرة الشؤون الشنتوية، كانت الحكومة ملزمة، في المقابل، بتمتيع بلاد اليابان بالحرية الدينية؛ وهو الأمر الذي يعني، في المقام الأول، التراجع عن حظر المسيحية. غير أن دستور الميجي لعام (1896) أُوِّل تأويلاً سياسياً سلبياً كذلك، ما دام ليس من حق أي دين أن يوجَد إلا إذا حصل على اعتراف الدولة. وكان على الجينجكان أن يجد حلاً للمشكلة -العويصة أحياناً- المتمثلة في تصنيف الديانات الجديدة التي ظهرت ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد صُنفت ثلاث عشرة عبادة (اثنتا عشرة عبادة منها أُسست فيما بين 1876 و1908) في عداد «الفرق الشنتوية»، مع أن علاقتها بالشنتوية كانت، في الأغلب، علاقة هامشية وإشكالية، وهي كالآتي: شنتو تايكو (Shintō Taikyo) (من دون مؤسّس، واعترف بها عام 1886)، كوروزوميكيو (Kurozumikyo) (أسسها

كوروزومي مونتيدا Kurozumi Munetada عام 1814)، شنتو شوسيها (Shintō Shuseuha) (أسسها نيتا كونيتيرو Nitta Kuniteru عام 1873)، إيزومو أوياشيروكيو (Izumo Oyashirokyo) (أسسها سنج تاكاتومي Senge Takatomi عام 1873)، فوسوكيو (Fusokyo) (أسسها شيشينو ناكابا Shishino Nakaba عام 1875)، جيكوكيو (Jikkokyo) (أسسها شيباتا هاناموري Shibata Hanamori، واعترف بها عام 1882)، شنتو تايسيكيو (Shintō Taiseikyo) (أسسها هيرایاما شوساي Hirayama Shosai، واعترف بها عام 1882)، شينشوكيو (Shinshukyo) (أسسها يوشيمورا ماساموشي Yoshimura Masamochi عام 1880)، أونطاكيكيو(Ontakekyo) (أسسها شيمویاما أوسوكا Shimoyama Osuka، واعترف بها عام 1882)، شينريكيو(Shinrikyo) (أسسها سانو تسونيهيكو Sano Tsunehico، واعترف بها عام 1894)، ميزوجيكيو (Misojikyo) (أسسها تلامذة إينون ماساكان Inone Masakane عام 1875)، كونكوكيو (Konkokyo) (أسسها كاوات بونجيرو Kawate Bunjiro عام 1859)، تينريكيو(Tenrikyo) (أسستها امرأة، وهي ناكاياما ميكي Nakayama Miki، عام 1838، واعترف بها عام 1908، قبل أن تنفصل عن الشنتوية عام 1970؛ ومنها تنحدر فرقة هونميشي Honmichi). ومنذ (1945)، ظهرت «فرق جديدة» عديدة (بلغ عددها، بحسب إحصاء يعود إلى عام 1971، 47 فرقة).

وقد ظلّت الشامانية اليابانية، تقليدياً، من اختصاص النساء. ومن ثمّ، إن العديد من الأديان الحديثة العهد تمتّع النساء بكاريزمات خاصّة.

7.21- على الرغم من أن «الدين الشعبي» (**مينكان شينكو** *minkan shinko*) في اليابان يشترك مع الشنتوية الشعبية في العديد من الأمور، هو متميّز عنها ومباين لها. فهو يشكل مجموعة من الطقوس الاسترضائية، الموسمية والخاصّة المستعارة من أديان اليابان الكبرى. وبالفعل، يُقال، أحياناً، إن الياباني يعيش كونفوشيوسياً، ويتزوج شنتوياً، ثم يموت بوذياً. وفي البيت، نلفيه يتوافر على مذبح [هيكل] شنتوي وآخر

بوذي. وهو يلتزم باجتناب المحظورات الجيومانسية[143] (مدخل البيت لا ينبغي أن يكون مقابلاً للجهة الشمالية الشرقية...)، كما أنه يراعي روزنامة أيام السعد وأيام النحس. أمّا العادات التي عليه أن يحترمها، فأهمها هي تلك التي تتصل برأس السنة (**شوغاتسو** *shogatsu*)، وفصل الربيع (**سيتسوبون** *setsubun*، في الثالث من فبراير [شباط])، وعيد الدمى (**هانا ماتسوري** *hana matsuri*، في الثامن من أبريل [نيسان])، وعيد الصبيان (**تانغو نو سيكو** *tango no sekku*، في الخامس من مايو [أيار]، وعيد النجوم (**تاناباتا** *tanabata*، في السابع من يوليو [تموز])، وعيد الموتى (**بون** *bon*، 13-16 من يوليو [تموز])، والاعتدال الخريفي (**أكي نو هيغان** *aki no higan*)...

وتتشكل الوحدة الاجتماعية المشاركة في هذه الطقوس، تارةً، من العائلة الممتدة (**دوزوكو** *dozoku*)، وتارةً أخرى من مجتمع الجوار (**كومي***kumi*).

8.21- بيبليوغرافيا:

- J. M. Kitagawa, *Japanese Religion: An Overview*, in ER 7, 520-38; H. Naofusa, *Shinto*, in ER 13, 280-94; A. L. Miller, *Popular Religion*, in ER 7, 538-45; M. Takeshi, *Mystical Themes*, in ER 7, 544-52; H. P. Varley, *Religious Documents*, in ER 7, 552-7.

وقد ترجمت النصوص الشنتوية وقدم لها في كتاب بوست ويلر (Post Wheeler) الصادر تحت عنوان:

- *The Sacred Scriptures of the Japanese*, New York 1952.

143- تعريب (géomantique) نسبة إلى (géomancie)، التي تعني «العرافة أو الكهانة بوساطة الأرض». ولعله يريد القول: (prohibitions géométriques)؛ أي «المحظورات الهندسية». (م)

وأفضل دراسة عن أديان اليابان تتمثل في كتاب جوزيف م. كيتاغاوا (Joseph Mitsuo Kitagawa) الصادر تحت عنوان:

- *Religion in Japanese History*, New York/Londres 1966.

وقد خصصت مجلة **تاريخ الأديان** (*History of Religions*) في عام 1988 (مجلد 27، عدد 3) عدداً خاصّاً عن الشنتوية يشتمل على مقالات لجوزيف م. كيتاغاوا (J. M. Kitagawa) وآخرين؛ وصدر العدد المذكور تحت عنوان:

- *Shinto as Religion and as Ideology: Perspectives from the History of Religions.*

وفيها يتعلق بالسياسة الدينية في دولة اليابان المعاصرة، انظر:

- *Japanese Religion. A Survey by the Agency for Cultural Affairs*, Tokyo/New York/San Francisco 1972.

22

الطاوية

1.22- **المصادر**: للطاوية [مرجعان] كلاسيكيان هما: كتاب (**طاو-تو كنغ**) (*Tao-te king*) المنسوب إلى المؤسس الأسطوري للطريق (= الطاو)، لاو تسو(Lao tze)، وكتاب (**تشوانغ تسي**) (*Chuang-tze*) المسمّى باسم مؤلفه المزعوم. وتقول الرواية المأثورة إن لاو تسو ولد ما بين (604 و571 ق.ح.ع). أمّا تاريخ تأليف **طاو-تو كنغ** («كتاب الطريق والفضيلة»)، ففيه خلاف؛ فبعض العلماء يأخذون بالرواية التقليدية، في حين نجد آخرين، أمثال آرثر والي (Arthur Waley)، يجعلون تاريخ تأليفه أحدث، ولا يتعدى (240 ق.ح.ع). ويفترض أن تشوانغ تسي عاش في القرن الرابع (ق.ح.ع).

غير أن اختزال الطاوية في هذين النصين ينطوي على خطأ لا يقلّ فداحة عن اختزال المسيحية في الأناجيل الأربعة. فالمذهب الباطني الفلسفي-العلاجي والخيميائي، علاوةً على الطقس، العامي والعالم على السواء، يمثلان الجزء التحتي الخفي من هذا الجبل الجليدي(iceberg) الضخم الذي تشكله الطاوية. وبمعنى من المعاني، يمكن القول: إن لا شيء يشبه الطاوية في هذا الأمر سوى التقليد الأفلاطوني ذي الألف وجه، والذي يتخذ تارةً صورة التصوف اليهودي على طريقة فيلون [الإسكندراني]، وتارةً صورة الطقس الثيورجي، كما في (**النبوءات الكلدانية**)

(*Oracles Chaldéens*)، وتارةً صورة المذهب الغنوصي، وتارةً صورة الصفائية[144] الفلسفية التي عُني بها أفلوطين، وتارةً صورة الميثو-ماجيا[145] الضافية التي أنتجتها الأفلاطونية المحدثة المتأخرة، وتارةً أخرى صورة مذهب آباء الكنيسة الأرثوذكسي.

وقد طبع القانون الطاوي (**طاو-تسانغ** *tao-tsang*)، في عام (1926) في شنغهاي؛ ويقع في (1120) كراساً. ويذكر هولمز ويلش (Holmes Welch)، في كتابه (**أم الطريق**) (*The Parting of the Way*) (1957)، ست وثلاثين ترجمة إنجليزية لكتاب **طاو- تو كنغ**، في حين لم تتوافر أية دراسة وافية عن الطاوية. ولم يتغير هذا الوضع كثيراً اليوم؛ إلا أن بعض التقدم قد تحقّق على يد الأجيال الجديدة من الصينولوجيين[146] فيما يخص دراسة الجوانب الباطنية من الطاوية.

2.22- **ميثولوجيات قديمة**: بعد انصرام عشر حقب أسطورية، يخبرنا عنها سجل تاريخي قديم، يأتي عهد الإمبراطور هوانغ تي (Huang Ti) (نحو 2600 ق.ح.ع)، الذي يقترن بعنصر التراب وصناعة الحرير، ليدشّن حقبة الصين التاريخية. وبوصفه بطلاً ثقافياً وشاماناً، يملك الإمبراطور الأصفر القدرة على تحقيق المنجزات الباهرة التي يمكن أن يتوقعها مؤرخ الأديان من مثل شخصيته؛ فعلى غرار الياترومانت [المعالجين العرافين] اليونان، تنتاب هوانغ تي، غالباً، حالة من الجذب يغيب خلالها عن الحس، فيزور بلاد الأرواح التي لا تفنى، والتي يستطيع أهلها، مثل سكان جزر السعداء الأفلاطونية، المشي على الهواء، والنوم على الخواء كما لو كان سريراً. وعلى ذلك، نلاحظ أن ميثولوجيا الخالدين تقترن بالعصر الذهبي للإمبراطور الأصفر، السلطان الحكيم والعادل. وتربط هؤلاء الخالدين (سيان Hsien) علاقة

144- ترجمة:(purisme). (م)

145- تعريب: (mytho-magie)؛ ومنها الصفة(mytho-magique)، التي تعني حرفياً «أسطوري-سحري». (م)

146- علماء الصينيات. (م)

غامضة بشعب الحوريات [الجنيات] البهيج، حتى أن المرء قد يخلط بينهم أحياناً من غير تمييز. وتتمثل سيان كينغ (Hsien King)، أو أرض الخالدين في الجبل (سيان شان Hsien Shan)، أو البلاطات التسعة (تشين كونغ Chin Kung)، وربّما قمم الجبل الأسطوري تشين يي (Chin I) السبع. وتوصف بلادهم، أحياناً، بأنها عبارة عن جبال وجزر في الوقت نفسه، كما يُشار إلى جزر السعداء الثلاث، في البحار الشرقية، بأنها عبارة عن سان سيان شان (San Hsien Shan) (جبال جزيرية). ويروى أن الإمبراطور شي هوانغ-تي (Shih Huang-ti) أوفد إليها، في عام (217 ق.ح.ع)، بعثةً للبحث عن إكسير طول العمر؛ وقيل إنه بأمره ركب ستة آلاف من الشباب البحر بلا رجعة.

وأنعمت أم الحوريات، سي وانغ مو (Hsi Wang Mu)، على الإمبراطور وو-تي (Wu Ti)، من أسرة هان (Han) (202 ق.ح.ع-220 ح.ع)، بأربع خوخات لها طعم متميز، ولا تنمو شجرتها إلا مرةً واحدةً كلّ ثلاثة آلاف سنة. وتشكل ثمار الخوخ، أحياناً، رمزاً لسلالة الخالدين، الذين يصنفون إلى جانب الكمل (تشين جين Chen Jen) والقديسين (شين Shen). وهم يشربون من نبيذ سماوي (**تين تشين** *t'en-chin*)، ويمشون على الهواء، ويركبون الريح كما لو كانت عربة. ومع أنهم يتظاهرون بالموت، إلا أننا إذا فتحنا توابيتهم، فلن لن نجد فيها أي أثر يذكر لأجثاثهم، وإنما نعثر فيها على بعض الأشياء الرمزية فحسب.

وفي فترة لاحقة، تبنّت الطاوية عقائد شتى تتصل بالبشر المؤلهين، الذين هم رموز الطريق الأبديون وضامنو نجاحها وتوفيقها. وتحت تأثير البوذية، أصبح الخالدون عبارة عن هيراركية [تراتبية] سماوية. لكنهم، بحسب تقليد آخر، يواصلون العيش في الجبال الخمسة المقدسة التي يحج إليها الحجيج، وأهمها [جبل] تاي شان (T'ai Shan) في [إقليم] شانتونغ (Shantung). وتتمثل غاية أماني المريد الطاوي في أن يلتحق، يوماً ما، بالخالدين من سكان الجبل الغربي كون-لون (K'un-lun)، حيث أرض الملكة السعيدة سي وانغ مو (Hsi Wang Mu)، التي تمتطي ظهور الإوز

والتنانين، وأن يأكل من عشبة الخلود، ويشرب من نهر الزجنفر (cinabre)، الذي ينبغي عبوره من أجل بلوغ العالم الآخر، على غرار الأخيرون (Achéron) المذكور في أسطورة **فيدون** (*Phédon*) الأفلاطونية. فالجبل، والمغارات السماوية المضاءة بنورها الداخلي، مثل الكهف المذكور في رواية (**رحلة إلى مركز الأرض**) (*Voyage au centre de la terre*) لجول فيرن (Jules Verne)، هي الأرض العجائبية التي يتشوّف إليها المريد الطاوي، الذي يلج في ربوعها وأرجائها متوسلاً بتمائم وتعاويذ سحرية بحثاً عن عقار، أو إكسير، أو ترياق. وحين يلج الطاوي في الجبل، يكون في الواقع قد ولج في ذاته، ويكتشف خفّة الكائن التي تجعل منه شيئاً لا يقبل الوزن. إنه يتحلل من جميع المواضعات الاجتماعية واللسانية، ويتعمّد تغيير وعيه، حتى يسقط عنه العوائد والإلزامات المكتسبة. وعلى غرار تشوانغ تسي، يحلم الطاوي بأنه فراشة؛ وحين يصحو من نومه، يتساءل عما إذا كان هو الشخص الذي حلم بأنه فراشة، أم أن الفراشة هي التي كانت تحلم بأنها تشوانغ تسي. فالعالم عبارة عن بناء غير واقعي ينشأ من أحلام تتمخض فيها الكائنات المحلوم بها عن الحالم نفسه، وتلده، تماماً مثل يدي إيشر (Escher)[147] اللتين ترسم إحداهما الأخرى حتى تتسنى لهما القدرة على الرسم.

3.22- إن فكرة خفة الكائن، الذي لا يبقى أسير واجباته الثقيلة إزاء الدولة، لم تكن لتنال رضا الكونفوشيوسية، التي ارتقت بها أسرة هان إلى مرتبة الإيديولوجيا الرسمية، والتي حافظت على هذا الوضع إلى غاية (1911). وعندما ظهرت البوذية في الصين (↔ 8.9)، تنافست الأديان الثلاثة في استقطاب قلوب الأتباع والمؤمنين. وقد تمّ ذلك، أحياناً، بأساليب في غاية الغلظة والجفاء، ولا سيّما في أواخر عهد أسرة تانغ (T'ang) (618-907) حين أضحت الديانة الأكثر عرضة للاضطهاد هي

147 - الظاهر أنه يقصد الرسام الهولندي مورتس كورنليس إيشر (Maurits Cornelis Escher) (1898-1972)، وتحديداً عمله الليثوغرافي الشهير (Drawing Hands) (1948). (م)

أقوى ديانات العصر: البوذية (↔ 8.9). لقد عانت الطاوية من مركب النقص منذ مجيء البوذية. فمن جهة، أجبرتها الكونفوشيوسية على إنكار الممارسات الباطنية والآلهة الشعبية؛ ومن جهة أخرى، مارست عليها البوذية ضغطاً فكرياً عجزت عن مواجهته والردّ عليه. لكننا نعلم، سلفاً، أن الخفة الجوهرية التي تسم الكائن الطاوي تحتضن بذرة اليوتوبيا، وتنطوي على بواعث الثورة. ووحده تنظيم قوي متين يستطيع أن يستوعبها؛ وقد ظهر هذا التنظيم، بعد أن خضع لسلطة مرشد سماوي، في أعقاب سقوط أسرة هان (220 ق.ح.ع)؛ وما يزال قائماً إلى يومنا هذا، محاولاً الظفر بالمصداقية في أعين الدولة.

وكما برهنت على ذلك جوديث برلينغ (Judith Berling)، في كتابها الصادر تحت عنوان **(ديانة لين تشاو-إين التوليفية)** (*The Syncretic Religion of Lin Chao-en*) (1980)، إذا كانت حياة الصينيين الدينية قد وُسِمت، ابتداءً من القرن الحادي عشر، بهيمنة توليفة فكرية مركبة من الأديان الثلاثة، فإن ذلك لا يعني أن العلاقات السياسية، التي قامت بين الطاوية والكونفوشيوسية والبوذية، كانت سلمية. فالأباطرة المنحازون إلى البوذية كانوا يلجؤون، عموماً، إلى اضطهاد الطاوية، والعكس صحيح. وقد تبنّى الطاويون طريق الرهبانية تحت تأثير البوذية بالتحديد. ومن (666) إلى (1911)، استفادت أديرتهم المختلطة من دعم الدولة؛ ومن المحتمل أن الطقوس الجنسية القديمة، التي كانت تُمارَس في دائرة الجماعات الطاوية، قد ظلت تُمارَس، كذلك، خلال فترة معينة من العهد الرهباني، على الرغم من قواعد الأخلاق البوذية التي كانت تُلقَّن من قبل رجال الدين. ومع ذلك، الحركة الرهبانية لن تحقّق في صفوف الطاويين بتاتاً درجة الانتشار الشعبي التي كانت تتمتع بها في دائرة الديانة البوذية. وفي المقابل، سيبادر البلاط الإمبراطوري، عن طواعية، إلى تبنّي الروح العالمية المميزة للطاوية، علاوةً على تبني ليتورجيتها الدقيقة والمعقدة وطقوسها الباطنية ودعواتها السحرية.

وفي عهد أسرة منغ (Ming) (1368-1644)، ارتأى المفكر الكونفوشيوسي

لين تشاو-إين (Lin Chao-en) (1517-1598) أنه لا مناص من الإعلان عن وحدة الأديان الثلاثة، فأنشأ توليفة مذهبية تؤدي فيها تدابير الخيمياء الباطنية الطاوية دوراً كبيراً.

وما تزال الطاوية تُمارَس إلى يومنا هذا. ونلفي في كتابين حديثين معلومات نفيسة عن الممارسات المعاصرة في تايوان، وهما (**تعاليم المعلم الطاوي تشوانغ**) (*The Teachings of Taoist Master Chuang*) (1978) لمايكل ساسو (Michael Saso) (حول المعلم تشوانغ-تشين تنغ-يون (Chuang-chen Teng-yün) من سينتشو (Hsenchu) في تايوان، المتوفى عام 1976)، و(**الطقوس الطاوية في المجتمع الصيني وفي تاريخه**) (*The Taoist Ritual in Chinese Society and History*) (1987) لجون لاغروي (John Lagerwey) (حول المعلم تشين جانغ-شنغ Ch'en Jung-sheng من تاينان Tainan في تايوان).

4.22- **المذهب والممارسة**: إذا كان **الطاو- تو كنغ** لا يفتأ يذكّرنا بسمو العدم على الوجود، وبعلو الفراغ على الملء، فإنه لا ينبغي أن نفهم من ذلك أنه دعوة إلى نفي الحياة بكل بساطة. إن الطاوية، بخلاف ذلك، جعلت من الخلود غايتها القصوى. وتجد هذه الغاية تعبيرها في نظرية معقدة عن نظام الجسد الكوسمي [الكوني]. فالكائن البشري يُوجد على صورة الكون، ويحيا بفضل نَفس بدئي ينقسم إلى **ين** (*yin*) **ويانغ** (*yang*)، الأنثى والذكر، الأرض والسماء. وتتماثل ظاهرة الحياة مع هذا النَّفس، الذي يحتجب خلف مظاهره وتجلياته. وإذا حافظ الإنسان على هذا النَّفس وغذّاه، فإنه يستطيع أن ينال الخلود، أو الحياة الأبدية. وهناك العديد من التدابير التي يمكن بوساطتها تغذية المبدأ الحيوي: الرياضة البدنية، الحمية، التقنيات التنفسية والجنسية، تناول العقاقير، الخيمياء الباطنية... ويعدُّ التأمّل جزءاً لا يتجزّأ من الطاوية؛ وهو فيها سابق على مجيء البوذية. ويتمثّل هذا التأمّل في إقامة طبوغرافيا باطنية جد واضحة، تتضمن «بلاطات» يقيم فيها المريد آلهته، ويزورهم ويعظّمهم ويحادثهم. ويسعفنا هنري ماسبيرو (Henri Maspero) بوصف متميز لهذه التقنيات

الطاوية القديمة، التي طفقت تفقد أهميتها، بالتدريج، بسبب عملية التنميط التي خضعت لها، وبسبب طابعها الذي ما انفكّ يزداد تماثلاً ورتابةً.

وبخلاف ذلك، نجد أن تقنيات **تاي سي** (*t'ai hsi*)، أو التنفس الجنيني، المتمثلة في عملية حبس النفس، التي تستغرق مُدداً تزداد طولاً بالتدريج (كما في **براناياما** *prāṇāyāma* اليوغية)، وكذا تقنية **فانغ-تشونغ شو** (*Fang-Chung shu*)، أو «فن غرفة النوم»، المتمثّلة في حبس المسالك المنوية من أجل منع حدوث القذف، [نجدها] قد ازدهرت بمقدار ما كانت بعيدة عن إثارة شكوك الطهرانية الكونفوشيوسية. وفي كلتا الحالتين، يتمثل الهدف في نيل الخلود، وفي كلتا الحالتين أيضاً (التنفس بالنسبة إلى **تاي سي**، والنفس المنوي بالنسبة إلى **فانغ-تشونغ شو**) تتم إعادة توزيع الأنفاس على نحو كفيل بحفظ، أو إعادة تنشيط، مبدأ الحياة. وفي كتابه (**الحياة الجنسية في الصين القديمة**) (*Vie sexuelle en Chine ancienne*) (1961)، يعتقد روبرت فان غوليك (Robert van Gulik) أن تقنية **فانغ-تشونغ** قد تبنّتها طبقة النبلاء الكونفوشيوسيين، ولو من غير أيّة إحالة أخرى إلى الإيديولوجيا الطاوية، وذلك بسبب تعدّد الزوجات الذي كان يفرض على الذكور مردودية جنسية تفوق قدراتهم المعتادة. وتدور العديد من النصوص الشعبية على هذه «الدراكولية[148] الجنسية» التي نجدها في أصل العديد من المعتقدات الصينية، والتي مع أنها تُمارس عادةً من قبل المرأة، إلا أنها قد تنقلب لصالح الرجل، أو لصالح الجنسين معاً، من أجل استعادة قوة الشباب.

إن الهدف الذي تروم الخيمياء الطاوية الوصول إليه هو صنع إكسير الخلود. وفي التقنيات ذات الطابع البراني، يتخذ هذا الإكسير صورة شراب؛ أمّا في الخيمياء الباطنية (**ني-تان** *nei-tan*)، التي بدأت في عهد أسرة تانغ (T'ang) (618-907)،

148- في الأصل(vampirisme)، أي «مص الدماء»؛ وقد فضلنا ترجمتها «دراكولية» نسبة إلى دراكولا (Dracula) «مصّاص الدم» الشهير. (م)

فنجد أن الإكسير هو المبدأ الحيوي نفسه، الذي تحاول كل التدابير، المُشار إليها أعلاه، عزله وإذكاءه وتنميته. فالمعجم خيميائي، لكن النتيجة هي نفسها المرجوة من التنفس الجنيني ومن **فانغ-تشونغ شو** [فن غرفة النوم]؛ ففي ختام عمليات **ني-تان**، يصعد الإكسير الذهبي إلى الدماغ، ومن هناك يقع في الفم. وعندما يبتلع الإكسير، يتحوّل إلى جنين مقدّس يتمخّض، بعد عشرة أشهر من الحبَل، عن ميلاد جديد للمريد الطاوي في صورة أحد الخالدين الأرضيين. وبعد تسعة أعوام من الممارسة، يرتقي المريد إلى مرتبة الكمال. وتتشكل كلاسيكيات [مراجع] الخيمياء الباطنية من مجموعات **طاو-شو** (*Tao-shu*) («عمدة الطاو»، نحو 1140)، و**سيو-شين شي-شو** (*Hsiu-chen shih-shu*) («عشر كتابات في طرق اكتساب الكمال»، بعد 1200). وكان المعلم تشوانغ (Chuang)، في تايوان، يحفظ علم أسرار **ني-تان** (*nei-tan*)، وكذا أسرار السحر الطاوي المتمثل في دعوة أرواح الكواكب بطريقة تذكرنا بأغريبا النتسهايمي (Agrippa de Nettesheim) (القرن السادس عشر) وبكتب السحر الشعبية في عصر النهضة. وفي وسع المعلم تشوانغ أن يحمل هذه الأرواح، التي يعرف أسماءها ومظهرها الخارجي، على الإتيان بأمور خارقة، لكنه يكتفي بحملها على احترام الطاو السماوي. وعلاوةً على ذلك، كان المعلم تشوانغ يمارس سحر الرعد، الذي اشتهر أمره في عهد أسرة سونغ (Song) (960-1279)؛ وهو في الواقع ضرب من الخيمياء الباطنية.

5.22- بيبليوغرافيا:

بصفة عامة، انظر:

- D. S. Nivison, *Chinese Philosophy*, in ER 3, 245-57; D. L. Overmyer, *Chinese Religion*: *Overview*, in ER, 3, 257-89; A. P. Cohen, *Popular Religion*, in ER 3, 289-96; N. J. Girardot, *Mythic Themes*, in ER 3, 296-305, *Hsien*, in ER 6, 475-7 et *History of Study*, in ER 3, 312-23; Wing-Tsi Chan, *Religious and Philosophical Texts*, in ER 3, 305-12; L. G. Thompson, *Chinese*

Religion Year, in ER 3, 323-28; D. S. Nivison, *Tao & Ti*, in ER 14, 283-86; F. Baldrian, *Taoism: An Overview*, in ER 14, 288-306; J. Lagerwey, *The Taoist Religious Community*, in ER 14, 306-17; J. Magee Boltz, *Taoist Literature*, in ER 14, 317-29; T. H. Barrett, *History of Study*, in ER 14, 329-32.

يبقى المرجعان الكلاسيكيان حول الطاوية هما:

- Henri Maspero, *le Taoïsme*, Paris 1971; Max Kaltenmark, *Lao Tseu et le Taoïsme*, Paris 1965.

وفيما يتعلق بالخيمياء الصينية، نجد أن أحسن دراسة هي:

- Joseph Needham, *Science and Civilization in China*, 5 vol., Cambridge 1954-1983.

ومن الأعمال الحديثة، نذكر:

- Michael Saso, *The Teachings of Taoist Master Chuang*, New Haven 1978; Isabelle Robinet, *Méditation taoïste*, Paris 1979; Judith A. Berling, *The Syncretic Religion of Lin Chao-en*, New York 1980; Kristofer Schipper, *le Corps taoïste*, Paris 1982; Michel Strickmann (ed.), *Tantric and Taoist Studies in Honor of R. A Stein*, 2 vol., Bruxelles 1983; F. Baldrian-Hussein, *Procédés secrets du Joyau magique: Traité d'alchimie taoïste du onzième siècle*, Paris 1984; Judith Magee Boltz, *A Survey of Taoist Literature*, Xth to XVIIth centuries, Berkeley 1986; John Lagerway, *Taoist Ritual in Chinese Society and History*, New York 1987.

23
دين الكلتيين

1.23- **الشعب واللغة**: ظهر الكلتيون (celtes) على مسرح التاريخ في القرن الخامس ق.ح.ع، واستقروا في منطقة تمتد من شبه الجزيرة الإيبيرية إلى إيرلندا وإلى إنجلترا، حتى آسيا الصغرى (الغلاطيون les Galates).

ينتسبون إلى ما نسميه «ثقافة لاتين» (culture de La Tène) أو العصر الحديدي الثاني. وقد وضع الجرمانيون والرومان والداقيون حداً لتوسعهم وانتشارهم. وفي عام (51) ق.ح.ع، غزا قيصر(César) بلاد الغال. ولا يزال بعض الكلتيين يرزحون تحت السيطرة الأجنبية في إنجلترا وإيرلندا. وفي وقتنا الحاضر، لم يعد أحد يتكلم اللغات الكلتية خارج منطقة الجزر (اللغات الإيرلندية irlandais، والجويدية gaélique، والويلزية gallois)، وعلى الساحل البريتاني (Bretonne)، الذي قدمت إليه من إنجلترا، وليس من قدماء الغاليين (Gaulois).

2.23- **المصادر**: حظر الدرويديون (druides) على أنفسهم تدوين علومهم السرية في الكتب، وبسبب ذلك لا نتوافر على أية وثيقة مباشرة تهم بلاد الغال، اللّهم إلا إذا استثنينا المعالم الأثرية التي تنطوي على تأثير الفن الروماني. وفي المقابل، نجد أن المصادر غير المباشرة، من يوليوس قيصر (Jules César) حتى ديودورس الصقلي (Diodore de Sicile)، واسترابون (Strabon)، في غاية الوفرة.

والحال يختلف بالنسبة إلى كلتيي الجزر، حيث نلفي المعلومات المباشرة في غاية الوفرة، لكنها مستقاة، في الأغلب الأعم، من مصادر تنتمي إلى العصر الوسيط، وتنطوي، في بعض الأحيان، على تأثيرات مسيحية. والعديد من المخطوطات الإيرلندية المنسوبة إلى القرن الثاني عشر ح.ع دونت كتابياً تقاليد قديمة. وهناك مجموعتان شهيرتان تنتميان إلى القرن الرابع عشر، وهما (**كتاب ريدرتش الأبيض**) (*Livre Blanc de Rhydderch*)، و(**كتاب هرغست الأحمر**) (*Livre Rouge de Hergest*)؛ وتشتمل المجموعتان على تقاليد ويلزية موروثة مثل ديوان حكايات موبينوغي (Mobinogi) .

3.23- لم يصلنا **دين بلاد الغال** إلا من خلال التفسير الذي أعطاه إياه الرومان؛ فقد تحدث قيصر عن إله أسمى يماثله بميركوري [عطارد]، وعن أربعة آلهة أخرى يماثلها على التوالي بأبولون ومارس [المريخ] ويوبيتر [المشتري] ومينرفا (Minerve). ومع أن هذه الشهادة القيصرية أثارت جدلاً حاداً في صفوف المهتمين، إلا أن علم الآثار يؤيدها بدرجة كافية. فلا بد من أن ميركوري هو الإله الذي وصلنا العديد من تماثيله، والذي كان الإيرلنديون يطلقون عليه اسم لوغ (Lugh). وتنطوي طائفة من أسماء الأماكن على اسم هذا الإله.

وبما أن الكلتيين دأبوا على التقرب بالأضاحي البشرية إلى ثلاثة آلهة (توتاتس Teutates، وإيسوس Esus، ثم تارانيس Taranis)، فإن كل واحد من هذه الآلهة يمكن، إذا لزم الأمر، أن يكون هو مارس [المريخ] الذي ذكره يوليوس قيصر. ويظهر أن توتاتس هو بالأحرى اسم لجنس يدل على «إله القبيلة» (انظر: اللفظ الإيرلندي **توات** *thuath*؛ أي «الإمارة القبلية الصغيرة»).

وهناك آلهة عديدة مرشحة لشغل مكان أبولون، لكن اختيار أحد هذه الآلهة ليس بالأمر اليسير؛ فلدينا ما يزيد على خمسة عشر اسماً تذكرنا كلها بأبولون، مثل بيلينوس (Belenus)، بورمو (Bormo)، غرانوس (Granus) ...

وكان يوبيتر [المشتري] الغالي (gaulois) بمقام السلف الأسطوري للدرويديين. لكن، لم يتم التعرف إليه وتحديد هويته.

وتماثل مينرفا عدة آلهة محلية كما تظهرنا على ذلك كل من الإيقونوغرافيا والكتابات النذرية. ونجد من بين هذه الآلهة، في إيرلندا، الإلهة بريغيد (Brighid) ذات العلاقة بالشعر والطب والتقنية. وقد حافظت شخصيتها الأسطورية، وكذلك عيدها، على البقاء تحت غطاء القديسة المسيحية بريجيت (Brigitte) (بريغيد الكلدارية Brighid de Kildare).

وتحتفظ المعالم الأثرية المصورة بهيئات وأسماء العديد من المعبودات الأخرى، مثل الإلهين الغابويين سوسلوس(Sucellus) ونانتوس (Nantos)، وعلى الخصوص الإله قرنونوس (Cernunnos) ("الأقرن") الذي يظهر بقرني أيل على رأسه.

4.23- **تحكي التقاليد المأثورة الإيرلندية** عن الأحداث الأسطورية التي عاشتها الجزيرة منذ عهد الطوفان؛ فقد كان أوائل المهاجرين إلى الجزيرة معرّضين باستمرار لهجومات الفمواريين (Fomhoires)، وهي مخلوقات شريرة قادمة من ما وراء البحر. وقدم إلى الجزيرة فوج ثانٍ من المهاجرين جالباً معه القوانين وتنظيمات المجتمع المدني. وتبعتهم تواتات دي دانانو (Tuathas Dé Dananu)، «عشائر الإلهة دانا Dana»، التي تعرف أسرار السحر، وتملك العديد من الأدوات السحرية (رمح لوغ Lugh الذي يجلب النصر، وسيف الملك نوادهو Nuadhu البتار، وقدر داغدا Daghdha الذي لا ينضب، ثم حجر يسعف في اختيار الملك الحقيقي). وقد قاد الإله لوغ نفسه عشائر الإلهة دانا في معركة ماغ تويرد (Magh Thuired) التي خاضتها ضد جنس الفمواريين، فهزمت العشائر هؤلاء وطردتهم من إيرلندا إلى الأبد. وبعد وقوع هذه المعركة، سيحل أوائل الكلتيين في الجزيرة قادمين إليها من إسبانيا. وقد استطاع عرافهم المسمى أمهارغن (Amharghin)، بفضل القوة الخفية التي يملكها، أن يبطل تحرز العشائر المشروع من الوافدين الجدد، وأن يضع قدميه على أرض إيرلندا. لكن

العلاقات بين الكلتيين وعشائر دانا ستظل متوترة كما تدلنا على ذلك مختلف المعارك التي نشبت بين الفريقين. وفي نهاية المطاف، انسحبت العشائر نحو العالم السفلي تاركة الأرض المرئية للكلتيين.

1.4.23- ارتبطت **المؤسسة الدرويدية** في إيرلندا بويسنك (Uisnech)، «مركز» البلد، وهو مكان مقدس يرجح أن الأعياد الموسمية الكبرى كانت تقام فيه.

والملكية عند الكلتيين مقدسة. ومنصب الملك لا يُنال إلا بعد مضاجعة الملك المستقبلي للإلهة التي تمثل مملكته، أو لإحدى بديلات ربة الخيل العظمى (ريانون Rhiannon، إيبونا Epona الغالية...). وبالفعل، ففي كتابه (**طبوغرافيا إيرلندا**) (*Topographie de l'Irlande*) (القرن الثاني عشر)، يتحدث جيرار الكامبراوي (Gérard de Cambrai) عن حفل تتويج الملك الإيرلندي الذي يتضمن مشهداً رئيساً يتمثل في مجامعة الملك المستقبلي، على مرأى الناس، لفرس بيضاء اللون، قبل أن يسلق لحمها ليأكله الحاضرون.

2.4.23- في **الدور البطولي** المعروف بدور أولتسر (Ulster)، نجد الشخصية الرئيسة ممثلة في الشاب كوخولين (Cú Chulainn) المعدود في حاشية الملك كونكوبار (Conchobar) في أولستر. فقد بعثت الملكة ميدب دي كوناكت (Medhebh de Connacht) بجيش للاستيلاء على ثور كولي (Cuailnge) البني، وأبطلت بسحرها عزيمة أهالي أولستر، فلم يستطيعوا الصمود في مواجهتها. لكن كوخولين سيتصدى وحده لمجابهة جيش الأعداء، ثم تنتهي الملحمة بمعركة ضارية تجري بين ثور كولي البني وثور كوناكت. ولم يعش الخارق كوخولين طويلاً؛ لأن أعداءه سيقتلونه باستعمال طرق سحرية.

وهناك بطل أسطوري آخر هو فيون ماك كوميل (Fionn mac Cumhail)، رئيس أخوية المحاربين المسماة فيان (Fian). وعلى غرار كوخولين، يملك فيون قدرات سحرية هي التي سيستخدمها للقضاء على القوى الخارقة للطبيعة التي تهدد بلده.

5.23- نجد التقاليد المأثورة الويلزية محفوظة، على الخصوص، في المجموعة التي أُطلق عليها اسم غير مناسب هو موبينوغي (Mobinogi)، والتي تشتمل على حكايات ألفت، على الأرجح، خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر ح.ع. ومن بين الإحدى عشرة قطعة المشتمل عليها في كتاب (**هرغست الأحمر**) (نحو 1325)، نجد اثنتين منها منعدمتي الأهمية، كما يبدو أن ثلاث قطع منها مجرد تلخيص لمحتويات ثلاث روايات آرثرية كانت لا تزال حديثة التأليف في ذلك العهد، وهي تلك التي كتبها كرتيان الإطرويشي (Chrétien de Troyes) (القرن الثاني عشر). وتشتمل القطع المتبقية على ما وصف بأنه «ميثولوجيا كلتية منحطة» بشخوصها الذين هم عبارة عن آلهة يصعب تصنيفها في خانة معينة. ومن هؤلاء بويل(Pwyll) المرتبط على نحو عجيب بالعالم الآخر الذي صار ملكاً عليه وحكمه مدة عام. أما زوجته، فهي ربة الخيل ريانون، بديلة إيبونا، التي تمت مماثلتها، في الفترة التي سادت فيها النزعة التوليفية الرومانية، بالإلهة اليونانية ديمتير-إيرينيس (Déméter-Erynis). وقد تحولت ديمتير-إيرينيس إلى فرس للنجاة من غارات بوسيدون (Poséidon) (بوسيدون رب الخيل Poséidon Hippios)، الذي تحول بدوره إلى حصان فحل من أجل مجامعتها. ومن هذه المجامعة ولدت بيرسيفون (Perséphone) والحصان أريون (Areion) (**بوسانياس** *Pausanias* 8.25، 5-7). أما الرواية الفيدية (védique) (رجفيدا Rgveda 17.14، 1-2)، فتذكر أنّ الأمر يتعلّق بأسطورة هند-أوربية. وفي الحالات الثلاث، نجد أن سلالتها بشرية وخيلية، وهو الأمر الذي تؤكده الميثولوجيا الإيرلندية (**هوان أهل أولستر** *Noínden Ulad*).

وهناك حكايات ويلزية أخرى تشتمل على تقاليد سماها العلماء «شامانية»، والشخصية الرئيسة فيها تتمثل في شي(Cei)، الذي سيتحول، في الدور الآرثري، إلى كاي (Key)، كبير الخدم الكئيب. وأخيراً، نجد أن المعادل الويلزي لمرلين (Merlin) يتمثل في الشاعر الساحر تاليسن (Taliesin) الذي يتباهى بامتلاك «جميع الفنون السحرية الأوربية والآسيوية». غير أن شخوصاً آخرين، مثل ماث (Math)

وغويديون (Gwydion) ثم لويد (Llwyd)، قادرون هم أيضاً على تحقيق إنجازات خارقة.

6.23- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 2/169-72; P. Mac Cana, *Celtic Religion*, in ER 3, 148-66.

فيما يتعلق بالميثولوجيا الجويدية (gaélique)، انظر:

- P. K. Ford, *The Mabonogi and other Welsh Tales*, Berkeley-Los Angeles-London 1977; et I. P. Couliano in *Aevum* 53 (1979), 398-401.

24
ديانة كنعان

0.24- عاشت الشعوب، التي استوطنت بطاح سورية والجزيرة العربية، في وضع الترحل الدائم خلال آلاف السنين. وظهرت مجموعة بشرية تتكلم اللغة السامية في فلسطين قبل (3000) ق.ح.ع، وهي الفترة المسماة العصر البرونزي القديم. ونحو (2200) ق.ح.ع، أسفرت غزوات العموريين عن حدوث تغيرات جديدة في البنى الاجتماعية-الثقافية؛ وسيتكرر الأمر نفسه عند مجيء بني إسرائيل في أواخر الألفية الثانية. وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، امتزجت العبادات الزراعية بمجامع الآلهة السماوية التي عبدها الرعاة الرحل. وإذا ما استثنينا المقامات المقدسة والتماثيل الصغيرة التي تم العثور عليها خلال الحفريات الأثرية، فإن مصادر معلوماتنا عن تقاليد هذه الشعوب الدينية انحصرت، لزمن طويل، في نتف الأخبار المثيرة للجدال التي يشتمل عليها العهد القديم، وفي بعض الألواح المسمارية المعثور عليها في موقعي ماري وتل العمارنة، ثم في بعض الإفادات التي يسعفنا بها مؤلفون هلنستيون ورومان. وفي عام (1929)، سلطت حفريات رأس شمرا الضوء الكاشف على مدينة أوغاريت القديمة التي تمثل الحضارة الكنعانية في أواخر العصر البرونزي (نحو 1365-1175 ق.ح.ع).

وقد وجد ميناء أوغاريت، الواقع على ساحل سورية، منذ أوائل الألفية الثانية. ونحو (1350 ق.ح.ع)، ستظهر كتابة مسمارية استعمل فيها رأس مدبب لنقش

الطين المبلل بالماء. وقبل تعرض هذه الحضارة للغزو والتدمير على يد شعوب البحر نحو (1175 ق.ح.ع)، استطاع العديد من النصوص البقاء بفضل هذه الطريقة؛ وتشتمل هذه النصوص على كتابات نذرية وتعاويذ وصلوات وقوائم بأسماء الآلهة، وتضم على الخصوص أساطير قديمة مجهولة التاريخ.

1.24- على رأس **مجمع آلهة أوغاريت** نجد الإله إيل (El)، خالق العالم وأبو الآلهة، المتعالي اللطيف، لكنه البعيد والضعيف العاجز عن فعل أي شيء فيما يتعلق بقضايا البشر التي استعيض عنه فيها بإله شديد البأس هو بعل (Baal) ابن داجون (Dagan)، إله العاصفة الذي يشبه الإله أدد (Adad) في بلاد الرافدين. ونلفي عند الكتبة، كما في الموروث الشعبي، أكثر من إيل وأكثر من بعل؛ واسماهما يعنيان على التوالي «الإله» و«السيد». وأرجح الظن أن بعض الإيليم والبعليم كانوا يتميزون بأماكن عبادتهم، بينما كان آخرون يتميزون بصفات أو وظائف خاصة تنسب إليهم. وبعل هو القوي، والعلي، وراكب السحاب، والأمير، وسيد الأرض. ونجد في النصوص الأسطورية أن أعداء بعل هم يم (Yamm) (البحر)، و«الوحوش الآكلة» الشريرة، ثم موت (Mot) (الموت) الذي ينتصر على بعل ويغلبه إلى حين.

وزوجة إيل هي الإلهة-الملكة عثيرة (Athirat) (عشيرة Asherah) ذات الصفات أو الوظائف البحرية. وتفوقها نشاطاً عناة (Anat)، شقيقة أو زوجة بعل، إلهة الحب والحرب القوية، التي تصور أحياناً واقفة على ظهر أسد. وقد اجتمعت هاتان الإلهتان في شخص عستارت-و-عناة (Ashtart wa-Anat)، قبل أن تتحولا، في زمن لاحق، إلى الإلهة السورية أترغتيس [أترعتا] (Atargatis)، التي تمكنت من المحافظة على صفاتها أو وظائفها البحرية، وعبادة الخصوبة المرتبطة بها، حتى فترة بدايات المسيحية. ومن آلهة أوغاريت الأخرى أرس-و-شميم (Ars wa-Shamem) (أرض-و-سماء)، إله وإلهة قمريان، بعض بنات الإلهة: نجمة الصبح ونجمة المساء (الزهرة)، كوثر (Khotar) الحداد، رشب (Rashap) الخبيث، وآلهة

أخرى وافدة. وقد حظي الأسلاف، ولاسيما الذين ينتسبون إلى سلالة ملكية، بضروب التأليه والعبادة، وذلك بموازاة طائفة من المعبودات الدنيا التي لم تميز بأسماء خاصة.

2.24- تتمحور **العبادة الكنعانية**، كما يمكن إعادة تركيبها من خلال التماثيل الصغيرة المصنوعة من المعدن أو الطين النضيج، حول زوج إلهي: إيل وعتيرة، اللذين يحكمان العالم الآخر، وبعل وعناة، اللذين يحكمان هذا العالم. وعلى كل حال، كانت مدينة أوغاريت تؤوي معابد بعل وداجون، ويحتمل أنها احتضنت معابد آلهة أخرى. وقد خلفت المعابد الكبيرة، التي كانت تتوافر على قطعان الماشية ومخازن الزيت والنبيذ، تأثيرات أعظم مما خلفته المقامات المقدسة الصغرى ذات العلاقة بالعبادات الشعبية. وقد كان الملك والملكة يرأسان الشعائر الدينية التي تقيمها الدولة، وكانا يشاركان بفعالية في الطقوس والاحتفالات والصلوات من أجل حماية المدينة. وكان الكهنة (**كهنم** *khnm* التي تقابل اللفظ العبري **كوهانيم** *Kohanim*)، والقيمون الدينيون المشار إليهم بلفظ **قدشم** (*qdshm*)، موكلين بالمعابد وبالاحتفالات الدينية التي كانت تضم القرابين والهدايا والأعمال التطهيرية، فضلاً عن الأشغال التي تتطلبها صيانة صنم المعبود. وكان هناك أشخاص يختصون بشعائر عبادة الموتى التي كان محورها عبارة عن حفل تهتكي[149]. وكانت المراسم الجنائزية مصحوبة بوليمة تقام من أجل تهدئة الموتى. وكان هناك كهنة يختصون بالعرافة: ووسيلتهم في ذلك نماذج أكباد منقوشة صُنعت من الطين؛ مثل تلك التي عُثِر عليها في ماري في بلاد الرافدين. وأغلب الظن أنّ عامة الناس كانوا يلجؤون إلى السحر وضروب الأدعية الاسترضائية.

3.24- يغلب على **الميثولوجيا الأوغاريتية** طابع الصراع من أجل السيادة بين إيل

149- ترجمة: (orgiastique). (م)

(El) وبعل (Baal)، ثمّ بين بعل وخصومه. ومن فصول هذا الصراع نذكر المعركة التي دارت رحاها بين بعل والإله المائي يم (Yamm) الذي يصور تارة بوصفه كائناً بشرياً وتارة أخرى بوصفه وحشاً بحرياً. ويم هذا شجعه أبوه إيل على النهوض لقتال بعل وإنزاله عن عرشه، لكن هذا الأخير تمكن من التغلب على خصمه يم بفضل الأسلحة السحرية التي صنعها كوثر (Khotar) الحداد الإلهي. وهذه المعركة تذكرنا، بلا شك، بهزيمة الوحش البحري الأنثى تيامات (Tiamat) التي انتصر عليها الإله الرافديني مردوخ (Marduk)، بحسب ما جاء في اللوح الرابع من قصة الخلق البابلية **إنوما إليش** (*Enuma Elish*)، كما تذكرنا بانتصار يهوه (Yahweh) على البحر بحسب ما جاء في بعض المزامير وفي سفر أيوب 26، 12-13.

ولما أبانت عناة عن شدة بأسها في قتال الأعداء، أرسل إليها بعل يدعوها إلى السلام. وكما في **إنوما إليش**، يطلعها على رغبته في الحصول على هيكل يُعبد فيه. وحصلت عناة على موافقة إيل، فأقيم لبعل معبد كبير.

وهناك معركة أخرى يتواجه فيها بعل وموت، غريمه الآخر الذي ينحدر بدوره من إيل. وعلى صعيد نظام الطبيعة، يرتبط سلطان بعل بالخصوبة والوفرة، بينما يرتبط سلطان الموت بالقحط والمجاعة. وبعد أن تبادلا الرسل الذين زاروا موت في معقله بين الأوحال والأوساخ، وافق بعل على أن يهبط إلى العالم السفلي محفوفاً بحاشيته المكونة من المطر والريح والسحب. إلا أن ثمة ثغرة تحجب عنا بقية الحكاية. وحين تستأنف الحكاية، نجد أن بعل قد مات، متسبباً بذلك في محنة إيل وعناة؛ لأن لا أحد من ذرية إيل يستطيع التربع على عرش الإله بعل. وبعد دفن بعل، قابلت الإلهة عناة الإله موت وسحقته سحقاً، فردته غباراً: لقد قطعته إرباً إرباً، ثمّ ذرته وشوته ودقته قبل أن تلقيه في الحقول لتأكله الطيور. إن العلاقة بين هذه الفصول مشوشة غير واضحة، لكن تشوف إيل إلى رجوع بعل وعودة الخير والرخاء إلى البلاد، كان يتطلب إزاحة الإله موت (Mot)، وهذا ما حصل بالفعل. لكن موت (Mot) لم يمت،

وهزيمته النهائية، على يد بعل، لن تحصل إلا بعد سبع سنوات، وبعدها سيستعيد بعل ملكه إلى الأبد.

وتشتمل نصوص أوغاريت على حكايتي كيرتا (Kirta) وأقهات (Aqhat). وتبدأ كلتاهما بوصف حال ملك عادل مصاب بالعقم، وهي الثيمة [الموضوعة] نفسها التي سيعاد تناولها في العهد القديم. وقد خلصتهما الآلهة من محنتهما، لكنها ستحرص، بعد ذلك، على التدخل في شؤون البشر. وتقرر عناة قتل أقهات، الولد المرغوب، حين شتمها ورفض أن يسلمها قوسه السحري. وحصل كيرتا على زوجة بعد أن خاض من أجلها معركة، لكنه نسي وعده لعشيرة وأصيب بالمرض. وفيما بعد، يتهمه أحد أولاده بسوء تدبير شؤون المملكة.

وعلى الرغم من الثغرات التي تتخلل النصوص، تسمح هذه الأدبيات لنا بإلقاء نظرة على العالم التاريخي والميثولوجي والديني الذي سيشغله بنو إسرائيل قبل أن ينقلوا أصداءه إلى الثقافة الغربية.

4.24- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 1/48-52; A. M. Cooper, *Canaanite Religion: An Overview*, in ER 3, 35-45; M. D. Coogan, *The Literature*, in ER 3, 45-68.

أما النصوص، فهي متاحة من خلال ترجمة أندري كاكو (André Caquot) وغيرها. انظر:

- André Caquot, *Textes Ougaritiques*, Paris, 1974.

وللاطلاع على مختلف جوانب هذه الأدبيات، انظر:

- Roland de Vaux, *Histoire ancienne d'Israël, des origines à l'installation en Canaan*, Paris 1971; P. Garelli, *le Proche-Orient asiatique des origines aux invasions des peuples de la mer*, Paris 1969; G. Saadé, *Ougarit: Métropole cananéenne*, Beyrouth 1979; J. M. Tarragon, *le Culte à Ugarit*, Paris, 1980.

25
الكونفوشيوسية

1.25- ينبني **القانون** (Canon) الكونفوشيوسي على «الكلاسيكيات» (*king*) الست، وهي كما يأتي: **إيكنغ** (*I King*) (**«كتاب التغيرات»**)، وشيكنغ (*Shih King*) (**«كتاب الأناشيد»**)، وشوكنغ (*Shu King*) (**«كتاب التاريخ»**)، وليتشي (*Li chi*) (**«كتاب الطقوس»**)، ويويكنغ (*Yüeh King*) (**«كتاب الموسيقا»**)، ثمّ **تشونتشن**(*Ch'un-ch'in*) (**«حوليات الربيع والخريف»**). والظاهر أن كونفوشيوس هو نفسه مؤلف الكتاب الأخير. وقد كان مطلعاً على تنبؤات كتاب **إيكنغ**؛ ومن المرجح أنه شرحه أو علق عليه. وفي القرن الثاني عشر ح.ع، استعيض عن **كتاب الموسيقا** -الذي ظل على الدوام عبارة عن تباعيض أو شذرات- بكتاب طقسي هو كتاب **تشولي** (*Chou Li*) (**طقوس تشو**). واشتهرت حِكم كونفوشيوس بعنوان (**أنالقطا**) [منتخب الأحاديث] (*Analectes*) (**لونيو** *Lun yü*). وقد بقيت منها نسخة تعود إلى القرن الثاني (ق.ح.ع).

2.25- واسم **كونفوشيوس** (*Confucius*) صيغة لاتينية من كونغ فو-تسو (K'ung Fu-tzu) («المعلم كونغ») مؤسس الكونفوشيوسية. ويفترض أنه ولد -باسمه الحقيقي كونغ تشيو K'ung Ch'iu- في نحو منتصف القرن السادس في إقليم شاندونغ (Shantung) حيث كان والده ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية العسكرية الدنيا. واتسم تعليمه مثلما اتسمت بداياته في الحياة بالبساطة والتواضع. فقد كان شغوفاً بالطقوس

وبالموسيقا، إلا أن ذلك لم يكن ليضمن له شغل أية وظيفة عمومية. ولم يلج في سلك الوظيفة إلا بعد أن بلغ سن الخمسين من عمره، لكنه سيهجر وظيفته بعد مضي عام على تسلمها. وتكرر هذا الأمر في الممالك الأخرى العديدة التي حل بها. وفي النهاية، عاد إلى مسقط رأسه لكي يزاول وظيفة عمومية مغموراً بلا تألق، وليتفرغ لتعليم جماعة صغيرة من التلاميذ الذين ينحدرون من أصول متواضعة، ساعياً إلى ترقيتهم إلى **جين** (*jens*)؛ أي إلى بشر كمل. والنموذج أو المثال الذي يسعفنا في تكوين فكرة عن **الجين** (*jen*) ليس هو فارس العصر الوسيط، بل هو **الجنتلمان** أو السيد المهذب الذي يمتاز بنهج الاستقامة وحسن التصرف في جميع المواقف التي تفرضها ظروف الحياة، سواء أكانت هذه الظروف عادية مألوفة أم مستجدة غير منتظرة. أما ما يضمن للأشياء طابعها الصحيح (**لي** *li*)، وللأوضاع الاجتماعية استمراريتها، وللإنسان مكانته في حظيرة المجتمع ككل، فهو **الطقس** (*rituel*).

ولم تكن الأخلاق الكونفوشيوسية -التي صارت عماد الإمبراطورية الصينية حتى عام (1911)- أخلاقاً أرستقراطية؛ بل كانت أخلاقاً برجوازية. فهي لم تكن تزكي الامتيازات الموروثة بموجب الميلاد أو الأصل الاجتماعي؛ بل كانت تزكي الامتيازات المكتسبة بالتعلم وحسن التصرف في الأمور؛ ولم تكن تؤثر حمية العسكري؛ بل كانت تفضل تجلد الموظف أو خادم الدولة.

3.25- **المذهب**: على الرغم من أن الكونفوشيوسية تشكل أحد الأديان الثلاثة التقليدية المعروفة التي ورثها الصينيون، من حقنا أن نتساءل عما إذا كانت تشكل بالفعل «ديناً» بالمعنى الحقيقي للكلمة.

ففي الظاهر لا تشكل الكونفوشيوسية ديناً من الأديان؛ إنها تجنح إلى **نزع الطابع الأسطوري** عن المعتقدات الصينية: فالكائنات الخارقة للطبيعة تتحول إلى فضائل، والسماء تكف عن أن تكون إلهاً، لكنها تظل بمقام مبدأ ضامن لنظام العالم... وبمعنى ما، يشبه نقد الكونفوشيوسية للدين الطبيعي نقد البوذا (↔ 9)، لكن، بخلاف هذا

الأخير، لا تعنى الكونفوشيوسية بمسألة «خلاص» الفرد، وذلك لسبب بسيط هو أن الحياة لا تنطوي على شيء يتعين الخلاص منه، ومن ثم، لا أحد من البشر يحتاج إلى الخلاص. «إذا كنا عاجزين عن خدمة الكائنات البشرية، فكيف يمكننا أن نخدم الكائنات الروحية؟»: هذا قول يعني أنه يجب علينا أن نهجر البحث عن حقيقة غيبية مستورة. «إذا كنت لا تعرف الحياة، فكيف يمكنك أن تعرف الموت؟»: قول آخر يروم إحباط عزيمة المولعين بمعرفة أسرار الدار الآخرة أو ما بعد الموت.

وبخلاف البوذية التي أنشأت لنفسها تنظيماً قوياً يتألف من طبقات الرهبان واللائكيين، نجد أن الكونفوشيوسية لا تضم في صفوفها أي كاهن؛ فالقيمون على الطقس الكونفوشيوسي هم **الجو** (*jus*)؛ أي المتأدبون-البيروقراطيون الذين تصطفيهم الدولة عن طريق الامتحان لشغل جميع المناصب الإدارية المتوافرة سواء أكانت إمبراطورية أم مركزية أم إقليمية. ويعسر علينا أن نطلق اسم "الدين" على هذه العبادة الشكلية التي يديرها اللا-كهنة، بطريقة آلية، من أجل اللا-آلهة التي لا يؤمنون بها!

وإذا تقرر أن الكونفوشيوسية ليست ديناً بالمعنى الشائع للكلمة، فإنها بالمثل ليست نسقاً فلسفياً. فكوسمولوجيتها التي صاغها دونغ تشونغ-شو (Tung Chung-shu) (176-104ق.ح.ع)، رئيس وزراء الإمبراطور وو-تي (Wu-ti) (140-187 ق.ح.ع) -من أسرة هان (Han)- هي عبارة عن كوسمولوجيا بدائية مبسطة مستمدة من الطاوية. ولا يبدي كونفوشيوس أي اهتمام بالمنطق -ولا بالميثولوجيا- لأن الغاية القصوى التي يرومها هي العثور على طريق (**تاو** *Tao*) الوسط(milieu) في المجتمع البشري وفي تصرفات الأفراد؛ أي الطريق الذي يضمن التوازن بين مشيئة الأرض ومشيئة السماء. ويجب أن نوضح مرة أخرى أن هذه «السماء» ليست إلهاً، وإنما هي عبارة عن مبدأ كلي الحضور، خفي وغير قابل للتحديد، وآثاره أو أعماله «لا صوت لها ولا رائحة».

وإذا كانت الكونفوشيوسية تروم، بناءً على ما سبق، تحقيق غاية مفيدة وشافية، فإنها مع ذلك ليست عبارة عن سوتريولوجيا[150] دينية. فنحن لا نجد عند الكونفوشيوسي أي تصور سلبي عن العالم، بخلاف البوذي أو المسيحي؛ وعلى شاكلة الطاوي، لا يعني الخلود بالنسبة إلى الكونفوشيوسي شيئاً يمكن الحصول عليه بطريقة فردية، وإنما الخلود عنده هدف متحقق سلفاً بفضل التعاقب الطبيعي للأجيال؛ كما أنه لا يرتبط بالإله بكيفية مباشرة -إشكالية ومؤلمة أحياناً- مثل اليهودي، ولا هو يرتجف أمام السماء مثلما يفعل المسلم بين يدي الله. إن الكونفوشيوسية لا تتصور أن للإنسان هدفاً آخر غير استكمال إنسانيته (**جين** *jen*) عن طريق أدائه واجباته بكيفية صحيحة وقويمة (**لي** *li*): **يجب أن يكون الأب أباً والابن ابناً.**

ذلك أن المجتمع البشري ينبغي أن يخضع لفعل تدبير تربوي نازل من أعلى ويطابق الحب الأبوي (حب **الابن**)، ثم فعل توقير صاعد من أسفل ويعادل طاعة الوالدين، وهو فيما يبدو الواجب الكونفوشيوسي المطلق الوحيد الذي تغلب عليه صبغة عاطفية. ويمثل خرق قاعدة الطاعة (تجاه العائلة أو الرئيس أو الوطن أو الإمبراطور...) التعريف الوحيد لانتهاك الحرمات عند الكونفوشيوسي. ومن الواضح أن مثل هذه الإيديولوجيا الأبوية يمكن أن تتحول بسهولة (بالمقارنة مع غيرها) إلى نوع من الخضوع الأعمى لمصالح دولة كليانية.

4.25- يرتبط **تاريخ الكونفوشيوسية في الصين** في بداياته الأولى، على وجه الخصوص، بآراء الفيلسوفين منغ-تسو (Meng-tzu) (منسيوس Mencius، ما بين القرنين الرابع والثالث ح.ع) وزون-تسو (Hsün-Tzu) (القرن الثالث ح.ع). يؤمن الأول بأن الإنسان خير بطبيعته، في حين يؤمن الثاني بأنه شرير بطبيعته؛ ويرى الأول

150- تعريب (sotériologie)؛ التي تعني حرفياً: «علم الخلاص»؛ ومنها الصفة: سوتريولوجي (sotériologique)، أي «خلاصي»، (م).

أن الإنسان يستبطن القواعد والطقوس التي تعبر بصدق عن الإرادة الفردية، بينما يذهب الثاني إلى أن هذه القواعد والطقوس لا تعدو أن تكون امتثالاً غير مرغوب فيه للإكراهات الاجتماعية؛ ويعتقد الأول أن مشاعر الملك تجاه الشعب مشاعر أبوية، في حين يرى الثاني أن الملك ليست عنده مشاعر. وبينهما نلفي المسافة نفسها التي تفصل بين أوغسطين الكئيب وبيلاجيوس المتفائل (↔ 7.4.27)، أو بين إيمانويل كانط وجان جاك روسو. وقد انتصرت الميكانيكا اللا-شخصية التي دافع عنها زون-تسو، أول الأمر، من خلال المدرسة القانونية (école légaliste) التي سادت في عهد أسرة تشين (Ch'in) (221-207 ق.ح.ع) وتحت حكم أسرة هان (206 ق.ح.ع- 220 ح.ع). وفيما بعد، في عهد أسرة سونغ (Sung) (960-1279)، ستصبح أفكار منسيوس ذات نفوذ وسلطان حتى أن هذا الأخير سيعد «ثاني الحكماء» والخليفة الشرعي الأوحد لكونفوشيوس. وعلى هذا النحو -بخلاف ما يمكن ملاحظته في بلاد الغرب حيث ستستأنف الآراء المتشائمة عن الطبيعة الإنسانية من قبل أوغسطين ولوثر وكانط- ستشهد الصين انتصار المذهب المنافح عن خيرية الطبيعة الإنسانية بفضل كونفوشيوسية هان يو (Han Yü) (768-829 ح.ع)، الفيلسوف الذي رد الاعتبار لمنسيوس تحت حكم أسرة تانغ (T'ang) (618-907 ح.ع).

وتعود بداية الحركة المعروفة باسم الكونفوشيوسية المحدثة (néo-confucianisme) إلى عهد أسرة سونغ. فقد أعادت هذه الحركة تفسير مفهوم لي (*li*) («مبدأ») بمعانٍ أنطولوجية، كما أنها بلورت تأملات كوسمولوجية. ويعد المعلمون السونغيون الشماليون الخمسة أبرز ممثلي هذه الكونفوشيوسية المحدثة (شاو يونغ Shao Yung، 1011-1077؛ تشو تون-يي Chou Tun-i، 1017-1073؛ تشانغ زاي Chang Tsai، 1020-1077؛ والأخوان تشنغ هاو Ch'eng Hao، 1032-1085، وتشنغ يي Ch'eng I، 1033-1107)، ويليهم تشو سي (Chu Hsi) (1130-1200)، الذي أنجز خلاصة ميتافيزيقية أصيلة انطلاقاً من أعمال السابقين. وخلال حياته، كان يتوجب على تشو سي أن يتغلب على خصمه المذهبي المتمثل في زميله الجنوبي

لو سيانغ-شان (Lu Hsiang-shan) (1139-1193). وقد التقيا مرتين في عام (1175)، لكنهما لم يتوقفا عن تبادل النقد من غير أن يتوصلا إلى حل يرضيهما معاً. والغريب أن جدالاتهما تشبه جدالات المذهب الاسمي الغربي الذي عرف الظهور في الفترة نفسها تقريباً. ولا نجد لتشو سي أي مثيل يضاهيه بوصفه شيخاً أو معلماً للتقليد الكونفوشيوسي. ومنذ القرن الرابع عشر إلى غاية (1912)، ظل القانون الكونفوشيوسي -المستخدم كذلك من طرف الجهاز البيروقراطي الصيني في تحضير الامتحانات العمومية الرهيبة- هو ذلك الذي أرساه تشو سي، كما أن عملية ضبط أصول وسلسلة أسانيد الكونفوشيوسية الأرثوذكسية تمت على يديه. وفي الواقع، لن تواجه مدرسته سوى منافسين مهمين هما: وانغ يانغ منغ (Wang Yang-ming) (1472-1529) في عهد منغ (Ming)، وتاي تشن (Tai Chen) (1723-1777) في عهد المانشو (Mandchous). وفي عام (1912)، وضع إعلان الجمهورية حداً مؤقتاً للقرابين الرسمية المنذورة للسماء ولكونفوشيوس، غير أنها استؤنفت عام (1914). ومع أن مثقفي الجمهورية الصينيين لم يكونوا، في بداية الأمر، راضين تماماً عن الكونفوشيوسية، لم يلبثوا، مع ذلك، أن فطنوا لدورها الجوهري في تاريخ الصين. وعلى الرغم من الاضطهاد الذي تعرضت له الكونفوشيوسية المحدثة في الصين الشيوعية خلال ستينيات القرن العشرين، فإنها حافظت على مكانتها في هونغ كونغ وتايوان، كما حافظت على المكانة نفسها لدى الأقليات الصينية في الولايات المتحدة الأمريكية. ويوجد اليوم فكر كونفوشيوسي محدث يتمتع بالقوة والحيوية كما تدل على ذلك مؤلفات تو واي-منغ (Tu Wei-ming) علاوة على مؤلفات فلاسفة وعلماء آخرين.

5.25- **خارج الصين**: انتشرت الكونفوشيوسية، أول الأمر، في كوريا (ق.ح.ع)؛ بيد أن الكونفوشيوسية المحدثة -بقانونها (canon) الذي يتألف من الكتب الأربعة والكلاسيكيات الخمسة- لم تكن لتحظى قبل القرن الرابع عشر ح.ع بوضع الفلسفة الرسمية لدولة يي (Yi) (1392-1910) وبوضع النظام المعتمد في التربية والتعليم وفي الامتحانات العمومية التي تشرف عليها الدولة.

ودخلت الكونفوشيوسية إلى اليابان، قادمة إليها من كوريا، في نحو نهاية القرن الثالث (ح.ع)، واستقرت هناك في نحو منتصف القرن السابع (ح.ع)، قبل أن تنخسف بعدها بزمن قليل. وقد استقدمت إليها الكونفوشيوسية المحدثة من بلاد الصين بعد وفاة تشو سي (شوشي shushi باليابانية)، فامتزجت هناك ببوذية الزن مع مكوثها على هامش هذه الأخيرة. وفي نحو (1600)، جلبت نصوص كونفوشيوسية جديدة من كوريا. وقد استرعت هذه النصوص انتباه فوجيوارا سيكا (Fujiwara Seika) (1561-1619) وتلميذه هاياشي رازان (Hayashi Razan) (1583-1657) الذي ضمن لتعاليم شو سي مكانة متواضعة في اليابان خلال عهد التوكوغاوا (Tokugawa). وقد نشطت بموازاتها مدارس كونفوشيوسية أخرى عديدة.

وفي بداية القرن العشرين، تحولت الكونفوشيوسية إلى إيديولوجيا في خدمة الغزو العسكري الياباني، واضطلعت بهذا الدور طول الحرب العالمية الثانية.

6.25- بيبليوغرافيا:

- J. Ching, *Confucius*, in ER 4, 38-42; Wingtsit Chan, *Confucian Thought: Foundation of the Tradition*, in ER 4, 15-24; *Neo-Confucianism*, in ER 4, 24-36; L. G. Thompson, *The State Cult*, in ER 4, 36-8; J. Kim, Haboush, *Confucianism in Korea*, in ER 4, 10-15; P. Nosco, *Confucianism in Japan*, in ER 4, 7-10.

وفيما يتعلق بالرابطة التي جمعت بين الكونفوشيوسية والسياسة العسكرية في اليابان إبان الحرب العالمية الثانية، انظر:

- Warren W. Smith, Jr., *Confucianism in Modern Japan. A Study of Conservatism in Japanese Intellectual History*, Tokyo, 1959.

وفيما يتعلق بالكونفوشيوسية المحدثة في عصرنا هذا، انظر:

- Tu Wei-ming, *Confucian Thought: Selfhood as Creative Transformation*, New York, 1985.

26
أديان ما قبل التاريخ

1.26- يغطي مصطلح «ما قبل التاريخ» الحقبة الطويلة الممتدة من زمن ظهور أسلاف الإنسان الأوائل (ستة ملايين سنة على الأقل) إلى زمن الظهور المحلي للكتابة. ومن الناحية العملية، نجد أن أقدم الآثار الباقية من حقبة ما قبل التاريخ، التي يمكن تفسيرها باستعمال عبارات دينية، تعود إلى نحو (60000) ق.ح.ع. وقد تم، على العموم، اعتماد منهجين: [أولهما] تطبيق نماذج [موديلات] مشابهة تنتمي إلى أديان الشعوب التي لم تعرف الكتابة، و[ثانيهما] رفض كل نموذج. وأياً كانت مناقص المنهج الأول، فهو الوحيد الذي يمكن اعتماده في تاريخ الأديان. إنه يحاول إعادة بناء الأفق الذهني لشعوب ما قبل التاريخ بناء على المعنى الذي تعطيه مختلف الشعوب التي يدرسها الإثنوغرافيون للممارسات التي كشف عنها علم الآثار، مثل الدفن على الطريقة الجنينية أو دفن الموتى العادي والبسيط. وبالفعل، من المشروع؛ بل من الضروري التسليم بأنه لا يوجد فعل إنساني خلو من المعنى. وعلى ذلك، كل ممارسة جنائزية يجب أن تقترن باعتقاد تلزم عنه بالضرورة. وحيث إننا نتوافر على قائمة كاملة بالتصورات التي تفسر عملية الدفن (من قبيل أنه يضمن نشأة كائن جديد، فيما يشبه الصيرورة «النباتية» التي يلزم عنها البقاء في العالم الآخر، أو البعث...)، فمن المحتمل أن إنسان ما قبل التاريخ كان يمنحها دلالة مماثلة لتلك التي هي معروفة لنا. وغني عن البيان أن لاستخدام النماذج المماثلة حدوداً، ولا يسمح لنا على الإطلاق بولوج عالم ما قبل التاريخ.

2.26- لا شك في أن الهيومانويد [شبيه الإنسان] المعروف باسم **نياندرتال** (*Neandérthal*)، الذي اختفى نحو (30000 ق.ح.ع)، كان يؤمن بوجود حياة أخرى بعد الموت؛ وقد كان يدفن موتاه على جنبهم الأيمن، مستقبلين جهة الشرق. وقد عثر في مقابر العصر الحجري القديم الوسيط على أدوات بدائية، وعلى حجر المرو [الكوارتز] والطين الأحمر [المشق]. وقد تعرضت بعض الجماجم للتشويه بطريقة توحي بأنها أفرغت من الدماغ.

ويتمثل ما يسمى «فن» العصر الحجري القديم العلوي في الفينوسات (Vénus) الشهيرات ذوات المؤخرات الجسيمة[151] اللواتي غالباً ما يمتلكن أعضاء جنسية بارزة؛ كما يتمثل هذا «الفن» في الرسوم الصخرية التي تتخذ، على العموم، أشكالاً حيوانية أصيلة؛ لكنها لا تخلو مع ذلك من رسوم أنثربومورفية[152]. وقد عدت مشاهد الأشخاص المقنعين التي تشتمل عليها الكهوف الفرنسية-الكانتابرية بمقام «جلسات شامانية» (↔ 1.20).

لقد حصل تدجين الحيوانات، علاوةً على اكتشاف قيمة الحبوب الغذائية البرية، في العصر الحجري الوسيط بالتحديد، حين كان شكل الاقتصاد الرئيس يتمثل، على ما يبدو، في صيد الطرائد. ومن هذا العصر الحجري الوسيط، أيضاً، تنحدر المؤسسات الذكورية النموذجية التي يحاكي فيها الإنسان سلوك الحيوانات المفترسة. وفي مستهل السبعينيات، كذلك، ظهرت الأخيولة الإيثولوجية[153] التي ترى أن هذا السلوك أقدم بكثير مما نتصور، وأنه ساهم في عملية تأنيس [أنسنة] الإنسان. ويذهب بعض الإيثولوجيين إلى حد الاعتقاد بأن هذا السلوك العدواني القاتل كان بمقام القدر

151- ترجمة: (stéatopyges). (م)

152- تعريب: (anthropomorphique)؛ ومعناها هنا: «تتخذ أشكالاً إنسانية». (م)

153- ترجمة وتعريب: (fiction éthologique)؛ والإيثولوجيا هي إجمالاً: «الدراسة العلمية لسلوك الحيوان في الوسط الطبيعي أو التجريبي». (م)

المحتوم على جنسنا البشري. والحال أنها مجرد دعاوى لا تستند إلى أيّ أساس سوى الآراء الشخصية التي يؤمن بها بعض العلماء في بعض العصور. لقد اكتسب صيّادو الطرائد سلوكهم في مرحلة متأخرة، ولا يمكن أن يصدق ذلك على التاريخ البشري بصورة مطلقة. ويذهب الإيثولوجي كونراد لورنتس (Konrad Lorenz) بعيداً في شكوكه على الإنسان، حتى أنه جعله، من دون سائر الحيوانات، يفتقر إلى الخاصية - النسبية تماماً- المتمثلة في فقدان آليات الكبح التي من المفترض أن تثنيه عن قتل بني جنسه. وقد نبذت السوسيوبيولوجيا [البيولوجيا الاجتماعية] نفسها هذا الموقف على يد علماء أمثال (E. O. Wilson).

ويقترن العصر الحجري الوسيط بالعديد من الاختراعات المهمة: القوس، الوتر، الشبكة، القارب. وإذا سلمنا بفكرة التخصص الاقتصادي للجنسين -التي ما فتئ يقول بها السوسيوبيولوجيون الداروينيون الجدد- فإن الفضل في اكتشاف الزراعة يصبح عائداً إلى النساء فقط. وقد حصلت «الثورة النيوليثية» [المتعلقة بالعصر الحجري الحديث] نحو (8000 ق.ح.ع). ونحو (7000)، ظهر، في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، في إيطاليا وكريت واليونان والأناضول الجنوبية وسورية وفلسطين (الهلال الخصيب)، اقتصاد جديد يعتمد على زراعة الحبوب. وبفضل الزراعة، حصل تغيير جذري في إيقاعات الحياة والمعتقدات الدينية. فمصير الإنسان عند الصيادين ارتبط على نحو وثيق بالطرائد؛ وأضحى موضوع الآصرة الروحانية[154] متمثلاً في ما تنبته الأرض، كالحبوب عند سكان حوض البحر الأبيض المتوسط وأمريكا الوسطى، والنباتات الدرنية عند سكان جنوب شرق آسيا وأمريكا الاستوائية. وبفضل الزراعة، أضحت أسرار المرأة هي محور الدين: فهي تقارن بالأرض الأم؛ وحبلها يرمز إلى الحياة الخفية للبذرة ولعملية التجدد؛ ودورتها الشهرية تمت بصلة وثيقة إلى جميع الدورات الطبيعية، مثل دورات القمر والمد والجزر

154- ترجمة: (solidarité mystique). (م)

والنباتات والفصول. وتحتل الإلهات ذوات المؤخرات الجسيمة، اللواتي ينحدرن من فينوسات العصر الحجري القديم، مكانة مركزية في الدين. وقد تم العثور على تماثيل صغيرة خلال حفريات حاجيلار (Hacilar) وشتال حيوك (Çatal Hüyük)، وأريحا (Jericho) (نحو 7000 ق.ح.ع)؛ غير أن عددها سيتضاعف خلال الحقبة التي تطلق عليها ماريجا أ. غيمبوتاس (Marija A. Gimbutas) اسم «أوربا القديمة»، التي تمتد من (6500 ق.ح.ع) إلى عهد الاجتياحات الهند-أوربية. لكن هذه العالمة البلطيقية-الأمريكية تعتقد أن أوربا القديمة احتضنت ثقافة مطريرمقامية[155] سلمية، وأن هذه الثقافة ظلت قائمة طول عشرين ألف سنة، من العصر الحجري القديم إلى غاية العصر الحجري الحديث والعصر النحاسي. إن الإلهات يصورن، في الغالب، على هيئة نساء-عصفورات أو حيات، مع مؤخرات بارزة (غالباً ما تنقش عليها خصيتان حين يتعلق الأمر بالتماثيل القضيبية الشكل)؛ وحيوانات مختلفة ترافقهن كالثور والدب والتيس والأيل والعلجوم والسلحفاة... ويعتقد أن الهند-أوربيين، الرحل البطريركيين العدوانيين، قد دمروا القيم الدينية التي كانت سائدة في المناطق التي اجتاحوها؛ لكنهم، مع ذلك، لم يفلحوا في القضاء على الإلهات القديمات اللائي حافظن على بقائهن تحت أسماء من قبيل أرتميس (Artémis) أو هيقات (Hécate) أو كوبابا/كوبيلي (Kubaba/Kybele) .

وقد تمخض العصر الحديدي، بفضل التكنولوجيا الجديدة، عن ميثولوجيا غنية تتعامل مع المعادن بطريقة «زراعية»، فصارت المعادن، بموجب هذه الطريقة، تتخلق

155- ترجمة: (culture matrilocale)؛ ومعناها: «الثقافة التي تحتم على الزوجة الاستقرار في محل إقامة أمها بعد عقد القران»، بخلاف (culture patrilocale) التي تعني: «الثقافة التي تحتم على الزوج الاستقرار في محل إقامة أبيه بعد عقد القران». ومع الأسف، لم نقف لهما على مقابل في المتاح من المعاجم العربية؛ فاجتهدنا، وركبنا ترجمتنا لمصطلح (matrilocale) من لفظي «مطريركية» (نسبة إلى الأم) و«مقام» (بضم الميم؛ أي محل استقرار الأم)، فيكون الناتج: «مطريرمقامية»؛ وعكسها: «بطريرمقامية». (م)

وتترعرع في بطن الأرض. ونحن نلفي هنا النواة الإيديولوجية الأولى للخيمياء [الكيمياء السحرية].

3.26- **أنتجت الثقافات المطريرمقامية**[156]، **وربما النسوانقراطية**[157]، المنسوبة إلى العصر الحجري الحديث نحو (50.000) نصب ميغاليتي [جندل] عثر عليها في البرتغال وإسبانيا وفرنسا وإنجلترا وشمال ألمانيا والسويد، وفي غيرها من الأماكن. وهذه النصب هي عبارة عن معابد ومقابر ومناهير (menhirs) [شواهد قائمة ولوحات تذكارية. وقد استنتجت ماريجا غيمبوتاس من قراءتها لمورفولوجيا [شكل] هذه النصب، وللبنية الرمزية للنقوش الحجرية، أنها تحيل دائماً إلى الإلهة العظمى المتصورة في الغالب بوصفها ملكة الموتى الرهيبة. وهو تفسير واعد، لكنه لم يحظَ بالإجماع.

4.26- ببليوغرافيا:

- Eliade, H 1/1-15; M. Edwardsen et J. Walter, *Prehisoric Religions*: *An Overview*, in ER 11, 505-6; M. Gimbutas, *Old Europe*, in ER 11, 506-15, et *Megalithic Religion*: *Prehistoric Evidence*, in ER 9, 336-44; B. A. Litvinskii, *The Eurasian Steppes and Inner Asia*, in ER 516-22; K. J. Nartr, *Palaeolithic Religion*, in ER 11, 149-59; D. Srejovic, *Neolithic Religion*, in ER 10, 352-60; J. S. Lansing, *Historical Cultures*, in ER 9, 344-6.

وقد نوقشت موضوعات عديدة ذات علاقة بأديان ما قبل التاريخ في الكتاب الذي أشرف على تحريره إيمانويل أناتي (Emmanuel Anati)، وهو:

- *The Intellectual Expressions of Prehistoric Man*: *Art and Religion*, Capo di Ponte/Milano, 1983.

156- هذه ترجمتنا لمصطلح (matrilocalité) كما أشرنا سابقاً. (م)

157 - ترجمة: (gynécocratiques)؛ وهي صفة من (gynécoctratie) التي تعني: «سلطة أو حكم النساء». (م)

27
المسيحية

1.27- **قانون** (*Canon*): استغرق تشكل القانون المسيحي زهاء أربعة قرون. ويلتئم من السبعة والعشرين كتاباً المعروفة بالعهد الجديد (تمييزاً لها عن التناخ اليهودي أو العهد القديم)، وهي: الأناجيل الأربعة (مرقس، ومتى، ولوقا، ويوحنا)، سفر أعمال الرسل (المنسوب إلى كاتب الإنجيل بحسب لوقا الذي قيل إنه كان تلميذاً لبولس الرسول)، رسائل الرسل (أربع عشرة منسوبة إلى بولس، واحدة إلى يعقوب، اثنتان إلى بطرس، ثلاث إلى يوحنا، واحدة إلى يهودا)، ثم سفر الرؤيا (الوحي) المنسوب إلى يوحنا. وفي كل هذه الأدبيات، يفسر العهد القديم تفسيراً ينحو في الغالب منحى مجازياً بوصفه؛ أي العهد القديم، نبوءة عن مجيء يسوع المسيح. والحق يقال، إن عملية إدراجه في القانون المسيحي قوبلت، منذ عهد مبكر، باعتراض عالم اللاهوت مرقيون السينوبي (Marcion de Sinope) (نحو 80-155). وسيستأنف النظر في هذه المشكلة، في وقت لاحق، من قبل مارتن لوثر (1527 و1537) ومن طرف الحركة الإنجيلية الألمانية حتى بداية القرن العشرين (أدولف فون هارناك Adolf von Harnack).

ولا تزال مسألة أصالة نصوص العهد الجديد مثار جدل منذ خمسمئة عام. وتمثل رسائل بولس، متى سلمنا بأصالتها، أقدم طبقات القانون المسيحي (نحو 50-60). وبخلاف ذلك، إن العديد من الرسائل القانونية الأخرى لم تؤلف إلا خلال النصف الأول من القرن الثاني؛ أي بعد رحيل مؤلفيها المزعومين بزمن.

أما الأناجيل، فإنها نتاج متأخر قام على أكتاف تقاليد عديدة. وتسمى الثلاثة الأولى منها (متى، مرقس، لوقا) الأناجيل الإزائية بسبب التشابهات الموجودة بينها والتي تسمح بوضعها بعضها إزاء بعض في ثلاثة أعمدة. ويعد الإنجيل بحسب مرقس، الذي تم تأليفه نحو (70)، أقدم الأناجيل. أما الإنجيلان الآخران (نحو 80)، فإنهما يتبعان مرقس ومصدراً ثانياً يُشار إليه بالحرف اللاتيني (Q). أما الإنجيل المعروف بإنجيل يوحنا، الذي أُلِّف قبل عام (100) بقليل، فإنه ينحو منحى باطنياً، وينطوي على تأثيرات أفلاطونية لا غبار عليها، ولاسيما تقديمه ليسوع بوصفه لوغوس(Logos) أو كلمة الإله التي تمثل النموذج الإلهي المحتذى في إنشاء العالم. يضاف إلى ذلك أن إنجيل يوحنا يتضمن موقفاً سلبياً للغاية من عالم الناس الاجتماعي (ويسميه «**هذا العالم** *ce* monde») الواقع تحت سيطرة الشيطان الذي يبدو خصماً وليس خادماً للإله. وقد جرت العادة على مقارنة هذه التصورات بالغنوصية وبنصوص قمران (Qumran) الأسينية المعروفة بمخطوطات البحر الميت، ما يدل على أن طائفة من نصوص العهد الجديد تتسم بقدر من الغموض يسمح بقيام شتى أنواع النظريات. وعلى كل حال، من الثابت أن الأسينيين، وربما الغنوصيين قبل ذلك، كانوا ينتمون إلى المناخ الفكري الذي ساد في هذا العصر.

2.27- يمثل **يسوع المسيح** قطب الرحى في الدين المسيحي. وقد ولد هذا النبي اليهودي الذي ينحدر من الناصرة في الجليل، نحو بداية التاريخ ح.ع؛ وصُلب، بحسب التقليد المأثور، في ربيع عام (33). وتخبرنا الأناجيل عن سيرته وعن الفترة القصيرة التي استغرقتها دعوته الدينية كمسيح. وتكاد المصادر التاريخية، ذات العلاقة بالفترة الزمنية التي عاش فيها يسوع، تخلو من أية إشارة إليه، حتى أن طائفة من أصحاب التفسير الميثولوجي الجذري جنحت بقوة إلى التشكيك في وجوده التاريخي. وعلى الرغم من أن زمننا هذا يصادر، بحكم العادة، على وجود يسوع التاريخي، فإن هذا الوجود لا يزال يصطدم بمشكلات تاريخية عديدة.

ويسوع الأناجيل هو ابن مريم، زوجة يوسف النجار. وبعد أن عمده النبي

يوحنا أو يحيى المعمدان، الذي قتله الملك هيرودس (Hérode) الملقب بالدمية، شرع يسوع في الدعوة وصنع المعجزات. ومن المستحيل إعادة تركيب الصورة التي كانت عليها رسالته الدينية الأولى. ومع أن المسيحية تقدم نفسها دينَ سلام، إلا أنه من المحتمل أن يكون يسوع قد نسج علاقات مريبة مع طائفة الزيلوت أو الغيورين (Zélotes)، وهم جماعة من المحاربين اليهود الأصوليين الذين كانوا يتوقون إلى تحرير فلسطين من الاحتلال الروماني. ويذهب صموئيل ج. ف. بريندن (S. G. F. Brandon) إلى حد القول بأن هذه العلاقات كانت علاقات متينة. ومهما كان الحال، فإن تصرفات يسوع ما كانت لتحظى برضا السلطات الدينية اليهودية التي أوقفته وأحالته على العدالة الرومانية. ولم يكن صك الاتهام واضحاً بالمرة؛ ويظهر مع ذلك أن ما كان يعده البعض تجديفاً كان يعده آخرون تحريضاً على العصيان. وبعد إجراء محاكمة فورية قرر معها بيلاطس(Pilate) (إن لم نقل قرر كتاب الأناجيل المتحرسون من إزعاج السلطات الرومانية) أن يحال المتهم على الشعب اليهودي ليحكم عليه، بعدها قام الجنود الرومان بصلب يسوع بتهمة من المحتمل أن تكون أنه عُدّ مجرد مسيح مزور أو دجال. ومات يسوع، ثم دفن في يوم موته نفسه.

وتتمثل إحدى أصعب المشكلات التي واجهها النقد الحديث (من غير أن يحالفه التوفيق) في تكوين فكرة أقرب إلى الحقيقة عما كان يعتقده يسوع عن نفسه. هل كان يعتقد أنه ابن الإله؟ هل كان يعتقد أنه المسيا (messie) (وأي مسيا)؟ هل كان يعتقد أنه نبي؟ وكيفما كان الحال، فإن يسوع المذكور في الأناجيل كان يتصرف بوصفه مبعوثاً من عند سلطان يعلو على التوراة نفسها، مبعوثاً هدفه هداية الخطاة إلى الإله والتبشير بمجيء عهد مملكة الإله. ولا يساورنا الشك في أن يسوع كان يدعو الإله بالكلمة المألوفة الشائعة، وهي أبا (Abba) (أبي العزيز)، لكن، من حقنا التشكيك في أن يكون شعور البنوة هذا منطوياً على المعنى نفسه الذي نسبته الأجيال اللاحقة إلى يسوع تحت تأثير نزعة أفلاطونية لم تكن تزعجها فكرة إمكان تجسد عالم النماذج الأولية في صورة كائن بشري. وغالباً ما تطلق الأناجيل الإزائية على يسوع لقب ابن

الإنسان (الذي يستعمله النبي دانيال)، وهو لقب يستحيل علينا، للأسف، أن نحدد بدقة دلالته السياقية (أما في الآرامية، فهو يعني ببساطة: «إنسان»). وقد كان تلامذة يسوع يسمونه **الماشيح** (*mašiah*)، أو المسيا؛ أي المدهون بالزيت المقدس (oint)، وباليونانية **خريستوس** (*christos*). وإذا كان مكتوباً على الصليب «يسوع الناصري، ملك اليهود»، فلأنه من المرجح أنهم نسبوا إليه دعوى الانحدار من نسل الملك داود. ومع ذلك، لا يبدو أنه صرح يوماً بأنه مسيا؛ إنه شخصية يلفها الغموض؛ فبعد موته، يؤكد تلامذته أنه في اليوم الثالث قام من بين الأموات، وأنه مكث بين ظهرانيهم أربعين يوماً (**أعمال الرسل 1، 3**؛ أما المأثورات الغنوصية المنحولة، فتذكر رقماً أكبر من هذا بكثير). لكن، في الوقت الذي لم تكن فيه المسيحية سوى فرقة يهودية، كانت هناك فرق، مثل فرقة الإبيونيين أو الفقراء، ترى أن يسوع لا يعدو أن يكون نبياً، ولا تؤمن بقيامته. إن بولس هو الذي جعل من القيامة؛ أي قيامة يسوع، محور الرسالة المسيحية.

3.27- تكتسي شخصية **بولس الطرسوسي** (*Paul de Tarse*) -إيديولوجي المسيحية العبقري- طابعاً معقداً. فاسمه الحقيقي هو شاول، وهو ينحدر من عائلة يهودية عاشت في الشتات، وكانت على درجة من الثراء سمحت لبولس بتلقي تعليم كلاسيكي إلى جانب معرفة رصينة بأحكام التوراة. وكان مواطناً رومانياً على مذهب الفريسيين. وكان في أول أمره مضطهداً للمسيحيين، لكنه اعتنق المسيحية بعد أن حصلت له رؤيا، حيث ظهر له المسيح وهو في الطريق إلى دمشق. وانخرط في نشاطه التبشيري بعد ذلك بقليل، ويتمثل هذا النشاط في نشر الدين المسيحي، خارج دائرة اليهودية، في صفوف الأمم (gentils). ونحو عام (48)، أبحر بولس وأصحابه إلى أوربا بعد أن مكثوا مدة من سنتين في آسيا الصغرى. وأسسوا كنائس فيلبي (Philipes) وتسالونيكي (Thessalonique) وكورنثوس (Corinthe). وبينما كان حزب المتهودين في أورشليم يعد المسيحية فرعاً من اليهودية، ويشترط الختان والتقيد بأحكام التوراة، اتخذ بولس موقفاً جريئاً يرمي إلى تحرير المسيحية من اليهودية،

معارضاً أحكام الشريعة الموسوية بالحرية التي ينعم بها المسيحي في كنف الإيمان المبارك. وهذه اللحظة من الأزمة والتوتر بين بولس وكنيسة بيت المقدس الأم التي كان يتزعمها يعقوب الصغير -أخو يسوع -وسمعان بطرس، تشكل موضوع رسالة بولس إلى أهل غلاطية في آسيا الصغرى (نحو 53). وانتهى مقام بولس في أفسس بسجنه. وسنلفيه لاحقاً في كورنثوس، حيث سيعد العدة من هناك لمهمته التبشيرية في روما وإسبانيا. ونحو (57)، سيزور بيت المقدس، وسيعقد العزم على الرحيل إلى روما. وتوقف بولس في مدينة قيصرية التي سجن فيها مدة من سنتين، لكنه سيطلب من الإمبراطور، متذرعاً بمواطنته الرومانية، أن ينظر في أمره شخصياً. وهكذا، سيصل بولس إلى روما نحو (60). وبعدها بسنتين، سيعدم تحت حكم نيرون.

4.27- تعد **الأرثوذكسية المسيحية** نتاج سيرورة استغرقت ثلاثة قرون ونصف، وبرزت بوضوح نسقاً ينطوي على مجموعات فرعية عديدة يتوقف بعضها على بعض، نسقاً يعمل إما بموجب إوالية باطنية للانفصال أو الانشطار بين التيارين الكبيرين داخل اللاهوت المسيحي (التيار اليهودي والتيار الأفلاطوني النزعة)، وإما بموجب تفاعل بين نسق فرعي مركزي وأنساق فرعية تدور في فلك الديانة المسيحية ("هرطقات") من غير أن تكون مسيحية بالمعنى الدقيق للكلمة.

1.4.27- إن أول مفكر أسعف الأرثوذكسية بتحديد هويتها المذهبية في مواجهة خصومها هو **مرقيون السينوبي** (*Marcion de Sinope*) (نحو 80-155). وهو أحد أثرياء ملاك السفن في البحر الأسود. وقد حرمته كنيسة روما، وردت عليه هباته. ويعده أول المدافعين عن المسيحية يوستينوس الشهيد (Justin Martyr)، (نحو 150-155)، العدو الأكبر للدين، وتلميذ الغنوصيين. وبوصفه أول لاهوتيي الكتاب المقدس في التاريخ، ذهب مرقيون إلى أن إله العهد الجديد ليس هو إله العهد القديم. وبذلك يكون قد عمق من هوة الشقاق التي حفرها بولس بين اليهودية والمسيحية. لكن هزيمة مرقيون والكنيسة المرقيونية تظهرنا على أن الأرثوذكسية لم

ترغب في التخلي عن ميراث الكتاب المقدس الذي يرهص بعهد الخلاص الذي دشنه صلب يسوع المسيح، ويضفي على ظهور يسوع وعلى رسالته التاريخية صبغة الشرعية. وكأن لسان حال الكنيسة يقول: إن تنبذوا العهد القديم، تنبذوا يسوع.

2.4.27- تعد **الغنوصية** (↔ 3.12)، من الناحية الكرونولوجية أو الزمنية، ثاني (إن لم نقل أول) الخصوم الكبار الذين واجههم التيار المركزي المهيمن على المسيحية. وكان أول من قاومها بشراسة من دارسي الهرطقات إيريناؤس الليوني (Irénée de Lyon) (نحو 130-200)، وحذا حذوه في ذلك هيبوليتوس الرومي (Hippolyte de Rome) (توفي 235). وهناك قائمة كاملة بالمواقف الغنوصية فيما يخص العلاقة مع اليهودية والمسيحية (انظر: كوليانو Couliano، **مذاهب الغنوص الثنوي في بلاد الغرب** (*Gnoses dualistes d'Occident*)، باريس 1990)؛ ومع ذلك، يمكن القول إن الغنوصية تشدد على حقارة العالم وخالقه بصورة تزيد على ما نجده في الأصل الأفلاطوني المشترك الذي انحدرت منه الغنوصية والمسيحية معاً. ولهذا السبب نجد أن بعض آباء الكنيسة، الذين كانوا يمجدون العذرية (حتى أنهم شجبوا الإنجاب والزواج في بعض الأحيان)، ما كانوا ليقبلوا بأن يوسم العالم بطابع الشر. ويتسم موقف بعضهم، مثل ترتوليانوس القرطاجي (Tertullien de Carthage) (نحو 160-220)، بالازدواجية أو بالكيل بمكيالين حيث نجدهم يتهمون خصومهم الغنوصيين بأشياء كانوا يلقنونها للناس علانية. ويؤكد آخرون، مثل إكليمنضس الإسكندراني (Clément d'Alexandrie) (توفي نحو 215)، أن الوحي الموسوي يعلو على الفلسفة اليونانية علواً كبيراً، لكنهم يقبلون، في الوقت نفسه، بوجود نخبة «غنوصية» مسيحية تملك مفاتيح معرفة الحقيقة المضنون بها على عامة المؤمنين. وانتهى الأمر بقيام حاجز منيع يقطع سبل التفاهم بين المسيحية والغنوصية: تقبل الأولى بحقيقة قصة الخلق كما يوردها الكتاب المقدس، وتتبنى إله التوراة، بينما ترى الغنوصية أن إله العهد القديم هو صانع هذا العالم، وأنه ليس الإله الحق، الأول والواحد، الذي يعتزل عالمنا محتجباً في غيب وجوده المفارق الذي لا

يكاد يدركه مدرك. أما المسيحيون، فإنهم لما آمنوا بما جاء في قصة الخلق التوراتية، قالوا: إن العالم خير؛ لكننا نجدهم يقتربون مجدداً من الغنوصيين في عقيدة سقوط الزوج الإنساني البدئي؛ أي آدم وحواء، ولاسيما التفسير الذي سيعطيه لها المانوي القديم أوغسطين، أسقف هيبو (Hippone) (انظر **أدناه**).

3.4.27- قبل أن ينعقد مجمع نيقية (325)، كان **أوريجينوس** (*Origène*) (نحو 185-254)، من غير شك، أجلّ آباء الكنيسة وأعظمهم منزلة -إن لم نقل- أكثرهم إرباكاً وإثارة للحيرة. فهو مسيحي المولد، وأبوه شهيد مسيحي (203). والأرجح أنه درس الفلسفة على يد أمونيوس الحمال (Ammonius Saccas). وعلى شاكلة أفلوطين (205-270)، تصدى أوريجينوس الأفلاطوني لإخوانه الضالين من أهل الغنوص مع التأثر بهم في الوقت نفسه. وشرع في التأليف نحو (205)، قاصداً ردّ صديقه الثري أمبروزيوس الإسكندراني (Ambroise d'Alexandrie) إلى حظيرة الكنيسة بعد أن استهوته دقائق الغنوص أو العرفان الفالنتيني. وخلال هذه المعارك الكهنوتية المثبطة التي لن تزداد إلا حدة بعد تبني المسيحية ديناً للدولة، رسم أورجينوس كاهناً في مدينة قيصرية، لكن أسقف مصر أعلن بطلان كهنوته. ويشبه أن يكون هذا هو أصل حكاية تعرضه للحرمان. ومع أن الذين أدانوا الأوريجينية، خلال القرنين الخامس والسادس، يذكرون اسم أوريجينوس، إلا أن هذه الأوريجينية ما عادت تعني صاحبنا بصورة مباشرة.

وقد كتب أوريجينوس مؤلفاته قبل أن تنشب نزاعات القرن الرابع ذات الصلة بعقيدة التَّثليث وبطبيعة المسيح. ومن ثم، لاهوته لا ينزع إلى صريح القول، وهو الأمر الذي يسهل عملية الدفاع عنه كما يسهل عملية إدانته، بحسب الأحوال. وتفسيره المجازي للكتاب المقدس ليس أبعد غوراً من التفسير الذي سيضعه لاحقاً أمبروزيوس وأوغسطين. وبوصفه أفلاطونياً، يؤمن أوريجينوس بالوجود السابق للأرواح [الأنفس]، لكن مذهبه مباين لمذهب تناسخ الأجساد الأفلاطوني أو الهندوسي. فنحن في عصر لا يزال يسوده مذهب زرع الأرواح الترتولياني الذي يرى

أن نفساً أو روحاً جديدة تنشأ من التزاوج النفساني بين الوالدين. ولا نجد بعد أيّ سبب يمنع من تبني موقف أوريجانوس؛ فخلو الكتاب المقدس من عقيدة تناسخ الأجساد كان أمراً حاسماً.

4.4.27- يكشف لنا روبرت ماكوين غرانت (R. M. Grant) عن خطورة النزاع الجدلي الذي انخرط فيه التياران الرئيسان في اللاهوت المسيحي المبكر -**التيار المتهود والتيار الأفلاطوني**- منذ مطارحات أنطاكية الخريستولوجية، ذات الصلة بطبيعة المسيح، حيث تتصدى خريستولوجيا «فقيرة» (pauvre) لمواجهة خريستولوجيا «غنية» (riche) ذات أصل أفلاطوني، خريستولوجيا يرجع الفضل في نشأتها، في المقام الأول، إلى أوريجينوس في مدينة الإسكندرية. وتحرص الخريستولوجيا «الفقيرة»، فيما يبدو، على العودة إلى الوراء، حتى تصل إلى بطرس نفسه (**أعمال الرسل** 2، 22.36؛ 10، 38)؛ وهي تضم الإبيونيين الذين أعرضوا عن لاهوت بولس. وتمثل هذه الخريستولوجيا الكتب الثلاثة **إلى أوطولوقس** (*Pour Autolycus*) التي ألفها الأسقف ثاوفيلس الأنطاكي (Théophile d'Antioche)[158]، وهي تنطوي على أصول المذهب الذي سيدان في وقت لاحق تحت اسم «التبنية» (adoptianisme): إنه المذهب القائل بأن المسيح مولود مثل سائر البشر، وبأن الإله لم يجعل منه ابنه إلا في وقت المعمودية في نهر الأردن. وبخلاف ذلك، إن الخريستولوجيا «الغنية»، ذات المنحى الأفلاطوني، التي يمثلها يوستينوس الشهيد[159]، وتلميذه تاتيانوس السوري (Tatien)، تؤكد على الخصوص ألوهيةَ المسيح. إن هذه الخريستولوجيا، المرتبطة بفلسفة اللوغوس الإسكندرانية، هي التي

158- في الأصل: ثاوفليس الإسكندراني (Théophile d'Alexandrie)؛ والأصح ما ذكرنا. (م)

159- في الأصل: «أغناطيوس»(Ignace)؛ والأصح ما ذكرنا. وقد أصلحنا الخطأ نفسه في الكشاف. (م)

ستسود على حساب مذهب التبنية الذي سيدان (264-286) في شخص الهرطوقي بولس الساموساطي (Paul de Samosate)، أسقف أنطاكية. ولن تزداد المنازعات الجدلية إلا شراسة حين ستصبح المسيحية -التي استفادت من تسامح السلطة معها في بداية الأمر (313)، قبل أن تحظى بالدعم والتبني من قبل الإمبراطور قسطنطين (توفي 337) وهو على فراش الموت- هي دين الدولة الرسمي (391)، من دون العبادات الوثنية.

5.4.27- أدى **الآباء الكبادوك** دوراً جوهرياً في سيرورة تشكل الأرثوذكسية، وهم باسيليوس القيصراني (Basile de Césarée) (نحو 329-379)، وصديقه غريغوريوس النزينزي (Grégoire de Nazianze) (نحو 329-391)، ثم شقيقه غريغوريوس النيصي (Grégoire de Nysse) (نحو 335-395)، الذين أزروا عقيدة التثليث كما صيغت في صورتها النهائية خلال مجمع القسطنطينية عام (381). وهؤلاء الآباء الكبادوك أريجينيون وأفلاطونيون محدثون.

6.4.27- يعد **أمبروزيوس الميلاني** (*Ambroise de Milan*) (نحو 339-397) أول المسيحيي المولد من الآباء الغربيين. وهو ينحدر من عائلة أرستقراطية تنتمي إلى دائرة الحكم الإمبراطوري. وينسج أمبروزيوس الميلاني في لاهوته على منوال أوريجينوس وفيلون الإسكندراني، مع تأثره بطائفة أخرى من المؤلفين اللاتينيين.

7.4.27- **أوغسطين**: في هذه الحقبة الممجدة من تاريخ اللاهوت المسيحي الموافقة للنصف الثاني من القرن الرابع، والموسومة للأسف بالصراعات الداخلية التي اكتسب فيها الأب إيرونيموس أو جيروم (Jérôme) (نحو 347-420)، صاحب الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس المعروفة باسم **الفولغاتا** (*Vulgate*)، سمعة اللاهوتي العدواني بامتياز، في هذه الحقبة أيضاً احتل أب لاتيني آخر هو أوغسطين (354- 430)، أسقف هيبو، مكانة خاصة. ولقد اعتنق أوغسطين مذهب المانوية

مدة من تسع سنين، غير أن الأمر سينتهي بهذا الخطيب الإفريقي الشاب والطموح، الذي استقر به المقام في ميلان (384)، إلى الاقتناع بأن المسيحية هي دين المستقبل. وهكذا، سينفصل عن المانويين، وسيعتمد على يدي أمبروزيوس الميلاني عام (387). ورسم كاهناً في مدينة هيبو (هيبو ريجيوس Hippo Regius، وهي اليوم مدينة عنابة الجزائرية) عام (391)، قبل أن يرسم أسقفاً لها عام (395). وبعد ذلك بسنتين، ألف كتاب (**الاعترافات**)، متوجهاً به إلى كل أولئك الذين لم تعد ترضيهم الحياة الدنيا. ومع ذلك، تجربة الحياة الدنيا كان لها دور في مسيرة التائب أوغسطين، ذلك أنه سيتخذ موقفاً مناهضاً لموقف المانويين النابذ للعالم الدنيوي، ومناهضاً للكنيسة المسيطرة في إفريقيا الشمالية، وهي كنيسة الدوناتيين التي كانت تشترط على كهنتها الطهر الأخلاقي. وبالفعل، في الهرسيولوجيا (hérésiologie) [علم الهرطقات] المسيحية، انتهى الأمر بمذهب «الدوناتية» إلى أن أصبح يدل على طائفة (ينتمي إليها الوالديون Vaudois على سبيل المثال) الذين لا يسلمون بصحة فعل التضحية **من تلقائه بوصفه فعلاً** (*ex opere operato*)؛ بل يرون أن درجة الكاهن في سلم القداسة هي التي تؤثر في النتيجة المرجوة من القربان، وأن هذه النتيجة نابعة من **شخص فاعل الفعل** (*ex opere operantis*). ويتحصن أوغسطين، من غير هوادة، بأسوار مذهبه الموسوم بإرادة التحكم والاستبداد، فلا يتردد في اللجوء إلى أية وسيلة تمكنه من هزم خصومه، الذين يسحقهم بالفعل ويطحنهم طحناً، مستعيناً عليهم بسلطان الدولة، من غير أن يردعه في ذلك أي وازع أخلاقي. لكن المانوية لن تفتأ تتكلم بلسانه، ومن خلاله أمست، نوعاً ما، هي مذهب الكنيسة الرسمي. وقد كانت البداية من التصدي لمذهب النعمة الذي قال به الراهب بيلاجيوس (Pélage) (توفي 418)، وهو المذهب الذي ينتصر فيه هذا الأخير لحرية الإرادة الإنسانية. فبيلاجيوس يرى أن الطبيعة الإنسانية خيرة في جوهرها، وأنها قادرة على فعل الخير حتى من غير عون أو مدد النعمة الإلهية. إن الغموض الذي يلف تجربة العالم الأوغسطينية، مع شجب الأسقف الشديد لماضيه الحافل بألوان المجون والطيش، وحنينه المتكرر إليه

في الوقت نفسه، يتنافى مع الوضوح الحاسم الذي يسم موقف بلاجيوس. لقد صاغ أوغسطين مذهبه، المناهض لهرطقة بيلاجوس، لا من أجل كنيسة يؤمها القديسون؛ بل من أجل كنيسة يؤمها خطاة على شاكلة أوغسطين نفسه، مبيناً أن كل إنسان وارث للخطيئة الأصلية، وأنه يلزم عن ذلك أن النعمة هي وحدها الكفيلة بأن تعيد إليه القدرة على الاختيار، وأن ترد إليه تلك الحرية التي كان سوء التصرف بها سبباً في سقوط أوائل ممثلي الجنس البشري. وهذا يعني أن آدم وحواء وحدهما كانا متمتعين بالحرية، وأنهما اختارا سبيل الشر. فالخطيئة الأصلية تورث؛ ومن يولد في هذا العالم لا يعد حراً إلا في اختيار الشر، لكن مدد النعمة الإلهية يجعل من الممكن اختيار الخير. ومع ذلك، إن النعمة لا تمنح لأي كان، ولا هي تنال لأسباب واضحة بذاتها. فهي لا تمنح إلا لبعض **المختارين** (*praedestinati*) الذين كتبت لهم بظهر الغيب لعلة لا يعلمها إلا الإله. ويضاف إلى هذا أن عدد هؤلاء المختارين محدود ومقدر بعدد الملائكة الساقطين الذين شغرت أماكنهم السماوية. أما بقية البشر، فينتمون إلى حشد المنبوذين[160] (**عجين الهالكين** *massa perditionis*) الذين لا نصيب لهم من

160- في الأصل: (la masse des rejetés)؛ وهو ما ترجمناه، حفظاً للأمانة، بعبارة: «حشد المنبوذين». لكن ترجمة المؤلف للعبارة الأوغسطينية: (massa perditionis)، على النحو الذي ذكرنا، أمر فيه نظر؛ ذلك أن أوغسطين، على ما يقول الأستاذ ألبرتوس ك. دي فير (A.-C. De Veer)، يستخدم لفظ (massa) اللاتيني بمعنى «الأصل» أو لنقل: «المعدن»؛ انظر:

A.-C. De Veer, «Massa perditionis», in M. Dulaey, J.-M. Salamito (éds.), Bibliothèque Augustinienne, 22 (1975), p. 736.

وهو المعنى نفسه الذي ينطوي عليه اللفظان الواردان في الترجمات اللاتينية لرسائل بولس، وهما: «الطين» (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 9، 21)، و«العجين» (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 5، 6؛ رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 5، 9؛ وأيضاً رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 11، 16). وعلى ذلك، الترجمة العربية الأصح للعبارة اللاتينية تعطينا: «طين أو عجين الهالكين». (م)

الخلاص. وإزاء انهيار الإمبراطورية الرومانية، يؤكد أوغسطين في كتابه (**مدينة الإله**) (*Cité de dieu*) (413-427) على استقلال الكنيسة التام عن أي نظام سياسي. ونلفي الموقف نفسه عند نصيره أورسيوس (Orose) (418)؛ فالإمبراطورية ستختفي في نظره لا محالة، لكن الكنيسة ستظل قائمة تحت ظل الغزاة.

8.4.27- والحال أن أيام الإمبراطورية الغربية كانت معدودة. فإذا كان الرهبان المصريون، المتسخون والملتحون، الذين كانوا يغامرون بالمجيء إلى روما في أواخر القرن الرابع، يتعرضون للرجم على يد الجموع، فإن الوضع سيتغير جذرياً عندما أصبحت جدران الأديرة الملاذ الوحيد العاصم من الفوضى التي استشرت بعد سقوط الإمبراطورية (476). فقد أسس بندكت النيرسي (Benoît de Nursie) (نحو 480-543) رهبنة البندكيين ودير مونتي كاسينو (Monte Cassino) (نحو 529). وكان بطل الفلاة[161] هذا ناسكاً متوحداً مثل أنطونيوس (نحو 300)، بيد أن هذا المطلب المثالي كان عسير المنال، كما أن عوارض الفشل كانت لا تحصى. وقد قدمت حركة الشركة (Cénobitisme)، التي أنشأها في مصر باخوميوس (Pacôme) (292-346)، بديلاً سرعان ما أقبل عليه الشرق وأشاعه في الآفاق: وهو نظام العزلة الجماعية. وتبنى الغرب هذا البديل، فأنشأ بندكت مراكز، محمية إلى حد ما، يتمثل هدفها في نهاية المطاف -كما فطن إلى ذلك الراهب ذو البصيرة النافذة كاسيودورس (Cassiodore) (توفي 575)- في تكوين نخب فكرية قادرة على العطاء والإشعاع متى صارت الظروف الخارجية مواتية. ولن تسنح لهم أولى الفرص إلا مع تأسيس الإمبراطورية الكارولنجية (800). فقد اجتذب شارلمان (Charlemagne) (768-814) إلى بلاطه كبار علماء بلاد الغرب من رجال الدين والعلمانيين، مثل ألكوين أو ألبينوس اليوركي (Alcuin de York) (نحو 730-804) الذي سيصبح رئيساً لدير القديس مارتينوس الطرشي (Saint

161- والمقصود: فلاة سوبياكو(Subiaco) في منطقة لاتسيو الإيطالية. (م)

(Martin de Tours (نحو 720-795)، إلخ. وقد توخت هذه الحركة الفكرية النهوض بأوضاع تعليم **الفنون الحرة** (*artes liberales*) في أوربا (**التريفيوم** *trivium*، أو المنهاج الثلاثي، **والكوادرفيوم** *quadrivium*، أو المنهاج الرباعي)، وحولت الأديرة إلى مراكز لحفظ ونشر الثقافة. وحين قامت المؤسسة البابوية -التي أرسى قواعدها المتينة غريغوريوس الكبير (Grégoire le Grand) (590-604)- بإضفاء صبغة الشرعية على الإمبراطورية التي أحيتها عام (800)، متأبطة إياها سيفاً زمنياً[163] في مواجهة التهديدات الخارجية (فالعرب والبربر [الأمازيغ] المسلمون كانوا قد اجتاحوا إسبانيا عام 711)، حين قامت بذلك، صنعت بيديها خصمها الأكبر في الوقت نفسه. وهكذا، سيظل العصر الوسيط يراوح مكانه، حتى بعد انصرام زمن الغيبليني(Ghibellin) (نصير الإمبراطورية) دانتي أليغييري (Dante)، بين طرفي المنازعة الجدلية الشاقة والمرهقة: إمبراطورية-كنيسة. وقد قام البابا الإصلاحي غريغوريوس السابع (Grégoire VII) (1073-85) بإعلان نفسه أعلى من كل سلطة زمنية ورفض السماح للسلطة الإمبراطورية الحاكمة (وكانت آنذاك ألمانية) بتنصيب أساقفة الكنيسة. وقام الإمبراطور هنري الرابع (Henri IV) بعزل البابا عام (1076)؛ فرد البابا على ذلك بحرمان الإمبراطور الذي سيجبره الأمراء التابعون له على طلب عفو البابا في كانوسا (Canossa) (1077). لكن الصراع سيتجدد بصورة أكثر ضراوة، ولن ينتهي إلا بقوة السلاح: فقد عين هنري الرابع باباه الخاص (إكليمنضس الثالث Clément III)، واحتل روما (1083) قبل أن يتوج إمبراطوراً على يد البابا الذي عينه بنفسه (1084). وستتواصل المغامرات

162- في الأصل: دير القديس دوني أو ديونيسيوس (Saint-Denis)؛ والأصح ما ذكرنا. (م)

163- ترجمة: (glaive tempore)، في مقابل: (Glaive spirituel)، أو «سيف روحي»؛ وهما تعبيران أشاعهما مرسوم «واحدة مقدسة» (Unam Sanctam) الشهير الذي أصدره البابا بونيفاسيوس الثامن عام 1302. (م)

الرامية إلى السيطرة والتحكم في أوربا لمدة قرون، في مناخ سياسي لن يزداد إلا تعقيداً. ويكفي أن نفتح أيّ كتاب من كتب التاريخ التعليمية للاطلاع على فصول هذه المنازعة العسيرة -التي ليس لها حل- بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية. وهي لا تنتمي إلا بصورة جد هامشية إلى التاريخ **الديني** للغرب الذي سيشهد فترة ازدهار مدهشة ابتداء من القرن الثاني عشر.

9.4.27- إن ما ندعوه «**نهضة القرن الثاني عشر**» (والتعبير لتشارلز هومر هاسكينز Charles Homer Haskins) هو، في الجانب الأعظم منه، نتاج لأحداث القرن السابق؛ أي الحادي عشر: ففي (1085)، غزا ملك قشتالة وليون الموحدتين مدينة طليطلة، عاصمة القوط الغربيين القديمة، وانتزعها من المسلمين؛ وفي (1099)، غزا الصليبيون، في الأراضي المقدسة، مملكة بيت المقدس، وانتزعوها من الأتراك السلاجقة، ثم أعلنوا بالدوين الأول (Baudouin) ملكاً عليها. وفي الأخير، كان لبرنارد الكليرفوني (Bernard de Clairvaux) (1091-1153) حضوره المؤثر المتمثل أولاً في القراءة الجديدة التي قدمها لعصره، وثانياً في المثل العليا الدينية الجديدة التي ألهم بها الحركة الديرية الإصلاحية، فضلاً عن الدوائر اللائكية [العلمانية] المهتمة بالشأن الروحي.

وأسفر الاستيلاء على طليطلة عن نتائج يصعب تقدير مداها؛ فقد حج إليها الرهبان من كل فج وصوب، مأخوذين على الخصوص بهالة الغرائبية التي تحيط بالحضارة العربية، وبالصورة المرتسمة في أذهانهم عنها كحضارة راقية وحبلى بالأسرار؛ وليس بالغاية المراد تحقيقها في الظاهر من وراء معهد المترجمين الذي أنشأه، في طليطلة، رئيس الأساقفة رايموندو (Raymundo)، بُعيد عام (1130): وهي دحض المبادئ أو الأصول الزائفة التي بني عليها الدين الإسلامي. وقد أدى لاهوتيون أمثال بطرس المبجل (Pierre le vénérable)، رئيس دير كلوني (Cluny)، وردريق خمينيز الرادي (Rodrigue Ximénez de Rada)، ثمن ذلك، على الرغم من أنهم كانوا بدورهم عاجزين عن مداراة اهتمامهم وعنايتهم بالثقافة العربية؛ إلا أن الأمر كان يجد مبرره في تمكين المترجمين، تحت إشراف

رئيس الشمامسة دومينيكوس غونديسالينوس (Dominicus Gundisalinus)، من إنجاز عملهم الوئيد والجسيم المتمثل في نقل الثقافة العربية، ومن خلالها الثقافة اليونانية-الرومانية القديمة، إلى اللغة اللاتينية. وكان أعظم هؤلاء المترجمين جيرار الكريموني (Gérard de Crémone) (1114-1187) الذي يُنسب إليه نقل أزيد من سبعين كتاباً، في حقول الطب والعلم والفلسفة، من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية. وبفضل نشاط النقلة هذا، اكتشفت أوربا المسيحية فلسفة أرسطوطاليس وتبنتها، فصارت هي أساس الفلسفة الإسكولائية أو المدرسية الجديدة التي أشاعها على الخصوص ألبرت الكبير (Albert le Grand) (1193-1280) وتوما الأكويني (Thomas d'Aquin) (1225-1274). وكان أسلاف هؤلاء ثلة من المفكرين من أمثال أنسلم الأوستي (Anselme d'Aoste) (1033-1109)، وبطرس لومباردوس (Pierre Lombard) (توفي 1160) مؤلف كتاب (**الأحكام**) الشهير، وبطرس أبيلاردوس (Pierre Abélard) (1079-1142) الجدير بالاهتمام من أجل ما نافح عنه من آراء حول تفوق المرأة على الرجل، والتي يبدو أنها ناشئة عن الحب العفيف أو العذري.

لكن هذا العصر الجديد كان موسوماً أيضاً بالعبادة الخاصة التي أُفردت للعذراء، والدة الإله، والتي جعلت منها -إن لم يكن بموجب فرض ديني، فبموجب الأمر الواقع- نداً مساوياً للأقانيم الثلاثة، مكرسة إياها بوصفها **ملكة السماء** (*regina coeli*) بحق، ونجمة الرجاء المتشفعة لبني الإنسان. وتعد الكاتدرائيات التي شيدت في منطقة شمال فرنسا نحو (1150) -وهي المخصصة على العموم لسيدتنا (Notre-Dame) العذراء- بمقام الرمز المرئي الدال على الحياة الروحية الجديدة. وقد تحولت المدارس التي كانت تحتضنها هذه الكاتدرائيات إلى جامعات مستقلة. وفي قسطانية (Occitanie) -بلاد الفنانين الطربدوريين (troubadours)- يمثل حب السيدة (Dame) عديلاً لعبادة العذراء (Vierge). وهذه الظاهرة، المعروفة بالحب العذري أو العفيف[164]، التي ينكر

164- ترجمة: (amour courtois). (م)

وجودها العديد من المؤرخين بحجة أن لا أحد جرب هذا النوع من الحب في الواقع، تتمثل في ضرب من التوتر العقلي للمحب أو العاشق الذي يعيش، كلما اشتدت رغبته في السيدة من غير إشباع، تجربة خاصة نستطيع مقارنتها، من غير تردد، بالتجربة الصوفية. وفي إيطاليا، أسفر الحب العذري أو العفيف عن نشأة الجنس الشعري المسمى **دولتشي ستيل نوفو** (*Dolce Stil Novo*)؛ أي **الأسلوب الجديد العذب**، وهو الذي ينتسب إليه الفلورنسي، المبعد عن وطنه، دانتي أليغييري (Dante Alighieri) (1265-1321)، مؤلف كتاب (**الكوميديا الإلهية**). وإذا كانت حالات السقوط ومعاودة السقوط في الخطية عديدة، فإنه لا يساورنا الشك في أن التشوف المستمر إلى التوتر، الناشئ عن الرغبة غير المشبعة، يمثل مفتاح فهم التيار أو الاتجاه الذي تمثله هذه الأيروسية أو الشبقية المصعدة[165]، التي يتنافى مثلها الأعلى مع التعاليم الطبية السائدة في عصرها (وهي التعاليم التي تنص على أن رغبة الحب غير المشبعة تشكل متلازمة مرضية خطيرة؛ بل مهلكة). ومن المؤكد كذلك أن روايات الدور الآرثري، التي لا بد من أن إيديولوجيتها قد انطلقت من أحد المراكز الفكرية الكنسية الواقعة في شمال فرنسا (ونرجح أنه مركز سسترسي cistercien)، قد حولت العبادة المنذورة للسيدة إلى اختبار دائم لأحوال الفارس الباطنية. وهي بطبيعة الحال أحوال صوفية؛ لأن الدور الآرثري يشيع فكرة مفادها أن مجاهدة الكفار والاتصاف بالفضيلة كافيان في نيل درجة القداسة. وليس من حقنا التشكيك في الرابطة العميقة التي تجمع بين تشكل التنظيمات الدينية العسكرية وبين الدور الآرثري الذي يقدس الطهارة الأخلاقية، ويمجد خدمة السيدة.

لقد خطرت فكرة تأسيس تنظيم فرسان الهيكل لصاحبها هوغ الباني (Hugues de Payens) في مدينة بيت المقدس. ولا شك في أن لهذا التنظيم علاقة بطائفة الحشاشين أو النزاريين الإسماعيليين التي أسسها حسن الصباح في جبال ألبرز (Elbourz) في إيران (↔3.6.4). فقد كان يطلق على **فدائيي** (*fedawas*) الخلافة

165- ترجمة: (sublimé). (م)

الإسماعيلية هؤلاء لقب (*muhamars*)؛ أي «الحمر»؛ لأنهم كانوا يعتمرون قلانس ذات لون أحمر، ويشدون أوساطهم بأحزمة حمراء، وينتعلون جزمات من اللون نفسه، وكل ذلك على خلفية بزة بيضاء. وكان فرسان الهيكل يحملون صورة صليب أحمر على خلفية دثار أبيض. كما أن فرسان الأسبتارية المنتسبين إلى رهبنة القديس يوحنا المقدسي (Saint-Jean de Jérusalem) (المتراوح عددهم بين 1530 و1798 من الفرسان المالطيين)، الذين غالباً ما كانوا يعكسون رموز فرسان الهيكل، قد تبنوا في نهاية المطاف رمز الصليب الأبيض على خلفية حمراء. وفي عام (1118)، حظي فرسان الهيكل (مستفيدين من الدعم الذي خصهم به برنار الكليرفوني الشاب الذي سهر من أجلهم على تكييف مبادئ القديس بندكت الصارمة مع ظروف الحياة العسكرية) بالاعتراف الرسمي، ومن ثم سيمتعون بحق حمل السلاح لحماية الحجاج في الأراضي المقدسة. أما من الناحية العملية، فسيصبحون بمقام الخبراء المتخصصين في شؤون الدفاع عن بيت المقدس. وبعد أن متعهم البابا (كما متع فرسان الأسبتارية) بامتياز التعامل المباشر مع الكرسي الرسولي، من غير ما حاجة إلى المرور من مسالك البيروقراطية الكنسية، سيصبح فرسان الهيكل، بمعية أندادهم الأسبتاريين، سادة الأراضي المقدسة بلا منازع. وقد استطاعت هذه الصفوة من المقاتلين المسيحيين، التي اشتهرت بالجرأة في ساحة القتال إلى درجة التهور والطيش، أن تحوز مكانة عظيمة قل نظيرها في حياة الغرب. فقد اضطلع فرسان الهيكل، قبل كلّ شيء، بمهمة تأمين مسالك نقل أموال الحجاج نحو الأراضي المقدسة. وبما أنهم كانوا يتوافرون على شبكة من القلاع والحصون تمتد من اسكتلندا إلى إسبانيا، فقد اضطلعوا أيضاً بمهمة نقل الأموال نحو أوربا، وانتهى بهم الأمر إلى إصدار صكوك ودائع[166]. وحيث إنهم

166- في الأصل: (certificats d'échange). وتعني حرفياً: «شهادات مبادلة». والظاهر أنه يقصد «صكوك الودائع» (les bons de dépôt) التي كان خازن الفرسان يسلمها للحجاج المسيحيين لقاء الأموال التي يودعونها لديه، وذلك حتى يتمكنوا من استعادتها =

صيارفة معتمدون لدى الملوك، ولا يخضعون لغير سلطان البابا، أصبحوا، بسبب ثروتهم واستقلالهم، يشكلون مصدر قلق وإزعاج بالنسبة إلى دولة في طور الاستقواء.

ولم تسفر خسارة بيت المقدس، عام (1187)، عن اختفاء أسباب وجود فرسان الهيكل؛ بل العكس هو ما حصل بالضبط؛ إذ ستظهر رهبنة عسكرية جديدة في ألمانيا عام (1198): ويتعلق الأمر بالفرسان التيوتونيين (teutoniques) الذين بقوا أوفياء للإمبراطور المحروم (كنسياً) فريدريك الثاني (Frédéric II) (1210-1250)، فيما يشبه الإرهاص المبكر بالخصوصية الألمانية التي ستعلن عن نفسها بصورة مدوية خلال القرن السادس عشر. وفي (1291)، سقطت آخر المعاقل المسيحية، في الأراضي المقدسة، بسبب ضغوطات الأتراك المماليك. وفي عام (1307)، قام فيليب لوبيل أو الوسيم (Philippe le Bel) -رغبة منه في القضاء على نفوذ فرسان الهيكل المالي- باعتقال فرسان الهيكل الفرنسيين كافةً، وضغط على البابا (إكليمنضس الخامس (Clément V) الذي كان منفياً إلى بواتييه (Poitiers)، ثم إلى أفينيون (Avignon)، بعيداً من منطقة نفوذ المحاكم الفرنسية، لكن قريباً جداً من الأراضي الخاضعة لحكم الملك) مستخدماً كل ما يملك من وسائل من أجل حمله على التبرؤ منهم. وسيتم حل تنظيم فرسان الهيكل عام (1312)، كما أن آخر زعمائهم الكبار، جاك المولاوي (Jacques de Molay)، سيُقتل، عام (1314)، ليكون بذلك آخر ضحايا التمثيلية التي أعدها فيليب وحامل أختامه -أو وزيره في العدل- غيوم النوغاريتي (Guillaume de Nogaret).

إذا كانت نشأة الرهبنات العسكرية تلتقي بظاهرة الحب العذري على صعيد المثل الأعلى الفرسانى الذي أشاعته، خلال القرن الثاني عشر، روايات كرتيان الإطرويشي

عند وصولهم إلى الأراضي المقدسة؛ وهي المعروفة في المصادر الفرنسية، كذلك، باسم (les letttres de change) التي تعني حرفياً: «رسائل المصارفة». وقد فضلنا الاحتفاظ بعبارة «صكوك الودائع» لأنها أوضح. (م)

(Chrétien de Troyes)، فإنه من الصعوبة بمكان تبرير نسبة الكاثاريين (Cathares) إلى المشهد العام لما يسمى «نهضة القرن الثاني عشر». فقد تم الربط بين هؤلاء الكاثاريين وبين الحب العذري؛ لكن الحجج التي تؤيد ذلك ضعيفة. فهم أتباع نحلتين دينيتين تنحدران من تلك الإمبراطورية البيزنطية التي لم تعد كنيستها تمت بصلة إلى الكنيسة الغربية منذ (1054) («الانشقاق العظيم» schisme d'orient). إحداهما النحلة البوغوميلية (Bogomilisme) التي ظهرت في بلغاريا، وانتشرت في القسطنطينية خلال أوائل القرن الحادي عشر. وقد تم التصدي لها بوصفها هرطقة، واضطهد أتباعها بالنار والسيف، مع أن عقائد هذه النحلة هي، في الواقع، أقرب إلى الأرثوذكسية. ونلفي عندهم آراء مذهبية تذكرنا بالدوسيتية التي ترى أن الجسد المادي الذي ظهر به المخلص (وربما مريم كذلك) مجرد شبح أو شبه جسد. وبوصفهم مناهضين لليهود، ذهب البوغوميليون إلى أن يهوه -إله العهد القديم- هو الشيطان.

وأما النحلة الثانية التي اتبعها الكاثاريون، وحلت محل النحلة الأولى في قسطانية بعد عام (1167)، الموافق لتاريخ انعقاد مجمع الكاثاريين في سانت فليكس دي لوراغي (Saint-Félix-de-Lauragais)، الذي شارك فيه الأسقف البيزنطي نيكطاس (Nicétas)، فهي بمقام «إحياء» لهرطقة قديمة هي الهرطقة الأوريجينية التي اتبعها آباء صحراء وادي النطرون في القرن الرابع. فالكاثاريون الأوريجينيون (الألبيجيون Albigeois بالمعنى الحقيقي للكلمة)، الذين يوصفون بكونهم «راديكاليين» أو غلاة للتمييز بينهم وبين البوغوميليين «المعتدلين» (فالصفتان «راديكالي» و«معتدل» تتعلقان بنوعي «الثنوية» المنافح عنهما)، هؤلاء الكاثاريون الأوريجينيون أنشؤوا مذهباً أكثر رصانة، ولا يخلو من سمات العظمة والبهاء؛ وهي السمات التي نلفيها في فكر (غير معروف لنا بها في الكفاية) هو فكر يوحنا اللوجياني [دي لوجيو] (Jean de Lugio) (وربما لوغانو Lugano)، الهرطوقي اللومباردي المنتسب إلى برغامو (Bergame) (اشتهر نحو 1250).

وفي عام (1209)، انطلقت حملة صليبية لمجاهدة الألبيجيين، وقد تولى قيادة هذه الحملة، في بداية الأمر، عسكري محترف هو سيمون المونفوري (Simon de Montfort)، الذي خرب مدناً وحطم قرى بكاملها، من غير تمييز بين الهراطقة وبين الكاثوليكيين المحافظين على أصول دينهم. وبعدها، سلكت الحملة سبيل الاعتدال، فتحولت في نهاية المطاف إلى حرب تخوضها فرنسا من أجل الاستيلاء على بلاد الميدي(Midi) أو الجنوب. وستستمر الحرب بين عرش فرنسا وبين الحكام أو السادة القسطانيين الأحرار، متخذة صبغة ضارية لم تخلُ من الدوائر والنكسات، إلى أن تم الاستيلاء على أكبر قلاع الكاثاريين (مونسيغور Montségur) في شهر مارس [آذار] من عام (1244). ويبدو، مع ذلك، أن الزعماء الكاثاريين كانوا يتوافرون على ما يكفي من الوقت لكي يفروا بجلودهم سالمين إلى لومبارديا التي سيظهر فيها، بعد ذلك، الصيارفة والتجار اللومبارديون المشهورون. وبالفعل، إن الألبيجيين كانوا هم صيارفة بلاد الميدي أو الجنوب، ومن المحتمل أنهم اصطحبوا معهم ثرواتهم كما يذهب إلى ذلك المؤرخ جان ديفرنوا (Jean Duvernoy).

وقد تم إنشاء ديوان محاكم التفتيش البابوية خلال الحملة الصليبية على الألبيجيين (1231)، وأسند أمر الإشراف على هذا الجهاز إلى رهبنة الإخوان الواعظين المعروفة باسم الرهبنة الدومينكانية، نسبة إلى مؤسسها (1216) دومنغو أو دومينيك غوزمان (Dominique Guzman). وستظهر بعد **رهبنة الواعظين** (*Ordo Praedicatorum*) هذه، بزمن قليل (1223)، رهبنة الفرنسيسكانيين (الإخوان الأصاغر[167] Frères mineurs)، وهي منظمة دينية تحض على الإمعان في النسك؛ وقام بتأسيسها فرنسيس الأسيزي (François d'Assise) (1182-1226) الذي شغف في يفاعته بقراءة الروايات الفرسانية الفرنسية، وعد نفسه نداً لبرسيفال

167- هكذا سماهم مؤسس الرهبنة، مستعيراً لهم لفظ «الأصاغر» (Mineurs) الوارد ذكره في الأناجيل. انظر: متى 25: 40-45. (م)

(Perceval) وغلهاد[168] (Galahad) من غير أن يشهر في وجهيهما سيفاً أو ينازلهما في معركة. وبوصفه فارساً من فرسان المسيح والسيدة الفاقة[169] (Dame Pauvreté)، زهد فرنسيس الأسيزي في متاع الدنيا، ونذر نفسه لخدمة المحرومين الحقيقيين من أبناء هذا العالم، وهم الفقراء والزمنى والبائسين. وعن طريق هاتين الرهبنتين المتسولتين، سيتردد صدى الرسالة المسيحية في صفوف أوسع فئات الشعب، مع أن عواقب ذلك كانت في الغالب وخيمة، ذلك أن شعلة التبشير الألفي (millénariste) والرؤياوي (apocalyptique) قد تضطرم أحياناً بحماسة كلها ظلمات. فالرهبان الفرنسيسكانيون «الروحانيون»[170] (الإخوان Fraticelli)، هم بالضبط الذين واصلوا التشبث بالأفكار الألفية التي بلورها الأب الكلابراوي يواقيم الفلوري (Joachim de Flore) (نحو 1135-1202)، حتى أن أحد الفرنسيسكانيين أعلن، عام (1254)، أن كتاب الفلوري، الذي يتنبأ بحلول عصر جديد من عصور العالم، هو «الإنجيل الأزلي».

10.4.27- **المذهب الاسمي**: في الوقت الذي بدا فيه أن الإسكولائية -معتمدة في ذلك على نسق أرسطو العلمي والفلسفي- تملك مفتاح حل جميع المشكلات التي تهم العوالم كافةً، شرع ثلة من المفكرين المتميزين في النقض المنهجي لفروضها ومسلماتها

168- لعل الاسم صيغة من «جلعاد» المذكور في أسفار العهد القديم؛ ومعناه «الصلب» أو «الخشن». (م)

169- يتحدث الأسيزي عن «الفاقة» بوصفها «حبيبة القلب». وفي بعض كتب المناقب التي تعرضت لسيرته، كلام عن «الزوجة الفاقة»! (م)

170- كذا في الأصل: (spirituels)؛ أي «الروحانيون». والمراد: «المحافظون»، لأن الأمر يتعلق بجماعة الفرنسيسكانيين الذين اعترضوا على قرار البابا غريغوريوس التاسع (Grégoire IX) (القاضي بإعفاء منتسبي الرهبنة من وصية فرنيسيس الأسيزي) كما اعترضوا على إصلاحات بونافنتورا (Bonaventure)، رئيس الرهبنة في عهدهم، وآثروا الحفاظ على حياة الزهد والفاقة التي تمثل، في اعتقادهم، جوهر تعاليم الأسيزي. (م)

الممعنة في الضيق. وسيتولى زعامة هذا التيار الجديد الفرنسيسكاني يوحنا دونس سكوت (John Duns Scot) (توفي 1308)، ثم سيأتي بعده غيوم الأوكامي (Guillaume d'Occam) (نحو 1285-1349) الذي بفضله سيتخذ «النهج العصري» اسم «المذهب الاسمي» قبل أن ينتقل إلى جامعة باريس لكي يدرس للطلاب على يد أساتذة مشاهير أمثال يوحنا بوريدانوس (Jean Buridan) (توفي 1358) ونيقولا الأوريمي (Nicole d'Oresme) (توفي 1382). وتتمثل مزية المذهب الاسمي المذهلة في خلخلة المصادرات اللاهوتية التي تتأسس عليها الإسكولائية، ذلك أنه لا يقبل بأن تكون حقائق العالم وقفاً على علوم أرسطوطاليس وبطليموس. وفي صفوف مناصري هذا المذهب، الذين غالباً ما تعرضوا للاضطهاد، سينشأ المذهب القائل بلاتناهي جرم الكون وبتعدد العوالم، علاوة على المذهب القائل باعتباطية موقع الأرض (أي بلا مركزيتها) بالنسبة إلى الكون. وسينبري للدفاع عن هذين المذهبين الاسمي الألماني المتأخر الكاردينال نيقولا الكويزي (Nicolas de Cuse) (1401-1464).

11.4.27- **بدايات النزعة الإنسية**: ليست الإسكولائية نتاج القرن الثالث عشر الوحيد الذي لم يعد يرضي مفكري القرن الرابع عشر. لقد اكتشف هؤلاء أن وراء العلم العربي تحتجب ثقافة العصر القديم اليوناني-الروماني، فرغبوا في الارتواء من الينبوع مباشرة، وليس من طريق ترجمات مشكوك فيها في الغالب. وحيث إنهم أقل تبعية للمثل الديني الأعلى الذي ساد في القرن الثالث عشر، فقد اكتشفوا المتعة الحسية، وعبروا عنها بصورة متحررة لا نظير لها في التاريخ. ويعد فرانشيسكو بتراركا (François Pétrarque) (1304-1374)، وجوفاني بوكاتشيو (Jean Boccace) (1313-1375) رائدين لإنسيي القرن الخامس عشر الذين ابتدعوا مفهوم «العصر الوسيط»؛ أي عصر التعصب والظلام الذي يتوسط المسافة الفاصلة بين الأزمنة الجديدة وبين العصر القديم اليوناني-الروماني (الموسوم بالعظمة الفكرية علاوة على **صحة** *vérité* أقاويله العلمية) فالنزعة الإنسية تعتقد أن المستقبل شيء يتعين اكتشافه في الماضي، وأن ذلك لا يتأتى إلا بتعلم اللغتين اللاتينية واليونانية.

12.4.27- **التوليفية الأفلاطونية**: على غرار ما حدث مع أرسطوطاليس، الذي تم اكتشافه والتوسل به في بلورة منتوج (الإسكولائية) تخلت عنه الأزمنة الحديثة جزئياً، كذلك حدث في فلورنسا أن اقتنع العديد من الأفراد بأن الكشف الأفلاطوني يمكن أن يسعفنا بالحقيقة النهائية. وكان هذا هو الباعث الذي حمل الصيرفي ورجل الصناعة كوزمو دي ميديتشي (Cosme de Médicis) (توفي 1464) على تكليف مارسيليو فيسينو (Marsile Ficin) (1433-1499) بترجمة أعمال أفلاطون، ثم **تاسوعات** (*Ennéades*) أفلوطين، علاوة على كتب أخرى عديدة لمؤلفين ينتمون إلى تيار الأفلاطونية المحدثة. ويتسم هذا العصر، الذي اشتهر تحت اسم «النهضة الإيطالية»، بهيمنة النزعة التي أطلق عليها -في غياب تسمية أفضل- اسم «التوليفية الأفلاطونية»؛ أي الفكرة -التي سبق أن دافع عنها أوغسطين- القائلة بوجود «وحي بدئي» أنزله الإله على أوائل البشر الذين عمروا الأرض، وحي نلفي آثاره الباقية في جميع الأديان القديمة، ويمكن تأويله بعبارات أفلاطونية. وهذا يعني، بالنسبة إلى فيسينو (Ficin)، وكذلك نظيره جوفاني بيكو الميراندولي (Jean Pic de la Mirandole) (1463-1494)، أن هرمس المثلث العظمة (Hermès Trismégiste)، وكذلك زرادشت (Zoroastre)، وموسى، وأورفيوس (Orphée)، كانوا كلهم على علم بالحقيقة الباطنية الخفية نفسها التي لا حقيقة سواها. وتجد هذه الحقيقة تعبيرها في سحر (magie) الأفلاطونيين المحدثين وفي السحر العربي، مثلما تجد تعبيرها في القبالة اليهودية، كما اكتشفها جوفاني بيكو، الذي حمله اهتمامه بالمصادر -الذي يتشوف إلى ما وراء المصادر اليونانية- على تعلم نزر يسير من اللغتين العبرية والآرامية، وربما نزر يسير من اللغة العربية. إن مبدأ التربية الحديثة، الذي يقضي بتعلم اللغتين اليونانية واللاتينية، وكذلك منهجية التعامل المباشر مع المصادر التي تمكننا من التمييز بين «المتخصصين» و«الهواة»، هما نتاج إنسية القرن الخامس عشر والنهضة الإيطالية. وبعد أن تعززت وصلب عودها في القرن التاسع عشر، على يد رجل التربية فيلهلم الهمبولتي (Wilhelm von

(Humboldt (1767-1835)، وصلتنا هذه الأمور عارية من جميع الأسس التي كانت تسبغ عليها جاذبية في القرن الخامس عشر: فكرة أن المستقبل المشرق يتعين البحث عنه في الماضي، وأن معرفتنا بثقافات أخرى غير ثقافتنا تسعفنا في اكتشاف حقائق خفية ذات أهمية بالنسبة إلى خلاص البشرية.

13.4.27- ظهرت **أولى الحركات الإصلاحية المنظمة**، التي اعتزمت الأوبة إلى سيرة الفقر الأولى التي كانت عليها الكنيسة، في القرن الثاني عشر. وأهمها حركة الولدنيسيين (Vaudois) (1173) في مدينة ليون (Lyon). وإذا كان الفرنسيسكانيون قد نجحوا في استيعاب جزء من شكاوى الشعب المشروعة، فإنهم سيساهمون أيضاً في نشأة طائفة من الحركات الفاقوية[171] والألفية. ويعد جين ويكليف (Jean Wycliff) (توفي 1384)، الأستاذ في جامعة أوكسفورد، رائد حركة اللولارديين (Lollards) الذين أنكروا الأفخارستيا أو سر التناول، واعترضوا على تبتل الكهنة وعلى الهرمية الكنسية. وعلى الرغم من التصريحات التي احتج فيها يان هوس (Jean Hus) لمواقفه، فقد عد هذا الواعظ البراغي[172] (الذي أعدم حرقاً في كونسطانس Constance) تلميذاً لويكليف. وكان يان هوس هذا وراء نشأة حركة شعبية لم تخض أية حرب دينية، وإنما كانت مجرد دعوة إلى استقلال بلاد بوهيميا (Bohême) عن الألمان. ويبدو أن مساعي الحوار بين المسيحيين في هذا العصر قد أثمرت تفاهماً بين الكنيسة الغربية ونظيرتها الشرقية، لكن سقوط القسطنطينية سيضع حداً لهذا الحلم[173]. والحال أن المنازعات التي نشبت بين روما والقسطنطينية، على الرغم من تسترها وراء المجادلة المذهبية العقيمة التي قامت

171- نسبة إلى الفاقة؛ أي الفقر. (م)

172- نسبة إلى مدينة براغ (Prague). (م)

173- في الأصل: (idylle)؛ أي «قصيدة حب رعوية» أو «مغامرة حب ساذج»... والمعنى المراد هو ما ذكرنا. (م)

حول عقيدة **الفيليوك**[174] (*Filioque*) -وهو اللفظ الذي أقحمه المسيحيون الإيبيريون في قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني بصورة متعسفة- كانت في الحقيقة منازعات على السلطة. وقد أقدمت بطريركية القسطنطينية على إلغاء معاهدة الوحدة التي وقعها، عام (1439)، في فلورنسا، الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثامن باليولوغ (Jean VIII Paléologue).

وفي أوائل القرن السادس عشر، سيؤدي انشقاق ديني آخر، أشد خطورة، إلى انفصال شمال ألمانيا عن بقية البلاد الأوربية. وكان وراء هذا الانشقاق الراهب الأوغسطيني مارتن لوثر (Martin Luther) (1483-1546)، أستاذ علم اللاهوت في جامعة فيتنبرغ (Wittenberg)، الذي قادته تأملاته في بعض أعمال بولس وأوغسطين إلى الإفتاء ببطلان شفاعة الكنيسة وبعدم جدوى طقوس الأسرار المقدسة[175]، وبأنه يستحيل التبتل مع سابق وجود الخطية المتأصلة في طينة الإنسان، وبأن الضرورة تدعو إلى الزواج مع أنه مكروه، وبأن القدر الفردي لا ترده أعمال البشر أياً كانت، وأخيراً بأن الإنسان إنما يتبرر بالإيمان وحده من دون أن يُحوج في ذلك إلى عمل الخير بالضرورة. وبعد أن علق على باب كاتدرائية فيتنبرغ وثيقته التي تتضمن (95) حجة ودليلاً على فساد الكنيسة (بتاريخ 31 أكتوبر [تشرين الأول] 1517)، سينبري لوثر للدفاع عن أفكاره بكل شجاعة أمام الموفد البابوي الكاردينال توماسو الغيطي[176] (Cajetan). وتحت تأثير صديقه المفكر الإنسي فيليب شفارتزرد-ميلانكتون (Philippe Schwarzerd-Melanchthon) (1497-1560)، جنح لوثر إلى اللين، وتسامح في العديد من المسائل التي تهم العقيدة والممارسة الدينيتين، في حين

174– لفظ «فيليوك» يعني إضافة «الابن»، كما في العبارة اللاتينية « ex Patre Filioque procedit»؛ أي: «المنبثق من الآب والابن». (م)

175– لكنه استثنى المعمودية والعشاء. (م)

176– نسبة إلى بلدة غيطة (Gaéte) (وباللاتينية Caeta) في منطقة لاتسيو الإيطالية. ويعرف أيضاً باسم توماسو دي فيو (Tommaso de Vio). (م)

سيدافع تلميذه الفرنسي يوحنا كالفين (Jean Calvin) (1509-1564)، الذي خضعت له جنيف ابتداء من (1541)، عن بروتستانتية متصلبة دوغمائية وقاتمة. وقد استقطبت الحركة البروتستانتية الأمراء الاستقلاليين التواقين إلى التحرر من ربقة التبعية للسلطة البابوية. واستقبلت علمنة الأديرة بفرح عارم من قبل جماعات من الفرسان المسلحين، علاوة على الفلاحين الذين سيحثهم البروتستانتي الراديكالي توماس منتسر (Thomas Müntzer) على الانتفاضة المسلحة التي سيتبرأ منها لوثر قبل أن تتعرض للقمع الشرس على يد عصبة الأمراء الإصلاحيين (1525). والحال أن الحركة البروتستانتية نفسها ليست موحدة على قلب رجل واحد: فمع أنها حركة أصولية في جوهرها، إلا أنها تضم في صفوفها أقليات لا يستهان بها من دعاة التحرر الديني (أتباع تجديدية العماد Anabaptistes، والروحانيون[177] Enthousiastes، والمينوناتيون Mennonites ...). وسيزداد الوضع تعقيداً حين سيتخلى لوثر عن الأفكار التي دافع عنها في شبابه، والتي ساندها تلامذته وأنصاره القدماء حتى آخر المطاف. ونلفي في عداد هؤلاء التلامذة والأنصار اثنين هما أشدهم غلواً أو راديكالية: هولدريخ زوينغلي (Ulrich Zwingli) (1484-1531) ويوحنا كالفين.

وانخرطت الكنيسة الكاثوليكية بدورها في الإصلاح (الذي أطلق عليه خطأ اسم «الإصلاح المضاد»، كما لو كان الأمر يتعلق بحركة مناهضة للإصلاح؛ وفي

177- نعتقد أن هذا هو المعنى المراد؛ ولذلك لم نترجم لفظ (Enthousistes) بمقابله المشهور في قواميس الترجمة، وهو «المتحمسون». ونحن واجدون عند لوثر نفسه ما يفيد هذا المعنى، وذلك حين يشير إلى الجماعة المذكورة بأنهم أولئك «الذين يباهون بتلقي المدد من الروح من دون كلام [الإله] وقبل كلام [الإله]». انظر:

Martin Luther, «Les Articles de Smalkalde», III, 8, 448, in A. Birmelé & M. Lienhard (éds.), La Foi des Eglises luthériennes. Confessions et catéchismes, Paris- Genève: Cerf-Labor et Fides, 1991, p. 272.

ونضيف إلى ذلك أن لفظ (enthousiasme) نفسه مشتق من الأصل اليوناني (ἔνθεος) الذي يعني حرفياً: «من يملكه أو يسكنه إله». (م)

الواقع، الكنيسة الكاثوليكية انغلقت على نفسها، لكنها قبلت، في الوقت نفسه، بجزء من النقد البروتستانتي)؛ وقد اضطلعت بمهمة هذا الإصلاح الكاثوليكي رهبنة اليسوعيين التي تأسست، عام (1534)، على يد أغناطيوس اللويولي (Ignace de Loyola) (1491-1556)، وقد توضحت مبادئ هذه الرهبنة خلال مجمع ترنت (Trente) الذي استغرق زمناً طويلاً (1545-1563). وعلى غرار الإصلاح البروتستانتي، كان الإصلاح الكاثوليكي عبارة عن حركة أصولية كرست أخلاقاً صارمة وفرضت محرمات عديدة (مثل تحريم قراءة المؤلفات التي يضمها **دليل الكتب المحرمة** *Index librorum prohibitorum*)، وهما الأمران اللذان سيؤذنان بمجيء الأزمنة الحديثة. وفي عام (1534)، انفصلت كنيسة وطنية أخرى، هي كنيسة إنجلترا، عن كنيسة روما. وستكون النزاعات الدينية، وكذلك استيلاء الكالفينيين الطهرانيين على السلطة، سبباً في إشعال فتيل الثورة الإنجليزية (1642).

5.27- يتعذر علينا، في هذا الموضع، أن نلخص **تاريخ انتشار المسيحية** برمته. فقد تم تبشير الجرمانيين على يد بونيفاسيوس-أولفيلا (Boniface-Ulfila) (680-754)، فأوفدوا بدورهم بعثات تبشيرية إلى البلغار المتصقلبين[178]؛ لكن ملكهم الخان بوريس(Boris) اختار معمودية اليونانيين (860)[179]. وبخلاف ذلك، إن المهمة التبشيرية (البيزنطية) التي انبرى لها الأخوان كيرلس (Cyrille) (نحو 826-869) وميثوديوس (Méthode) (نحو 815-885) لدى المورافيين، لم تكن موفقة، غير أن السلافيين [الصقالبة] سيتبنون الأبجدية «الكيريلية» (Cyrillique) التي اخترعها الأخوان. وفي عام (988)، سيعتنق الأمير الإسكندنافي فلاديمير الكيافي (Vladimir de Kiev) المسيحية الشرقية التي تغلغلت في بلاد روسيا برمتها.

178- في الأصل: (slavisés)؛ أي الذين انصهروا أو اندمجوا في ثقافة السلافيين أو «الصقالبة». (م)

179- والحال أن معظم المصادر تحدد تاريخ هذه المعمودية بعام 864. (م)

وقد أدى التوسع الأوربي إلى دخول العديد من الشعوب في دين المسيحية. فبفضل الاتفاقية المبرمة بين البابا وبين ملكي إسبانيا والبرتغال، وطدت المسيحية أقدامها في أمريكا الجنوبية، فرافقت مغازي كورتيس (Cortés) (المكسيك) وبيثارو (Pizarre) (البيرو). وقد بذلت الرهبنة اليسوعية -إلى جانب رهبنتي الدومينكانيين والفرنسيسكانيين- قصارى جهدها من أجل المهمة التبشيرية التي تصدت لها. وكانت هذه الرهبنة، الجديدة والنشيطة، تعتزم إعادة بناء المجتمعات الأهلية على أساس النموذج الأوربي، وذلك عن طريق خلق نخبة متعلمة محلية. وأما سواد السكان -وخاصة في البرازيل- الذين خلصهم اليسوعيون من الموت المحقق الذي كان يتربص بالعمال في المزارع وفي غيرها من المنشآت الأوربية، فقد خضعوا للتبشير داخل محميات استنَّ لها المبشرون نظاماً شيوعياً[180] دينياً صارماً. ومن وجهة نظر المعمرين المصلحية، فالتجربة اليسوعية تعدت الحدود. وسيطرد اليسوعيون من أمريكا اللاتينية عام (1767). وبعدها بقليل (1808)، ستصبح الكنيسة الكولونيالية ذاتها في خبر كان، وذلك حين تحررت الدول الأمريكية من الوصاية الأوربية.

وأما البعثات التبشيرية في إفريقيا، سواء أكانت بروتستانتية أم كاثوليكية، فإنها لم تزدهر إلا ابتداء من النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث حالفها هنالك حظ كبير. وصادفت المسيحية في طريقها إلى آسيا صعوبات عظمى. فقد تقاطر المبشرون على بلاد الصين في عدة مناسبات (635، 1294، نحو 1600)، لكنهم لم يفلحوا في توطيد أقدامهم هنالك إلا بعد حروب الأفيون (1840-42). وأما في اليابان، فقد تكللت بعثة فرنسيس كسفاريوس (François Xavier) (1549) بنجاح أكبر، وفي

180- فيما يتعلق بحقيقة هذه «الشيوعية» (Communisme) وطبيعتها، انظر:
Clovis Lugo, La république communiste chrétienne des Guaranis (1610-1768), Paris: Editions ouvrières, 1949, p. 139-56. (م)

نحو نهاية القرن السادس عشر، كان يوجد هنالك ثلاثمئة ألف مسيحي. وقد أعقبت هذه الفترة اضطهادات استمرت إلى غاية (1858)، حين تم اكتشاف وجود مسيحيين متسترين؛ ويتعلق الأمر بجماعات حافظت على إيمانها المسيحي في السر.

وفي جنوب شرق آسيا، توطدت أقدام المسيحية في الفيليبين مع الغزو الإسباني (1538). وفي البلاد البوذية، صادف انتشار المسيحية مقاومات شتى.

وعلى الرغم من أن تأسيس أولى الكنائس المسيحية، على الساحل الغربي للهند، يعود إلى تاريخ قديم نسبياً، فإن المسيحية ظلت بمقام جسم غريب في شبه القارة الهندية. فهي لم تصبح دين الأغلبية إلا في المستعمرة البرتغالية الصغيرة المسماة غوا (Goa) (1510). وبعد الغزو البريطاني للهند (1858)، تقاطرت شتى البعثات على البلاد لتنخرط في نشاطها التبشيري الهائل، لكنها لم تفلح في استقطاب أكثر من (3٪) من السكان (1980). وأما أستراليا وزيلاندا الجديدة، فقد كانتا، خلال القرن التاسع عشر، مسرحاً لنشاط وتوسع المبشرين الأنجليكانيين (1788) والكاثوليكيين (1838) والبروتستانتيين (1840).

6.27- تلتئم الكنيسة من أجل مناقشة مشكلاتها الكبرى، سواء أكانت هذه المشكلات ذات طابع مذهبي أم عملي، من خلال **المجامع**.

وانعقد أول مجمع مسكوني، بدعوة من الإمبراطور قسطنطين، بمدينة نيقية (Nicée) (آسيا الصغرى)، من 19 يونيو [حزيران] إلى 25 أغسطس [آب] من عام (325). وحضره (318) أسقفاً بغية إدانة الأريوسية (↔ 6.27). وأكد قانون الإيمان النيقاوي على ألوهية المسيح الكاملة. وتعد الصيغة المطولة التي صادق عليها مجمع خلقدونية (Chalcédoine) (451) بمقام بيان الإيمان أو الشعار العقدي المميز للمسيحيين حتى يومنا هذا.

وانعقد المجمع المسكوني الثاني بدعوة من ثيودوسيوس الأول (Théodose Ier)، في القسطنطينية، عام (381). والتأم هذا المجمع للنظر في أمر «المقدونيين»

أو «أعداء الروح القدس»[181]، الذين ذهبوا إلى أن الروح القدس أقل مرتبة من الآب والابن.

وأما المجمع المسكوني الثالث، فقد انعقد بدعوة من ثيودوسيوس الثاني (Théodose II)، في أفسس (Ephèse) (آسيا الصغرى)، عام (431)، وذلك من أجل وضع حد للخصومة الخريستولوجية التي نشبت بين نسطوريوس، بطريرك القسطنطينية، وكيرلس أسقف الإسكندرية في مصر. وكان كل طرف يلقي الحرم على الطرف الآخر، غير أن كيرلس نجح (433) في انتزاع اعتراف أتباع نسطوريوس المعتدلين بلقب **ثيوتوكوس** (*Theotokos*) (والدة الإله) الذي كان يخص به العذراء، واعترافهم كذلك بآرائه في اتحاد الطبيعتين في يسوع المسيح.

ومجمع خلقدونية (451) هو الذي حسم الموقف الخريستولوجي بصفة نهائية، مؤكداً نظرية الطبيعتين المجتمعتين في المسيح. ومع ذلك، الجدال لم يتوقف، ما اضطر يوستنيانوس الأول (Justinien Ier) إلى عقد مجمع القسطنطينية الثاني (553) من أجل إعادة صوغ قرارات خلقدونية، والتشديد بصورة أكثر وضوحاً على ألوهية يسوع المسيح. وخلال هذا المجمع، تمت إدانة الهرطقة الأوريجينية بكيفية صريحة وقطعية.

وانشغل الناس، خلال القرن الثامن، بالخلاف الجدلي حول شرعية تحطيم الأيقونات. فقد صار مستقبل الصور الدينية -التي لقيت تارة القبول، وتارة الرفض-

181- في الأصل: (pneumatomachéens)؛ ويعرفون أيضاً بالمقدونيين؛ أي أتباع مقدونيوس (Macédonius) بطريرك القسطنطينية المعزول. ولم نقف للفظ على اشتقاق في المتاح من المراجع المتخصصة. لكن الظاهر أن اللفظ ذو أصل يوناني؛ ونرجح أنه مركب من (pneuma) التي تعني «الروح»، و(makhos) التي تعني «محارب»، فيكون معنى (pneumatomachéens) هو: «أولئك الذين يحاربون الروح». وبالفعل، أتباع مقدونيوس ينعتون في «الكلام» المسيحي بأنهم «أعداء الروح القدس». (م)

معلقاً بسنودس[182] (754) وسنودس (787) ومجمع القسطنطينية المسكوني السابع (869-870). وخلال هذه المجادلات، أعلنت السلطات الغربية عن موقفها في مناسبات شتى. وستتحول العلاقة المتوترة بين الشرق والغرب إلى واقع لا يحتمل حين أبى الغربيون الاعتراف بمقاوم تحطيم الأيقونات فوتيوس (Photius) بطريركاً لبيزنطة (863). وسيشجب البيزنطيون، بدورهم، استخدام كلمة **فيليوك** (*filioque*) في نص قانون الإيمان (867). وبعد عزل فوتيوس من البطريركية عام (877)، أعيد إليها برضا البابا خلال (879-80). وقد شكل الانشقاق العظيم (1054) بداية أفول بيزنطة الذي اكتملت آخر حلقاته مع الغزو العثماني (1453). وبالعكس، لقد أصبح الغرب، من الآن فصاعداً، مكتفياً بنفسه غير محوج إلى غيره. وتطلعت سنودسات [جمع سنودس] لاتران (Latran) (1123، 1139، 1179، 1215) إلى أن تكون بمقام مجامع مسكونية. واشتهر آخر هذه المجامع بأنه عمم استعمال مصطلح استحالة القربان[183]. وقد سعى مجمع ليون، المنعقد عام (1274)، في إصلاح ذات البين، واستعادة الوحدة المفقودة بين الكنيستين، لكن السنودس المنعقد في القسطنطينية (1283) نسف النتائج التي أسفر عنها مجمع ليون المذكور.

وانكبّ مجمع فيينا (1311-12) على درس العديد من القضايا الشائكة، مثل ممارسات رهبنة فرسان الهيكل والتفسير الذي أعطاه الفرنسيسكانيون الروحانيون[184] لفقر أو فاقة المسيح. وقد استمرت مناقشات مجمع كونسطانس(Constance) المنعقد من

182- في الأصل: (Synode)؛ وهي مشتقة من اللفظ اليوناني (σύνοδος) الذي يعني «الاجتماع». وتعريبها مشهور على النحو الذي ذكرنا. (م)

183- في الأصل: (transsubstantiation)، التي تعني حرفياً: «استحالة جوهر إلى جوهر آخر»؛ والمراد «استحالة القربان»؛ أي استحالة الخبز والخمر إلى لحم يسوع المسيح ودمه بحسب الاعتقاد. (م)

184- أفردنا لهم هامشاً من قبل. (م)

أجل وضع حد للانشقاق الغربي (1378) -ونعني به ذلك الوضع التاريخي الذي تعدد فيه البابوات المتنافسون على الكرسي الرسولي- استمرت من (1414 إلى 1418).

وكانت هناك محاولة جديدة لاستعادة وحدة الكنيستين، وهي تلك التي تداول من أجلها مجمع مسكوني اضطر إلى تغيير مكان انعقاده مراراً من (1430) إلى (1442). وفي (1439)، وقعت الكنيستان اللاتينية واليونانية على معاهدة فلورنسا، تلتها معاهدات مع الكنيسة الأرمينية (1439) والكنيستين القبطية والحبشية (1442). وبعد استيلاء الأتراك على بيزنطة، انعقد سنودس عام (1484) لنقض معاهدة (1439).

وفي القرن السادس عشر، قرر مجمع ترنت الكاثوليكي (13 كانون الأول/ديسمبر 1545 - 4 كانون الأول/ديسمبر 1563) سلسلة من الإصلاحات ردّاً على أجواء الصرامة الأخلاقية التي خلقها البروتستانتيون.

وفي القرن التاسع عشر، أقر المجمع الفاتيكاني الأول (1865-69) بأولية البابا وعصمته، مشدداً بذلك على المسائل الخلافية التي تفرق بين الكنيسة الرومانية وبين بقية الطوائف المسيحية، وأيضاً بين الكنيسة الرومانية وبين الدول اللائكية أو العلمانية التي تحررت من قيم الدين.

وانعقد آخر مجمع كاثوليكي (المجمع الفاتيكاني الثاني، 11 أكتوبر [تشرين الأول] 1962 - 8 ديسمبر [كانون الأول] 1965) تحت شعار المصالحة والوحدة المسكونية. وقرر هذه المجمع، الذي استدعاه البابا يوحنا الثالث والعشرون (Jean XXIII)، بمشاركة أزيد من (2000) من الأساقفة ورؤساء الرهبنات الدينية، التقليص من المركزية البابوية، وإلغاء الليتورجيا أو طقوس العبادة اللاتينية مستعيضاً عنها بليتورجيات تؤدى باللغات المحلية، علاوة على الاعتراف بقيمة مناهج الدراسة التاريخية للمسائل والموضوعات الدينية.

7.27- ويشكل **اللاهوت المسيحي** نسقاً نستطيع وصفه بوساطة حدود سانكرونية أو متزامنة على الوجه الأكمل. ويشكل تاريخ هذا اللاهوت، بدوره، نسقاً

آخر يمت إلى الأول بصلات اعتماد متبادل تتسم بدرجة أعلى من التعقيد. وبما أننا تكلمنا عن تاريخ المسيحية في خطوطه العريضة، فإننا سنركز الآن على النسق السانكروني أو المتزامن لممكنات الفكر المسيحي.

1.7.27- **الثالوث**: تكمن إحدى خصوصيات المسيحية في اللعب على الصلات المعقدة بين ثلاثة أشخاص ضمن علاقة ثالوثية غريبة (الآب، الابن، الروح القدس)، ثم بين هذا الثالوث (الذي يهيمن عليه الطابع الذكوري) وبين شخصية أنثوية (مريم العذراء) تنسج بدورها علاقة، ليس من السهل وصفها، مع كل واحد من أشخاص الثالوث.

ومن ناحية أخرى، إن أشخاص الثالوث ينتمون إلى أبعاد متباينة، حيث يقيمون روابط شتى فيما بين تلك الأبعاد أو فيما بينهم هم كأشخاص، وبحسب كل بعد. فصورة المسيح، على سبيل المثال، تسمح لنا بتجزيئها إلى أقسام يتعلق بعضها بألوهية المسيح، وبعضها ببشريته، وبعضها الآخر بالمركب المسمى بيسوع المسيح، علاوة على ما يتعلق منها بطبيعته، وجوهره، ومرتبته أو مكانته... ونستطيع القول: إن يسوع المسيح يشغل مركز **كسيرية** (*fractal*) متعددة الأبعاد تنساب أو تتناسل وفقاً لقواعد اشتغال يمكن وصفها بوساطة حدود ثنائية. وعلى هذا النحو، يمكن الحديث عن مسيح إلهي فقط ومسيح بشري فقط، ومسيح إلهي وبشري معاً، أو مسيح من طبيعة ثالثة. وبدورها، يمكن أن توصف الطبيعة المزدوجة للمسيح إما كاتحاد تندمج فيه الطبيعتان الإلهية والبشرية، وإما كاتحاد من غير اندماج الطبيعتين، وذلك بالتشديد إما على الاختلاط، أي الاندماج الذي تبقى فيه الطبيعتان متمايزتين، وإما على الامتزاج، أي الاندماج الذي يمتنع فيه تمايز الطبيعتين.

ومن الناحية الهيراركية أو التراتبية، يمكن وصف أشخاص الثالوث إما من حيث هم متساوون وإما من حيث هم أشخاص متفاوتون في المرتبة، كما أن التمييز بينهم يمكن أن يوضح بطرق عديدة.

وهذا الذي ذكرناه لا يظهر سوى جانب من الكسيرية الخريستولوجية التي سنحاول دراستها بالمزيد من التعمق.

2.7.27- **الخريستولوجيا «الفقيرة»**: تعد المنازعات الخريستولوجية الكبرى، في معظمها، نتاجاً لوجود تيارين، أحدهما يهودي الأصل، وهو تيار «فقير» من الناحية اللاهوتية، والآخر أفلاطوني، وهو تيار «غني» من الناحية اللاهوتية. وتشدد الخريستولوجيا «الفقيرة» على بشرية المسيح. وأقدم ممثليها هم الأبيونيون ("الفقراء")؛ ويتعلق الأمر بفرقة يهودية-مسيحية يعود تاريخها إلى الفترة التي لم تكن فيها المسيحية نفسها سوى فرقة يهودية. وكان الأبيونيون يتبعون التوراة، ويزاولون الختان، ويحفظون السبت (Sabbat) والأعياد اليهودية، وينكرون بولس بسبب عدائه للناموس أو الشريعة. ويسوع عندهم مجرد نبي؛ بل محض إنسان لا ينطوي في شخصه على أية صفة إلهية. وحكاية الحبل بلا دنس والولادة العذرية للمسيح هي عندهم خالية من المعنى.

ويعد مذهب التبنية أحد أشكال الخريستولوجيا «الفقيرة»، وهو المذهب الذي تحدثنا عنه في موضع سابق (4.4.27). وقد حرم أريوس (Arius) (نحو 250-336) عام (318) من قبل الأسقف ألكسندروس (Alexandre d'Alexandrie) بسبب إعلانه أن المسيح يعد، من الناحية الهيراركية، أقل مرتبة من الآب. وقد استدعي مجمع نيقية المسكوني الأول عام (325) لمناهضة مذهب التابعية (Subordinatianisme) الأريوسي. ولتوضيح العلاقات القائمة بين الآب والابن، تبنى هذا المجمع مصطلح **هومويوزيوس**[185] (*homoousios*)، الذي سبق أن استعمله أوريجينوس، للدلالة على أن الابن «من نفس جوهر» الآب.

وتتمثل إحدى صور هذه الخريستولوجيا «الفقيرة» الأوفر كمالاً في المذهب

185- من اليوناني: (ὁμοούσιος)، المركب بدوره من لفظ (ὁμός) الدال على معنى المساواة أو المماثلة، ولفظ (οὐσία) التي يعني «الجوهر» أو «الماهية»؛ ويقابله في اللغة الفرنسية (Consubstantiatité). (م)

النسطوري الذي شكل عقيدة كنيسة الجزء الشرقي القح من الإمبراطورية البيزنطية. وتضرب النسطورية جذورها في اللاهوت الأنطاكي المنسوب إلى ديودورس الطرسوسي (Diodore de Tarse) وثيودورس المصيصي (Théodore de Mopsueste). وقد أعلن نسطوريوس، الذي أصبح بطريرك القسطنطينية عام (428)، أن طبيعتي المسيح، الإلهية والبشرية، منفصلتان انفصالاً تاماً. وأدانه مجمع أفسس (431). وبعد غزو المسلمين للعراق، سيتمتع النساطرة بحماية الخلفاء العباسيين (750-1258)، وسيستقر رئيسهم (**الجاثليق** *catholicos*) في بغداد عام (762). وبعد الغزو المغولي (1258)، نُقل مقرّ البطريركية إلى شمال العراق. وتوقفت البعثات النسطورية نحو الشرق الأقصى منذ هذا التاريخ، وفيما بعد سيتحول العديد من النساطرة في قبرص والهند إلى الكاثوليكية، في حين ستظلّ كنيسة العراق عرضة باستمرار لهجوم الأكراد والأتراك العثمانيين. ومنذ (1933)، يعيش **جثاليق** (*catholicoi*) كنيسة شمال العراق المسمّاة «آشورية» في المنفى في الولايات المتحدة الأمريكية.

وسيؤدي الفصل بين طبيعتي يسوع المسيح بالنساطرة إلى بلورة خريستولوجيا من الصنف الأنطاكي (فالإله يتنزل في المسيح الإنسان مثلما يتنزل في الأنبياء)، كما أدى بهم إلى بلورة مريولوجيا أو علم مريمي (mariologie) «فقير»؛ ذلك أنهم يعتقدون أنّ مريم ولدت يسوع الإنسان، ولم تلد الإله. ومن ثَمَّ، هم لا يُقرّون بأنها **ثيوتوكوس** (*Dei genitrix*) (*Theotokos*)[186]؛ بل يقولون إنّها **خريستوتوكوس** (*Christotokos*) (التي ولدت المسيح) لا غير.

3.7.27- ترتبط **الخريستولوجيا «الغنية»**، على العموم، بعلماء اللاهوت الإسكندرانيين، ولاسيما البطريرك كيرلس الإسكندراني (توفي 444). وتتجلى هذه

186- معنى اللفظين معاً، اليوناني (θεοτόκος) أو (Theotokos)، واللاتيني (Dei genitrix)، هو: «والدة الإله». (م)

الخريستولوجيا في عدة صور، من قبيل خريستولوجيا أبوليناريوس اللاذقاني (Apollinaire de Laodicée) (نحو 310-390)، الذي لا يؤمن ببشرية المسيح الكاملة، ولأجل ذلك أُدينت آراؤه في مجمع القسطنطينية (381). وقد شيد أبوليناريوس مذهباً خريستولوجياً منطلقاً من التركيب البشري للمسيح الذي ينبغي أن يضمّ، على الأقل، جسداً وروحاً. والحال أنّ المسيح، في نظره، لا يملك أيّة روح بشرية، فقد حلّ محل هذه الروح البشرية اللوغوس الإلهي. وبخلاف هذا الرأي، سيؤكّد المجمع القسطنطيني أنّ للمسيح روحاً بشرية.

وفيما بعد، سيتصدّى أوطيخا القسطنطيني (Eutychès de Constantinople) (نحو 378-454) للدفاع عن دعوى مفادها أنّ بشرية المسيح ذابت وانصهرت في طبيعته الإلهية. وستتعرض آراء أوطيخا هذه للإدانة من قبل مجمع خلقدونية (451)، الذي أوضح أنّ للمسيح طبيعتين: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية. وحتى بعد انصرام هذا المجمع، سيواصل نسطوريوس القول بانفصال الطبيعتين، مشيداً بذلك خريستولوجيا تبناوية [نسبة إلى مذهب التبنية] ومريولوجيا [علم مريمي] «فقير». أمّا التيار الذي هو على النقيض من النسطورية، فيسمى، على العموم، بالمونوفيزية (monophysisme) (طبيعة واحدة)، وذلك على الرغم من أنّه يتبنى النظرية الخلقدونية القائلة بازدواجية الطبيعة. وهو يسلك في الاعتراض على التصوّر الأرثوذكسي سبيل الحذق أو دقيق الكلام، مؤكداً أنّ طبيعتي المسيح ممتزجتان، ومن ثمَّ، إن «الإله في المسيح» هو بمقام كائن من نوع جديد، فلا هو بالكائن الإلهي ولا هو بالكائن البشري.

فقانون الإيمان النيقاوي (325) يقول: إنّ جوهر المسيح والآب واحد. وإذا صح هذا القول –يلاحظ المونوفيزيون– فإنّه من المحال أن يكون جوهر المسيح هو جوهر الإنسان نفسه.

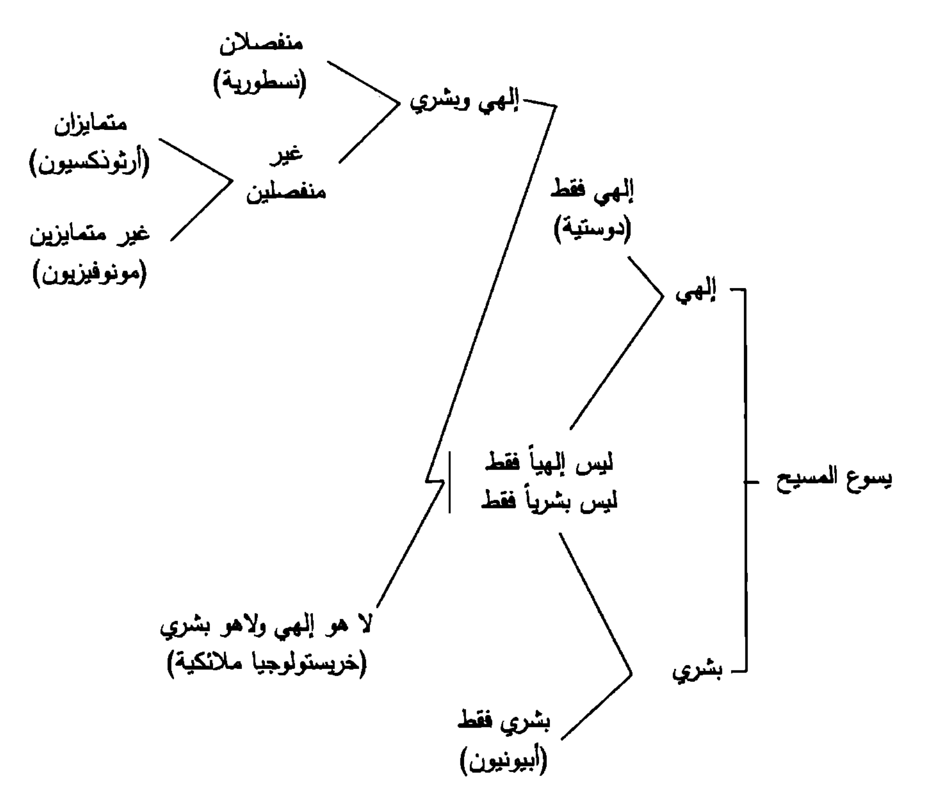
وبعد (451)، آثر مسيحيو مصر وسورية الانضمام إلى صف الخريستولوجيا «الغنية» المونوفيزية. وسيحاول الإمبراطور هرقليوس (Héraclius) (610-641)

إيجاد تسوية فيما بينهم وبين الأرثوذكسيين عن طريق نظرية **الفعل الواحد** (*monoénergétisme*) و**المشيئة الواحدة** (*monothélétisme*) التي تقول: إنّ للمسيح طبيعتين حقاً، لكن فعله واحد، ومشيئته واحدة، وكلاهما (الفعل والمشيئة) من الآب. وسيتصدى مجمع القسطنطينية (680) لمقاومة هذا الموقف، مقرراً أنّ ليسوع المسيح مشيئتين. وسعد الحزب المونوفيزي بالخلاص من رقابة القسطنطينية حين غزت العرب بلاد مصر وسورية. وتمخضت المونوفيزية -التي امتزجت بأفكار دوسيتية بعد أن اتخذها الأقباط المصريون عقيدة لهم- عن ظهور بديلة أخرى لها في البلاد السورية (المذهب اليعقوبي). ويجب أن نعلم أنّ المونوفيزية تتعارض مع المذهب النسطوري (طبيعتان منفصلتان) مثلما تتعارض مع العقيدة الأرثوذكسية (طبيعتان غير منفصلتين لكنّهما متمايزتان). وتشتمل المونوفيزية على مريولوجيا «غنية» ستنال الاعتراف بوصفها مريولوجيا أرثوذكسية. ويؤكّد البطريرك كيرلس الإسكندراني، ضداً للنساطرة -الذين شيدوا خريستولوجيا هي في نهاية المطاف تبناوية-، أنّ مريم هي **ثيوتوكوس** (*Theotokos*) أو (*Dei genitrix*)؛ أي **والدة الإله**، وهو الموقف الذي ستثمّنه الكنيسة بإعلانها أنّ مريم هي **أمّ الإله** (*Mater Dei*).

ونحتاج، في هذا المقام، إلى بعض الشروح المريولوجية [المريمية] (فالموقف الذي ستكتب له الهيمنة، في نهاية المطاف، هو الموقف الذي سبق أن عبر عنه، في القرن الثاني، **إنجيل يعقوب التمهيدي** (*Protoévangile de Jacques*): لقد ظلت مريم عذراء سواء **عند الولادة** (*virgo in partu*) أم **بعد الولادة** (*post partum*)؛ أي إنها **دائمة العذرية** (*semper virgo*). ومن جملة شخوص السيناريو البدئي المسيحي، ما انفكت مريم تؤدي، على نحو متصاعد، دوراً خارقاً للطبيعة. وهكذا، بوأها مجمع نيقية الثاني (787) منزلة تعلو على منزلة القديسين الذين لم يخصوا بغير الإجلال أو الإكرام (**دوليا** *doulea*)، في حين خصت هي بالإجلال أو الإكرام الفائق (**هيبردوليا** *hyperdoulea*). وشيئاً فشيئاً، أصبحت مريم عضواً في العائلة الإلهية؛ أي بوصفها أم الإله. وتحوّلت حكاية **موت العذراء** (*dormitio virginis*) إلى حكاية **صعود مريم**

إلى السماء (*Maria in caelis adsumpta*)؛ أما الفرنسيسكانيون، فإنّهم نزّهوا مريم عن الخطيئة الأصلية، فصارت هي **أم الكنيسة** (*Mater ecclesia*)، **ووساطة** (*mediatrix*) بني الإنسان **وشفيعتهم** (*intercessor*) عند الإله. وعلى هذا النحو، انتهى الأمر بالمسيحية إلى أن فرضت على السماء نموذجاً عائلياً أقلّ صرامة وقسوة من البطريركية الأحادية التي ظلّ يتمتع بها إله الكتاب المقدس.

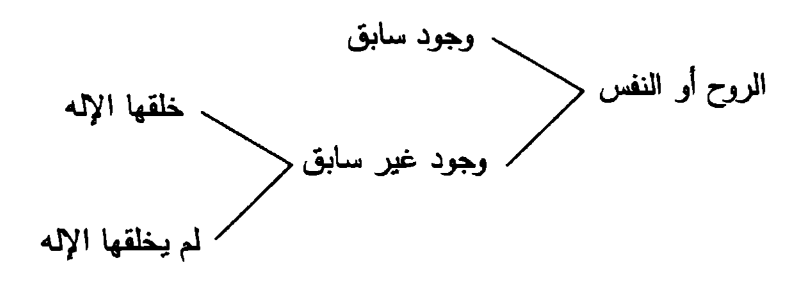
4.7.27- إذا أنعمنا النظر مجدداً في فحوى هذه الورقة الخريستولوجية الموجزة، فسنلفي من غير مشقة أنّها قابلة للتأويل السانكروني أو المتزامن، وأنّ جميع الإمكانات التي تسمح بها متضمّنة مسبقاً في النسق:



5.7.27- ويتشكّل بُعدٌ خريستولوجي آخر انطلاقاً من **العلاقات الهيراركية** [التراتبية] **القائمة بين أطراف الثالوث**؛ فالموقف الأرثوذكسي يؤكّد أن الآب والابن

والروح القدس أقانيم تقتسم الجوهر نفسه (**أوزيا** *ousia*)، وتشترك في الفعل نفسه (**إنرجيا** *energeia*). ومن جملة المذاهب التي يقصيها هذا الموقف الأرثوذكسي نجد التابعية (Subordinatianisme) التي زعمت أن المسيح أقل مرتبة من الآب، والمقدونية (Pneumatomachisme) التي قاومها باسيليوس الكبير (Basile le Grand) في القرن الرابع، والتي زعمت أن الروح القدس أقل مرتبة من الآب والابن؛ علاوة على السابيلية[187] (Modalisme) التي ذهبت إلى أن الآب والابن والروح القدس شخص واحد بثلاثة أسماء مختلفة... وأسفرت السابيلية عن نشوء مذهب النويتية[188] (Patripassianisme) الذي يرى أنه لمّا كان المسيح هو الإله، فلا جرم أن أباه تعذب ومات معه على الصليب. ولا يعسر على المرء أن يلاحظ أن من الممكن إخضاع الهيراركية الثالوثية للدراسة من منظور نسقي وتزامني بحسب أبعاد من قبيل: التماثل/اللا-تماثل، العلو/السفل...

6.7.27- أما **المجادلات الأنيمولوجية[189] الكبرى**، فإنها ليست أقل تزامنية أو سانكرونية من غيرها؛ فهي تطاوع الترسيمة الآتية:



187- نسبة إلى سابيليوس (Sabellius) الليبي (القرن الثالث) مؤسس المذهب. (م)

188- نسبة إلى نويتيوس (Nœtus) أو (Noétius) الإزميري (القرن الثالث) مؤسس المذهب. (م)

189- يعني ذات الصلة بالأنيمولوجيا (Animologie) التي تعني حرفياً: «علم النفس» أو «علم الروح». (م)

ويضم التصور القائل بسبق وجود النفس أو الروح كلاً من مذهب تناسخ الأجساد التقليدي الأفلاطوني، ومذهب الأوريجينية (الأوغل في دقيق الكلام) القائل بتجسد النفس أو الروح في درجات شتى من سلم المخلوقات الفائقة تبعاً لما كسبت من الصالحات أو السيئات.

وإذا كانت النفس أو الروح غير سابقة الوجود على الجسد، فإنها إما حادثة خلقها الإله بعد أن لم تكن (وهذا هو المذهب الذي سيصير أرثوذكسياً فيما بعد)، وإما ناجمة عن تكاثر نفوس أو أرواح الوالدين (وهذا هو مذهب زرع الأرواح الذي نافح عنه ترتوليانوس، ونعم بالحظوة قبل مذهب الخلق).

7.7.27- وأخيراً، المنظور التزامني أو السانكروني يمكن أن يطبق أيضاً على **المجادلات الكبرى المتعلقة بحرية الإرادة** سواء أتعلق الأمر بعصر أوغسطين أم بعصر مارتن لوثر.

فقد تصدى أوغسطين لمعارضة بيلاجيوس الذي يرى أن الخطيئة الأصلية لا تبطل حرية الإرادة. وبخلاف ذلك، يعلن أوغسطين أن الإله خلق الإنسان، وزوده بالقدرة على الاختيار الحر بين فعل الخير وفعل الشر، لكن -يستدرك أوغسطين- بما أنّ هذا الإنسان قد اختار فعل الشر، فإنّه فقد القدرة على الامتثال التام للإرادة الإلهية. ولذلك، لا مناص له من طلب النعمة الإلهية إن هو ابتغى الخلاص. وكما قال لوثر في رده على إراسموس (Erasme)، فإنّ المتحصل من ذلك أنّ الإنسان يملك **حرية العبودية** (*servum arbitrium*) وليس **حرية الإرادة** (*liberum arbitrium*).

وعلاوة على ذلك -يقول أوغسطين- قرّر الإله منذ الأزل من سيفوز بالخلاص ومن سيحرم منه، وهو يكتب النعمة لمن يشاء بموجب قضاء أزلي. **وعدد المختارين** (*numerus praedestinatorum*) لهذه النعمة ثابت ويساوي عدد الأماكن التي بقيت شاغرة في السماء بعد سقوط الملائكة؛ أما بقية البشر، فهم مختارون، على نحو

سلبي، للانضمام إلى **عجين الهالكين** (*massa perditionis*). وقد أعلن مجمع أورانج (529) (Orange) أن تصوّر أوغسطين أرثوذكسي، لكن مجمع كيرزي[190] (Quierzy) (853) نبذ فكرة القدر بالمعنيين (الإيجابي والسلبي)، وذلك بحجة أن الإله لم يقدّر على **عجين الهالكين** مصيرهم، وإنما هم عرضة للعقاب الأبدي بسبب اختيارهم السيّئ.

وأعاد الإصلاح إلى الواجهة كل الجدل المتعلق بموضوع القدر الذي سيشغل مكانة مركزية في جملة المسائل المذهبية التي أثارها لوثر. وتحت ضغط ميلانكتون (Melanchthon)، صديق لوثر، أعرضت الحركة الإنجيلية الأرثوذكسية عن الخوض في مسائل القدر؛ إلا أن الكالفينية عاودت الخوض فيها. وسيؤكد سنودس دوردريخ (Dort) (هولندا، 13 نوفمبر [تشرين الثاني] 1618 - 9 مايو [أيار] 1619)، الذي تشكّل من ممثلين عن الطوائف الإصلاحية، الطابعَ المزدوج للقدر؛ أي القدر بمعنييه الإيجابي والسلبي.

ويمكن للمنظور النسقي نفسه، الذي طبقناه هنا على بعض المشكلات، أن يسعفنا في دراسة اللاهوت المسيحي برمّته.

8.27- وتنطوي **الحياة المسيحية** على أبعاد شتى؛ فالسنة الليتورجية أو الطقسية تكتسي عند بعض الطوائف المسيحية أهمية كبرى. ويتمثل الحدث الأهم في هذه السنة في ذكرى ميلاد المسيح التي يُحتفل بها، عادة، في يوم 6 يناير [كانون الثاني] قبل أن يُحوّل الاحتفال إلى يوم 25 ديسمبر [كانون الأول] الذي هو في الأصل عيد ميثرا (Mithra) **الشمس التي لا تقهر** (*sol invictus*)؛ ويليه الفصح المسبوق بالصوم الأربعيني (الذي كان يلتزم به على نحو صارم فيما مضى) والمتبوع بعيد القيامة. أما الأفخارستيا؛ أي تناول الخبز والخمر المقدسين، فيعدها الكاثوليكيون

190- في الأصل: (Quiercy)؛ والأصح ما ذكرنا. (م)

والأرثوذكسيون معاً أحد الأسرار السبعة؛ أي أحد الطقوس التي شرعها لهم يسوع المسيح بنفسه (بالنسبة إلى الكاثوليكيين: المعمودية، التثبيت، الأفخارستيا، مسحة المرضى، الزيجة، الكهنوت، التوبة). وتتفاوت وتيرة الالتزام بها من عصر إلى آخر. وقد داوم عليها الكاثوليكيون حتى أنها صارت ممارسة يومية بعد المجمع الفاتيكاني الثاني. وتكتسي الحياة الأخلاقية أهمية لدى جميع الطوائف الدينية المسيحية. ولربما جنحنا إلى القول بأنّ العناية بالأخلاق أضحت هي السمة الغالبة على الكنائس البروتستانتية المناهضة للأسرار، مثل الكنيسة الكالفينية، لكن هذا سيعني تجاهل دورها في أمور أخرى.

وعلى الرغم من أنّ الكنائس المسيحية دأبت تقليدياً على دعم وتعزيز قيم المجتمع البطريركي، فإنها وفرت من خلال الأديرة ملاذاً للعديد من النساء اللواتي كنَّ، بهذه الطريقة، يكتسبنَ تكويناً ثقافياً، ويتمتّعنَ ببعض الاستقلال الذي يستحيل عليهنّ نيله خارج الأديرة. وقد لاحظ العديد من الدارسين؛ أمثال: إيدا مالي (Ida Magli)، ورودلف بيل (Rudolph Bell)، وداغمار لورنتس (Dagmar Lorenz)، وغيرهم، أنّ الهامشين الوحيدين اللذين سمح بهما مجتمع العصر الوسيط ومجتمع النهضة للمرأة الراغبة في نيل الاستقلال هما الدين والدعارة. ومن ثم، أُعِيد تفسير عملية تأسيس الرهبنات النسوية بصورة جد إيجابية. وبخلاف ذلك، إنّ حلّ الرهبنات النسوية، وفرض اللوثرية للزواج في القرن السادس عشر، يُعدّان اليوم عاملين مسؤولين عن القسمة الثنائية السافلة التي ما زالت قائمة في بعض المجتمعات؛ أي قسمة النساء إلى نساء متزوجات ونساء عازبات. فخلال حملات الاضطهاد الكبرى التي استهدفت الساحرات في ألمانيا؛ بل حتى بعدها بمدة طويلة، كانت عزوبة النساء محل ريبة، وكان يمكن لهذه الريبة أن تتحول بسهولة إلى قمع وقهر، وهو الأمر الذي لم يكن يمسّ الرجال العزاب. وكما بينت ذلك برودنس آلن (Prudence Allen)، فإن انتصار الأرسطية [نسبة إلى أرسطوطاليس] خلال القرن الثالث عشر هو المسؤول عن إشاعة التنقيص المسيحي من قدر المرأة. وبالفعل،

أرسطوطاليس هو أبو النظرية التي نلفي أحد أحدث تعبيراتها في فكرة «الحرمان من القضيب» الفرويدية: إن المرأة عند الفيلسوف اليوناني إنسان ناقص ومعيب لأن سائلها لا يساهم في تكوين الجنين[191]. وقد أدت هذه النظرية، بعد أن انضافت إليها طائفة من الأحكام المسبقة العامة وغير المبنية على أساس صحيح -مثل شهوة المرأة الجنسية غير المحدودة المهلكة للرجال، أو «لاعقلانية» المرأة؛ وكلاهما يبرران شبهة علاقاتها الممتازة بالشيطان- أدت هذه النظرية في ألمانيا، بعد أن انضافت إليها الأحكام المسبقة التي ذكرنا، إلى حملة اضطهاد النساء العنيفة التي أعطى انطلاقتها كلّ من المرسوم البابوي **المتشوف بالهمة العالية** (*Summis desiderantes affectibus*) (1484)[192]، وكتاب (**مطرقة الساحرات**) (*Malleus maleficarum*) (1486 أو1487)[193] لمحققي محكمة التفتيش البابوية هنري إنستيتوريس (Institoris) ويعقوب شبرنغر(Sprenger)؛ وهي الحملة التي استؤنفت، بعد انصرام قرن من الزمان، بحملة مماثلة أشدّ عنفاً (كما يلاحظ ذلك جيفري ب. رسل J. B. Russell) في البلاد البروتستانتية.

وتتمثل غاية أماني المؤمن في دين المسيحية، كما هو مشهور، في البقاء بعد الموت، والفوز بالجزاء السماوي الأوفى لقاء ما قدمت يداه من أعمال حسنة في الحياة الدنيا. وفي المقابل، يؤدي اجتراح السيئات إلى العقاب بالجحيم. وفي يوم الحساب، سيحول العقاب والجزاء المؤقتان إلى عقاب وجزاء أبديين. أما فكرة المطهر المنذور للتكفير عن الخطايا غير المميتة، فلم تظهر -كما بين ذلك جاك لوغوف (Jacques Le Goff) في

191- انظر ذلك في المقالة الأولى من كتاب (كون الحيوان):
Aristotle, Generation of Animals, I, 728a; Translated by A. L. Peck, Harvard University Press, 1943, p. 101. (م)

192- في الأصل: (1494)؛ والصواب ما ذكرنا. (م).

193- في الأصل: (1496)؛ والصواب ما ذكرنا. (م)

كتابه **ميلاد المطهر** (*Naissance du purgatoire*) (1981)- إلا في الفترة الفاصلة بين (1024 و1254)، وهي تقريباً الفترة نفسها التي شهدت ظاهرة التناسل المدهش للرؤى التي تحكي عن زيارة الفردوس والجحيم. وأقدم هذه الرؤى **رؤيا عزرا** (*Visio Beati Esdrae*) التي تعود على الأرجح إلى القرن العاشر؛ وتليها **رؤيا آدمنان** (*Vision d'Adhamhnan*) الإيرلندية (القرن الحادي عشر)، و**رؤيا ألبيريكو المونتيكاسيني** (*Vision d'Alberic de Montecassino*) (1111-1127)، و**رؤيا تندلوس** (*Vision de Tundal*) (1149)، و**رسالة المطهر للقديس باتريسيوس** (*Traité du purgatoire de Saint Patrick*) (1189)... إلخ. ومن هذا التقليد بالضبط ينحدر كتاب (**الكوميديا الإلهية**) للفلورنسي دانتي أليغييري، الذي لاعلاقة له بالروايات الإسلامية عن **معراج النبي**[194].

9.27- ولا نستطيع أن نختم هذه الصفحات من دون إلقاء نظرة سريعة على **التقليد الصوفي المسيحي الموسوم بالثراء**، والذي يمكننا النظر إليه بوصفه نوعاً من النسك التأملي الأفلاطوني المصحوب بأعمال تعبدية وأحياناً ليتورجية أو طقسية. وبشهادة تاريخه الغني، يكاد التصوف المسيحي يغطي سائر الظواهر الصوفية الممكنة، مع هذه الخصوصية المتمثلة في التشديد على الجذب بدلاً من الاستبطان. وتهدف التجربة الصوفية إلى الاتحاد بالإله من طريق العزوف عن مطالب الجسد والعالم. وقد كان أوريجينوس (↔ 3.4.27) سباقاً إلى وضع التجربة الصوفية في إطارها التفسيري الملائم، قبل أن ينتهي بها الأمر إلى التشبع بأفكار الأفلاطونية

194- مجرد رأي؛ والمسألة محل خلاف منذ عهد بلاثيوس (Miguel Asin Palacios)؛ انظر على سبيل المثال:

Monfrin Jacques, «Les sources arabes de la Divine Comédie et la traduction française du Livre de l'ascension de Mahomet», In Bibliothèque de l'école des chartes, 1951, tome 109, livraison 2. pp. 277-290. (م)

المحدثة، لكن من غير أن تفقد صبابة العشق أو الحب المميزة لها عن مذاهب الأفلاطونية المحدثة. وقد دشن المؤلف المجهول -تلميذ الأفلاطوني المحدث الأثيني برقلس (Proclus) (485-12/410)- الذي استعار له اسم ديونيسيوس الأريوباجي (Denys l'Aréopagite)، تلميذ بولس الرسول، دشن نوعاً من التصوف لا ينى يلح على استحالة معرفة الإله (اللاهوت السلبي أو الأبوفاتي[195] apophatique)، فاستهل بذلك تقليداً صوفياً كاملاً يشبه أيضاً (من غير أن يتخلى عن الجذب) نوع «التصوف الفراغي» (mystique du vide) المعروف في البوذية. إن مقام الفناء (Fanā') عند صوفية الإسلام، وإله كل من المعلم إيكهارت (Maître Eckhart) (1260-1327)، ويوحنا الريسبروكي (Jan van Ruusbroec) (1293-1381)، ويوحنا توليروس (Jean Tauler) (1300-1361)، وكذا (**الليل المظلم**) (*Noche Oscura*) للراهب الكرملي يوحنا الصليبي (Jean de la Croix) (1542-1591)، تلميذ المتصوفة المجذوبة الكبيرة تيريزا الأفيلاوية (Thérèse d'Avila) (1515-1582)، علاوة على حيرة البروتستانتي السيليزي يعقوب بيهمه (Jacob Boehme) (1575-1624) حيال الطابع المستغلق على الفهم (ومن ثَمَّ شبه-الشيطاني) للإله الآب، كلّ هذا ينتمي إلى اللاهوت السلبي؛ وهو اللاهوت الذي كان له حضور عظيم في فكر كبار الفلاسفة الاسميين بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر. غير أننا، كما لاحظ ذلك جيداً ميشال ميلان (Michel Meslin) (**تجربة الإلهي عند الإنسان** *l'Expérience humaine du divin*, 1988)، لا نستطيع أن نفصل بين التصوف العاشق والتصوف الفراغي الذي لا يبدو أحياناً إلا كمرحلة (القفر، الليل) في الطريق التي يسلكها الصوفي. وفي هذه المسألة بالضبط يتدخل التصوف التأملي الذي يقوم بتعداد المراحل التي تمر منها التجربة الصوفية.

195- من الأصل اليوناني: (ἀπόφασις) [أبوفازيس] المشتق من الفعل: (ἀπόφημι)؛ أي: «نفى» أو «سلب». (م)

ونموذج هذا التصوف هو دائماً ديونيسيوس الأريوباجي الذي ذكرنا، كما أنّ التقليد الذي سنّه انتشر في مشارق الأرض ومغاربها، من يوحنا السلمي (Jean Climaque) (توفي نحو 650) مؤلف كتاب (**سلم «كليماكس» الفردوس**) (*Echelle «klimax» du paradis*)، الذي يقترح سلماً تتدرج فيه التجربة الصوفية على ثلاثين مرحلة، إلى الفرنسيسكاني بونافنتورا البانيوريجي (Bonaventure de Bagnoreggio) (1221-1274) مؤلف كتاب (**طريق الروح إلى الإله**) (*Itenarium mentis in Deum*).

وإذا كان كل تصوف عاشق أو محب هو بمقام اقتداء بالمسيح، على حد تعبير توما الكمبيسي (Thomas à Kempis) (1379/80-1471) الشهير، فإن الأمر يقتضي منا الإشارة إلى وجود وجه آخر (نسوي بامتياز) للتجربة الصوفية، وهو الذي يمكن تسميته بالتصوف الأفخارستي. وليس هذا الأخير مجرد شكل متفرع عن التصوف النسوي العاشق أو المحب الذي تمثله بوضوح الأم البنديكتية يوليانا النرغيقية (Julianne de Norwich) (نحو 1342-1416)، وتيريزا الأفيلاوية، وتيريزا الليزيانية (Thérèse de Lisieux) (1873-1897)، وأخريات كثيرات. وعلاوة على ذلك، سنقع في شناعة الاختزال إذا ما نحن صنفنا جميع النساء المتصوفات في خانة التصوف العاشق أو المحب؛ فإننا نلفي عند رائية مثل هيلدغارد البنغانية (Hildegard de Bingen) (1098-1179) جميع أوجه أو مناحي التصوف.

ويعتقد المؤرخ **رودلف** بيل (Rudolph Bell) أنه وقف على أعراض مرض القهم العصبي (anorexie nerveuse) عند العديد من المتصوفات الإيطاليات اللواتي عشنَ بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر: كلارا الأسيزية (Claire d'Assise) (نحو 1194-1253)، رفيقة فرنسيس الأسيزي (1181-1226) المتصوفة، وأومليانا التشيركية (Umiliana de' Cerchi) (1219-1246)، ومارغريت القروطونية (Marguerite de Cortone) (1247-1297)، وكاترينا السيانائية (Catherine de Sienne) (1347-1380)، وبنفينوتا بوياني

(Benvenuta Bojani) (ولدت 1255)، وأنجيلا الفولينية (Angela de Foligno) (توفيت 1309)، وفرانشيسكا بوسا[196] (Francesca Bussa) (ولدت 1384)، وإيوستوكيا المسينية (Eustachia de Messine) (توفيت 1485)، وكولومبا الريتية (Colomba de Rieti) (ولدت 1466)، ثم أورسلا فيرونيكا اليوليانية (Orsola Veronica Guilliani) (1660-1727). وقد أضافت كارولاين باينوم والكر (Carolyne Bynum Walker) حالات عديدة لنساء ينتمينَ إلى مناطق أخرى من بلاد أوربا؛ حيث اقترحت تفسيراً مبتكراً لهذه الظاهرة. فهي تستبعد فرضية القهم العصبي التي وضعها بيل. وترى أن الصيام، وغيره من الأساليب (الخارقة أحياناً) التي تستخدمها هؤلاء النساء في إماتة الجسد، هي أمور تنبع في الواقع من رؤية إيجابية لدورهن في العالم. فالأفخارستيا، التي يتحول فيها المسيح إلى خبز يؤكل، تصير عندهنّ رمزاً لتحوّلهن الخاص: فحين يزهدن في الأكل **يتحولن هن أنفسهن إلى أكل**. وهذا التفسير الثوري الذي قدّمته باينوم يستبعد ويقصي التقليد الهرمينوطيقي الذي يرى في كل إماتة للجسد مثالاً للثنوية.

وإذا كان التصوف في بلاد الغرب قد سار في أربعة اتجاهات متشابكة من دون حدود واضحة تفصل بينها (اللاهوت السلبي، العشق أو الحب، التصوف التأملي، التصوف الأفخارستي)، فإنّه في بلاد الشرق اتخذ طابعاً أكثر إمعاناً في الناحية التقنية، وذلك بفضل الطريقة الهدوئية (hésychasme) التي أرسى قواعدها غريغوريوس بالاماس (Grégoire Palamas) (نحو 1296-1359)، والتي تطورت في اتجاه العناية برياضات الإراءة (visualisation) والتنفس والتأمل (صلاة القلب) التي تذكرنا باليوغا وببعض أساليب التصوف الإسلامي. وقد تبنى رهبان دير آثوس (Athos) هذه الطريقة التي ستنتشر في العالم الأرثوذكسي برمته، وخاصة في روسيا،

196- وتعرف أيضاً بفرنشيسكا الرومانية (Francesca Romana) نسبة إلى مسقط رأسها مدينة روما. (م)

بفضل النصوص التي جُمعت في أواخر القرن الثامن عشر تحت عنوان (**الفيلوكاليا**) (*Philocalie*)[197]. ويعد تقليد **الستارتس**[198] (*starets*) (الروسي بامتياز)، الذي يؤدي فيه هذا الشيخ دور المعلم الروحي والولي الصالح الأرثوذكسي، في الوقت نفسه، يعدّ ترجمةً أو تأويلاً محلياً للطريقة الهدوئية. وهناك صيغة أخرى للهدوئية الروسية أقرب إلى الأصل، ومجعولة لعامة مرتادي المؤسسات الستارتسية، وهي «الصلاة الدائمة» التي تتمثّل في الذكر النفسي المتكرّر، كما في المانترا (mantra)، لاسم يسوع المسيح.

10.27- بيبليوغرافيا:

هناك مدخل تمهيدي ممتاز وميسر إلى تاريخ المسيحية العام هو:

- *Eerdmans' Handbook to the History of Christianity*, Grand Rapids, 1987.

وفيما يتعلق بالمصنفات المرجعية، يمكن الاطلاع على الأحد والعشرين مجلداً التي يلتئم منها كتاب:

- *Histoire de l'Église des origines à nos jours* (Fliche-Martin), Paris, 1934-1964.

كما يمكن الاطلاع على:

- *Dictionnaire de théologie catholique*, Paris, 1909-1950.

وفيما يتصل بالعقيدة المذهبية، يسعفنا ياروسلاف بليكان (Jaroslav Pelikan) بنظرة عامة ممتازة حول الموضوع، وذلك في كتابه:

- *The Christian Tradition: History of the Development of Doctrine*, 4 vol., Chicago, 1971-1984.

197- من الأصل اليوناني: (φιλοκαλία)، وتعني حرفياً: «حب الجمال». (م)

198- من الأصل الروسي: (старец)، وتعني: «الشيخ». (م)

وفيما يتعلق بانتشار المسيحية، نتوافر على الكتاب الرائع الذي ألفه كينيث س. لاتوريت (Kenneth S. Latourette)، وهو:

- *A History of the Expansion of Christianity*, 7 vol., New York, 1937-1945.

وفيما يتصل بالفترة القديمة من تاريخ المسيحية، يسعفنا وليام هيوغ كليفورد فرند (W. H. C. Frend)، بنظرة تاريخية ومذهبية في كتابه الذي يلتئم من (1022) صفحة تحت عنوان:

- *The Rise of Christianity*, Philadelphia, 1984.

ويتعين أن يتبع كتاب فرند المشار إليه بكتاب يوهانس كاستن (Johannes Quasten) الصادر تحت عنوان:

- *Patrology*, 4 vol., Utrecht, 1950-1960.

وفيما يتعلق بأبولوجيي (apologistes) أو دفاعيي القرن الثاني، انظر:

- R. M. Grant, *The Greek Apologists of the IInd Century*, Philadelphia 1988.
- A. J. Droge, *Homer or Moses? Early Christian Interpretations of the History of Culture*, Tübingen, 1989.

ومن أجود ما كُتِبَ في موضوع تشكل أو تكون المسيحية، يجب أن نذكر كتاب روبرت ماكوين غرانت (R. M. Grant) الصادر تحت عنوان:

- *Augustus to Constantine*, New York 1970.

وللمؤلف نفسه أيضاً:

- *Gods and the One God*, Philadelphia, 1980.

ويسعفنا كتابان لجاك لوغوف (Jacques Le Goff) بمدخل تمهيدي ممتاز إلى حضارة العصر الوسيط هما:

- *la Civilisation de l'Occident médiéval*, Paris, 1967. *Pour un autre Moyen Age*, Paris, 1977.

ويضاف إلى ذلك أن لوغوف أصدر كتاباً مهماً يتعلق بنشأة عقيدة المطهر (purgatoire) تحت عنوان:

- *la Naissance du purgatoire*, Paris, 1981.

كما أنه أشرف على تحرير العمل الجماعي الصادر تحت عنوان:

- *Hérésies et sociétés dans l'Europe préindustrielle* (*XI^e-XVIII^e siècles*), Paris-Lahaye, 1968.

وفيما يتعلق بهرطقات العصر الوسيط، انظر كذلك:

- J. B. Russel, *Dissent and Reform in the early Middle Ages*, Berkeley-Los Angeles, 1965.

وأيضاً:

- R. I. Moore, *The Origins of European Dissent*, London, 1977.

وكذا البيبليوغرافيا التي يشتمل عليها كتاب:

- I. P. Couliano, *les Gnoses dualistes d'Occident*, Paris, 1990.

وفيما يتصل بطقوس فرسان العصر الوسيط، انظر:

- Michel Stanesco, *Jeux d'errance du chevalier médieval. Aspects ludiques de la fonction guerrière dans la littérature du Moyen Age flamboyant*, Leiden, 1988.

وفيما يخصّ التقليد الرؤياوي (apocalyptique) في العصر الوسيط، انظر:

- Bernard McGinn, *Visions of the End: Apocalyptic Traditions in the Middle Ages*, New York, 1979.

وللمؤلف نفسه أيضاً تقديم وترجمة نصوص للاكتانس (Lactance)، وأدسو المنتيانديري (Adso de Montier-en-Der) ويواقيم الفلوري (Joachim de Flore) والروحانيين الفرنسيسكانيين وسافوناورولا (Savonarole)، وذلك في كتابه:

- *Apocalyptic Spirituality*, New York, 1979.

وفيما يتعلق بالسفر أو الرحلة إلى العالم الآخر، انظر:

- I. P. Couliano, *Expériences de l'exstase*, Paris, 1984.

وفيما يتصل بالتصوّف، من منظور مقارن، انظر:

- Michel Meslin, *l'Expérience Humaine du Divin*, Paris, 1988.
- Samuel Umen, *The World of the Mystic*, New York, 1988.
- Mosche Idel et Bernard McGinn (Eds.), *Mystical Union and Monotheistic Faith: An Ecumenical Dialogue*, New York, 1989.

وفيما يتعلق بالروحانية المسيحية، انظر:

- André Vauchez, *la Spiritualité du Moyen Age*, Paris, 1975.

وللمؤلف نفسه أيضاً:

- *la Sainteté en Occident aux derniers siècles du Moyen Age*, Rome, 1981.

وانظر كذلك:

- Bernard McGinn, John Meyendorff et Jean Leclercq (Eds), *Christian Spirituality: Origins to the Twelfth Century*, New York, 1987.

وفيما يتعلّق بتصورات الجسد البشري في أواخر العصر القديم وفترة العصر الوسيط، انظر على الخصوص:

- Peter Brown, *The Body and Society: Men, Women, and Sexuel Renunciation in Early Christianty*, New York, 1988.
- Rudolph Bell, *Holy Anorexia*, Chicago, 1985.
- Caroline Walker Bynum, *Holy Feast and Holy Fast*, Berkeley, 1987.

وفيما يخص تصورات المسيحية عن المرأة، انظر:

- Prudence Allen, *The Concept of Women. The Aristotelian Revolution*, 750 BC - AD 1250, Montréal/Londres 1985.
- Pierre Darmon, *Mythologie de la femme dans l'Ancienne France*, Paris, 1983.
- Barbara Becker-Cantarino (Ed.), *Die Frau von der reformation zur Romantik*, Bonn, 1987.

وفيما يتعلّق بمطاردة الساحرات، انظر:

- I. P. Couliano, *Sacrilege*, in ER 12, 557-63.

وفيما يتصل بمختلف جوانب «نهضة القرن الثاني عشر» التي اجتنيت ثمارها في القرن الآتي، انظر:

- Michel Pastoureau, Vie quotidienne en France et en Angleterre au temps des chevaliers de la Table ronde, Paris, 1976.
- Jean Richard, *le Royaume latin de Jérusalem*, Paris, 1953.

وللمؤلف نفسه:

- *les Croisades*, Introduction par Robert Delort, Paris, 1988.

وانظر أيضاً:

- Roger Boase, *The Origin and Meaning of Courtly Love*, Manchester, 1977.

وفيما يتعلق بالعصر الوسيط المتأخر إلى غاية عصر النهضة، انظر:

- Steven Ozment, *The Age of Reform, 1250-1550*: *An Intellectual and religious History of Late Medieval and Reformation Europe*, New Haven, 1980.

وفيما يتصل بالسحر بصفة عامة، والسحر في عصر النهضة على الخصوص، انظر الكتاب الآتي الذي يشتمل كذلك على بيبليوغرافيا مختارة حول عصر النهضة:

- I. P. Couliano, *Éros et Magie à la Renaissance*, Paris, 1984.

وفيما يتعلق بالبروتستانتية، نتوافر على مختصر متوازن أنجزه مارتن مارتي (Martin Marty) في كتابه:

- *Protestantism*, New York, 1972.

وفيما يخص لوثر، انظر:

- Brian Gerrish, Grace and Reason: *A Study in the Theology of Luther*, Oxford, 1962.

وفيما يتعلق بكالفين، انظر:

- A. M. Schmidt, *Jean Calvin et la traditon calvinienne*, Paris, 1956.

28
الديانة المصرية

0.28- على الرغم من علاقة الألفة الظاهرة التي تجمعنا بإيقونوغرافيا مصر القديمة، تبقى الديانة المصرية موسومة بألوان الغرابة والغموض. إن غور المسافة الزمنية تجعل المرء يشعر بالتعدد كشاهد تناقض، كما أنّ البنى المتعددة للبانثيون أو مجمع الآلهة، وكذا بدائل الأساطير والآلهة، تتخالط أو تتداخل فيما بينها وتمتلئ بالثغرات. وقد أعيد النظر في كلّ هذا اليوم: ألوهية الفرعون، حقيقة العالم الآخر، الطبيعة المحددة لكيانات من قبيل با (*ba*) وكا (*ka*) اللذين يترجمان عموماً بكلمتي «نفس» و«روح»... علاوة على ذلك، يكتسي التقليد الديني المصري طابعاً جد محافظ. فهو يقاوم كل تغيير، وينطوي على نماذجه الأولية الخاصة بالآلهة والأبطال. وهي موجهة برمتها نحو عالم آخر موسوم بالكمال الذي لا يتبدل، حيث حاولت أجيال عديدة من الباحثين أن تكشف أسراره وتسبر أغواره.

1.28- **الفترة المبكرة**: ظهر أسلوب الإيقونوغرافيا المصرية المتفرّد، وكذلك الكتابة الهيروغليفية، في الوقت نفسه الذي ظهرت فيه الأسرة الفرعونية الأولى، وتوحد فيه شطرا وادي النيل الشمالي والجنوبي نحو (3000) ق.ح.ع. وقبل ذلك، كان الرافدينيون [نسبة إلى بلاد الرافدين] قد بسطوا هيمنتهم على البلاد، فأحدثوا تغييراً في مألوف المصريين عن طريق إنشاءات من الطوب المجفف في الشمس وبوساطة مصنوعاتهم المشرقية مثل الأختام الأسطوانية. وقبله أيضاً، كان سكان

المنطقة المتمون إلى ما قبل التاريخ يدفنون موتاهم حيث تواجه وجوههم ناحية الغرب، كما كانوا يحرصون على تزويد قبورهم بأمتعة من أجل العالم الآخر.

يبدأ التاريخ المصري مع بداية الملكية، التي نلحظ حضورها لأول مرة في لوحة نارمر (Narmer) حيث يعتمر الملك تاجي مصر العليا والسفلى. وفي البدء، كان الملوك يتماهون بحورس (Horus)، ثمّ تماهى ملوك الأسرة الثانية بست (Seth) أو بحورس وست معاً. وتفيدنا الميثولوجيا بأن حورس وست تنازعا المُلك. وقد تشكّلت صورة الملك الذي يعلو على البشر منذ عهد مبكر جداً، وتبيّن أنها وسيلة سياسية دائمة وفعالة. ويُعدّ مينا (Ménès) -كما سيسمى لاحقاً أوّل ملوك مصر وموحدها- هو مؤسس العاصمة منف أو ممفيس (Memphis)، على ما جاء في المأثور. وقد قام ملوك الأسرات الأولى (المملكة القديمة) بتشييد الأهرام والمركبات الجنائزية العظمى التي تنطوي كتاباتها وتعاويذها على تصوّراتهم الثيولوجية أو اللاهوتية المبكرة.

2.28- **النشكونيات والثيولوجيات**[199]: تتعلق إحدى نشكونيات المملكة القديمة بالإله رع/أتوم (Rê/Atum) الذي خلق شو (Shu) (الهواء) وتفنوت (Tefnout) (الرطوبة)، اللذين أنجبا جب (Geb) (الأرض) ونوت (Nut) (السماء)، وأنجب هذان الأخيران بدورهما أوزيريس (Osiris) وست (Seth)، وإيزيس (Isis) ونيفتيس (Nephthys). وقتل ملك الأرض العادل أوزيريس على يد شقيقه ست. وتمكّنت إيزيس من الحَبَل من الميّت أوزيريس، وأنجبت منه حورس الابن الذي سيأخذ بثأر أوزيريس، وهو [أي حورس] الذي يتماهى معه الفرعون.

وكما في بلاد الرافدين (↔ 16)، صنع كلّ معبد من معابد المدن الكبرى، التي كانت تُؤوِي مقار الحكم، نشكونيته الخاصة به، معتمداً في ذلك على إلهه المحلي الذي

199- «نشكونيات»: جمع «نشكونية» (cosmogonie)؛ و«ثيولوجيات»: جمع «ثيولوجيا» (théologie)؛ أي «اللاهوت». (م)

يشغل قمة الهرم. وتنحدر البيضة التي خرج منها الخالق من بحيرة هيرموبوليس (Hermopolis). لقد انبثقت من الكاووس [العماء] المائي الذي ترمز إليه أربعة موجودات: السر المكنون، الظلمات، الحالة الغفل من الشكل[200]، الهاوية المائية. وفي هيليوبوليس (Héliopolis)، خرجت من جوف المياه ربوة رمل بدئية كانت لا تزال بادية للعيان هناك حيث بدأ العالم. أما فيما يتعلق بالأفعال النشكونية الممعنة في السماجة مثل الاستمناء أو البصق اللذين يصدران عن الإله الخالق، فقد كانت تحظى بالتقدير الكبير، غير أنّ نظريات أكثر تهذيباً ستظهر في المراكز الدينية الرئيسة. وهكذا، في تقليد متأخر، نجد بتاح (Ptah) يحبل[201] بأتوم في قلبه ويخلقه عن طريق النطق باسمه. وهذه الأسطورة تجعل بتاح أعلى مقاماً من أتوم، وعلى النحو نفسه كان رع أعلى مقاماً من أتوم بسبب وضع السبق الذي يحتلّه في النشكونية.

والعالم، بحسب المصريين، مسطح، وهو يدعم السماء التي كان شكلها الشبيه بالصحن المقلوب يُمثل، أحياناً، بأسفل البقرة حتحور (Hathor) وبقبل أو وجه الإلهة نوت (Nut) التي كانت تبتلع الشمس كل مساء. ويتخذ العديد من الآلهة أشكالاً وهيئات حيوانية، وهو أمر لا يدلّ على عبادة الحيوانات؛ بل ربما كان يعني الإقرار بالمغايرة الجوهرية والأعمق غوراً، أو هو ربما يدل على الفهم العميق لما تنطوي عليه الأشياء الحية من صفات تذكر بالنماذج الأولية[202]. وتكتسي طبيعة الآلهة

200- كذا في الأصل: (État amorphe)؛ وتعني حرفياً: «الحالة الغفل من الشكل» أو «حالة اللا-شكل»، أو «الحالة الغفل من الصورة»... وفي مراجع أخرى عديدة نقرأ: «المكان اللا-نهائي» أو «اللا-محدود»، وأيضاً: «الأبدية»؛ ويرمز إلى ذلك بالزوج الإلهي «حوح/حوحة» (Heh/Hehet) العضوين في أجدود (Ogdoade) أو ثامون هيرموبوليس. (م)

201- حبل «فكري»؛ فقد كان القلب عند قدماء المصريين هو عضو «الفكر» ومحله. (م)

202- في الأصل: (qualités archétypales)؛ وقد آثرنا التعامل مع الاسم (archétype) الذي يترجم غالباً بلفظ «النموذج الأولي»، بدلاً من الصفة (archétypale) التي لا نجد لها

=

المصرية المتعددة الأشكال والهيئات صبغة غامضة. فهي الآلهة التي خلقت البشر الذين تمخض عنهم كلام بتاح (Ptah)، أو تم تشكيلهم بعجلة الفخار. وتستمر الروح في البقاء بقدر استمرار الجسد المادي الحامل لها. وقد أدى هذا الانشغال بالبقاء إلى تفضيل الدفن بحسب ما تقتضيه الطقوس على الوجود الأرضي حتى ولو كان هذا الوجود هنياً مريحاً. وقد كانت القبور عند هؤلاء المصريين أهم من البيوت الأكثر ترفاً؛ ولم يكن من الممكن التفكير في الاقتصاد أو التوفير على حساب طلبات الكهنة الجنائزيين.

3.28- **الفترة الانتقالية الأولى**: في نحو (2200 ق.ح.ع)، أدّت الأزمة السياسية والحرب الأهلية إلى انقسام مصر مدةَ مئة وخمسين سنة. وتشهد الأعمال الأدبية المنتمية إلى هذه الفترة على تنامي النزعة الفردية وعلى «دمقرطة» الحياة الدينية في ظلّ الفوضى الاجتماعية السائدة. وقد وجدت التعاويذ الجنائزية الخاصة بقبور الملوك القديمة طريقها إلى توابيت الأشخاص الذين يستطيعون دفع ثمنها. وتنصح النصوص المسماة (**أناشيد عازفي قيثارة الهارب**) (*Chansons des harpistes*) بالعيش في الحاضر. إن البلاد مهددة في مستقبلها، حيث أمست القبور عرضة للنهب وصار الأبرياء عرضة للمتابعة. إن كل شيء يبعث على الارتياب: الذات، العالم الآخر، الآلهة، الفرعون. ويقدم لنا مصنف تنبؤي مثل (**ملامات إيبوير**) (*remontrances d'Ipuwer*) حديثَ شيخ حكيم زاخراً بالقدح في ألوان البهتان والجفاء اللذين كرسهما الملك وحكمه. ويتأسف كاتب (**تعاليم إلى مري كارع**) (*Instruction pour Merikaré*) على تقلبات الحياة ونوائب الزمان، مشيداً بالقيم الأخلاقية المصرية الأصيلة، وبالعدل والكرم، وعلى الخصوص تجاه الفقراء والمساكين. وهناك قطعة تنطوي على أهمية خاصة،

مقابلاً متفقاً عليه في العربية الحديثة (فترجمة هذه الصفة بعبارة: «نموذجية أولية» أو «نموذجي أولي» لا تصح في اعتقادنا). وهذه مشكلة مزمنة يطرحها العديد من المصطلحات المركبة حين يكون التعامل مع الصفة، ومع غيرها. (م)

وتحمل عنوان (**مجادلة بين رجل يؤوس وروحه**) (*Dispute d'un homme fatigué avec son Ba*)؛ وهي تتحدّث عن رجل أصابه اليأس من جراء قبح العالم وبشاعته، فأداه ذلك إلى الدفاع عن فكرة الانتحار أمام روحه التي تخالفه الرأي وتشجعه على الاستمرار في الحياة والاستمتاع بها. إن هذه الروح، بوصفها ضامناً للحياة الآجلة، تَعِدُ الإنسان وتعاهده بألا تهجره، لكن لا يبدو أن رؤية العالم الآخر تضفي عليه جاذبية تفوق جاذبية هذا الوجود الدنيوي الناقص. وتعدّ الشكاوى المريرة من الفوضى الاجتماعية المتنامية -تمرد الأبناء على الوالدين وخروج الرعايا عن طاعة الملك- بمقام القوالب الأدبية التي سادت هذه الفترة، وهي القوالب التي ستستمر لقرون.

4.28- **الممارسة الدينية**: كما هو الحال في بلاد الرافدين (↔ 16)، كانت للآلهة المصرية عواصمها، وكانت هذه العواصم تؤوي معابد هي بمقام بيوت للآلهة. وعموماً، كانت الأجزاء الداخلية من المعابد مخصصة للكهنة المحافظين على الطهارة الطقسية. وكانت هناك فرق من الكهنة الحليقي الرؤوس الذين يقومون بعدة وظائف: غسل التماثيل، الهدي الطقسي للأطعمة والأشربة، تزويد أو تعبئة التماثيل بالحضور الإلهي، حمل التماثيل في المواكب النبوئية... وفي معبد آمون (Amon) بطيبة (Thèbes)، الذي كان العاملون فيه يُعدّون بعشرات الآلاف، كان هناك ما يقرب من مئة وخمس وعشرين وظيفة يتعيّن شغلها. إنّ الوظيفة الرئيسة التي تؤديها التماثيل، التي من المفترض أنّها كانت تؤوي الإله، هي الإصدار المباشر للأحكام النبوئية (oracles). كانت هذه التماثيل توضع في حجرات غير شفافة تقع في وسط قوارب مختلفة الأبعاد (كبيرة وثقيلة حين يتعلق الأمر بالآلهة القوية)، وكان الكهنة يخرجون بها في مواكب. وغالباً ما كانت الجموع ترافق حاملي الإله، لأنّ المشاركة في حمله كانت تُعدّ حسنة أو مزية. وحين يسأل الإله عن حكمه في أيّ نزاع، يتصرّف في الغالب بوصفه قاضياً يفصل بين طرفين؛ لكن، إذا لم يرضَ أحد الطرفين بالحكم، فإنّه يستطيع أن يتوجّه بسؤاله إلى إله آخر. وكان النطق بالحكم النبوئي يتم بطريقة غريبة إلى حدٍّ

ما: فالجواب يكون «نعم» عندما يثقل مقدم القارب، ما يجبر حاملي الإله على الجلوس على ركبهم، أو يدفعهم إلى مواصلة السير؛ ويكون «لا» حين يدفعهم الإله إلى التراجع نحو الخلف. وفي بعض الأحيان، كان يطلب من الإله أن يختار بين كلمتين تُعرضان عليه مكتوبتين، وهما «نعم» أو «لا». وكان تدخل الكهنة في العمليات الإلهية أوضح ما يكون في النبوءات الطبية. ففي مقام الدير البحري المقدس في الأقصر، كان صوت الإله أمينوفيس (Aménophis) يملي على كلّ مريض الوصفة الطبية التي تعالجه. وكان أحد الكهنة يختبئ داخل المقام المقدس، ويتكلم بوساطة فتحة سرية في هيكل القبو. وحين كان بعض الفضوليين يفتحون الباب، كان الكاهن يتوافر على ما يكفي من الوقت للاختفاء. وكان كهنة كرانيس (Karanis) بالفيوم يستخدمون طرقاً أكثر حذقاً. فقد كانوا يختبئون وراء تماثيل الآلهة الكبيرة المجوفة من الداخل، ويجعلونها تتكلّم بوساطة أنابيب.

وكان يمكن للمعبد أن يتوافر على غرفة للنسخ (scriptorium) ومكتبات خاصة قادرة على حفظ اللفائف لعدة أجيال. وحظي منصب رئيس أو رئيسة الكهنة بأهمية سياسية كبيرة؛ فقد كان الملك يسنده إلى أحد أبنائه أو أحد أصدقائه الأقوياء. ومثل المواطنين الأثرياء، كانت المعابد تملك عقارات في وادي النيل كاشفة بذلك عن وزنها وأهميتها في استقرار ووحدة البلاد.

وتتطلّع عامة الشعب إلى سيادة العدل في المجتمع كما في الكون. وكان الفرعون يجسد **ماعت** (*maat*)، [إلهة] النظام والحق. وتذكرنا أدبيات الحكمة المصرية، ولاسيما دواوين الحكم الأخلاقية مثل (**حكمة بتاح حتب**) (*Sagesse de Ptahhotep*) من الأسرة الخامسة، و**حكمة أمينيموبي** (*Sagesse d'Aménémope*)، تذكّرنا هذه الأدبيات، من حيث روحها أو ميزتها الجوهرية، بنص [سفر] (**أمثال**) (*proverbes*) العهد القديم الذي ينطوي أحياناً على مغزى مماثل. وتدلنا التمائم الحامية والاسترضائية والشافية العديدة -خنافس الجعران والتماثيل الصغيرة- على وجود طبقة مهمة من المعتقدات الشعبية. وكان يعتقد أن الآلهة هي التي علمت البشر

السحر من أجل أن يستخدموه في حماية أنفسهم من النحس وسوء الطالع. وكانت المعابد تستخدم التعاويذ المكتوبة على ورق البردي أو على الشقف؛ كما كان يستخدمها الخواص. وكانت الأسماء والأصوات التي تحتوي عليها تتوجّه إلى الآلهة طلباً لمعونتهم. وفي النهاية، يمكن القول: إن الآلهة كانت قابلة للتسخير والاستخدام بوساطة السحر.

وعلى صعيد التدين الشعبي، كان أوزيريس -هازم المنون وقاضي الموتى- يحتل مكانة خاصة عند المصريين؛ فقد كان يرمز إلى الانبعاث، وكان الكل يطلب نصيحته. وكانت مدينة أبيدوس (Abydos)، الشهيرة بإيواء لحد هذا الإله، أهمّ الأماكن المقدسة التي يؤمّها الحجاج في مصر. وفي مثل هذه المراكز الثقافية نشطت تجارة الهدايا والتماثيل الصغيرة النذرية وأدعية التوسل المدونة على اللوحات التذكارية، علاوة على البضائع القابلة للتلف. وتتميز الأعياد الرئيسة بتنظيم مواكب الآلهة (المتوارين عن الأنظار وسط قواربهم الاحتفالية) المصحوبة بالموسيقا وبالرقص. وكان عيد مين (Min) الشعبي عبارة عن مهرجان موسمي للحصاد، وقد اندمج في طقوس عبادة الملك. وكان يشارك في هذه المناسبة ثور أبيض مقدس.

5.28- **إصلاح أخناتون** (*Akhenaton*): في القرن الرابع عشر ق.ح.ع، وبعد عملية طرد الهكسوس (Hyksos)، والمرحلة الآتية الموسومة بالغزوات في الشرق وبالدبلوماسية الدولية، قام الملك الشاب أمينوفيس الرابع (Aménophis IV) بإصلاح سياسي وديني جذري، حيث جعل من آتون (Aton)، القرص الشمسي، إله البانثيون المصري الأسمى. وغيّر الملك اسمه من «رضي آمون» (أمينوفيس) إلى «الذي يحبه آتون» (أخناتون)، ونقل العاصمة من طيبة (Thèbes) إلى أختاتون (Akhétaton) (تل العمارنة)، وشطب على اسم آمون من جميع النقوش. وقد أطلق على هذه الحركة الدينية اسم الهينوتية، والمونولاترية بل التوحيدية[203]. وكيفما كان

203- على التوالي: (hénothéisme)، و(monolâtrie)، و(monothéisme.) ويعني =

الحال، كان مفعولها السياسي جلياً: لقد تمّ تجريد كبار كهنة وخدام معابد آمون من امتيازاتهم الكبيرة. ولم يكن لمعابد آتون الجديدة سقوف. فقد اقترنت ثورة أخناتون بأسلوب فني جديد موسوم بالنزعة الطبيعانية. وكان قرص الشمس يصوّر بأشعته التي تنتهي عند أطرافها بأكف، وكانت هذه الأكف تُصوّر أحياناً وهي ممسكة بصليب العنخ (Ankh) هديةً للحضور. وقد نصب الملك نفسه شفيعاً للبشر عند آتون الذي يشكّل المصدر الأوحد لكلّ ما هو حي.

ويغلب على الظن أنّه، بعد وفاة الملك أخناتون، تربّعت زوجته نفرتيتي (Nefertiti) لمدة قصيرة على عرش المملكة تحت اسم سمنخ كارع (Smenkhare). وقد سيطر كهنة الإله آمون الأقوياء على نجلهما توت عنخ آتون (Toutankhaton)، الذي ردّوه إلى عبادة الإله آمون، فغيّروا اسمه إلى توت عنخ آمون (Toutankhamon). وبعد نهاية حكم الأسرة التي تُعدّ الثامنة عشرة، صُنّفت حركة آتون بوصفها هرطقة ممقوتة.

6.28- **الموت: السفر والذكرى:** يبدو أن موضع العالم الآخر قد جعل في بداية الأمر في السماء، وقرن بجهة الغرب. ونحن نعلم الأهمية العظمى التي كانت تكتسيها عملية حفظ الميت عن طريق التحنيط، ومعها ترسانة بكاملها من الأشياء والطرق

المصطلحان الأول والثاني حرفياً: «عبادة الواحد»؛ لكن ليس المقصود «الواحد» الذي لا إله سواه، بل «الواحد» المفضل على غيره من الآلهة الأخرى المعترف بها كآلهة، إمّا تفضيلاً دائماً أو مطلقاً، وهذا معنى مصطلح «المونولاترية» (monolâtrie)، وإما تفضيلاً «دورياً» أو نسبياً، وهذا معنى مصطلح «الهينوتية» (hénothéisme) الذي يغلب على الظن أن الفيلسوف فريدريك شيلنغ (F. Schelling) هو ناحته، قبل أن يتطوّر لاحقاً على يد فريدريش ماكس مولر (F. M. Müller) في أبحاثه حول الفيدية. وقد آثرنا تعريب المصطلحين (مع الشرح) بدلاً من ترجمتهما حتى نتجنب اللبس الناتج عن تشابه المعنى الحرفي. (م)

والأساليب مثل القبر ذي الباب الوهمي، والتماثيل الكبيرة والصغيرة الخاصة بالصنو (double) (كا *ka*) -وهي التي تأوي إليها الروح- والرأس الذي يمكن للروح أن تستقر فيه بفضل احتفال الإحياء أو «فتح الفم»، وهدي الأطعمة والأمتعة، والتماثيل الصغيرة التي تصور الخدام والجنود الحراس... وتتصدّى اللعنات أو أدعية الشر القوية لصرف لصوص المقابر. وكان المارة مدعوين إلى التبرع على الموتى بهدايا مادية أو رمزية من أجل تموينهم. وتكتسي رحلة الميت أهمية عظمى. وكانت التعاويذ توضع في قبر الميت من أجل تسهيل عبوره إلى العالم الآخر.

وتشتمل أقدم التعاويذ المعروفة -وهي نصوص الأهرام (textes des pyramides)- على ما يناهز (760) نقشاً عُثر عليها في القبور الملكية القديمة ابتداء من قبر أوناس (Unas) آخر ملوك الأسرة الخامسة (القرن الرابع والعشرون ق.ح.ع). وتطلعنا نصوص الأهرام على طقوس دفن الملك وصعوده الذي يبلغ الذروة عند استقبال الإله الشمسي له الاستقبال الأخير الأبدي، بحسب ثيولوجيا معبد رع في هيليوبوليس. ويستطيع الملك -الذي يتمتع بالخلود بسبب محتده الإلهي- أن يحلق في صورة طائر أو جعران أو جندب قاصداً في طيرانه حقل الهدايا الواقع ناحية الشرق من السماء. ويتعيّن عليه أن يتطهّر حتى يجاز به إلى العدوة الأخرى لإحدى البحيرات. ومن أجل المرور إلى المرحلة الآتية، يتعيّن عليه أن يجيب عن أسئلة الاستجواب المُسارِّي -الذي سيخضع له- بعبارات أو صيغ سحرية. وحيث إنّ الملك يقارن أوزيريس الخالد، فقد كان في حلٍّ من ملاقاة أوزيريس القاضي. وفي النهاية، يتربع الملك على عرش سماوي، على غرار الإله الشمسي، لكي يحكم شعبه إلى الأبد.

وتقوم نصوص التوابيت (textes des sarcophages)، المنحدرة من زمن الأسرة التاسعة إلى الثالثة عشرة (من القرن الثاني والعشرين إلى القرن السابع عشر ق.ح.ع)، بإعادة تفسير معطيات نصوص الأهرام القديمة. وهي منقوشة داخل التوابيت الخشبية. ويحتل فيها كلّ من أوزيريس وحساب [دينونة] الموتى مكانة

محورية. ومنذ زمن الأسرة السادسة، أسفر ضعف السلطة المركزية وظهور حكام المحافظات المحليين الأقوياء عن جعل القبور العظمى رهن إشارة العائلات النبيلة والثرية. ونصادف في هذه القبور التيهات نفسها التي تنطوي عليها نصوص الأهرام في تمجيدها وتعظيمها للملك الراحل، لكن بأسلوب شعبي.

وهناك طور خامس في تطور الأدبيات الجنائزية، ويمثّله النص المشهور بعنوان (**كتاب الموتى**) (*Livre des morts*)؛ فقد جرت العادة، منذ زمن الأسرة الثامنة عشرة (القرن السادس عشر ق.ح.ع) إلى غاية الفترة الرومانية، على وضع هذا الكتاب في تابوت الميت. إنه يزوده، من أجل سفره وحسابه [دينونته]، بتعاويذ مستقاة في معظمها من نصوص التوابيت، مع ألوان من التصرف الناتجة عن إعادة تفسير هذه النصوص. ويبدو المحتوى السحري الذي تنطوي عليه تعاويذ (**كتاب الموتى**) الآن واضحاً جلياً: لقد كان الغرض منها هو تليين جانب الآلهة أو استدرار عطفها.

7.28- بيبليوغرافيا

- Eliade, H 1, 25-33; L. H. Lesko, *Egyptian Religion*: *An Overview*, in ER 5, 37-54; D. B. Redford, *The Literature*, in ER 5, 54-65.

وفيما يتعلق بالنصوص، انظر:

- J. B. Pritchard et al, *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*, Princeton, 1967 (ANET); L. Speleers, *Textes des cercueils du Moyen Empire égyptien*, Bruxelles, 1947; Miriam Lichtheim, *Ancient Egyptian Literature*: *A Book of Readings*, 3 vol., Berkeley, 1973-1980; Paul Barguet, *le Livre des Morts des Anciens Égyptiens*, Paris, 1967.

وبوصفه مصنفاً مرجعياً، يمكن الرجوع دائماً إلى كتاب هانس بونيت:

- Hans Bonnet, *Reallexikon der ägyptischen Religionsgeschichte*, Berlin, 1952.

وفيما يلي دراسات تاريخية عن الديانة المصرية:

- Jacques Vandier, *la Religion égyptienne*, Paris, 1949; Siegfried Morenz, *la Religion égyptienne*, Paris, 1962; Serge Sauneron, *les Prêtres de l'Ancienne Égypte*, Paris, 1957.

29
الديانة الهلنستية

0.29- **الهلنستية** هي الثقافة التي نشأت في أعقاب توسعات الإسكندر (362-331 ق.ح.ع) في العالم، وتتميّز باستخدام اللغة اليونانية وبهيمنة الفكر اليوناني. ومن الناحية الزمنية، تشغل الهلنستية تقريباً الفترة الفاصلة بين موت الإسكندر وظهور المسيحية (↔ 27)، لكن العديد من سمات هذه الثقافة، التي توصف أحياناً بأنّها هلنستية-رومانية، ستحافظ على وجودها حتى نهاية الإمبراطورية الرومانية (476)؛ بل ستحافظ على وجودها حتى بعد نهاية الإمبراطورية الرومانية بمدّة. ولذلك، يتعذّر علينا أن نعيّن تاريخاً محدداً لنهاية الهلنستية.

1.29- تأثرت **ديانة** هذا العصر بفكر أرسطوطاليس (384-322 ق.ح.ع)، وبالمذهب الفلسفي الرواقي (نحو 300 ق.ح.ع)، وكذا بالتطور العام الذي شهده العلم، ما أدى إلى نشوء موجة من التصوف النجمي أو الكوكبي تمثّلت خلال القرن الثالث في ظهور التنجيم الهلنستي. وقد اتسم هذا الأخير بالجمع بين العرافة المستفادة من الديانات المصرية والرافدينية وبين علم الفلك اليوناني.

والظاهر أنّ عبادة الملك التي تبنّاها الإسكندر وتبنّتها بعده أسرة البطالمة في مصر (323-30 ق.ح.ع) قد وردت من بلاد الشرق، وتحوّلت خلال الفترة الرومانية إلى عبادة الإمبراطور.

1.1.29- وهناك نزعة عامّة وسمت هذا العصر -ولا بد أنها وجدت سنداً في

الفكرة الرواقية عن لطافة الروح ذات الطبيعة النارية- تتمثل في اختفاء مواضع العقاب السفلية [الجحيمية] التي أدّت دوراً مهماً في الجغرافيا الدينية الأفلاطونية، بكهوفها الواقعة في أعماق الأرض، وأنهارها المرعبة كالأخيرون (Achéron) والفليغيتون (Phlégéton) والكوكيتوس (Cocyte). ومن الممكن أن يكون تلميذ أفلاطون، هيراقليدس البنطي (Héraclide du Pont) (ولد بين عامي 388-373 ق.ح.ع)، قد سبق إلى تصوّر مراحل الإسخاتولوجيا الفردية كافة بوصفها وقائعَ تجري في السماء، لكن احتمال أن يكون مفكر أفلاطوني متأخر مثل فلوطارخس الخيروني (Plutarque de Chéronée) (نحو 45-125 ح.ع) قد تخلّى تماماً عن الهاديس الأفلاطوني الواقع في جوف الأرض هو احتمال ضعيف. ومع ذلك، فإن فلوطارخس قد تخيل فعلاً أنّ العالم السفلي [الجحيم] موجود في منطقة ما تحت القمر. وقد ظهرت نزعة مماثلة أيضاً في القصص الرؤياوية اليهودية ([سفر] (**أخنوخ الحبشي**) (*Enoch l'éthiopien*)، (**شهادات الآباء الاثني عشر**) (*Testaments des douze patriarches*)، كما عند الفيلسوف الأفلاطوني اليهودي فيلون الإسكندراني (Philon d'Alexandrie) (نحو 15 ق.ح.ع -50 ح.ع). وفي القرن الثاني ح.ع، نجد أن الفكرة -التي ستحتفظ بمنزلة أساسية في الأفلاطونية، من ماكروبيوس Macrobe (نحو 400 ح.ع) إلى مارسيليو فيسينو (Marsile Ficin) (1433-1499)- كانت شائعة سلفاً في الغنوصية والهرمسية؛ ونعني بها فكرة هبوط الروح أو النفس الفردية إلى العالم من طريق أفلاك الكواكب وعودتها إلى السماء من الطريق نفسه. وقد تواترت زيارات السماء خلال القرون الأولى ح.ع في التقاليد الثلاثة المعروفة في هذه الفترة، وهي: الأفلاطونية، والديانة اليهودية، ثم المسيحية.

2.1.29- ينحدر **التنجيم**، بوصفه محصلة تطابق بين نسقين -نسق حركة الأجرام السماوية ونسق الوجود الأرضي- من بلاد الرافدين ومصر؛ لكن المذهب الهلنستي، الذي جمع بين العديد من العناصر الشرقية وبين الفلك اليوناني، مذهب فريد من نوعه. وظهر هذا التنجيم، الذي ينسب إلى الإله المصري هرمس-تحوت

(Hermès-Thot)، نحو نهاية القرن الثالث ق.ح.ع. وهو يهتم بالتنبؤات سواء منها العامة (**جينيكا** *geniká*، **تيما موندي** *thema mundi*) أم الخاصة، المتعلقة بالمستقبل أو بأسباب الأمراض أو بصفات الأدوية أو بمقاديرها (**ياتروماتيماتيكا** *iatromathematika*). ويقترن المذهب التنجيمي الجديد، الذي ما زال رائجاً إلى غاية يومنا هذا (على الرغم من أنه، في أعقاب الإصلاح، فقد الصفة العلمية التي كانت تنسب إليه حتى عصر النهضة) [يقترن] باسم كلاوديوس بطليموس (Claude Ptolémée) (نحو 100-178 ح.ع). وقد انتقل التنجيم الهلنستي إلى بلاد الهند من القرن الأول إلى القرن الثالث ح.ع، وإلى بلاد فارس خلال القرن السادس، حيث ترجم العديد من المؤلفات أولًا إلى اللغة الفهلوية (الفارسية الوسطى)، ثم إلى اللغة العربية من قبل أبي معشر [البلخي] (787-886)[204].

3.1.29- يتميز **السحر** الهلنستي-الروماني بالوفرة في الدعوات والخواتيم والعزائم واللعنات والتراتيل التي دونت صيغها ووصفاتها في كراريس باللغتين اليونانية والديموطيقية المصرية - «البرديات السحرية» الشهيرة. وقد تناسلت قصص السحر في آداب هذا العصر أيضاً. وتتمثل أهم هذه القصص -التي تقترن أيضاً بمؤسسة أخرى ميزت [الحضارة] الهلنستية، وهي مؤسسة الأسرار الدينية (↔ 2)- في رواية (**التحولات**) (*Métamorphoses*) أو (**الحمار الذهبي**) (*Âne d'or*) للكاتب الإفريقي [الأمازيغي] اللاتيني أبوليوس المداوري (Apulée de Madaure) (نحو 125- 170 ح.ع).

إن دراسة السحر الهلنستي لم تتجاوز بعد عتبة البدايات؛ فلا نتوافر على أية دراسة سوسيولوجية للوصفات السحرية. ومع ذلك، نستطيع أن نستنتج من تواتر الحديث عن شراب الحب أن الحالة الغالبة هي تلك التي تتعلق بالرجل الراغب في ضمان

204 - لا أحد من المؤلفين العرب ذكر أبا معشر البلخي في طائفة النقلة؛ ولم تذكر له المصادر أية ترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. (م)

إخلاص عشيقته له. وعدد الرجال الذين يلجؤون إلى خدمات الساحر يفوق عدد النساء. ويرغب الزبون أحياناً في التخلص من عدو أو إلحاق الأذى بصحته أو بممتلكاته. وفي بعض الأحيان، تزود دعوة الشيطان الخادم مالكه بمختلف أنواع القوى الخارقة للطبيعة.

4.1.29- لم يكن **صناع المعجزات** (*thaumaturges*) صنيعة الحضارة الهلنستية. وستحافظ هذه الظاهرة على بقائها في الفترة المسيحية. وقد صنف يسوع نفسه من قبل بعض العلماء بوصفه ساحراً. فالمعجزة في هذا العصر تعد جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية. أليس السحرة هم الذين يعدون بكشف الغيب، وبموهبة اللغات، وبطي المسافات؟ أليسوا هم الواثقين بإمكان التأثير عن بعد لا في البشر فحسب؛ بل في عناصر الطبيعة أيضاً؟ فلا ينبغي أن نعجب من تصديق الناس بالحكايات الأكثر بعداً عن التصديق. وتتمثل الصورة النموذجية لمسمى «الإنسان الإلهي» الهلنستي في أبولونيوس[205] الطواني (Apollonius de Tyane) (القرن الأول ح.ع)، على ما جاء في ترجمة فيلوستراتوس (Philostrate) [الأثيني] (نحو 217). فأبولونيوس الذي علم أسرار الحكمة الفيثاغورية القديمة يعدّ نداً أو صنواً للبراهمة، وللكهنة المصريين.

وفي وقت لاحق، ستنبري طائفة من المؤلفين الأفلاطونيين المحدثين، أمثال فرفوريوس (Porphyre) (نحو 234-5/301)، ويامبليخوس(Jambilique) (نحو 250-330)، لتصنيف كتاب عن (**سيرة فيثاغورس**) (*Vie de Pythagore*) يستند إلى مأثورات سابقة، جاعلين منه نموذجاً لكل «رجل إلهي» (**ثيوس أنير** *theios anēr*). أما مبحث الثيورجيا، كما يمثله كتاب (**النبوءات الكلدانية**) (*Oracles chaldéens*)، الذي ألفه في القرن الثاني يوليانوس الكلداني (Julien le Chaldéen) وابنه يوليانوس الثيورجي (Julien le Théurge)، وأشاد به

205- في التراجم العربية القديمة: «بليناس» أو «بلنياس». (م)

الأفلاطونيون المحدثون من فرفوريوس (Porphyre) إلى ميخائيل بسيلوس (Michel Psellus) (القرن الحادي عشر)، فإنه يعلم كيف يستدعى الآلهة وبأي الطرق تحصل الاستفادة من التعامل معهم. وقبل أن يعتنق الديانة المسيحية ويصبح أسقفاً، ألف الأفلاطوني المحدث سينسيوس القيرواني (Synésius de Cyrène) (نحو 370-414) كتابه (**في الأحلام**) (*Sur les rêves*) يبين فيه أن الحلم هو السبيل الأمثل لملاقاة الآلهة. وحتى في فلسفة أفلوطين (205-270)، مؤسس الأفلاطونية المحدثة، نجد أن الغاية القصوى للوجود [الإنساني] هي الاتحاد الانجذابي بالعقل الكلي؛ وسينتهي الأمر بتلامذة أفلوطين إلى الإكثار من الكائنات الوسيطة ومن الاتصالات بالألوهي[206].

5.1.29- وتعد **الخيمياء** بدورها مبحثاً هلنستياً بلغ الذروة خلال القرنين الثالث والرابع ح.ع مع مؤلفات زوسيموس(Zosime) وشراحه. وتندرج السيناريوهات أو العمليات الخيميائية كلية في السياق الديني الهلنستي الذي يشدد على المُسارَّة وعلى التغيير الذي يعقبها، وهو «التحول» الكيفي للفرد.

6.1.29- وتعد **الهرمسية** أحد منتوجات الحضارة الهلنستية؛ فقد سلف أن ظهرت خلال القرن الثالث (ق.ح.ع) طائفة من المؤلفات التنجيمية المنسوبة إلى حكمة الإله المصري هرمس-تحوت (Hermès-Thot) العريقة في القدم؛ لكن ما

206- في الأصل: (numineux)، وهي لا شك ترجمة فرنسية للمفهوم الذي نحته عالم اللاهوت والفيلسوف الألماني رودلف أوتو (Rudolf Otto) من الكلمة اللاتينية (numen)، وذلك في كتابه الصادر في طبعته الألمانية الأولى عام 1917 تحت عنوان (Das Heilige: Über das Irrationale in der Idee des Göttlichen und sein Verhältnis zum Rationalen)؛ وقد اخترنا لها المقابل العربي «ألوهي» على غرار ما فعل صاحب الترجمة العربية لكتاب أوتو؛ انظر: أوتو، رودلف، فكرة القدسي: التقصي عن العامل غير العقلاني في فكرة الإلهي وعن علاقته بالعامل العقلاني، دار المعارف الحكمية، بيروت-لبنان، ط1، 2010، ص 29. (م)

نسميه (المتن الهرمسي) (*Corpus hermeticum*) هو عبارة عن مجموعة من النصوص من مختلف الأنواع تم تأليفها بين عامي (100 و300 ح.ع)، وخضعت -لا شك- لألوان من التعديل والتنقيح على يد الجماعات الغنوصية. وفي الواقع، الهرمسية عبارة عن خانة أدرجت فيها معارف تنجيمية وسحرية وخيميائية مستمدة من البيئة الثقافية التي كانت سائدة في ذلك العصر. وتنفرد النشكونية التي ينطوي عليها نص (بويماندريس)(*Poimandres*) بطابع الأصالة. ووجود جماعة هرمسية خلال القرون الأولى ح.ع أمر مريب يتعذر البت فيه، لكن دعوى وجودها خلال العصر الوسيط هو من المؤكد من بنات الخيال السقيم.

2.29- بيبليوغرافيا:

- Eliade, H 2, 209-11; I. P. Couliano, *Astrology*, in ER 1, 472-5.

وللمؤلف نفسه أيضاً [يعني كوليانو] كتاب: *Expériences de l'exstase*, Paris, 1984.

وهو يشتمل على العديد من الإحالات المرجعية. كما يمكن الاطلاع في هذا المعجم على الفصول التي أفردناها للأديان الثنوية (↔ 12)، ولديانات الأسرار (↔ 2). وفيما يتعلق بالسحر الهلنستي، انظر:

- Hans-Dieter Betz (ed.), *The Greek Magical Papyri*, Chicago, 1985.

30
الهندوسية

1.30- شهد **وادي السند**، الذي يشتمل على بلاد باكستان وشمال غربي الهند الحالية[207]، ازدهار ثقافة عظيمة عاصرت تقريباً ثقافة «الهلال الخصيب»، وتمثل مركزاها في مدينتي موهينجو- دارو (Mohenjo-Daro) وهارابا (Harappa) . وقد أفلت هذه الثقافة منذ (1600) ق.ح.ع؛ أي **قبل** وقوع الغزو الآري. ولأنها كانت تفتقد المعابد، من المحتمل أن تكون أماكن العبادة فيها هي أحواض الاغتسال؛ فالمدن كانت تتوافر على نظام مدهش لاستغلال المياه الجارية وتصريفها بوساطة القنوات. ويبدو أن بعض التماثيل الصغيرة التي تمثل إلهة أنثى قد هيمنت على العبادة الخصوصية، بينما يحتمل أن تكون العبادة العمومية قد أفردت لآلهة حيوانية ذكرية. وهناك إله منعظ[208] تحيط به الحيوانات عُدّ [من قبل الدارسين] تجسيداً أولياً قديماً لشيفا باشوباتي (Śiva Paśupati)، الإله الهندوسي الذي من المحتمل أن يكون ذا أصل قبل-آري.

ونحو (1500) ق.ح.ع، فرض الآريون (Aryens) -شعب المحاربين الرحل

207- في الأصل: (le territoire du Pakistan du nord-ouest de l'Inde d'aujourd'hui)، حيث سقط (سهواً على الأرجح) رابط الوصل (et) الذي يقابله في العربية واو العطف. (م)

208- في الأصل: (ityphallique)؛ أي «ذو القضيب المتصبب» أو «المنعظ». (م)

الهند-أوربيين- إيديولوجيتهم بوصفهم غزاة على إيديولوجيا المزارعين الحضر المستقرين في وادي السند. وتخلو صورة الأهالي في أدبيات الآريين من ألوان الاستحسان: فهم تارة شياطين ذوو بشرة سوداء، وتارة **داساس** (*dāsas*)، عباد قضيب (phallus) بدائيون. والآريون قوم لاحمون [آكلو لحوم]، ويقدمون الأضاحي الحيوانية. وسيتبنى الكهنة الفيديون [نسبة إلى الفيدية védisme]، في وقت لاحق، نظاماً غذائياً نباتياً.

2.30- يشتمل **التقليد الفيدي** -الشفهي [المسموع] (śruti) في الأصل- على أصناف شتى من النصوص التي يتراوح تاريخ تأليفها بين (1400 و400 ق.ح.ع).

وتشتمل مجموعات الفيدا (Védas) الأربع (*saṃhitās*) [سمهيتات]، التي يرجع تاريخها إلى نحو (1000) ق.ح.ع، على **الرغفيدا** (*Ṛgveda*) **والسامفيدا** (*Sāmaveda*) **واليجورفيدا** (*Yajuveda*)، ثم **الأثرففيدا** (*Atharvaveda*). وتحتوي الرغفيدا على الأناشيد التي يستخدمها الكاهن **هوتر** (*Hotṛ*) القيم على تقديم الهدايا ودعوة الآلهة. أما المجموعات الباقية، فهي في الأصل دلائل العبادة الخاصة بالأعوان المساعدين: **الأودغاتر** (*udgātṛ*) المتخصص في الأناشيد التي تم تدوينها في **السامفيدا**؛ و**الأدهفاريو** (adhvaryu) مدير الاحتفالات المتخصص في معرفة قواعد الطقوس القربانية التي تم جمعها وتدوينها في **اليجورفيدا**؛ ثم البرهمن الذي يراقب أنشطة الفئات الثلاث المذكورة من الكهنة، وهو يتلو في صمت أبيات **الأثرففيدا**. ويضطلع الكهنة الفيديون الأربعة (ومعهم أعوان) بوظيفة التنفيذ الدقيق من غير أخطاء للطقس الذي يستهل بالإشعال الاحتفالي للنيران الثلاثة على المذبح الذي يرمز إلى الكوسموس [العالم]، ويختتم بالقربان (**ياجنا** *Yajña*). وفي [طقس] **الأغنيهوترا** (*agnihotra*) أو هدية النار، يقتصر **الأدهفاريو** ومعه الشخص المستفيد على إهداء الحليب إلى آغني(Agni) (النار). وهو أبسط قربان يقدم ضمن سلسلة كاملة من الهدايا النباتية والحيوانية، التي منها قربان الشراب المسكر المستخلص من النبات

المسمى **سوما** (*soma*)، وهو أحد الطقوس الأكثر أهمية. وإلى جانب الطقوس التي تتطلب حضور الكهنة المتخصصين، يلجأ رب العائلة إلى المذبح المنزلي لتقديم هدايا أخرى موسمية، شهرية، نذرية، تكفيرية أو استرضائية.

وهناك فئة خاصة من الطقوس تمثلها **السمسكارات** (*saṃskāras*)، ويتعلق الأمر بضروب «التكريس» ذات الصلة بالميلاد وبمساراة الجدد (**أوبنيانا** *upanayana*، أو تقديم الصبي إلى معلمه البرهمن)، علاوة على الزواج والموت.

وتكتسي الميثولوجيا الفيدية طابعاً ممعناً في التعقيد، ومن ثَمَّ يتعذر علينا عرضها بالتفصيل في هذا الموضع. وحيث إن أناشيد الرغفيدا تنسب الصفات نفسها إلى آلهة متعددة الوظائف والأدوار، فإنه يعسر علينا أحياناً أن نتبين السمات الأساسية التي تميز بعضها عن بعض. فسوريا (Sūrya) وسفيتار (Savitar) وفيشنو (Viṣṇu) كلها آلهة شمسية، في حين يقترن فايو (Vāyu) بالريح، وأوشاس (Uṣas) بالفجر، وآغني (Agni) بالنار، وسوما (Soma) بالشراب الذي يحمل الاسم نفسه. ويعد فارونا (Varuṇa) وميترا (Mitra) ضامنين لنظام الكون الذي يشكل النظام الاجتماعي والأخلاقي جزءاً منه. أما رودرا-شيفا (Rudra-Śiva)، فهو إله لا يبعث على الاطمئنان؛ إذ يثير الفزع حتى عندما يشفي من الأمراض. وهناك أخيراً، إندرا (Indra) الإله المحارب الذي تُنسب إليه صفات عديدة مماثلة لتلك التي تنسبها أديان أخرى إلى المكار (Trickster) (↔ 12)، فهو شخص خارق للطبيعة موسوم بالدهاء، نهم، شبق، ولعوب على نحو مأساوي أحياناً.

وقد تطورت الأسورات (asuras) والديفات (devas) في الهند بصورة موازية لتطور الأهورات (ahuras) والدايفات (daivas) في إيران (↔ 18)، لكن مع تضاد في الاتجاه: فالديفات كائنات موسومة بطابع الخير (مثل الأهورات الإيرانية)، بينما الأسورات هي عبارة عن شياطين (مثل الدايفات الإيرانية).

وإذا كانت الميثولوجيا الفيدية تكتسي طابعاً معقداً، فإنّ النشكونيات التي تنطوي

عليها الرغفيدا ليست أقل تعقيداً منها، وذلك راجع على الخصوص إلى طابعها المتناقض الناشئ عن تعدد واختلاف التصورات التي بلورها مؤلفو الأناشيد على مدى قرون عديدة. فإلى جانب عملية الخلق الناتجة عن التضحية بالكائن **الأنثربوس** (*anthropos*) (**بوروشا** *Puruṣa*) البدئي (**بوروشاسوكتا** *Puruṣasūkta* X 90)[209]، هناك [نشكونيات] أكثر إمعاناً في التجريد، وتنطوي على ما يشبه فكرة **الانفجار العظيم** (*big bang*) الأصلي الذي أسفر عن نشأة الكون (X 129)[210].

3.30- وتعبر **البرهمنات** [برهمنا] (*Brāhmaṇas*) -وهي متون شارحة للطقوس التي ألفها الكهنة الفيديون خلال الفترة الفاصلة بين (1000) و(800) ق.ح.ع- تعبر عن نشكونية **البوروساشوكتا** بألفاظ بيولوجية. فبرجابتي (Prajāpati)، الذي هو بمنزلة المعادل البرهمي للكائن **الأنثربوس** البدئي **بوروشا** (**شتاباثا برهمنا** *Śatapatha brāhmaṇa* VI, 1, 1, 5)، يخلق العالم عن طريق الاحترار النسكي [الروحي] (**تاباس** *tapas*) والفيض (**فسرج** *visṛj*). وكل تضحية فردية إنما تحيل إلى عملية الخلق البدئية، وتؤمن استمرار العالم وبقاءه عن طريق تكرار الفعل التأسيسي. وتتعدد قيم القربان البرهمي: فهو ينطوي على دلالة نشكونية، ويضطلع بوظيفة إسخاتولوجية [أخروية]، كما أنه يسمح بعملية استدماج ثانٍ (**سمدها** *samdha*، **سمسكري** *saṃskri*) لبرجابتي (Prajāpati) الذي يستبطنه المقرب [من القربان] وينفذه في شخصه، فيحوز بذلك ذاتا (**آتمان** *ātman*) موحدة.

وما إن تنطلق عملية الاستبطان هاته حتى تستأنفها النصوص المسماة **آرانياكا** (*Āraṇyaka*) (أسفار الغابة)، ولا سيما نصوص الأوبانيشاد (*Upaniṣads*) أو التعاليم الروحية المأثورة عن المعلمين. وهناك ثلاثة عشر أوبانيشادا معدوداً في جملة **الشروتيات** (*śrutis*) (النصوص الموحى بها)، وأقدمها من الناحية الزمنية –

209- بوروشاسوكتا، ماندالا 10، نشيد 90. (م)

210- نفسه، ماندالا 10، نشيد 129. (م)

برهدارنياكا (*Bṛhadāraṇyaka*) (أوبانيشاد الغابة السوداء[211]) **وشاندوغيا** (*Chāndogya*) – ألف بين (700) إلى (500) ق.ح.ع. وتقلل نصوص الأوبانشاد من شأن القربان الفيدي «الخارجي»، وتحط من قيمته تماماً: فهذا القربان هو عبارة عن «فعل» (**كارمان** *karman*)، وكل فعل، ولو كان طقسياً، يؤتي «ثماره» السلبية، وذلك لأن هذه الثمار تساهم في الزج بالإنسان في دورات تناسخ الأجساد (**سمسارا** *saṃsāra*). وكما هو الشأن في الأفلاطونية، ينظر هنا إلى تناسخ الأجساد[212] بوصفه سيرورة أو عملية في غاية الشناعة. فهو ثمرة الجهل (**أفيديا** *avidyā*) الذي يخلق بنيات الكوسموس ودينامية الوجود. وهذا الجهل هو ضد الغنوص أو العرفان (**جنانا** *jñāna*) الذي يعتق ويحرر عندما يفك خيوط حيواتنا المتشابكة. فنحن إزاء وضعية يكون فيها الحرمان [العدم] الأنطولوجي هو المسؤول عن عملية الخلق الخداعة، وتكون فيها الوفرة أو الغزارة الأنطولوجية (العرفان) هي التي تعتق وتحرر من الخداع عن طريق تدمير الخليقة. ويبدو أن تصور العالم الذي تنطوي عليه نصوص الأوبانيشاد قد عاود الظهور في النصوص الغنوصية التي ألفت خلال القرون الأولى ح.ع (↔ 3.12). ويتعلق الأمر في كلتا الحالتين بوثيقتين أكوسميتين[213] [لا-كونيتين] ترومان العثور على الهوية الإنسانية في غيابات الأعماق السحيقة بعيداً عن مجال الطبيعة الموبوء، ما يعني أن الفاعلية النفسية-الذهنية، كما الفاعلية الخارجية، قد فقدت اعتبارها الإلهي تماماً.

211- وفي معظم المراجع: «أوبانيشاد الغابة العظمى». (م)

212- لا يميز المؤلف بوضوح بين «تناسخ الأرواح» و«تناسخ الأجساد»؛ وقد أشرنا إلى هذا في تعاليق أخرى. (م)

213- في الأصل: (acosmiques)، جمع (acosmique)، وهو لفظ مركب من البادئة (a) الدالة على النفي، ومن الصفة (cosmique) التي تعني «كوني (ة)»؛ ومن ثمَّ، المعنى الحرفي هو: «لا-كوني (ة)». أما المعنى المراد، فهو الذي يشرحه المؤلف في الموضع نفسه. (م)

4.30- تبلور **المذهب الهندوسي**، بتصوراته الأساسية التي ما زالت متداولة إلى غاية يومنا هذا، بعد انقضاء عهد الأوبانيشاد، من (500) ق.ح.ع حتى القرن الخامس ح.ع. وفي هذا العصر، تحددت معالم **الدرشنات** (*darśanas*) ("الآراء [المذهبية]") الست أو المدارس الفلسفية التقليدية، كما توضحت فكرة الطبقات (**فرنات** *varṇas*)، ومراحل الحياة الست (**أشرمات** [أشرما] *āśramas*)، والقانون (**دارما** *dharma*) التقليدي، والفرق بين الوحي (**شروتي** *śruti*) وبين التقليد (**سمرتي** *smṛti*)...

1.4.30- قبل أن يتم تأليف **قوانين مانو** (**مانفدهرمشاسترا** *Mānavadharmaśāstra*، القرن الثاني ق.ح.ع-القرن الأول ح.ع)، كان متن **شروتي** (*śruti*) قد أغلق وختم (**وشروتي** كلمة تعني حرفياً «المسموع»، ومن ثمَّ «الشفهي»، لكن دلالتها الفنية هي المتن المقدس أو «الموحى به» إلى الحكماء والقديسين –**رشيس***ṛṣis* – في الزمن الماضي). وإذا كان **شروتي** (*śruti*) يحتوي على جميع النصوص الهندوسية القديمة، من **الفيداسمهيتات** (*Vedasaṃhitās*) إلى **الأوبانيشادات الثلاث عشرة المعترف بها بوصفها نصوص وحي، فإن كل ما يأتي بعد ذلك يعد بمقام سمرتي** (*smṛti*)؛ أي «تقليد». ومنه «أطراف الفيدا الستة» (**فيدانغات** *Vedāṅgas*) (الصواتة، النحو، العروض، الاشتقاق، الفلك ثم الطقوس)، والنصوص التشريعية مثل **المانفدهرمشاسترا** (*Mānavadharmaśāstra*) ...

2.4.30- تتشكل **الدرشنات** (*darśanas*)، في الواقع، من ثلاثة أزواج هي: **ميامسا/ فيدانتا** (*mîmāmsâ/ vedānta*)، **نيايا/ فايشيشيكا** (*nyāya/ vaiśeṣika*)، **سمكهيا/ يوغا** (*sāṃkhya/ yoga*). وتهتم النيايا بالمنطق، بينما تقترح الفايشيشيكا كوسمولوجيا ذرانية [نسبة إلى الذرة بفتح الدال المعجمة]؛ وهاتان المدرستان تظلان خارج متن التقليد الفيدي (**سمارتا** *smārta*). أمّا السمكهيا واليوغا، فهما أقرب إلى السمارتا. والأولى؛ أي السمكهيا، التي يتعذر تحديد تاريخ ظهورها، هي عبارة عن

مدرسة «فيضية»[214] تشكل مبادئها الأربعة والعشرون (**تاتفات** *tattvas*) تراتبية عمودية بدءاً من الزوج البدئي **بوروشا/براكرتي** (*Puruṣa/Prakṛti*) وصولاً إلى الكيفيات المادية (**تنماترات** *tanmātras*) والعناصر (**بهوتات** *Bhūtas*). ويعد نسق السمكيا بمقام البديلة[215] الهندوسية لما أطلق عليه العلماء اسم «الترسيمة الإسكندرانية» (schéma alexandrin) التي وجدت تعبيرها الأسمى عند الفلاسفة الغنوصيين وفلاسفة الأفلاطونية المحدثة: فالعالم المرئي، الذي هو من بعض نواحيه عالم وهمي، ينتج عن هبوط أو انحطاط المبادئ (principes) التي تنأى بالتدريج عن الماهيات القائمة في الأعلى. وتقترن آلات الحس الخمس (**جناندريات** *jñānendrîyas*) بآلات الفعل الخمس (**كارمندريات** *karmendrîyas*) وبالإسقاطات المادية (**تنماترات** *tanmātras*) التي تشكل العالم. فعالمنا الباطني صنع قبل عالمنا الخارجي الذي يتبع له. وعبر المبادئ المذكورة تسري ثلاثة «أحوال» ("غونات" *guṇas*) تكتنف جميع الأشياء هي: **الساتفا** (*sattva*) (الجلاء، الرقة)، **والراجا** (*rajas*) (الانفعال أو الهوى، الفعل)، ثم **التاما** (*tamas*) (الظلام، العطالة).

أما اليوغا (Yoga)، فهي مجموعة من التقنيات التي خضعت للتقعيد أول مرة على يد باتانجالي (Patañjali) في زمن غير معروف (**يوغاسوترا** *Yogasūtra*، من القرن الثاني ق.ح.ع إلى القرن الخامس ح.ع)، والتي تمكن ممارسها من أن يرتقي مجدداً درجات السلم الذي هبطت عليه المبادئ وانحطت عن مقامها العلوي. ولليوغا ثمانية «أطراف» (**أستنغا** *aṣṭaṅga*) أو [ثماني] «مراحل»: الإمساك (**ياما** *yāma*)، الانضباط (**نياما** *niyāma*)، أوضاع الجسد (**آسانات** [آسانا] *āsanas*)، تقنيات التنفس (**برانايامات** *prāṇayāmas*)، الاستبطان (**براتياهارا** *pratyāhāra*)، التركيز (**دهارنا**

214- ترجمة: (émanationniste)، من (émanation) التي تعني «فيض»، «انبثاق»، «صدور»... (م)

215- ترجمة: (variante). (م)

(*dhāraṇā*)، التفكر (**دهيانا** *dhyāna*)، ثم التأمل الموحد [الجامع] (**سمادهي** *samādhi*). وتهدف تقنيات اليوغا الجسدية إلى التصريف الصحيح للطاقات (**برانات** *prānas*) حتى تتمكن من السريان، وفقاً لإيقاع معين، في القنوات الرئيسة (**ناديات** *nāḍīs*) للجسد اللطيف [غير المرئي]، وذلك من أجل إيقاظ الطاقة الأفعوانية الهائلة الملتفة حول نفسها في مركز (**شاكرا** *cakra*، "عجلة") الجذر (**مولادهرا** *mūlādhāra*) وحثها على الصعود عبر **الشاكرات** (*cakras*) الأخرى لتصل إلى «اللوتس(Lotus) ذات البتائل الثلاث» (**ساهسرارا** *sahasrāra*) في قنة الرأس.

ومن جملة **الدرشنات** (*darśanas*) الست، تتمتع الميمامسا (mîmāmsâ) والفيدانتا (vedānta) (خاتمة الفيدا) وحدهما بصفة **سمارتات** (*smārtas*)، وذلك لأنهما يتمحوران حول الفيدا. وتنضم الفيدانتا على الخصوص إلى الحكمة الأوبانيشادية. ومؤسسها هو بادريانا (Bādarayaṇa) (نحو 300-100 ق.ح.ع) مؤلف **براهما** (*Brahma*) أو **فيدانتا-سوترا** (*Vedānta-sūtra*).

3.4.30- تمت صياغة **نظرية الطبقات**[216] (**فرنات** *varṇas*) في المتن الشرعي أو القانوني للسمارتا. فالمجتمع الهندوسي يتوزع على أربعة مستويات منفصلة بعضها عن بعض: البراهمة، المحاربون (**كشاتريات** *kṣatriyas*)، التجار-الصيارفة (**الفايشيات** *vaiśyas*)، ثم الأقنان (*śūdras*) [**شودرات**]. ويوصف المنتسبون إلى الطبقات الثلاث الأولى بأنهم **دجيفات** (*djivas*)؛ أي «مولودون مرتين»؛ لأنهم تلقوا **الأوبنيانا** (*upanayana*) (المُسارَّة). ففي مستطاعهم اجتياز المراحل الأربع التي يمر منها الإنسان الهندوسي، مع أنهم يتوقفون عادة في الثانية: **برهمشاريا** (*brahmacāryā*) (طلب العلم)، **غرهستها** (*gṛhastha*) (رب عائلة)، **فانبرستها** (*vānaprastha*)

216- في الأصل: (castes) جمع(caste)؛ عن الأصل البرتغالي (casta) التي تعني: «الخالص» أو «القح»؛ وتترجم أحياناً بلفظ «طوائف». (م)

(الخلوة في الغابة)، **سنياسا** (*sanyāsa*) (الزهد في العالم). وهناك سلسلة رباعية أخرى تشرح الأهداف (**أرتهاسات** *arthas*) الجديرة بأن يسعى المرء إلى تحقيقها في الحياة. والأهداف الثلاثة الأولى منها (**تريفارغا** *trivarga*) هي أهداف بشرية (**أرتهاس** أو الخيرات المادية، **كاما** *kāma* أو الإيروس [الشهوة الجنسية]، ثم **الدارما** *dharma* أو القانون)، في حين يتمثل الهدف الرابع في الانعتاق أو التحرر (**موكشا** *mokṣa*). وتتعارض التريفارغا مع الموكشا مثلما تتعارض الأشرمات الثلاث الأولى مع السنياسا، وكما تتعارض الطبقات الثلاث «المولودة مرتين» مع طبقة **الشودرات** (*śūdras*) [الأقنان].

5.30- ظهـر **الأدب الملحمي** في فترة بدأت فيها معالم المذاهب الهندوسـية - الفيشناوية (Vaiṣṇavisme)، الشيفاوية (Saivisme) وعبادة الإلهة- تتوضح وتتميز. وقد تزامن تشكل ملحمتي **مهابهارتا** (*Mahābhārata*) (القرن الخامس ق.ح.ع-القرن الرابع ح.ع) و**رامايانا** (*Rāmāyaṇa*) (القرن الرابع-الثالث ق.ح.ع) جزئياً مع تأليف نصوص أخرى مثل **هريفامشا** (*Harivaṃśa*) (نسب **كريشنا** *Kṛṣṇa*، القرن الرابع ح.ع)، و**البورانات** [بورانا] (*Purāṇas*) (300- 1200 ح.ع).

وقد تشكلت ملحمة **الرامايانا** (مآثر أو بطولات راما Rama) لفالميكي (Vālmîki)، على الأرجح، في فترة تاريخية لم تكن صورة راما كتجسد أو **أفتارا** (*avatāra*) لفيشنو قد تبلورت بعد. إلا أنه يتعذر علينا تحديد الطبقات المتتالية التي يلتئم منها النص الواصل إلينا. إن أقدم مخطوط لا يتعدى تاريخه (1200) ح.ع. وتحكي القصة ما صادفه راما من الأهوال، وكيف أنه تمكن بمساعدة الإله-القرد هانومان (Hanuman) من تخليص زوجته سيتا (Sîtā) من قبضة خاطفها الشيطان رافانا (Rāvaṇa) ملك مملكة لانكا (Laṇkā).

أما **المهابهارتا** (**يودها** *yuddha*) أو «(معركة) البهارتات (Bhāratas) الكبرى»

(سلالة بهارتا Bhārata جد أمراء شمال الهند)، فهي عبارة عن قصيدة ملحمية تتألف من مئة ألف **شلوكا** (*ślokas*) (مقطع شعري من بيتين أو أربعة)، وهي أطول من **الإلياذة** و**الأوديسة** مجتمعتين بثماني مرات. ويحكي النص عن المعركة الرهيبة التي اندلعت بين الأشقاء الخمسة **الباندافيين** (Pāṇḍavas) وبني عمومتهم الكورافيين (Kauravas) المئة من أجل مملكة بهارتا. وقد آثر كريشنا، [الأفتارا] الذي يتجسد فيه الإله فيشنو، الانحياز إلى صف البانادافيين، فلقن أحدهم درساً فلسفياً تمخض عن واحد من أهم النصوص الدينية في تاريخ البشرية: «أنشودة المولى»[217]، أو **بهاغافادغيتا** (*Bhagavadgîtā*)؛ وهي قصيدة من القرن الثاني ح.ع أدمجت في بنيان المهابهارتا (الكتاب السادس، 25-42). ولم يكن هذا الهاملت (Hamlet) الهندي، [يعني] أرجونا (Arjuna)، راغباً في محاربة أناس من أقربائه. وللقضاء على المقاومة التي أبداها أرجونا، عرض عليه كريشنا علوم اليوغا الثلاثة: يوغا الفعل (**كارمايوغا** *karmayoga*)، ويوغا العرفان (**جنانايوغا** *Jñānayoga*)، ثم يوغا الحب الإلهي (**بهاكتيوغا** *bhaktiyoga*). أما طريق الكارمايوغا؛ أي طريق الفعل المتجرد [غير المبالي بالحوافز وبالنتائج]، الذي لا يفترض الاعتزال والتنسك (سنياسا)، فقد خلف انطباعاً قوياً لدى الغرب المعتاد على الزهد الدنيوي[218] البروتستانتي، ولاسيما الكالفيني.

ونلفي عرضاً لنظرية أفتارات [تجسدات] (avatars) فيشنو في الملاحم، وفي البورانات (Purāṇas) الثماني عشرة الكبرى ونظائرها الثماني عشرة الصغرى -وهي

217- في الأصل: (chant du bienheureux)؛ أي «أنشودة المبارك»؛ وقيل: «أنشودة الرب»، أو «أنشودة المولى». (م)

218- ترجمة: (ascétisme intramondain)؛ وهو مفهوم طوره عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (M. Weber) في كتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية (1904-1905). (م)

مصنفات موسوعية يتراوح تاريخ تصنيفها بين 300 و1200 ح.ع- كما نلفيه في **الهريفامشا** (*Harivaṃśa*) أو «نسب **فيشنو** (Viṣṇu)» (القرن الرابع ح.ع). والأفتارات العشرة المعترف بها عموماً هي: ماتسيا (Matsya) (السمكة)، كورما (Kūrma) (السلحفاة)، فارها (Vāraha) (الخنزير البري)، نارسيمها (Nārasiṃha) (الرجل-الأسد)، فامنا (Vāmana) (القزم)، براشوراما (Paraṣurāma) (راما صاحب الفأس)، راما (Rāma)، كريشنا (Kṛṣṇa)، البوذا (Bouddha)، ثم الأفتارا كالكي (Kalki) الذي سيظهر في آخر الزمان. وقد تبلورت في البورانات، وفي غيرها من المجاميع الفلسفية مثل **اليوغافاسيشتها** (Yogavasiṣṭha) (القرنان العاشر-الثاني عشر ح.ع)، نظريات عن الدورات الكوسمية [الكونية] تتسم بالتعقيد. وقد حللت ويندي دونيغر (Wendy Doniger) استباعاتها المدهشة في كتابيها (**الأحلام والوهم وغيرها من الحقائق**)[219] (*Dreams, Illusion, and Other Realities*) (1985) و(**أساطير الشعوب الأخرى**) (*Other Peoples' Myths*) (1988). ويتألف الدور الكوني (**ماهايوغا** *māhayuga*)، بحسب التقليد، من أربعة أطوار أو عصور (**كاتريوغات** *caturyugas*) هي كالآتي: **كريتايوغا** (*kṛtatyuga*)، **وتريتايوغا** (*tretāyuga*)، **ودفابارايوغا** (*dvāparayuga*)، ثم **كاليوغا** (*kaliyuga*)، وهي توافق بهذا القدر أو ذاك «العصر الذهبي» والعصور التي تتبعه إلى غاية «العصر الحديدي» الذي نعيش فيه اليوم. وتشكل ألف ماهايوغا فترة كونية (**كالبا** *kalpa*) تسمى «يوما» في حياة براهما (Brahmā). وبدوره، يعيش الإله براهما مئة سنة مكونة من ثلاثمئة وستين يوماً وليلة كونية؛ أي ما ينيف على ثلاثة مليارات سنة أرضية (**ماكاكالبا** *makākalpa* [واحدة])، وحياته لا تدوم أكثر من طرفة عين الإله الأسمى فيشنو. وتمثل نهاية حياة براهما (**مهابرالايا** *mahāpralaya*) فناء للكون.

219- أورد كلمة (illusion) بالجمع: (illusions)، في حين وردت في عنوان الكتاب الإنجليزي مفردة؛ ويتكرر هذا الأمر في ثبت المراجع. (م)

6.30- بفضل عبقرية [آدي] شنكارا (Śaṅkara) (القرن الثامن ح.ع)، شارح **البراهماسوترا** (*Brahmasūtra*) المنسوب إلى بادرايانا (Bādarāyaṇa)، ولتسع أوبانياشادات علاوة على شرحه **البهاغافادغيتا** (*Bhagavadgîtā*)، تجددت الفيدانتا واكتسبت حياة أخرى عند احتكاكها بنسق **السمكهيا**. وتوصف فلسفة شنكرا بأنها «لا-ثنوية non-dualisme» (**أدفايتافادا** *advaitavāda*)، وذلك لأنها تتضمن القول بالواحدية[220] المطلقة لمبدأ برهمن (brahman) اللا-شخصي، وبالطابع الوهمي (**مايا** *māyā*) للعالم الذي يخلقه الجهل (**أفيديا** *avidyā*) المتعالي.

وهناك ممثل آخر للا-ثنوية هو رامانوجا (Rāmānuja) (توفي 1137) الذي ينتمي إلى تيار الحب الإلهي (بهاكتي) الفيشناوي. وبخلاف شنكارا الذي يقول بالبساطة الجوهرية للبرهمن، يؤمن رامانوجا بالتنوع والتعدد (**فشيشتا** *viśiṣta*) الباطني لهذا المبدأ. وقد نجح [رامانوجا] في إدماج السمكهيا في الفيدانتا إدماجاً تاماً.

وتلقى مدهفا (Madhva) (1199-1278) تكوينه في مدرسة رامانوجا التي سينقلب، في فترة مبكرة، على تعاليمها برؤيته الثنوية (**دفايتا** *dvaita*) للعالم. وقد استأنف عملية الخروج عن الواحدية التي دشنها رامانوجا (الذي لم يكن مدهفا مطلعاً على أعماله على ما يبدو)، فتأداه ذلك إلى نفي وحدة الإنسان والكون والألوهية.

7.30- أما **هندوسية الحب الإلهي** (**بهاكتي** *bhakti*) [أو **الهندوسية البهاكتية**]، فهي ذات جذور ضاربة في القدم. وسواء أتعلق الأمر بحب فيشنو أم بحب شيفا أم بحب الإلهة، اصطنعت الهندوسية البهاكتية لنفسها طقوس **البوجا** (*pūja*)الخاصة بها، والتي حلت محل القرابين الفيدية (**ياجنا** *yajnā*)، كما وضعت لنفسها نصوصها الخاصة من قبيل **الآغامات** (*āgamas*) و**التنترات** (*tantras*).

1.7.30- تحضر **البهاكتيوغا** (*bhakti yoga*) سلفاً في **البهاغافادغيتا**

220- ترجمة: (monisme). (م)

(*Bhagavadgîtā*) بوصفها إحدى سبل الانعتاق الثلاث، وتحتل مكانة مركزية في متن **بهاغافاتا بورانا** (*Bhāgavata purāṇa*) الفيشناوي الضخم الذي يلتئم من (18000) **شلوكا** (*ślokas*)، والذي جاء فيه أن فيشنو-كريشنا «لا يحب إلا البهاكتي الخالصة، وأن كل ما عداها نافل لا طائل تحته (*anyad vidambanam*)» (VII7, 52). وتتعلق إحدى الحكايات الأساسية التي تتحدث عن الحب الإلهي الفيشناوي بحب كريشنا الذي ألهب أفئدة **الغوبيات** (*gopis*) (راعيات البقر cow-girls، اللائي يعنين بالقطعان)، وبرقصة **راسا-ليلا** (*rāsa-līla*)، أو رقصة الحب التي يؤديها كريشنا معهن مضاعفاً [معدداً] من صورته حتى تتمكن كل غوبية (gopi) من الرقص مع كريشناها الخاص وملاطفته. وقد أسفر هذا المشهد الرمزي الذي يتضمنه **البهاغافاتا بورانا** عن نشأة أعظم الأعياد الفيشناوية.

إن لحب فيشنو [الإلهي] أبطاله وقديسيه. ويحظى الشاعر كابير [كبير] (Kabîr)، الذي ولد بحسب المأثور في القرن الخامس عشر في فاناراسي (Banaras)، ونشأ في كنف عائلة مسلمة فقيرة، بالتعظيم والإجلال من قبل الهندوس والمسلمين معاً. وفي الواقع، إذا كان كابير يتطلع إلى وحدة الدين، فإنه يتوسل إلى ذلك بهجران الهندوسية والإسلام معاً، والإعراض عن تعاليم الباندیت (Paṇḍits) [العلماء الهندوس] والملالي (Mollahs) [العلماء المسلمين] معاً. فلا هو فقير [ناسك][221]، ولا هو صاحب يوغا، وإنما نلفيه يعرب عن مراده، على شاكلة أكابر المتصوفة، بلغة هي في الوقت نفسه شخصية ولا-زمنية.

أما كايطانيا (Caitanya)، المولود باسم فيشفامبهارا ميشرا (Viśvambhara

221- في الأصل: (soufi) التي ترجمناها هنا بلفظ «فقير» (معادل «درويش») ثم أضفنا إليها الصفة «ناسك» من أجل التوضيح. ونعتقد أن هذا هو المعنى المراد في سياق الحديث عن الإسلام «الهندي». أما الصفة (mystiques) التي وردت بعدها، فهي التي ترجمناها بلفظ «متصوفة» بمفهومه الفلسفي الكوني. (م)

Miśra) في البنغال الإسلامية (1486-1533)، فقد تملكته جذوة الحب الإلهي وهو ابن اثنين وعشرين سنة. وقد أخذ كايطانيا عن الحكيم كيشافا بهارتي (Keśava Bhārāti) قبل أن يلقي عصا التسيار في مدينة بوري (Puri) (أوريسا Orissa) حيث كان في أكثر أوقاته غائباً في حال الجذب؛ وهناك كان يعلم مريديه [أصول العبادة] التي أرادها كريشنا لعهد **الكاليوغا**. فما عاد الغنوص أو العرفان ضرورياً للانعتاق من **الأفيديا** (الجهل)، وإنما الحب كافٍ. ويوصي كايطانيا كل واحد بأن يختار له أحد شخوص قصص كريشنا، وأن يخبر في نفسه شكل الحب النوعي الذي يكنه ذلك الشخص لكريشنا. ويشعر كايطانيا نفسه تجاه كريشنا بمشاعر الحب نفسه الذي كانت تكنه له عشيقته رادها (Rādhā). ولذلك، عده تلامذته تجسيداً لزوجين إلهين في الوقت نفسه. ولم يكتب كايطانيا إلا أشياء قليلة جداً، لكنه حث آخرين على الكتابة. وقد كان تأثيره في بلاد البنغال عظيماً. وفي القرن العشرين، خضعت عبادة كريشنا-كايطانا لعملية «إحياء (revival)» تولتها الحركة العالمية المسماة **كريشنا كانشيسنس** [وعي كريشنا] (*Krishna Consciousness*) (1966).

وبوصفه ناسكاً متفانياً في عبادة راما (Rāma)، قام تولسيداس (Tulsîdās) (نحو 1532-1623) بتحويل الرامايانا (Rāmāyāna) إلى قصيدة شعرية اشتهرت على نطاق واسع.

2.7.30- نجد **عبادة شيفا-باشوباتا** (*Śiva-Pāśupati*) مذكورة سلفاً في **مهابهارتا** (*Mahābhārata*). وقد تأسست على يد لاكوليشا (Lakulîśa) (القرن الثاني ح.ع)، وعظم شأنها في جنوب الهند نحو القرن السابع ح.ع. هناك جماعات أو فرق شيفاوية عديدة يعتنق الكثير منها مذاهب ويزاول ممارسات يوغية [نسبة إلى اليوغا] وتنترية. ويتفوق الكالاموكهيون (Kālamukhas) والكاباليكيون (kāpālikas) في النسك الأنتينومي[222]. وابتداء من القرن السابع، نشأت أدبيات

222- تعريب: (antinomistes)، جمع (antinomiste) التي تعني حرفياً: «مناهض للأعراف
=

شيفاوية تعترف بثمانٍ وعشرين آغاما (āgamas) أرثوذكسية ونحو مئتي مصنف ثانوي ملحق بها (أوباغاما upāgamas). وخارج دائرة الشيفاوية المذهبية، توجد شيفاوية تعبدية [تؤم الحب الإلهي] وشعرية تنتسب على الخصوص إلى سلسلة النايناريين (nāyanmārs) الثلاثة والستين، من متصوفة تاميلنادو (Tamilnadu).

3.7.30- أما **ثالث المعبودات** التي انصرفت إليها همم المتعبدين، فيتمثل في الإلهة (**ديفي** *devî*) التي غالباً ما تسمى الإلهة العظمى (**مهاديفي** *mahādevi*)، أو **شاكتي** (Śakti). وللإلهتين دورغا (Durgā) وكالي (Kālî)، المعروفتين منذ القرن السادس ح.ع، مظهر مرعب، وتخصص لهما أحياناً شعائر ذات طابع دموي. وتحتل الشاكتي مكانة مركزية في التنترية.

4.7.30- من المرجح أن **التنترية الهندوسية** سابقة [زمنياً] للتنترية البوذية (↔ 6.6)؛ فقد توطدت بقوة في بلاد الهند في القرن السابع (ح.ع)، وازدهرت خلال الفترة الآتية، من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر. وقد تبنت الهندوسية الشعبية آلهة التنترية واستوعبتها.

ومع أنه توجد تنترية فيشناوية، إلا أن شيفا وقرينته شاكتي (الطاقة الأنثوية)، أو شاكتي فقط [مجردة من أي اقتران]، هما الإلهان الرئيسان في التنترية. وتخلو المذاهب التي تنطوي عليها النصوص التنترية المسماة **آغامات** [جمع آغاما] (*āgamas*)، أو **تنترات** (*tantras*) [جمع تنترا] أو **سمهيتات** (*saṃhitās*) [جمع سمهيتا]، من طابع الأصالة. فهي تستعير العديد من عناصرها من السمكهيا-يوغا. وتكتسي الممارسات التنترية طابعاً متقناً في غاية الإحكام، وتتأسس على فيزيولوجيا[223] دقيقة تشبه إلى حد ما

والقوانين الاجتماعية». وقد اشتهرت الفرقتان بممارسات شاذة أضفيت عليها صبغة «دينية» مثل التهتك الجنسي وإدمان المخدرات، وربما أكل لحم البشر. (م)

223- كذا في الأصل: (physiologie)؛ والظاهر أنه يعني ما يتعلق بالجسد. (م)

نظيرتها اليوغية [نسبة إلى اليوغا]، لكنها تستخدم على الدوام، من أجل التعبير عن معانيها ومقاصدها، «لغة مزدوجة» تنطوي على تلميحات جنسية. وهي تركز على تأمل **المانترات** (mantras) [جمع مانترا] التي يزود بها المريد خلال المُسارَّة (**ديكشا** *dîkṣā*)، وعلى إشارات يدوية (**مودرات** [جمع مودرا] *mudrās*) وصور رمزية (**ماندلات** [جمع ماندالا] *maṇḍalas*؛ ومن أبسط هذه الماندالات وأكثرها شيوعاً: **اليانترا** *yantra*)، وعلى مراسم أو طقوس معقدة (**بوجات** [جمع بوجا] *pūjas*)، وأخيراً على تقنيات جنسية لا تفترض الجماع الطقسي دائماً، ولا هي تفترض إمساك الزرع [المني].

8.30- **السيخ** (*sikhs*) . اشتقت كلمة **سيخ** (*sikh*) من **سيخا** (*sikkha*) في لغة البالي (**شيشيا** *śiṣya* بالسنسكريتية) التي تعني «المريد» [أو التلميذ]. ويمكن أن تعد السيخية (sikhisme) شعبة من شعاب التصوف من النوع **البهاكتي** (*bhakti*).

1.8.30- أظهر بابا نانك (Bābā Nānak) (1469-1538)، مؤسس السيخية، ميله إلى الدين منذ فترة مبكرة من حياته. وهو ينحدر من أسرة كشاترية (kṣatriya) من لاهور (البنجاب، باكستان الحالية). وقد تطلع إلى التوفيق بين الهندوسية والإسلام، فبشر ووعظ عن طريق الغناء، مصحوباً بموسيقي مسلم يعزف على الرباب (rabab) (آلة وترية ذات أصل عربي). وبعد تجربة صوفية عاشها وهو ابن التاسعة والعشرين، أعلن نانك قائلاً: «لا هندوس، ولا مسلمين»[224].

ويمكن النظر إلى مذهبه بوصفه إصلاحاً للهندوسية، ولاسيما ما يتعلق بمسألة تعدد الآلهة [الشرك] والفصل الصارم بين الطبقات [الطوائف] والتنسك كضمانة مؤمنة للحياة الدينية. وكان من مريديه هندوس ومسلمون.

224- وفي المصادر: «لا هندوس، ولا مسلمين، وإنما أنتم مريدون [أو تلامذة]»؛ فالخطاب موجه في الواقع إلى «المريدين» أو «التلامذة». وتجدر الإشارة إلى أن كلمة «سيخ» (sikh) في أصلها السنسكريتي تعني «التلميذ أو المريد». (م)

ويعارض نانك الديانة الهندوسية بالدعوة إلى عقيدة توحيدية لا هوادة فيها؛ وبسائق من هذه العقيدة التي استلهمها من الإسلام يلح على استحالة تجسد الإله. لكن الاتحاد بالإله من طريق الجذب ممكن، وقد ظفر الغوروات (gurus) [جمع غورو guru، وهو المعلم المرشد] السيخ بهذا المبتغى. وقد ورث السيخ عن الهندوسية عقائد **المايا** (*māyā*) (قدرة الوهم المبدعة أو الخالقة) والتناسخ والنرفانا بوصفها انقطاعاً أو نهاية لدورة التناسخ الشاقة. ويعد براهما وفيشنو وشيفا ثالوثاً إلهياً من خلق المايا. ولبلوغ الخلاص لا بد من غورو [معلم مرشد]، ولا بد كذلك من تكرار ذكر الاسم الإلهي في قرارة النفس، وإنشاد الأناشيد، علاوة على ملازمة القديسين. وتستفيد النساء بدورهن من تعاليم الغوروات شأنهن في ذلك شأن الرجال. ومع أن تعدد الزوجات ممارس من قبل بعض الغوروات، إلا أنه ليس هو القاعدة. أما التنسك وضروب الإماتة الجسدية، فهما من الأمور التي تتنافى مع روح العبادة السيخية. والكل سواسية قدام الإله؛ ولا وجوب للطبقات [الطوائف].

2.8.30- **خلفاء الغورو نانك تسعة**، وهم [الغوروات] رؤساء الدين الذين يتقلدون منصباً أصبح يورث ابتداء من الغورو الثاني في السلسلة: أنكد (Angad) (1538-1552)، عمر داس (Amar Dās) (1532-1574)، رام داس (Rām Dās) (1574-1581)، أرجان (Arjan) (1581-1606)، هار غوبند (Har Gobind) (1606-1644)، هار راي (Har Rāi) (1644-1661)، هار كريشان (Har Krishan) (1661-1664)، تيغ بهادور (Teg Bahādur) (1664-1675)، غوبند سنغ (Gobind Singh) (1675-1708). وضع أنكد الأبجدية السيخية المقدسة اعتماداً على الحروف البنجابية. وشرع أرجان في بناء هار مندار (Har Mandar)، المعبد الذهبي، وسط بحيرة أمريستار (Amristar)، ووضع كتاب (**غرانث صاحب** Granth Sāhib)، أو **كتاب (السيخ الكريم)** (المسمى لاحقاً **آدي غرانث** Adî Granth أو **الكتاب الأول**)، وهو كتاب مقدس يشتمل على أناشيد أرجان وعلى **الجابجي** (Japjî) أو الصلاة المقدسة التي ألف نصها بابا نانك، كما

يشتمل على أناشيد أوائل الغوروات وأناشيد المتقدمين الخمسة عشر[225]، وهم متصوفة هندوس أو مسلمون يوجد من بينهم كابير (Kabîr) (1380-1460)، قديس فاناراسي الذي يمكن أن يعد السلف المباشر لنانك. وقد تعرض أرجان للاضطهاد على يد السلاطين المسلمين المغول الذين غزوا بلاد الهند الشمالية (مغول الهند Mughals، 1526-1658)، فحث ابنه هار غوبند (Har Gobind) على حمل السلاح. ويناهض السيخ شرب الخمر وتدخين التبغ وصنوف إماتة الجسد؛ وهذه الخصال العسكرية التي تربّوا عليها جعلت منهم قوة مسلحة بالمعنى الحقيقي للكلمة، وخاصة بعد مقتل الغورو تيغ بهادور (Teg Bahādur) عام (1675). وقد قام نجل هذا الأخير، غوبند راي (Gobind Rāi)، الملقب بسنغ (Singh) (الأسد) بعد تعميده في صف المحاربين، بإقرار الكهندا-دي-باهول (Khanda-di-Pāhul) أو معمودية السيف التي تجعل الأتباع المحلفين أسوداً حتى الموت. كما استنّ قواعد المجتمع السيخي الذي أصبح مطلوباً من أعضائه الالتزام بالكافات [حرف الكاف] الخمسة، وهي: **الكيش** (الشعر الطويل) (*kes*)، **الكانغها** (المشط) (*kangha*)، **الكيربان** (السيف) (*kripan*)[226]، **الكاش** (السروال القصير) (*kach*)، **الكارا** (السوار الفولاذي) (*kara*). وألغى غوبند راي ألوان التمييز كافةً على أساس الطبقات [الطوائف]، فأصبح قائداً لجيش قوي من المنبوذين (parias) الذين تحولوا إلى أسود. لكنه، قبل موته، قام بإلغاء مؤسسة الغورو. وتكريماً له، تم وضع غرانث (Granth) جديد تحت اسم (**غرانث الغورو العاشر**) (*Granth du Dixième Guru*)، وهو يشتمل على نص جابجي (Japjî) غوبند سنغ، وعلى نص «الثناء على الخالق» (**أكال أوستات** *Akal Ustat*)، كما يشتمل على أناشيد مكرسة للسيف المقدس (رمز القوة

225- وقيل سبعة عشر. (م)

226- كذا في الأصل: (kripan) (épée)؛ أي: «كريبان (السيف)»؛ ولعل الصواب: «كيربان» (kirpan)؛ وبين القوسين: «الخنجر». (م)

الإلهية الخيرة) علاوة على نص «الدراما المذهلة»، وهي عبارة عن منظومة تحكي عن سير الغوروات العشرة.

9.30- الهندوسية المحدثة [الجديدة] حركة وطنية هندية تسعى إلى استيعاب القيم الغربية وتيسير الحكمة الهندية حتى تصبح في متناول الغرب. ويعد المصلح البنغالي راموحان روي (Rammoham Roy) (1774-1833) نصيراً لتغريب الهند، ومن أجل ذلك أسس [جمعية] براهمو سماج (Brāhmo Samāj)، عام (1828). وقد واصل العمل على تحقيق تطلعات جمعية براهمو ساماج رئيساها الآتيان، وهما ديفندرانات طاغور (Devendranath Tagore) (1817-1905)، وكيشاب شاندراشين (Keshab Candra Sen) (1838-1884). وفي عام (1875)، أسس السوامي [العارف] دياناندا (Swāmî Dayānanda) (1824-1883) منظمة آريا سماج (Ārya Samāj) بهدف الحفاظ على تقاليد الهند الدينية، وتعريف العالم برمته بهذه التقاليد في الوقت نفسه.

وقد أسفر اللقاء الحاسم الذي جمع بين كيشاب شاندراشين والمتصوف البنغالي راماكريشنا (Rāmakrishna) (1836-1886) عن نشأة المذهب النيو-فيدانتي [الفيدانتية المحدثة] الذي أصبح يمثل صورة الهند التقليدية في بلاد الغرب، وهو الذي بشر به تلميذ راماكريشنا، فيفيكاناندا (Vivekānanda) (1836-1902)، ابتداء من (1893)، عند زيارته لبرلمان الأديان في شيكاغو.

وفي هذه الأجواء الدينية التي ذكرنا سينشأ الزعيم السياسي موهانداس غاندي (Mohandas Ghandi) (1869-1948)، وكذلك المتصوف ومعلم اليوغا أوربندو غوش (Aurobindo Ghosh) (1875-1950)، دفين بونديشيري (Pondichery).

10.30- تحتفل **الهندوسية الشعبية** بالعديد من الأعياد؛ وهي عبارة عن أعياد موسمية أو مناسبات للاحتفال بأبرز أحداث الحياة. وأهم أعياد الآلهة هي تلك

المنذورة للإله إندرا (Indra) (راكهي-بندهانا Rākhî-Bandhana)، وكريشنا (كريشنا-جايانت Kṛṣṇa-Jayante)، وغانيشا (Ganeśa) (غانيشا شاترتهي Ganeśa Caturthî)، والإلهة (Déesse) (نافراترا Navarātra)، وشيفا (مهاشيفاراتري Mahāśivarātri)... ومن جملة الممارسات الدينية، العامة بهذا القدر أو ذاك، هناك الحج إلى الأماكن المقدسة (**تيرتهات** [جمع تيرتها] tîrthas) التي تمثلها ينابيع الأنهار الكبرى، والمدن المقدسة مثل فاراناسي (Varanasi) وفرندافان (Vṛndavan) أو الله أباد، علاوة على الاحتفالات [المواسم] الدينية الكبرى مثل احتفال [موسم] جاغاناثا (Jagannath) الذي يجري في مدينة بوري(Puri) ...

وتتنوع العبادة الدينية المنزلية بحسب الطبقة [الطائفة] والمكان وتطور المعتقدات. وعموماً، يتعين على برهمن (brahmane) أن يحيي طلوع الشمس بتلاوة الغاياتري مانترا (gāyatrî mantra)، وأن يقدم هدية الصباح ويسكب السكائب للآلهة والأسلاف، وأن يعمل الديفا-بوجانا (deva-pūjana) أو التبتل إلى صور الإلهة المحفوظة في غرف خاصة، الإيستاديفاتا (iṣṭadevatā) أو «الإله المفضل».

وتفرد للأحداث المهمة في الحياة احتفالات خاصة (**سامسكارات** [سمسكارا] *saṃskāras*): فهناك **سامسكارات السايسافا** (*saisava saṃskāras*) ذات العلاقة بالميلاد، **والأوبنيانا** (upanayana) (المُسارَّة الدينية الخاصة بالصبي)، **الفيفاها** (*vivāha*) (طقوس الزواج)، ثم **الشرادها** (*śraddha*) (طقس الجنازة).

11.30- بيبليوغرافيا:

بصفة عامة، انظر:

- Elide, H 1, 64-82 et 2, 135-146; 191-95; A. Hiltebeitel, *Hinduism*, in ER 6, 336-60. Th. J. Hopkins et A. Hiltebeitel, *Indus Valley Religion*, in ER 7, 215-23; D. N. Lorenzen, *Saivism*: *An Overview*, in ER 13, 6-11; A. Padoux, *Hindu Tantrism*, in ER 14, 274-80; J.

T. O'Connell, *Caitanya*, in ER 3, 3-4; K. Singh, *Sikhism*, in ER 13, 315-20.

وهذه بعض المراجع التمهيدية:

- Louis Renou, *l'Hidouisme*, Paris, 1951; Thomas J. Hopkins, *The Hindu Religious Tradition*, Belmont, 1971; Madeleine Biardeau, *l'Hindouisme: anthropologie d'une civilisation*, Paris, 1981; David R. Kinsley, *Hinduism: A Cultural Perspective*, Englewood Cliffs, 1982.

وفيما يتعلق بالفيدا (Véda)، انظر:

- Jean Varenne, *le Véda, premier livre sacré de l'Inde*, 2. Vol., Paris, 1967.

وفيما يتصل برؤية العالم في الهندوسية القديمة، انظر:

- Louis Renou et Jean Filliozat, *l'Inde classique*, 2 vol., Paris 1947-49; Jan Conda, *les Religions de l'Inde*, vol. 1, Paris, 1962; Madeleine Biardeau et Charles Malamud, *le Sacrifice dans l'Inde ancienne*, Paris, 1976; Madeleine Biardeau, *Cosmogonies puraniques*, Paris, 1981.

وفيما يخص الميثولوجيا الهندية، انظر:

- Wendy Doniger (O'Flaherty), *Hindu Myths*, Harmondsworth, 1975; *Dreams, Illusions and Other Realities*, Chicago, 1984; *Other Peoples' Myths*, New York, 1988.

وفيما يتعلق باليوغا (Yoga)، انظر:

- M. Eliade, *le Yoga: Immortalité et liberté*, Paris, 1964.

وفيما يتصل بالحركات البهاكتية (Bhaktis)، انظر:

- Raghavan, *The Great Integrators: The Saint-Singers of India*, Delhi, 1966.

وفيما يتعلق بالسيخ (sikhs)، انظر:

- Khushwant Singh, *A History of the Sikhs*, 2 vol., Delhi, 1983.

31
أديان الهند-أوربيين

1.31- إن فكرة وجود **قرابة لسانية** بين لغات من قبيل السنسكريتية واللاتينية واليونانية هي فكرة حديثة العهد (1786). وقد استخدم مصطلح «هند-أوربي» (indo-européen) منذ عام (1816)، في حين استخدم مصطلح «آري» (aryen) (ذو الماضي المؤسف) منذ عام (1819)؛ ونجد في الأخير أن مصطلح «هند-جرماني» (indo-germanique) ذا الصبغة القومية -الذي لا ينطوي على أي معنى، شأنه في ذلك شأن لفظ «هند-سلافي» (indo-slave) أو «هند-يوناني» (indo-grec) مثلاً- قد بدأ مشواره منذ عام (1823). ويُعدّ الألماني فرانز بوب (Franz Bopp) (1791-1867) أول اللسانيين الهند-أوربيين.

لقد أخذ الفيلولوجيون في القرن التاسع عشر مأخذ الجد مشروع إعادة بناء لغة هند-أوربية مشتركة أطلقوا عليها اسم «الهند-أوربية البدائية» (proto-indo-européen) (هأب PIE)، كما لو أنها كانت موجودة بالفعل. ومعظم العلماء اليوم يعدون «هأب» (PIE) مجرد حكاية من نسج الخيال.

2.31- وإذا كان **الهند-أوربيون** لم يتوافروا إطلاقاً على أية لغة مشتركة، فإنّهم ينحدرون، على ما يبدو، من منطقة مشتركة يحدّدها علماء الآثار، أحياناً، بحوض الفولغا (Volga) السفلي، الذي منه تفرقت قبائل شبه الرحل من المحاربين البطريركيين، عبر موجات عديدة، ابتداء من منتصف الألفية الخامسة ق.ح.ع،

فشكّلوا ما يسمى ثقافة **الكورغانات** (*kourgans*) أو التوموليس (tumulis) [الجثوة]. ونحو (3000) ق.ح.ع، أسفرت الموجة الثانية من الكورغانات عن قيام مركز انتشار ثانٍ يطابق على وجه التقريب ما يرى معظم اللسانيين أنه «وطن الهند-أوربيين». وقد امتدت هذه المنطقة، في نحو (2500) ق.ح.ع، من الأورال (Oural) إلى اللوار (Loire)، ومن بحر الشمال إلى البلقان. وبحسب نظرية ماريجا أ. غيمبوتاس (Marija A. Gimbutas)، فقد أدت ثقافة الهند-أوربيين البطريركية إلى تدمير ثقافة متجانسة، مطريركية ومسالمة كانت تغطي كل أرجاء أوربا القديمة طول عشرين ألف سنة، من العصر الحجري القديم إلى غاية العصر الحجري الحديث. والطابع الرئيس الذي يسم هذه الثقافة يتمثل في عبادة إلهة تتمتع بصفات عديدة. وخلال العصر البرونزي (1600-1200 ق.ح.ع)، كانت معظم شعوب أوربا من أصل هند-أوربي؛ والاستثناء الوحيد الذي يستحق الذكر يتمثل في الفينيين [الفنلنديين]، فهم شعب فنيني-أوغري من الأورال.

3.31- تنطوي **أديان** الهند-أوربيين على سمات مشتركة وقف عليها عالما الميثولوجيا المقارنة، في القرن التاسع عشر، أدالبرت كوهن (Adalbert Kuhn) (1812-1881) وفريدريش ماكس مولر (Friedrich Max Müller) (1823-1900). وقد تعزز البحث المقارن في هذا الميدان بالآفاق الجديدة التي فتحها جورج دومزيل (Georges Dumézil) (1899-1986) الذي تتلمذ على كل من عالم اللسانيات أنطون ماييه (Antoine Meillet) (1866-1936) وعالم الاجتماع إميل دوركايم (Émile Durkheim) (1858-1917). ففي (1938)، بلور جورج دومزيل لأول مرة نظرية «الوظائف الثلاث» في مجتمع الهند-أوربيين البدائي، وهي: [الوظيفة] الكهنوتية، الحربية ثم الإنتاجية. وفي عرضه المرجعي لنظريته (1958)، أعلن دومزيل أن هذه الوظائف الثلاث تميز المجتمع الهند-أوربي عن سائر المجتمعات الأخرى. ويفترض أن هذه الترسيمة الثلاثية المؤسسة على طبقات الكهنة والمحاربين والمنتجين قد انعكست على جميع مستويات الثقافة؛ بل انعكست كذلك

على سيكولوجية الشعوب الهند-أوربية. وقد وجدها جورج دومزيل في الديانات الهندية والإيرانية والرومانية والجرمانية، فاستنتج من ذلك أنها لا بد من أن توجد بالمثل عند الكلتيين واليونان والسلافيين [الصقالبة]، لكن الوثائق المتوافرة [يردف دومزيل] غير كافية في تأييد وتعزيز تفسيراته.

4.31- بيبليوغرافيا

بصورة عامة، انظر:

- I. P. Couliano, art. «Ancient European Religion», dans *Encyclopaedia Britannica*, nouvelle édition.

وفيما يتعلق بالمطريركية [الأميسية] التي سادت في أوربا القديمة، انظر:

- Marija Gimbutas, *The Goddesses and Gods of Old Europe 6500-3500 BC. Myths and Cult Images*, Londres, 1982.

وفيما يتعلق بانتشار أو تفرق الهند-أوربيين، انظر على الخصوص:

- Edgar C. Polomé, (Ed.), *The Indo-Europeans in the Fourth and Third Millennia*, Ann Arbor, 1982.

وقد عرض جورج دومزيل نظريته المرجعية في كتابه:

- *Idéologie tripartite des Indo-Européens*, Bruxelles, 1958.

انظر كذلك:

- J. Bonnet (réd.), *Georges Dumézil: Pour un Temps*, Paris, 1980.

32
اليهودية

1.32- ظهر **اليهودي الصغير** على مسرح التاريخ بعد عام (2000 ق.ح.ع). وينحدر بعض اليهود من العموريين أو «الغربيين» الذين استقروا في بلاد الرافدين في أواخر الألفية الثالثة. وربما انحدر بعضهم من شعب **الخابيرو** (*khabiru*) المذكور في المصادر العائدة إلى أواسط الألفية الثانية. ويذكر الكتاب المقدس أن أسلاف بني إسرائيل دخلوا مصر وهم أحرار، لكنهم استُعبِدوا فيما بعد. وقد خرجوا منها بالآلاف، يقودهم النبي موسى الذي يحمل اسماً مصرياً، وذلك نحو (1260 ق.ح.ع). واستقروا في أرض كنعان، ثم شكلوا هناك اثني عشر سبطاً [قبيلة]. ونحو (1050)، قام **الشوفط** (*shofet*) (القاضي) والرائي صموئيل بتنصيب شاول (Saül) ملكاً على إسرائيل من أجل قتال الفلسطينيين. وبعد موت شاول، اختار سبط يهودا الجنوبي داود ملكاً عليه. وأعاد داود السلام إلى المنطقة، وجعل من أورشليم مركزاً دينياً، وأودعها تابوت العهد. وخلف داود ابنه سليمان (نحو 961-922)، الملك المشتهر بالحكمة، الذي بنى هيكل أورشليم ليضع فيه التابوت. وبعد موت سليمان، انقسمت الدولة إلى مملكة الشمال (إسرائيل) ومملكة الجنوب (يهودا). وفي (722 ق.ح.ع)، تعرضت إسرائيل للغزو من طرف الإمبراطورية الآشورية. وفي (587)، قام الإمبراطور البابلي نبوخذ نصر (أو بختنصر) بتدمير هيكل أورشليم الأول. ورحلت ساكنة يهودا نحو بابل. وتخلّصت من الأسر البابلي على يد الإمبراطور الفارسي قورش (Cyrus) الذي استولى على بلاد

الرافدين عام (539). ورجع اليهود إلى أورشليم، وأعادوا بناء الهيكل بمساعدة قورش. وبعد موت الإسكندر (323 ق.ح.ع)، صارت يهودا في جملة البلاد التابعة للبطالمة الذين حكموا مصر، وجعلوا عاصمة ملكهم في الإسكندرية التي ضمت عدداً كبيراً من اليهود. وفي عام (198)، استولى السلوقيون على مصر. وفي عام (167)، قام أنطيوخوس الرابع (Antiochus IV) بحظر الشريعة اليهودية، ودنس هيكل أورشليم بأن نصب فيه تمثالاً للإله زيوس. وتسبب ذلك في قيام ثورة المكابيين. واستولى الثوار [المكابيون] على الهيكل وطهروه؛ وتخليداً لذكرى هذا الحدث، رسم له عيد من ثمانية أيام يسمى **حانوكا** (*hanukkah*) (التدشين). وفي عام (140)، نصب آخر الأشقاء المكابيين، وهو شمعون [بن متتيا]، كاهناً أعظم ورئيساً للأمة. وهكذا بدأ عهد الأسرة الحشمونية التي ظلت تحتفظ بوظيفتها الدينية في عهد الحماية الرومانية (60 ق.ح.ع). وفي عام (40 ق.ح.ع)، عين هيرودس نجل أنتيباتر (حاكم يهودا) ملكاً على اليهود من طرف روما. وابتداء من عام (6 ح.ع)، صارت يهودا تحكم مباشرة من قبل الوالي، ثم من قبل المفوض الروماني. وفي عام (66)، اندلعت، بسبب استفزازات المفوض فلوروس (Florus)، ثورة شعبية سيساندها الزيلوت [الغيورون] (**السكاري** *cicarii*)، وهم وطنيون يهود لا يترددون في اللجوء إلى العنف ضد اليهود المرومنين. وأوعز القائد الروماني فسبسيان (Vespasien)، الذي نصب إمبراطوراً عام (69)، إلى ابنه تيطس [تيتوس] (Titus) في استكمال الحملة التي كان قد بدأها في يهودا. وفي 28 أغسطس [آب] من عام (70)، دمر الهيكل بالنار؛ وفي العاشر من سبتمبر [أيلول]، خربت أورشليم على يد الجيش الإمبراطوري. وفي عام (74)، قضي على آخر المقاومين المتحصنين في قلعة متسادا (Masada). وإذا كان من الخطأ القول إنه بعد هذا التاريخ لم يعد الرومان يعترفون بالديانة اليهودية، فإن سقوط الهيكل شجع بالتأكيد على حصول الشتات، وهي ظاهرة نجد لها نظائر موغلة في القدم. وفي عام (133)، اندلعت ثورة بقيادة الماشيح [شمعون] بار كوخبا بدعم من المرجع الديني الحاخام عقيبا [بن يوسف] (نحو 50-135). وتعرضت الثورة للقمع الشرس، الأمر الذي أدى إلى

خراب يهودا وإقفارها من السكان. غير أن حظر ممارسة شعائر الديانة اليهودية لم يطبق إلا لبضع سنين؛ وعرفت أوضاع اليهود العامة، ومعها أوضاع الإدارة المحلية (التي كان يتولاها أمير – **ناسي** (*nasi*) – من الأهالي)، تحسناً ملموساً خلال أوائل القرن الثالث ح.ع. ولم يحرم اليهود من الامتيازات، ومن ولوج الوظائف العمومية، إلا في وقت لاحق حين صارت المسيحية هي دين الإمبراطورية الرومانية الأوحد (نهاية القرن الرابع). وعموماً، استمر الأمر على هذه الحال إلى غاية القرن الثامن عشر في الدول المسيحية كافةً، كما في الدول الإسلامية بعد مجيء الإسلام. أما بعض الحالات النادرة جداً التي تمثلها إسبانيا المسلمة، فهي إنها تؤكد القاعدة التي ذكرنا. وبعد أن اضطهدهم الأصوليون المسلمون، وطاردهم الغزاة المسيحيون عام (1492)، لجأ اليهود السافرديون (إسبانيا والبرتغال) إلى شمال إفريقيا وآسيا الصغرى وهولندا، وإلى كلّ بلد رحبت سلطاته بمقدمهم. وبعد، إن هذه النظرة الإجمالية التي ألقيناها على تاريخ الشعب اليهودي كانت ضرورية من أجل فهم البعد التاريخي للديانة اليهودية. وسنورد معطيات أخرى إضافية كلّما تقدمنا في الموضوع، حتى نصل إلى مأساة الشعب اليهودي العظمى المتمثلة في الهولوكوست الذي خلف ستة ملايين ضحية من (1937) إلى (1944). لكنّنا نستطيع التأكيد، منذ البداية، على أنه إذا كانت الديانة اليهودية في مراحلها الأولى تمثل محصلة نوع من القراءة التاريخية للعبادات الموسمية الكنعانية، فإنها مع ذلك، (وكما بين علماء أمثال رفائيل ي. زوي ويرلبوفسكي R. J. Zwi Werblowski، وجوناثان ز. سميث Jonathan Z. Smith، وموشي إيدل Moshe Idel، وغيرهم)، تشكل إحدى الديانات الأشد مقاومة للتاريخ كما يظهر من احتفاظها الدائم ببنيات لا–زمنية.

2.32- بفضل الحفريات الأثرية الحديثة العهد، أصبح **القاسم الديني المشترك بين بلاد كنعان** أشد وضوحاً من ذي قبل. إن اللجوء إلى الكتاب المقدس مصدراً تاريخياً أصبح في الغالب محل شكوك. ومع ذلك، نستطيع القول إن جزءاً، على الأقل، من روايات الكتاب المقدس ينطوي على أساس تاريخي.

ويتمثل كتاب اليهود المقدس في **التوراه، نبيئيم وكتوفيم** (*Torah nebi'im we ketuvim*) (وتختصر كلها بلفظ **تناخ** *Tanakh*)؛ أي «الشريعة، الأنبياء ثم الكتابات». ويدل هذا العنوان على أن كتاب اليهود المقدس يلتئم من ثلاثة أقسام أساسية هي: التوراة بحصر المعنى (أي الأسفار الخمسة Pentateuque)، وأسفار الأنبياء ثم باقي الكتابات. ويعود أقدم جزء من الأسفار الخمسة إلى القرن العاشر ق.ح.ع، في حين أن تاريخ الأجزاء الأحدث عهداً من **الكتوفيم** لا يتعدى القرن الثاني ق.ح.ع.

وتتألف الأسفار الخمسة من سفر التكوين (**براشيت** *Bereshit*)، سفر الخروج (**شموت** *Shemot*)، سفر اللاويين (**ويقرا** *Vayikra*)، سفر العدد (**بمدبار** *Be-midbar*)، ثم سفر التثنية (**دبريم** *Devarim*). وتشكلت التوراة من أربعة مصادر تنتمي إلى عصور مختلفة، وهي: المصدر اليهوي المرموز إليه بحرفJ [ي]، وهو الذي يشير إلى الإله باسم يهوه (القرن العاشر ق.ح.ع)؛ المصدر الإيلوهيمي المرموز إليه بالحرفE [إ]، وهو الذي يشير إلى الإله باسم (الجمع) إيلوهيم (القرن الثامن)؛ المصدر التثنوي المرموز إليه بالحرف D [ت]، وهو المعتمد في تحرير جزء من سفر التثنية (622 ق.ح.ع)؛ ثم المصدر الكهنوتي المرموز إليه بالحرف P [ك]، وهو الذي حررته طائفة من الكهنة، وكان هو المعتمد في تحرير سفر اللاويين وبعض الأجزاء من الكتابات الأخرى. وهذا التعدد في المصادر يترتب عليه أيضاً تعدد في التصورات المكونة عن الإله وفي الأساطير المتعلقة بخلق العالم والإنسان. ويبدو من الجلي أن صورة يهوه، إله السماء، لم تكن لتستجيب لمتطلبات العقلانية الهلنستية. فإننا نصادف طائفة من التناقضات حين يتعلق الأمر بمسألة علمه الكلي أو حضوره الكلي... ومع ذلك، نحن على يقين من سلطانه السماوي.

وينقسم الأنبياء إلى طائفتين: طائفة «المتقدمين» وطائفة «المتأخرين». ويظهر «المتقدمون» في ستة أسفار تشتمل على روايات تاريخية، وهي: **يشوع، القضاة، صموئيل الأول والثاني، الملوك الأول والثاني**؛ فأبطال هذه الأسفار هم يشوع خليفة موسى، صموئيل، شاول، داود، والنبيان إيليا وأليشع، إلى غاية حصول الغزو البابلي

عام (587). أما طائفة «المتأخرين»، فإنها تضم نبوءات ورؤى إشعياء، إرمياء، حزقيال ثم «الاثني عشر» (هوشع، يوئيل، عاموس، زكريا...). أما **الكتوفيم**، فإنها عبارة عن كتابات متنوعة تعود إلى حقب مختلفة مثل **المزامير** (150 نشيداً وصلاة)، **الأمثال**، **أيوب**، **المجلوت** [اللفائف] الخمس (نشيد الأنشاد، راعوث، مراثي إرمياء، الجامعة ثم أستير)، **دانيال**، **عزرا**، **نحميا**، ثم **أخبار الأيام الأول والثاني**.

وتتمثل أول مجموعة كاملة من الكتاب المقدس في النسخة اليونانية المسماة السبعينية (نسبة إلى العدد الأسطوري للشيوخ الذين شاركوا في الترجمة)، التي أنجزت في القرن الثاني ق.ح.ع. وتحتوي الترجمة السبعونية على نصوص (تسمى «أبوكريفا») لم تدرج في قانون الكتاب المقدس باللغة العبرية. وقد تشكل هذا الأخير بفضل العمل المتأني والدؤوب الذي أنجزه الكتبة الماسوريون.

وابتداء من القرن الثالث ق.ح.ع، اغتنت الديانة اليهودية بنصوص رؤياوية عديدة تصف إما عمليات صعود إلى السماء (كما في دور **أخنوخ**)، وإما مجيء أيون (éon) [دهر] جديد (كما في **عزرا الرابع** و**باروخ الثاني**)، وإما مزيجاً من الصعود السماوي (العمودي) والتنبؤ الإسخاتولوجي (الأفقي). ونحو أواخر القرن الأول ح.ع، ظهر نوعان من التصوف اليهودي: أحدهما يُعنَى بالنظر التأملي في سفر التكوين (**عمل الخلق** *ma'aseh bereshit*)، في حين عُنِي الآخر بوصف المركبة (*merkabah*) السماوية التي تحمل العرش الإلهي كما جاء في رؤيا النبي حزقيال (**عمل المركبة** *ma'aseh bereshit*). ويصف لنا أحد فروع «تصوف المركبة» -وهو «الأدب الهيخالوتي»- البلاطات السماوية (**هيخالوت** *hekhalot*) التي يمر منها المتصوف في سفره إلى العرش الإلهي.

وقد أنجبت اليهودية الهلنستية الفيلسوف الكبير فيلون الإسكندراني (نحو 20 ق.ح.ع-45 ح.ع) الذي سعى جاهداً إلى التوفيق بين الكتاب المقدس وبين أفلاطون. وقد تبدو هذه العملية غير مضمونة المآل إلى أن يتحصل لدى المرء أن روح

الكتابات المقدسة مثل سفر التكوين هي، في العمق، «أفلاطونية» جداً. فالكتاب المقدس، يصرح، على غرار أفلاطون نفسه، بأن العالم مخلوق من قبل ديميورج [صانع] خير، وأنه خير بما أن الإله نفسه يؤكد ذلك (سفر التكوين 1، 31.25.18.10...). أما فيما يتعلق بالسقوط، فإنه إنما يهم الجزء الجوهري من الإنسان، قبل أن يصنع له «قميص الجلد» (سفر التكوين 21.3) الذي لا يعسر على فيلون أن يفسره بأنه هو الجسم المادي الذي تحبس في داخله الروح أو النفس كما يحبس المرء في السجن (أفلاطون، **أقراطيلوس** *Cratyle*, 400c).

وهناك فرقة يهودية نسكية تبنت عقائد ثنوية، وهي فرقة الأسينيين الذين كانوا يعيشون في صحراء يهودا قرب البحر الميت منذ نحو (150 ق.ح.ع)، وإلى أن قضى عليهم الجيش الروماني عام (68 ح.ع). وقد تم العثور على جزء من أدبياتهم - مخطوطات البحر الميت- في أحد عشر كهفاً في وادي قمران عام (1947).

غير أن أضخم الأدبيات اليهودية يتمثل في متن المشنا (Mishnah) مع الشروح الملحقة به في التلمودين (الأورشليمي والبابلي).

وتكاد المشنا تكون برمّتها كتاباً في **الهالاخا** (*halakhah*) أو الشرع، بخلاف مصنفات **الهاغادا** (*haggadah*) (اللاهوت والقصص). وقد كمل جمعها وتدوينها في نحو (200) ح.ع. وهي تتضمن (63) مقالة موزعة جميعاً على ستة أقسام (**سيداريم** *sedarim*)، وهي: **زراعيم** (*Zeraim*) (الزروع)، **موعيد** (*Moed*) (الأعياد)، **ناشيم** (*Nashim*) (النساء)، **نزيقين** (*Nezikim*) (الأضرار)، **قداشيم** (*Kodashim*) (المقدسات)، **طهاروت** (*Teharot*) (الطهارات). أما التقاليد التي لم تدرج في المشناه (**برايتوت** [برانيات] *beraitot*)، فقد جمعت ودونت في ملحق خاص (**توسفتا** [إضافة] *Tosefta*). ويطلق على المعلمين المذكورين في المشناه اسم **تانايم** (*tannaim*)، في حين أن الحاخامات الفلسطينيين والبابليين المتأخرين المذكورين في التلمود، والذين يفوق عددهم عدد التانايم بخمس مرات، فيطلق عليهم اسم

أمورايم (*amoraim*) (**تانا** *tanna*، مثلها مثل **أمورا** *amora*، تعني «المعلم» [الشيخ]).

وقد كمل التلمود الفلسطيني -وهو أقدم زمناً وأوجز من البابلي بثلاث مرات، لكنه أقل عمقاً وتضلعاً منه- في أوائل القرن الخامس ح.ع، بينما كمل التلمود البابلي نحو عام (500). وكلاهما من عمل **الأمورايم** (*amoraim*)؛ ويشتملان على نصوص مشناوية مشفوعة بشروح مسهبة تسمى **جمارا** (*gemara*).

ولا يمثل متن التلمود الهالاخي سوى جزء من الأدبيات الحاخامية؛ أما الجزء الباقي، فيتشكل من الشروح **المدراشية** [نسبة إلى **مدراش** *midrash*] التي قد تكون هالاخية أو هاغادية. وتهم المدراشيم الهالاخية أسفار الخروج (**مخيلتا** *mekhilta*)، اللاويين (**سفرا** *Sifra*)، العدد والتثنية (**سفري** *Sifrei*). أما المدراشيم الهاغادية، فإنها تتشكل من مجموعات عديدة تنتمي إلى حقب زمنية مختلفة (حتى القرن الثالث عشر ح.ع). وأهم هذه المجموعات مدراش ربا (Midrash Rabbah) (المدراش الكبير) الذي يحتوي على شرح سفر التكوين (**براشيت ربا** *Bereshit Rabbah*)، **فسقيتا الرابي كاهانا** (*Pesikta de Ravi Kahana*) (أدب ليتورجي ووعظي)، ثم مدراش تنحوما (Tanhuma) (حاخام فلسطيني من القرن الرابع)...

3.32- يمكن القول: إن سفر التكوين هو نتاج سيرورة مونولاترية[227] تحولت فيما بعد إلى نزعة توحيدية. وقد كشف بعض العلماء، أمثال جون لفنسون (Jon Levenson)، عن وجود تصورات متعددة لعملية الخلق في سفر التكوين، مما لا يمكن فهمه إلا بالجدل الذي حمل محرري الكتاب المقدس على معارضة الأساطير

227- نسبة إلى (monolâtrie) التي فضلنا تعريبها: «مونولاترية»؛ وتعني حرفياً: «عبادة الواحد»؛ لكنها، في الواقع، عبادة «الواحد» مع الاعتراف، في الوقت نفسه، بمعبودات أخرى؛ فهي نوع من «الشرك». (م)

البابلية والكنعانية. لكننا نعثر، في مواضع أخرى، مثل المزمور (82)، ومواضع عديدة من سفر الأنبياء، على آثار متخلفة من **إنوما إليش** (*Enuma elish*) البابلية ومن القصص الأوغاريتية.

إن الاعتراض على السياق الكنعاني يُعدّ أحد المفاتيح التي سمحت للعلماء، على الدوام، بالتأكيد على أصالة الديانة اليهودية التي لا جدال فيها. وهكذا، سعوا إلى تحويل اليهودية إلى «ديانة التاريخ»، منطلقين من ملاحظة -هي لا شك صحيحة في حدود معينة- أن اليهود حافظوا على الأعياد الكنعانية، لكنهم غيروا معانيها بصورة كلية، فربطوها بوقائع يعدها الكتاب المقدس تاريخية.

1.3.32- ثمّ نتطرق بإيجاز إلى الأعياد اليهودية، فنقول: إن أهمها عيد رأس السنة (**روش هاشنا** *Rosh Hashanah*)، عيد الغفران (**يوم كيبور** *Yom Kippour*)، عيد المظال (**سوكوت** *Soukkot*)، عيد التدشين (**حانوكا** *hanukkah*) (↔ 1.32)، عيد **بوريم** (*Pourim*) [القرعة]، عيد الفصح، ثم عيد الأسابيع (**شافوعوت** *Shavu'ot*).

وليس عيد روش هاشنا (Rosh Hashanah) المحتفل به في الفاتح من شهر تشريه (Tishri) الخريفي سوى الحلقة الأولى في سلسلة من الاحتفالات تتضمن يوم كيبور (10 تشريه)، أيام سوكوت (15-22 تشريه)، ثم عيد التوراة الأحدث عهداً (23 تشريه) والمحتفل به عند ختم السنة الزراعية [الثامن الختامي].

ويجتمع المشاركون [في عيد روش هاشنا] على صوت النفخ في **الشوفار** (*shofar*)، وهو بوق مصنوع من قرن كبش يعتقد أنه يطرد الشياطين. وبجوار المياه [الجارية] يزاولون طقس **التشليخ** (*tashlik*) ("يطرح") الذي يهدف إلى التخلص من الذنوب عن طريق «طرحها» في جوف تلك المياه. وعند حلول المساء، يأكلون حبات البنجر (**سيلقا** *silqa'*، "صرفت") والكراث (**كرات** *karate*، "قطعت") والتمر (**تماريم** *temarim*، "هلكت")...، مستغلين المعنى المزدوج للكلمات [ولسان حالهم]: «نسأل الإله أن يصرف عنا أعداءنا ويقطع دابرهم ويهلكهم».

وتبدأ احتفالات يوم كيبور -الممعنة في طابعها التكفيري [الاستغفاري]- بالصوم الليلي وبمراثي جنائزية. وفي الزمن الماضي، كانت تنتهي بنقل ذنوب بني إسرائيل إلى كبش فداء يتمّ إطلاقه في البرية. إن العديد من هذه الممارسات يذكرنا بممارسات معروفة في عيد رأس السنة الجديدة عند البابليين (**أكيتو** *Akitu*).

ونلفي مثالاً آخر على تحول عيد زراعي إلى ذكرى كتابية في عيد المظال (**سوكوت**) الذي كانت الغاية الأصلية منه هي شكر الإله على المحصول الزراعي. ويشهد سفر اللاويين (23، 43) على تحول هذا العيد إلى ذكرى خروج اليهود من مصر ونصبهم للأكواخ [المظال] في البرية.

وقد خضع عيد بوريم (أي «القرعة») لصنف آخر من التحويل؛ فاسمه يشير إلى التكهنات السنوية الدارجة عند شعوب الشرق الأدنى. وهذا العيد، الذي يوافق (13) من شهر أدار، هو إحياء لذكرى بطلة الكتاب المقدس أستير التي أنقذت الشعب اليهودي من الإبادة (سفر أستير 13، 6).

ومن الممكن، إلى حد ما، تتبع التحولات التي خضع لها عيدا الفصح والفطير (المستقلان في الأصل) اللذان جمعا لاحقاً من أجل الاحتفال بذكرى الخروج من مصر. ويدل خروف الفصح على أن هذا الاحتفال، المقام عند اكتمال القمر في (14) نيسان، كان في الأصل عيد بواكير. وقد غيرت رمزيته حتى يصير دالاً على المصيبة [الضربة] العاشرة التي سلطها الإله على المصريين (سفر الخروج، 11) وعلى سلامة المواليد اليهود الذين نجوا من القتل، بما أن أبوابهم وسمت بدم الذبائح. ويأمر سفر الخروج أيضاً (صح. 12) بأن يكون بعد الفصح أسبوع يمسك فيه اليهود عن أكل الخبز المختمر؛ ولكن، في الموضع نفسه [صح. 12]، يتم الربط بين النهي عن أكل الخمير وبين استعجال الخروج من مصر. وكل هذا يدل، فيما يبدو، على أن الرمزية الدينية اليهودية هي أحياناً نتاج تفسير من نوع خاص، [تفسير] يحيل في الأغلب إلى الأحداث التي يرويها الكتاب المقدس الذي يمثل تاريخ اليهود المقدس. ويكتسي هذا

التاريخ طابعاً «خطياً» وليس دورياً؛ فقد وقعت أحداثه «في البدء»، وهو من ثم يقنّن ماضي اليهود الأسطوري [ويضفي عليه معنى محدداً]. وإذا تقرر هذا، فإنه يصبح من الصعب جداً القبول بالتمييز بين «الأديان الكتابية» والأديان الأخرى على أساس أن هذه الأخيرة تتصور الزمان بوصفه تكراراً لدورة الخلق وتجدداً دورياً للعالم، وأن الأولى (اليهودية والمسيحية) هي أديان «التاريخ»، والزمن الخطي الذي يخلو من التكرار. وفي الواقع، تظهرنا دورة الأعياد اليهودية على صلتها الوثقى بأحداث الكتاب المقدس الأسطورية المتعلقة بإقامة العهد (**بريت** *berit*) بين الإله وبين الشعب المختار، وبتجديد العهد في التاريخ البدئي لهذا الشعب. وهذا يصدق أيضاً على الديانة المسيحية: فأن يكون يسوع قد عاش «على عهد بيلاطس البنطي» لا يعدو أن يكون إشارة تاريخية لا تلزم بأية نتيجة من يحتفل بقيامته، ويميل، علاوة على ذلك، إلى نسبتها إلى ماضٍ أسطوري.

4.32- تمثل الحركة النبوية[228] اليهودية، على الأرجح، محصلة اندماج بين مؤسسة **الروئيهيم** (*ro'ehim*) ("الرائين") اليهودية ومؤسسة **النبيئيم** (*nabiim*) الفلسطينية. ويدل لفظ **نبي** (*nabi*) على أنبياء الكتاب المقدس «الكلاسيكيين» أمثال: عاموس، هوشع، إشعياء، إرمياء، حزقيال...، مسبوقين بإيليا وتلميذه أليشع (القرن التاسع)، صانعي المعجزات اللذين انبريا للبرهان على علو مقام يهوه، إله الكتاب المقدس، على مقام بعل إله الكنعانيين. إن الرسالة العامة التي تنطوي عليها الحركة النبوية هي رسالة أخلاقية، وتتمثل في شجب الممارسات الدينية الكنعانية كالبغاء [المقدس]، والأضاحي [البشرية]. ويحث هؤلاء الأنبياء شعبهم الفاسد على التوبة، ويهددون بأنه، في حال لم يتب الفاسدون العصاة، فإن الإله سيسلط عليهم غضبه ويبلوهم بجميع المصائب.

228- ترجمة: (prophétisme)؛ ويظهر لنا أنها أنسب في السياق من «النزعة النبوية» أو «الأنبيائية». (م)

5.32- تعد الأدبيات الرؤياوية، على العموم، برانية عن الكتاب المقدس، باستثناء سفر دانيال. ويدل لفظ «أبوكالوبسيس» على معنى «الكشف [الرؤيا]». ويتعلق الأمر، في الواقع، بقصص كشوف تحصل لصاحبها من طرق متعددة، أهمها، على ما يذكر جون ج. كولنز (J. J. Collins)، الرحلة إلى العالم الآخر، الرؤية [الكشف]، الحوار ثم «الكتاب السماوي». وللرؤى بعد تاريخي، «أفقي»، يتعلق بنهاية الأزمنة، وبعد كشفي، عمودي، يتعلق ببنية الكون ومحل إقامة الإله. وتتمثل أقدم الكتابات الرؤياوية اليهودية (التي عُثِر على أجزاء منها ضمن مخطوطات البحر الميت (قمران)) في الفصول (1-36) و(72-82) من سفر أخنوخ (**أخنوخ الأول** الذي نلفي نصه الكامل اليتيم في النسخة الحبشية). وقد تأثر به (**كتاب اليوبيلات**) (القرن الثاني). ويشتمل **سفر دانيال** على عدة قصص تندرج في إطار سردي شائع عند أهل القرن الثاني؛ أي في فترة ثورة المكابيين. أما (**النبوءات السيبيلية**) (*Oracles Sybillins*)، فهي عبارة عن تصانيف يهودية ومسيحية تنتمي إلى حقب متعددة. ومن الكتابات الرؤياوية الأخرى، يجدر بنا أن نذكر **شهادات الآباء الاثني عشر** (القرن الثاني ق.ح.ع)، و**حياة آدم وحواء**، و**رؤيا أبراهام** [إبراهيم]، و**أخنوخ الثاني** أو أخنوخ السلافي [الصقلبي]، و**عزرا الرابع**، و**باروخ الثاني** أو باروخ السوري؛ وكلها صنفت نحو (70) إلى (135) ح.ع. وتشترك معظم هذه القصص في الإيمان، الشائع في اليهودية الهلنستية، بوجود «أيونين éons» [دهرين]: أيون تاريخي وأيون إسخاتولوجي؛ فالأول موسوم بتقلبات أحوال أورشليم الأرضية المهددة على الدوام بالخطيئة وبالأعداء، بينما الثاني موسوم بقيام أورشليم السماوية، حيث يتوج الصادقون بالتيجان، ويتربعون على العروش، ويتشحون بخلع المجد التي جعلت من أجلهم هناك منذ بدء الخليقة.

1.5.32- يمثل **التصوف العرشي** أو تصوف المركبة (*merkabah*) السماوية المنسوب إلى رؤيا حزقيال (صح. 1) نوعاً خاصاً من الأدب الرؤياوي. وقد ظهرت بوادره الأولى نحو القرن الثاني ق.ح.ع. وعلى العموم، مشاهدة **المركبة** تحصل في نهاية

السفر عبر البلاطات السبعة (**هيخالوت** *hekhalot*) التي تعمرها كائنات سماوية. وهذا هو الموضع الذي نصادف فيه أحياناً الملاك ميطرون الشهير، الذي ليس سوى أخنوخ نفسه (سفر التكوين 5، 18-24) بعد أن رفع إلى رتبة الملاك. ومع ذلك، حافظ أخنوخ على بعض خصائص البشر مثل كونه ذا مفاصل (وليس للملائكة مفاصل). ولذلك يخبرنا التلمود البابلي (**حجيجا** *Hagigah* 15 a) بأنه أضل المجذوب أليشع بن أبويا (Elisha ben Abuya) حين لم يقم عن كرسيه. فقد ظن أليشع أنه هو الإله نفسه، فصار بذلك من الهراطقة. وكان هذا أحد الأسباب التي جعلت اليهود يطلقون عليه لقب **آحير** (*Aher*)؛ أي «الآخر». ويمثل أخنوخ العبري (**أخنوخ الثالث**)، الذي كتب خلال النصف الثاني من القرن الثالث ح.ع، أو في الفترة اللاحقة، مثالاً أنموذجياً للأدبيات الهيخالوتية.

2.5.32- من المرجح أن **مخطوطات قمران**، التي عُثر عليها بين (1947) و(1977) في أحد عشر كهفاً بجوار البحر الميت، تنتمي إلى فرقة الأسينيين النسكية، على الرغم من أن العديد من العلماء (أمثال نورمان غولب Norman Golb) قد طعنوا مؤخراً في صحة هذا الرأي الذي كان في السابق يحظى بالإجماع. لقد استقرت الجماعة [الأسينية] في برية يهودا في القرن الثاني ق.ح.ع، وبقيت هناك إلى أن قضى عليها الجيش الروماني في عام (68) ح.ع على أرجح الظن. لقد تم العثور في كهوف قمران على فئتين من الوثائق: أما الفئة الأولى، فهي عبارة عن أجزاء متفاوتة الأهمية من الكتاب المقدس أو من الكتابات الموازية (مثل **أخنوخ الأول**). أما الفئة الثانية، فهي عبارة عن كتابات منسوبة إلى الفرقة نفسها؛ ويجب أن نضيف إليها **وثيقة دمشق** التي تم العثور عليها في بداية القرن[229] في القاهرة. وأهم وثائق هذه الفئة يتمثل في **نظام الجماعة** (**شريك** *IQ Serek*)، و**البشاريم** (*pesharim*) أو تفاسير الكتاب

229- بل في أواخر القرن التاسع عشر (1896) على يد سليمان سشتر (S. Schechter) الذي قام بنشرها في أوائل القرن العشرين (1910). (م)

المقدس، وأشهرها تفسير النبي حبقوق (Habacuc)، ثم **لفافة الحرب (ملحما *IQ Milhamah*)**. وهناك شخصية محورية في مذهب الأسينيين: إنها شخصية المعلم أو الإمام الحقاني الذي يبدو أنه يتمتع بوجود تاريخي، شأنه في ذلك شأن عدوه الكاهن الفاجر. غير أن العلماء لم يتفقوا على الفترة الزمنية التي عاش فيها.

وتظهرنا الوثائق المعثور عليها على أن الأسينيين كانوا ثنويين؛ أي إنهم كانوا يؤمنون بوجود روحين يتقاسمان فيما بينهما السيطرة على الأحياء، أحدهما طيب والآخر خبيث. وكانوا يؤمنون بأن الخير سينتصر على الشر في ختام حرب تقوم بين «أبناء النور» و«أبناء الظلمات». وبما أن هذه الحرب لم تحدث في الماضي، كما يظهر، فمن الممكن أن تكون تعبيراً عن اقتناع الأسينيين بأن قوتهم الروحية وحدها، من دون سلاح، هي التي ستغلبهم على الرومان المدججين بكل أنواع الأسلحة. وإذا صح ذلك، فلا بد من أن خيبتهم كانت أعظم، ومصيبتهم أدهى وأمر، حين غزا جيش فسبسيان جماعتهم وقضى عليها.

6.32- **بعد عام (70) ح.ع، تطورت اليهودية الحاخامية** [الربانية] انطلاقاً من تيار الفريسيين (الخصوم التقليديين لحزب الصدوقيين المحافظ)، ولاسيما مدرسة الحاخام الشهير هليل (Hillel) التي هيمنت بنفوذها على نظيرتها المتشددة في تطبيق الشريعة، ونعني بها مدرسة شاماي (Shammaï). وبالفعل، فقد أوجز هليل الديانة اليهودية في «القاعدة الذهبية» الآتية: «لا تعامل الآخرين بما لا تحب أن يعاملوك به». وبعد عام (70)، قام الرابي (وهو لقب الناسي أو رئيس المجلس) يوحنان بن زكاي (Yohannan b. Zakkai)، يليه الرابي جملائيل الثاني (Gamaliel II)، بتنظيم السنهدرين أو المجلس الحاخامي في مدينة يفنه [يبنة] في يهودا. وأنتج هذا الجيل معلمين (تانايم) مشاهير أمثال: أليعازر بن هيركانوس (Éliézer b. Hyrcanus)، أليعازر بن عزريا (Éléazar b. Azariah)، يشوع بن حنانيا (Josué b. Hananiah)، إسماعيل بن أليشع (Ismaël b. Elisha)، عقيبا بن يوسف (Akiva b. Josph) ... وبعد القضاء على ثورة بار كوخبا واستشهاد عقيبا، نقل السنهدرين إلى الجليل.

وأنتجت هذه الفترة معلميها الكبار أمثال شمعون بار يوحاي (Siméon bar Yohai) والرابي مائير (Meïr). وقد ألفت المشنا في عهد الرابي يهودا الناسي (Judas ha-Nasi). وفيما بعد، تحول مركز اليهودية الحاخامية إلى أكاديميتي (**يشيفوت** *yeshivot*) سورا وبومبديثا في بلاد الرافدين، حيث كانت لا تزال تعيش هناك، تحت السيطرة الفارسية، جالية يهودية مهمة يتزعمها رأس الجالوت[230]. وبعد الغزو الإسلامي، أصبح اليهود رعايا (**ذميين** *Dhimmis*) تابعين للحكم الجديد، فوجب عليهم دفع الجزية والاعتراف بسلطة الدولة الإسلامية. ووفقاً لمدونة القواعد المسماة «العهدة العمرية» (نحو 800)، استُبعِد اليهود (والمسيحيون) من الإدارة العامة، ولم يعد لهم الحق في الدعوة إلى دينهم وتشييد البيع اليهودية (أو الكنائس المسيحية)...[231]. وفي القرن العاشر، نُقلت **اليشيفوت** البابلية، التي كان يرأسها الجاؤون(Gaon)، بصفة نهائية، إلى بغداد عاصمة بني العباس. وألمعُ جاؤون عرفته أكاديميات اليشيفوت في العراق يسمى سعديا بن يوسف [الفيومي] (Saadia b. Joseph) (882-942)؛ وهو الذي سطع نجمه في مكافحة الطهرانيين الأصوليين المعروفين بالقرائين. وعندما غزا العرب إسبانيا عام (711)، وجدوا في اليهود السافرديين خير حليف لهم، فكافؤوهم بأن خففوا عنهم الرسوم الضريبية، وجعلوهم يدفعون أقل من المفروض على المستعربين المسيحيين. ومع ذلك، ظلت «العهدة العمرية» سارية المفعول في إسبانيا. وفي عهد الخلافة الأموية في قرطبة (756-1031)، أصبحت عاصمة الأندلس بمقام مركز اليهود الفكري، حتى وإن كان إشعاع أكاديمية (**يشيفا** *Yeshiva*) أليسانة لا يفوق إشعاع نظيراتها في بغداد

230- في الأصل: (exilarche)؛ والصواب: (exilarque)؛ أي «رأس الجالوت» كما أثبتناه. (م)

231- لا يوجد للعهدة العمرية نصّ ثابت متّفق عليه على فرض أنّها وُجِدت بالفعل. والإشارة اليتيمة إلى اليهود في نصّ العهدة، الذي أورده الطبري، لا تحتمل ما ذهب إليه المؤلف. (م)

وأورشليم والقاهرة. وعلى الرغم من تجاهل اليهود المعاصرين له، يبقى أعظم فلاسفة قرطبة هو الأفلاطوني سليمان بن جبيرول (Solomon ibn Gabirol) (نحو 1020-1070)، مؤلف كتاب (**ميكور حاييم**) (*Mekor Hayyim*) (ينبوع الحياة) الذي لم تصلنا منه سوى ترجمته اللاتينية (*Fons Vitae*). وابن جبيرول هذا، الذي كتب معظم مؤلفاته باللغة العربية، مثل سائر المفكرين اليهود الكبار في ذلك العصر، نظم أيضاً أشعاراً باللغة العبرية كما تشهد على ذلك القصيدة ذات النفحة القبالية المعروفة بعنوان (**كتير ملخوت**) (*keter malkhut*) (تاج الملكوت[232]). وهناك أفلاطوني آخر متميز هو بهية [يحيى] بن باقودا (Bahya ibn Baquda) (القرن الحادي عشر). وفي المقابل، نجد أنّ أبراهام بن داود (Abraham ibn Daud) (نحو 1111-1180) كان أرسطي المذهب، بينما كان يهودا اللاوي (Judah Halévy) (نحو 1075-1144) مناهضاً للأرسطية. وقد أدى الغزو المرابطي لإسبانيا (نحو 1086-1147)، ولاسيما الاحتلال الموحدي الفظ (نحو 1150-1250)، إلى تدهور كامل لأوضاع اليهود (والمسيحيين) الإسبان الذين اضطروا إلى اللجوء إلى بلاد أخرى بحثاً عن شروط حياة أفضل. وهذا ما حصل لأعظم المفكرين اليهود في ذلك العصر، ونعني به موسى بن ميمون (1135-1204) المولود في قرطبة، الذي استقرّ به المقام في القاهرة. وابن ميمون هذا فيلسوف أرسطي؛ وهو مؤلف كتاب (**موري نبوخيم**) (*More nebohim*) («**دلالة الحائرين**»)، ومدوّنة في التشريع[233] سيكون لها تأثير حاسم في تطور التفسير الهالاخي. وقد تكسب من خدمته طبيباً في بلاط أواخر الفاطميين. ونلفي أهم المفكرين اليهود في بلاد المسيحين: لاوي بن جرشون (Lévi b. Gerson) (جرشونيد 1288-1344) في برفنس (Provence)، وحسداي قرشقش (Hasdai Crescas) (نحو 1340-1412) في سرقسطة. وتعرض اليهود

232- في الأصل: ("couronne du roi تاج الملك")؛ ولعلّ الصواب ما ذكرنا. (م)

233- لعله يقصد كتاب «مشنيه توراه» أو «تثنية التوراة». (م)

للاضطهاد الدوري أينما كانوا، فطُرِدوا من إسبانيا المسيحية عام (1492)، ومن البرتغال عام (1497). واستقرّ العديد من المهاجرين في أراضي الإمبراطورية العثمانية، في آسيا الصغرى وفي البلقان (كما هو حال يوسف كارو Joseph Caro، 1488-1575، أحد كبار المؤلفين الهالاخيين)، أو في بلدة صفد في فلسطين التي صارت تمثّل مركز اليهود الفكري خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، فاحتضنت القبالي السافردي موسى القرطبي (Moïse Cordovero) (1522-1572)، ومدرسة القبالي الأشكنازي إسحاق لوريا (Issac Luria) (1534-1572) (↔ 7.32). وفي هذه الإمبراطورية العثمانية نفسها، نشأت حركة شباطاي تزيفي (Sabbataï Tsewi) (1626-1676) المسيانية التي كان نبيها هو القبالي ناثان الغزاوي (Nathan de Gaza). وقد توطّدت النحلة الشباطانية (Shabbatianisme) في بولندا بفضل مجهود يعقوب فرانك (Jacob Frank) (1726-1791). ومنذ هذا التاريخ، انتقلت مراكز اليهودية من بلاد الجنوب إلى بلاد الشمال، مثل فيلنيوس (Vilna) [ليتوانيا]، حيث نجد يشيفا [أكاديمية] الجاؤون سليمان زلمان (Solomon Zalman)، ومثل بوديليا (Podolie) (أوكرانيا البولندية) التي قام فيها بعل شيم توف (Baal Shem Tov) ("مولى الاسم الحسن ⟨اسم الإله⟩")[234]، وهو إسرائيل بن أليعازر (1700-1760)، بتأسيس الحركة الحاسيدية (hassidique) [التقوية] القوية التي انتشرت في إقليم بولندا الوسطى.

وعلى الرغم من أنّ اليهود تعرّضوا للاضطهاد والمطاردة تبعاً لمزاج الحكام، فإنّهم حظوا بتعاطف العديد من الأشخاص الذين دافعوا عنهم في فترة الأنوار. وفي أواخر القرن الثامن عشر، أصبح اندماج اليهود ممكناً في ألمانيا (1781-87)

234- ليس هناك إجماع على معنى العبارة عند المؤلفين المعاصرين. ولا نستبعد أن تكون «شيم توف» مجرّد ترجمة عبرية (بتصرف) لعبارة «اسم الله الأعظم» المعروفة في التقليد الإسلامي. (م)

وفرنسا (1790)، لكنّ أوضاعهم ظلّت هشة في روسيا، كما في مناطق النفوذ الروسي، إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر، في الفترة التي كان فيها بنيامين دزرائيلي (Benjamin Disraeli) يتقلّد منصب رئيس وزراء بريطانيا العظمى. وقد كان للأنوار تأثير عميق في اليهودية الأرثوذكسية نفسها. ويُعدّ موسى مندلسون (Moses Mendelssohn) (1729-1786) رائد [حركة] **الماسكيليم** (*maskilim*) (جمع **ماسكيل** *maskil*؛ أي داعية التنوير) ومعها الظاهرة المعروفة باسم **الهسكالا** (*haskalah*)؛ أي [حركة] تحديث الثقافة اليهودية. وعلى غرار جميع الأمم الغربية، أعاد اليهود اكتشاف عمق تقاليدهم الموروثة في بداية القرن التاسع عشر (صموئيل دافيد لوتزاتو Samuel David Luzzato، 1800-1865)، ووضعوا فلسفة للتاريخ أضحى فيها التوحيد رمزاً لإسرائيل (نحمان كروشمال Nahman Krochmal، 1785-1840). وقد صارت اليهودية الإصلاحية واليهودية المحافظة على طرفي نقيض.

وشهدت أواخر القرن التاسع عشر تصاعداً قوياً لنزعة معاداة السامية في البلدان الأوربية كافة، ولاسيما روسيا؛ لكنّها شهدت، في الوقت ذاته، ظهور الحركة الصهيونية التي أسسها ليون بنكستر (Leon Pinkster) (1821-1891)، وتيودور هرتزل (Theodor Herzl) (1860-1904). غير أنّه قبل استعمار فلسطين وقيام دولة إسرائيل، في أعقاب الحرب العالمية الثانية وبعد الإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود في معسكرات الاعتقال النازية، كانت الولايات المتحدة الأمريكية، التي آوت ملايين اليهود الأوربيين، قد أصبحت مركزاً لليهودية وللنقاش الذي دار بين كلٍّ من أنصار الإصلاح واليهود الأرثوذكسيين الجدد والمحافظين أمثال سليمان ششتر (Solomon Schechter) (1848-1915)، رئيس معهد اللاهوت اليهودي في نيويورك.

7.32- تُعد **القبالة** (*kabbale*) إحدى صور التصوف اليهودي التي تضرب بجذورها، من جهة، في المباحث القديمة ذات الصلة بالحروف والأعداد (والتي

أثمرت **سفر يتسيرا** *Sefer Yetsirah* أو «كتاب الخلق»[235] (القرن الرابع؟)) ومن جهة أخرى، في الأدبيات الهيخالوتية. ويميز موشي إيدل (Moshe Idel) بين صورتين من صور القبالة: قبالة «ثيوصوفية-ثيورجية»، وقبالة «انجذابية»[236].

وينطوي **سفر يتسيرا**، سلفاً، على الترسيمة الكوسمولوجية المميزة للقبالة: فهناك **السفيروت** (*sephirot*) العشر الذين يطابقون على الأرجح الوصايا العشر [الموسوية]، ثمّ الاثنان والعشرون مسلكاً التي تربط فيما بينهم، والتي تطابق الاثنين والعشرين حرفاً من حروف الأبجدية العبرية. وهكذا، يتم الخلق انطلاقاً من هذه العناصر الاثنين والثلاثين البدئية. ويشغل **سفر يتسيرا**، ومعه الأدبيات الهيخالوتية، مكانة محورية في فكر «التقويين اليهود الألمان» (**حاسيداي أشكناز** *Hasidei Ashkenaz*) الذين لمع فيهم آل قالونيموس (Kalonymus): صموئيل بن قالونيموس [التقي] الشبايري (Samuel ben Kalonymus de Speyer) (القرن الثاني عشر)، وابنه يهودا بن صموئيل (نحو 1150-1217)، وتلميذ هذا الأخير أليعازر الفرمسي (Éléazar de Worms) (1165-1230). غير أنّ القبالة لم تظهر في صفوف الأشكناز؛ بل ظهرت في صفوف سافرديي برفنس (Provence) مؤلفي **سفر ها-باهر** (*Sefer ha-Bahir*) ("كتاب الجلاء") الذي يتنزل فيه السفيروت، لأول مرة، بمنزلة الصفات الإلهية. وأوّل متصوّف يهودي برفنسالي اطلع على كتاب (**الباهر**) هو إسحاق الأعمى (Issac l'Aveugle) (نحو 1160-1235) نجل

235- في الأصل: «عالم الخلق» (monde de la création)؛ ولعلّ الصواب ما ذكرنا. وقد استدرك المؤلف في فقرة لاحقة. (م)

236- على التوالي: (théosophico-théurgique) و(extatique). وقد آثرنا تعريب العبارة الأولى، بدلاً من ترجمتها؛ لأنّها مركبة من صفتين، إحداهما منسوبة إلى «الحكمة الإلهية» (théosophie)، والثانية منسوبة إلى «العمل الإلهي» (théurgie)؛ وهما كما نرى مركبان أيضاً. (م)

الحاخام أبراهام بن دافيد البوكيري (Abraham ben David de Posquières) (نحو 1120-1198). ومن برفنس انتشرت القبالة في كاتالونيا؛ حيث ازدهرت في حلقة جرندة (Gérone) التي كان يمثّلها الحاخامات عزرا بن سليمان (Ezra ben Solomon)، وعزريال (Azriel) ثم (أشهرهم) موسى بن نحمان (Moïse ben Nahman) (1195-1270). وفي قشتالة، نجد الأخوين يعقوب وإسحاق كوهين (Cohen) اللذين يُعدان الرائدين المباشرين لمؤلف كتاب (**الزوهار**) (Zohar). وفي هذا العصر، طور القباليون تقنيات تحويل ومزج حروف الأبجدية ومباحث علم الأعداد الباطني (**تيمورا** *temura*، **جيماتريا** *gematria* **ونوطاريقون** *notarikon*)، التي يبدو أنّ أصولها هلنستية.

ويُعدّ أبراهام بن صموئيل أبو العافية (Abraham ben Samuel Abulafia)، المتصوّف السافردي الكبير في القرن الثالث عشر، أبرز ممثلي القبالة الانجذابية التي تسعى إلى بلوغ مقام **الدفيكوت** (*devekut*) أو **الاتحاد** (*unio*) بالإله. وقد عرف جيله علمين آخرين من أعلام القبالة الكلاسيكية، هما: يوسف بن أبراهام جيقاتيلا (Abraham Gikatilla) (1248-1305)، وموسى الليوني (Moïse de León) (1250-1305) مؤلّف الكتاب المنحول (**سفر ها-زوهار**) (*Sefer ha-Zohar*) (**كتاب البهاء**) المنسوب إلى المعلم التانائي شمعون بار يوحاي (Siméon bar Yohai) (القرن الثاني).

وتستوعب القبالة الكلاسيكية الكوسمولوجيا الهيخالوتية في أحد العوالم الروحية الأربعة التي يمتدّ بعضها في بعض من أعلى إلى أسفل: **أتزيلوت** (*atsilut*)، **بريا** (*beriyah*)، **يتسيرا** (*yetzirah*)، ثم **أسيا** (*asiyah*). فعالم **الأتزيلوت** (الفيض) يشتمل على **السفيروت** العشر (**كتير، حكما، بينا، كيدولا**/حاسيد، **جيبورا**/**دين، تيفريت**/رحيم، **نيتسا، هود، يسود**/ **تزاديك، ملخوت**/ **شكينا**)، التي تشكّل آدم قدمون (Adam Kadmon)، أو الإنسان البدئي. ويشتمل عالم **البريا** (الخلق) على الهيخالوت [البلاطات] السبعة، وعلى المركبة. أمّا عالم **اليتسيرا** (الخلق)، فإنّه يضمّ

جيوش الملائكة. وأمّا عالم **الأسيا** (الفعل)[237]، فهو بمقام الأنموذج الأولي للعالم المرئي. وفي هذا العالم، يتجلّى حضور السفيروت العشر في قوس قزح وأمواج البحر وضوء الصباح وفي العشب والشجر. وقد طور أصحاب القبالة العديد من الطرق والأساليب الصوفية الأخرى (مثل إراءة الألوان...) من أجل بلوغ عالم **الأتزيلوت**. غير أنّ ولوجه صعب عسير بسبب وجود الشر (المسمى **سترا أحرا** (*sitra ahra*)؛ أي «الجهة الآخرى») في عالم **الأسيا**. ومع ذلك، من المهم جداً أن نلاحظ أنّ القبالة لا تتبنى بصورة مذهبية ثنائية الجسد/النفس الأفلاطونية وبغض العالم المادي. ويلزم عن ذلك أنّ الممارسة الجنسية محمودة بقدر ما هي عملية تهدف إلى إعادة إدماج كيانات انفصل بعضها عن بعض عند هبوط الأنفس وحلولها في الأجساد. وترتبط جميع أفعال القبالي بأحد الأهداف الثلاثة التي يروم تحقيقها، وهي: **تيكون** (*tikkun*) أو استعادة الانسجام والوحدة البدئيين، على مستوى شخص الممارس أو على مستوى العالم؛ **كافانا** (*kavvanah*) أو التأمل [الجامع للهمة]؛ وأخيراً، **الدفيكوت** (*devekut*) أو الاتحاد الانجذابي بالماهيات أو الجواهر.

ويرى بعض العلماء، أمثال موشي إيدل (Moshe Idel)، أن آراء القبالة المذهبية الرئيسة ثابتة وقارة. ومع ذلك، إن مذهب إسحاق لوريا (Isaac Luria)، **أري ها-قادوش** (*Ari ha-Kadosh*)، القديس الأسد الصفدي (**أري** ari، أسد، هي اختصار لعبارة «أشكنازي رابي إسحاق») ومذهب تلامذته، وأهمهم حاييم فيتال (Hayyim Vital) (1543-1620)، يكتسي طابعاً ثورياً، وذلك لأنّه يتصوّر الخلق بوصفه عملية انقباض أو انكماش (**تسيمتسوم** *tsimtsum*) للإله على ذاته، وينظر إلى الشر بوصفه نتاجاً للفضلات («قشور» أو **خاليفوت** *qelippot*) الروحية الساقطة بسبب «انكسار الأوعية» (**شفيرات هاكليم** *shevirat hakelim*) التي يفترض أن تستقبلها. وتشبه هذه الدراما الكونية الحدث المعروف عند غنوصيي القرون المسيحية الأولى

237- في الأصل: «عالم الصنع» (monde de la fabrication)؛ ولعل الصواب ما ذكرنا. (م)

باسم «سقوط صوفيا»؛ وهذا دليل على أنّ إسحاق لوريا قطع المسار الفكري نفسه الذي قطعه الغنوصيون. وعلى شاكلة بعض الطوائف الغنوصية، رحّب لوريا بفكرة تناسخ الأجساد[238] التي تجعل الحكيم قادراً على كسب المزيد من الأرواح (أو «شرارات الأرواح») الشهيرة.

8.32- إنّ المطابقة بين **شباطاي تزيفي** (*Shabbatai Tsevi*) (1626-1676) وبين المسيا المنتظر تعود، في المقام الأول، إلى القبالي اللورياني ناثان الغزاوي (Nathan de Gaza) (أبراهام ناثان بن أليشع حاييم أشكنازي، 1643/ 44- 1680)، الذي وجد لدى المتصوّف الإزميري كلّ خصال المختارين، بما في ذلك صفات الضعف والغواية العائدة إلى **الخاليفوت**. وفي دراسته المتبحرة الشهيرة (**شباطاي تزيفي: المسيا الصوفي**، 1973 *Sabbatai Sevi: The Mytical Messiah*) يعرض علينا جرشوم شوليم (Gershom Scholem) دقائق تاريخ الشباطانية. لقد ظهر المسيا منذ (1665)، واتخذ ناثان الغزاوي موقفاً أنتينومياً [مناوئاً للشرع]، فأبطل أعراف الحداد، واستعاض عنها باحتفالات الفرح والبهجة على شرف المسيا شباطاي. وتنبأ كذلك بأنّ المسيا شباطاي سيستولي على عرش السلطان [محمد الرابع]؛ إلا أنّ السلطان العثماني ألقى عليه القبض في شهر فبراير [شباط] من عام 1666، عندما حلّ في إسطنبول، ووضعه أمام خيارين: إما اعتناق الإسلام، وإمّا القتل؛ فاختار المسيا أولهما، ما جعله يفقد العديد من المتعاطفين والأنصار. وظلّ ناثان الغزاوي، ومعه جماعات عديدة في بلاد الإمبراطورية التركية، أوفياء للمسيا. وكانت هناك أعمال ردة ودخول **شكلي** (*pro forma*) في الإسلام، وتواصلت معها الممارسات الأنتينومية [المناهضة للشرع]. وانبرى الشباطاني المتطرّف يعقوب فرانك (1726-1791)، في

238- كذا في الأصل: (métensomatose)؛ أي «تناسخ الأجساد»؛ ولعلّ الصواب: (métempsychose)؛ أي «تناسخ الأرواح». وهذا الخلط تكرّر في أكثر من موضع. (م)

بولندا، للتبشير بالمسيانية الداعية إلى التحلل من التوراة؛ وكان يعتقد أن شباطاي نفسه قد تجسد فيه.

9.32- تمثل **الحاسيدية البولندية** واحدة من أحدث وأثرى مذاهب التصوف اليهودي؛ إذ استوعبت عناصر مستمدّة من جميع تياراته التاريخية. أمّا مؤسس الحاسيدية، فهو صانع المعجزات إسرائيل بن أليعازر الملقب ببعل شيم توف (اسم يختصر بلفظ **بشت** *Besht*)، يليه **المجيد** *maggid* [الواعظ] أو النبي الجوال دوف باير (Dov Baer) (1710-1772). وقد استقطبت الحركة عدداً كبيراً من الأنصار، فجلب عليها ذلك سخط المراجع اليهودية (**الكاهيلا** *kehillah*)، التي سارعت إلى تشكيل حركة **المتناجديم** (*mitnagdim*) المعارضة للحاسيدية. وبعد انصرام قرن من الصراع بين الطرفين، تلاشت الخلافات الحادثة، وفقد الحاسيديم قدراً مهماً من حماسهم الثوري، وتمكّن المتناجديم من تمثل واستيعاب دروس الحاسديم الأخلاقية. وبخلاف تقوية الأشكناز التقليدية، التي تتمثّل في نوع من النسك القاسي، فإنّ حاسيدية البشت (Besht) وأتباعه -الذين انتهى بهم الأمر إلى تشكيل أسر [حاكمة] حقيقية- تؤكّد الفرح والبهجة حيال الحضور الكلي للإله، والتحقّق بمقام الدفيكوت الذي هو عبارة عن ترقّي النفس (**عليات هانيشاما** *aliyat haneshamah*) في مدارج النور الإلهي. ويعترف الحاسيديم بحضور الإله في أبسط أفعال الجسم، ويزاولون «العبادة الجسمانية» (**أبودا با-جشميوت** *avodah ba-gashmiyut*)؛ أي الثناء على الإله، لا في الصلوات أو في الشعائر «المقدسة» فحسب؛ بل كذلك في خضم الأفعال الأكثر دنيوية كالجماع الجنسي أو الأكل أو النوم. فالنية هي مناط الأمور جميعاً؛ وإذا كان **الدفيكوت** هو الغاية المتوخّاة من الأعمال كافةً، فإنّ [نشوة] الجذب هي الثمرة التي تجتنى منه. وعلى هذا النحو، أقبل الحاسيديم على ألوان الرقص والغناء؛ بل إنهم زاولوا الدوران على شاكلة الدراويش الدوارين. ويقبل الحاسيد الكامل بالنزول من علياء التأمل من أجل مساعدة الجماعة، معتمداً مبدأ **يريدا لي-تسوريخ عليا** (*yeridah le-tsorekh aliyah*)؛ أي «النزول من أجل الصعود». وقد ترك لنا هؤلاء الحاسيديم قصصاً عديدة تنطوي على مغزى عميق.

10.32- بيبليوغرافيا:

بصورة عامة، انظر:

- Robert M. Seltzer, *Jewish People, Jewish Thought: The Jewish Experience in History*, New York/Londres, 1980; Geoffrey Wigoder (éd.), *The Encyclopedia of Judaism*, NewYork, 1989; Isidore Epstein, *Judaism*, Harmondsworth, 1959; Julius Guttmann, *Philosophies of Judaism*, New York, 1964.

وأفضل مجموعة نصوص ترجمت إلى لغة أوربية هي:

- Samuel Avisar, *Tremila anni di litteratura ebraica*, 2 vol., Rome, 1980-82.

ونجد مدخلاً ممتازاً إلى الكتابات اليهودية في:

- Barry W. Holtz (éd.), *Back to the Sources: Reading the Classic Jewish Texts*, New York, 1984.

وفيما يتعلق بعلم آثار فلسطين القديمة، انظر:

- Gösta W. Ahlström, *An Archaeological of Iron Age Religions in Ancient Palestine*, in *Studia Orientalia* 55 (1984), 1-31; Roland de Vaux, *Histoire ancienne d'Israël, des origines à l'installation en Canaan*, Paris, 1971.

وفيما يخص [عملية] الخلق في التوراة، انظر:

- John D. Levenson, *Creation and the Persistence of Evil*, San Francisco, 1988.

وفيما يتعلّق بالأنبياء، انظر:

- Joseph Blenkinsopp, *A History of Prophecy in Israel: From the Settlement in the Land to the Hellenistic Period*, Philadelphia, 1983.

وفيما يتصل بالأعياد اليهودية، انظر:

- Julius H. Greenstone, *Jewish Feasts and Fasts*, Piladelphia, 1945.

وفيما يتعلق بالأدبيات الرؤياوية اليهودية، انظر:

- John J. Collins, *The Apocalyptic Imagination: An Introduction to the Jewish Matrix of Christianity*, New York, 1984; Michel E. Stone, *Scriptures, Sects and Visions*, Philadelphia, 1980, idem (réd.), *Jewish Writings of the Second Temple*, Assen/Philadelphia, 1984; David Hellhom (réd.), *Apocalypticism in the Mediterranean World and the Near East*, Tübingen, 1983.

ومن أجود المداخل إلى أدبيات قمران الأسينية كتاب ماتياس ديلكور (Mathias Delcor)، بالاشتراك مع فلورانتينو غارسيا مارتنيز (Florentino Garcia Martinez) (الذي يشتمل كذلك على إفادات بيبليوغرافية ممتازة) وهو:

- *Introduction a la literatura esenia de Qumrân*, Madrid, 1982.

أمّا الفرضية التي تقول إن مخطوطات قمران تعود إلى أصول غير أسينية، فقد دافع عنها نورمان غولب (Norman Golb) في:

- «*The Problem of Origin and Identification of the Dead Sea Scrolls*», in *Proceedings of the American Philosophical Society* 124 (1984), 1-24.

وعلاوة على العروض الرائعة التي تناول فيها جرشوم شوليم (Gershom Sholem) مراحل التصوف اليهودي الكبرى، ينبغي، في أيامنا هذه، الاطلاع على أعمال أكثر تخصصاً في الموضوع، مثل الدراستين الآتيتين اللتين أنجزهما إيثامار غروينوالد (Ithamar Gruenwald) حول التصوف العرشي:

- Apocalyptic and Merkavah Mysticism, Leiden/Köln, 1980.
- From Apocalypticism to Gnosticism, Frankfurt, 1988.

وفيما يتعلّق ببدايات القبالة، انظر مجموعة النصوص التي ترجمها رونالد ك. كينر (Ronald C. Keiner)، ونشرها وقدم لها جوزيف دان (Joseph Dan)، مع تصدير لموشي إيدل (Moshe Idel)، تحت عنوان:

- *The Early Kabbalah*, New York, 1986.

وأجود دراسة جامعة حديثة حول القبالة هي تلك التي أنجزها موشي إيدل (Moshe Idel)، تحت عنوان:

- *Kabbalah*, *New Perspectives*, New Haven/Londres, 1988.

وفيما يتعلّق بصفد (Safed)، انظر على الخصوص:

- R. J. Zwi Werblowsky, *Joseph Caro, Lawyer and Mystic*, Philadelphia, 1977, (1962).

وتظلّ أجود دراسة حول شباطاي تزيفي (Shabbatai Tsevi) هي تلك التي أنجزها جرشوم شوليم (Gershom Scholem) تحت عنوان:

- *Sabbatai Sevi. The Mystical Messiah*, 1626-1676, Princeton, 1973.

33
أديان اليونان

33.1- **الديانة المينوية**: استعارت الحضارة الكريتية في الألفية الثانية ق.ح.ع اسم الملك الأسطوري مينوس (Minos) الذي شيد المتاهة الشهيرة. وإذا لم تكن هذه المتاهة هي قصر كنوسوس (Cnossos) العظيم المزين بالفؤوس ذوات الحدين (**لابروس** *labrys*)، فإنّها على الأرجح صورة محرفة عن المغارات القديمة التي جرى إعدادها لتكون أماكن مقدسة منذ العصر الحجري الحديث. وقد امتازت الحضارة الكريتية بمجمعات القصور الرحيبة، وبفنونها الذي تحتفي بالطبيعة، وكذا بنوعي الكتابة اللذين اشتهرت بهما، وأولهما: كتابة هيروغليفية مشتقة من اللغة الهند-أوربية اللوفية (luwienne) المنحدرة من بلاد الأناضول الغربية، وثانيهما: كتابة منحدرة من أرض كنعان (Phénicie)، مثلها مثل اللغة التي تضطلع بترميزها، وهي المسماة بالنظام الخطي **ألف** (linéaire A)، التي يبدو أنّها ذات أصل سامي. ومع أن الثقافة المينوية تعرّضت للأفول بعد انفجار جزيرة ثيرا (Théra) البركانية (سانتوريني Santorin)، قُيِّض لجزءٍ منها النجاة، كما أنّها عوضت جزئياً بفضل انتشار الحضارة الميسينية القوية (نحو القرن الخامس عشر ق.ح.ع).

وتجد تيمات أو موضوعات الديانة المينوية تعبيرها في الإيقونوغرافيا: جداريات القصور الملونة، المعدن الموشى، المزهريات والتماثيل الصغيرة. فكلّ هذه التعبيرات تدلنا على أنّ المعبود الرئيس في هذه الجزيرة هو عبارة عن إلهة عظمى للطبيعة تتجلى

لكهنتها وعبدتها، وتفعل ذلك أحياناً بصحبة شريكها الذكر الضعيف، وهو إله مراهق ينتمي على الأرجح إلى صنف المعبودات التي تموت ثمّ تعود إلى الحياة. وترتدي الإلهة المينوية تنورة جرسية الشكل، وتظهر بصدر عارٍ وذراعين مرفوعتين. ومن الرموز التي تقترن بها الحيات والفهود. إنّها سيدة الحيوانات، وهي أيضاً سيدة الجبال والبحار والزراعة والحرب، وملكة الأحياء والأموات. والرموز الرئيسة للقداسة في الديانة المينوية تتمثّل في فأس الإلهة ذي الحدين وقرني الثور المؤسلبين[239] ("قرنا التكريس"). وترمز الحمامة والثور على التوالي إلى الإلهة والإله.

وتتمثّل شعائر العبادة المينوية في القرابين والهدايا التي تجري أطوارها في المغارات (كاماريس Kamares، بسيكرو Psychro ...)، وعلى قمم الجبال (مثلاً: قبر زيوس Zeus الذي يرمز إلى فكرة الإله الميت في كريت)، وفي المقامات المشيدة في الأرياف حول أشجار مقدسة، أو في الغرف الخاصة المنذورة لهذا الغرض في القصور. وأسفرت الحفريات الأثرية، التي أجراها آرثر إيفانس وغيره، عن الكشف عن بقايا قرابين مكونة من ثيران وحيوانات أخرى أصغر، وهدايا محروقة وسكائب[240]. وكانت تُهدى للإلهة تماثيل صغيرة نذرية وأسلحة ومجسمات تمثل مقامات مقدسة. وكانت طقوس النار على قمم الجبال، وكذا المواكب والألعاب البهلوانية التي تتمّ فوق قرني ثور، تشكّل جزءاً لا يتجزأ من الحياة الدينية في كريت.

2.33- **الديانة الميسينية:** هي ديانة شعب يتكلم اللغة اليونانية، ويتصدى لنصرة المعبود السماوي الذكر (الهند-أوربي) على الإلهة الكريتية القديمة، وهي **البوتنيا ثيرون** (*potnia therōn*) (سيدة الحيوانات). وقد تورّطت هذه الحضارة البحرية المزدهرة -التي استولت على مدينة طروادة الأناضولية الغنية- في الصراعات الداخلية التي

239- من «أسلب» (styliser): بسط الشكل أو جرده من أجل استخدامه في الزخرفة (محدثة). (م)

240- جمع «سكيبة» (Libation). (م)

نشبت بين حكامها قبل أن تتعرض لغزوات «شعوب البحر» (القرن الثاني عشر- القرن التاسع ق.ح.ع) التي تؤرّخ لأفولها وسقوطها التام.

وقد كشفت النقوش المدونة بالنظام الخطي باء (Linéaire B) عن وجود بانثيونات أو مجامع آلهة محلية، وفيها آلهة مثل بوسيدون (Poséidon)، زيوس (Zeus)، هيرا (Héra)، أرتميس (Artémis)، ديونيسوس (Dionysos)، إيرينيس (Erinys)...، ومعظمهم سيُعرفون لاحقاً في بلاد اليونان. أما الهدايا المقدمة إلى هذه الآلهة، فهي مماثلة للهدايا التي قُدِّمت إليهم في بلاد اليونان القديمة، مع أنّه من المرجح جداً أنه تمّ تقديم قرابين بشرية في الفترة المينوية كما في الفترة الميسينية.

3.33- تلوح الديانة اليونانية الغابرة والكلاسيكية من خلال أساطير وطقوس موسومة بالثراء الفائق. والأسطورة هي أساس الطقس، وكلاهما محلي وعام في الوقت نفسه؛ ذلك أن للبدائل المحلية في الغالب ما يقابلها في الخارج. ويصدق الأمر نفسه على الآلهة: فرموزها وأساطيرها؛ بل أسماؤها، تختلف بحسب المنطقة والسياق الثقافي. ففي دلفي (Delphes)، يلقب أبولون (Apollon) بالبيثياني (Pythien)، وفي الجزيرة التي ولد فيها يُنعت بالديلوسي (Délien)، وفي **الإلياذة** (*Illiade*) هو فويبوس (Phoebus) الذي يرمي بسهمه من بعيد. وتتسم الأشعار الهوميرية [نسبة إلى هوميروس Homère] بالطابع الإغريقاني[241] في تعمدها التركيز على الخصائص المشتركة للآلهة اليونانية. فالديانة اليونانية تتسم بالتعقيد الفائق، وتنطوي على عدة أبعاد أو وجوه تكشف عنها، الواحدة تلو الأخرى، جملة الأبحاث في حقول علم النفس والسوسيولوجيا والتاريخ والفن واللسانيات، فتتحسّس صداها أحياناً في تأويلات المحدثين، مع أنّها تعتاص أحياناً على الفهم، وتتسم بالغموض والالتباس.

241- في الأصل: (panhellénique)؛ وتترجم أحياناً بلفظ «إغريقاني»؛ وبقية الجملة شارحة للمعنى. (م)

1.3.33- نشأت **الديانة المدنية**، التي تشتمل على «روزنامة» مقدّسة وجهاز كهنوتي في مختلف أرجاء المدينة، بين القرنين الحادي عشر والثامن (ق.ح.ع). وتتميّز هذه الديانة بطقس القربان والاستهلاك الجماعي للحم الضحية الحيوانية. وقد انبرت نزعةُ مناهضةِ الشّرع[242] الأورفيّة والفيثاغورية التي ظهرت خلال القرن السادس، بحميتها النباتية وغيرها من ضروب الإمساك التي دعت إليها، [انبرت] لنقد طقس القربان نقداً شديداً لا هوادة فيه. وتُعدّ أسرار إليوسيس (Mystères d'Éleusis) بمقام مؤسسة سرّية يفترض فيها السهر على ضمان نوع من الخلود لجميع مواطني **البوليس**[243] (*polis*) الأثيني. وفي الفترة الهلنستية، ظهرت جماعات أسرار أخرى أكثر خصوصية أو انغلاقاً (↔ 2) كعلامة على عصر يشدّد على النزعة الفردية وعلى استبطان الطقس.

2.3.33- وتحضر هذه النزعة الفردية، سلفاً، في شخصية غريبة الأطوار هي شخصيّة النبي المعالج الذي يُشار إليه فنياً بمصطلح مركب هو **ياترومانت** (*iatromante*) (من **ياتروس** *iatros*، «معالج»، و**مانتيس** *mantis*، «عراف»)؛ وهو قويّ الشبه بشامانات آسيا الوسطى (↔ 20).

ونذكر أشهر هؤلاء الياترومانت أو المعالجين العرافين اليونان، الذين لا يمتّون إلى الأسطورة بصلة، وهم إبيمانيدس الكريتي (Épiménide de Crète)، هيرموتيموس الكلازوميني (Hermotime de Clazomène)، أرستياس البروكونيسي (Aristée de Proconnèse)، أنبادوقليس الجرجنتي (Empédocle d'Agrigente)، ثمّ فيثاغورس الساموسي (Pythagore de Samos). فقد زعم أنّ

242- في الأصل: (antinomisme)؛ وتعني هنا «نزعة مناهضة الشرع أو القانون السائد» كما ذكرنا، وليس «الإباحية» بمعناها المبتذل. (م)

243- يعني «المدينة» بمفهومها اليوناني. (م)

هؤلاء قادرون على أشياء من قبيل الإمساك[244]، والتنبؤ، وصنع المعجزات[245]، والحضور الكلي[246]، وتذكر الحيوات [جمع حياة] السابقة، السفر الانجذابي [الروحي] ثمّ طيّ المسافات. وسيواصل تقليد فيثاغوري وأفلاطوني بكامله الإشادة بمآثر هؤلاء الأشخاص الشبه-إلهيين ومحاكاتهم باستخدام طرق ثيورجية[247] تمّ تقنينها بمنتهى العناية خلال الفترة الرومانية.

3.3.33- وستجد هذه النزعة -التي تتعارض مع مألوف التدين الشعبي- تعبيرها أيضاً في **الفلسفة** القادرة على إلغاء المسافة الفاصلة بين الإلهي والبشري ونجدة الروح أو النفس المكبلة في جحيم الهاديس (Hadès). ويرى فرنسيس م. كونفورد (F. M. Cornford) أنّ الياترومانت أو المعالجين العرافين هم الينبوع الأول لكلّ فلسفة. ويعتقد فالتر بوركرت (Walter Burkert) أن الفلسفة اكتسبت أهمية عند ظهور الكتاب بوصفه وسيلة تواصل فيما بين شخص مفكر وشخص آخر غيره. لقد ولى عهد التمثيل الأنثربومورفي[248] الفج للآلهة لتحلّ محله شكوكيّة الما قبل-سقراطيين؛ وأينعت هذه الشكوكية ثمارها في ظل العقلانية التي تمثّل ميراث اليونان النموذجي الأسمى. لقد خلف الكشف عن ديانة أفلاطون العميقة صدمة عند أولئك الذين يستسلمون لحبائل الجدل الأفلاطوني العديدة. فالعقلانية اليونانية لا تجحد البحث عن الآلهة أو الألوهية، وإنما هي بخلاف ذلك تستلزم الاعتراف

244- في الأصل: (abstinence)؛ ويقصد الامتناع عن أكل اللحم أو ممارسة الجنس... (م)

245- في الأصل: (thaumaturgie)؛ ومنها إشفاء المرضى. (م)

246- في الأصل: (ubiquité)؛ وتعني القدرة على «التواجد» أو الحضور في أماكن متعددة في الوقت نفسه. (م)

247- نسبة إلى الثيورجيا (théurgie) التي تعني حرفياً: «العمل الإلهي»؛ ومعناها الاصطلاحي قريب من معنى «السحر الأبيض». (م)

248- نسبة إلى النزعة الأنثربومورفية (anthropomorphisme) التي تعني إضفاء الإنسان لصورته وصفاته على الأشياء والكائنات. (م)

بعلاقاتنا بها والسعي إلى تنظيم هذه العلاقات. وحين يتعلق الأمر بالإعلان عن حقيقة لا تنجم بطبيعتها عن العملية الديالكتيكية، يلجأ أفلاطون إلى الأسطورة. ويتمثل أحد المبادئ الأساسية التي يقوم عليها فكره في الهيراركية أو التراتبية الأفقية للوجود: فنحن كائنات سفلية تعيش في شقوق الأرض مثل الديدان؛ وسطح الأرض ("الأرض الحقة") هو سلفاً شبيه الفردوس بكائناته التي تتنقل في الهواء مثلما نتنقل نحن في البحر. إن هذه الرؤية التي أجملها أفلاطون في محاورة **فيدون** (*Phédon*) تتوضح أكثر في محاورة **غورجياس** (*Gorgias*) (523 أ وما بعدها) حيث يعيش سكان الأرض الحقة (Vraie Terre) في جزائر السعداء يحف بهم بحر الهواء المحيط. إن أساطير أفلاطون الإسخاتولوجية والكوسمولوجية تشكل امتداداً للمعتقدات الياترومانية المتصلة بانجذاب المعالجين العرافين. وتصف لنا الأساطير الأفلاطونية، الواحدة تلو الأخرى، كيف وقعت النفس الفردية في سجن الجسد (**أقراطيلوس** *Cratyle* 400 ب)، وكيف يمكنها أن تتخلص منه بممارسة «الحياة الفلسفية» التي تتمثّل في القطيعة التامة مع الشهوات الجسدية، وكيف أن جزاء الروح أو النفس بعد الموت مرهون مباشرة بنوع الحياة التي نعيشها على الأرض. فعلى شاكلة بعض المعالجين العرافين -والطهرانيين الأورفيين على الأرجح- يجعل أفلاطون من تناسخ الأجساد (حلول الروح أو النفس في عدة أجساد، وذلك بخلاف تناسخ الأرواح الذي هو إحياء الروح أو النفس للعديد من الأجساد المتعاقبة)[249] [يجعل منه] محوراً للسيناريو الديني الذي يعرضه. فنفس أو روح الفيلسوف الكامل تفوز بشرف الانتقال إلى الأرجاء العلوية من الكوسموس لمشاهدة المثل الخالدة لمدة قدرها بضع آلاف من السنين؛ ثمّ تكره مجدداً على مقارنة الجسد الخسيس. فإن هي قهرت الجسد خلال الأدوار العديدة المتتالية، فازت بدوام الاتصال بالمثل التي لا يطولها الفساد.

249- ننبه هنا على تشوش عبارة المؤلف، وعلى الخلط الذي يتكرر لديه بين مفهوم «تناسخ الأجساد» (métensomatose) ومفهوم «تناسخ الأرواح» (métempsychose). (م)

لكن، إذا هي عجزت عن مقاومة ضغوط الجسد، فإنها تبتلى بميلاد جديد في شروط لا تنفك تزداد سوءاً: ففي الدرجة الدنيا من سلم التقمصات البشرية الخاصة بالذكور، هناك الطاغية، يليها تقمص جسد المرأة (مع أن أفلاطون يؤمن بالمساواة السياسية بين النساء والرجال، إلا أنه يؤمن كذلك بدونية النساء الأنطولوجية أو الوجودية). وبفضل إير البامفيلي (Er de Pamphylie)، وسقراط الراوي في محاورتي **فيدون** (*Phédon*) و**فيدروس** (*Phédre*)، وطيماوس اللوقراوي (Timée de Locres)، تصبح جميع أركان العالم الآخر معروفة لنا، باستثناء الربوع المنيعة الخاصة بآلهة الكواكب، فهي تمثّل عتبة أو مقدمة عالم الماهيات المثالية الخارق. وبسبب التزامه بسكوت أفلاطون عن أسرار الكواكب، لا يذكر لنا الأفلاطوني فلوطارخس الخيروني (Plutarque de Chéronée) (القرن الأول إلى الثاني ح.ع) -وهو بدوره مبتكر أساطير تنافس أساطير أستاذه- سوى التفاصيل المتعلقة بالوظيفة الإسخاتولوجية للقمر.

إنّ الفلسفة في التقليد الأفلاطوني عبارة عن دين مثلما أنّ الدين عبارة عن فلسفة. وإنما تنحصر المسألة في معرفة ما إذا كان هذا الفرع أو ذاك من فروع الأفلاطونية سيسير في اتجاه أوغل في التجريد أم أن الأمر سينتهي به إلى معانقة الدين والأسرار الدينية. وبمعنى من المعاني، فقد حافظت المسيحية على الثنوية الأفلاطونية نفس/جسد وعلى إسخاتولوجيا أفلاطونية مبسطة؛ فمركزها هو اللوغوس الأفلاطوني، الذي هو بمقام المختصر الجامع (compendium) لعالم المثل، والذي استحال بشراً ليحمل خطايا الإنسانية. إنّ مصير المحاولات الحديثة التي تروم تجريد المسيحية من إطارها الثنوي الأفلاطوني هو الفشل. فصفائية[250] أفلوطين الفلسفية سمحت بظهور تيارات أفلاطونية محدثة أعلت من شأن الثيورجيا والسحر، وهي التيارات التي ستستمر في الوجود في بيئة مسيحية، في بيزنطة مع ميخائيل بسيلوس

250- ترجمة: (purisme). (م)

(Michel Psellos) كما في فلورنسا مع الأكاديمية الأفلاطونية التي كان يرأسها مارسيليو فيسينو (Marsile Ficin) (1433-1499).

4.3.33- يقوم **الأدب** عموماً بتثبيت الأسطورة، ويتم ذلك على مثال الملاحم الهوميرية التي كانت في الأصل شفهية، ثم دونت خلال القرنين السابع والسادس (ق.ح.ع). وانتهى الأمر بهوميروس وهزيود وغيرهما من الشعراء إلى أن اكتسبوا وزناً ثيولوجياً يتجاوز كل تقدير. وتحدثنا **ثيوغونية** هزيود (Hésiode) عن ميلاد القوى الطبيعية وآلهة الكاووس [العماء] البدئي، وعن ميلاد الأرض وميلاد تارتاروس (Tartaros) وإيروس (Eros)، وقدماء الجبابرة أو الطيطان (Titans)، يليهم جيل كرونوس (Kronos) الذي خصى والده أورانوس (Ouranos) (السماء) وجيل زيوس (Zeus) الذي هزم والده ونفاه إلى مكان ما في الأرض، إمّا إلى صقلية، وإمّا إلى جزيرة من جزائر المحيط الأطلسي بحسب بعض الروايات. ويشرح لنا هزيود أيضاً كيف انحطت البشرية وكيف انتقلت من العصر الذهبي إلى العصر الفضي ثمّ إلى العصر البرونزي الذي هو عصر الأبطال الهوميريين الكبار، وكيف انتقلت أخيراً إلى العصر الحالي الذي هو العصر الحديدي. وقد عبر شعراء آخرون، تعليميون مثل تيوغنيس الميغاري (Théognis de Mégare)، أو غنائيون مثل الشاعرة صابفو (Sappho)، عن المستجدات التي تهم سيرة الآلهة.

لقد عرف البانثيون أو مجمع الآلهة اليوناني بأنه هند-أوربي، والحال أنه خضع لتأثير حاسم مصدره الشرق الأدنى وبلاد الأناضول. وزيوس إله سماوي هند-أوربي، وهو ملك الجيل الأولمبي الذي يملك قوة إخصاب غامرة. ورمزاه هما الصاعقة والعقاب. وزوجته الشرعية هيرا (Héra) -المغدور بها في العديد من المناسبات، العنيدة، والشديدة الغيرة، وبالجملة السمجة وغير الودية- هي ربة الزيجات المهيبة. ولزيوس أبناء عديدون، وابن واحد فقط من هيرا: هو آريز (Arès)، الإله الذي لا يتمتع بأية جاذبية. أما أثينا (Athèna)، العذراء الحكيمة، فبأعجوبة خرجت مرتدية درعها من رأس زيوس من غير أن يحتاج هذا الأخير إلى مجامعة أنثى.

وهي تعلم النساء الفنون المنزلية، كما تعلم الرجال فنون الحرب. أما ليتو (Leto)، التي هي من جنس الجبابرة أو الطيطان، فقد أنجبت من زيوس التوءم أرتميس وأبولون. وأما أرتميس، سيدة الحيوانات (**البوثنيا ثيرون** *potnia therōn*)، فهي العذراء الصيادة التي كانت ترعى -في برافرونا (Brauron) مثلاً- طقوس المُسارَّة البلوغية الخاصة بالإناث. وخلف المظاهر التي تتبدى بها هذه الشخصية الباردة والمتصلبة، تختفي إلهة أنثوية عظمى تنتمي على الأرجح إلى الموروث السابق للثقافة الهند-أوربية. أمّا أبولون، الإله البهي، لكن البعيد، صاحب قيثارة اللورا (Lyre) والقوس، ورفيق الموزاي (muses) أو ربات الفنون، فإنّه يخفي وراء مظهره العقلاني أعمق الأسرار ذات الصلة بملكات التنبؤ والرؤى الانجذابية والعلاج من الأمراض وصنوف التطهير. أما الحورية مايا (Maia)، ابنة العملاق الجبار أطلس (Atlas)، فقد حملت من زيوس، وأنجبت هرمس (Hermès) الرسول الذي كان اسمه يطلق على الأحجار ذات الشكل القضيبي (**هرماي** *hermai*)، التي كانت تعلم بها حدود الأملاك، وهو الإله الذي يرشد أرواح الموتى (psychopompe)، كما أنّه مكار (Trickster). وقد أنجبت ديمتير (Déméter) (شقيقة زيوس) بيرسيفون (Perséphone) ملكة العالم السفلي؛ وأنجبت سيميلي (Sémélé) الطيبية [نسبة إلى مدينة طيبة] ديونيسوس (Dionysos). أما أفروديت، إلهة الحب -عشتار/عشتروت الشرقية التي حلت بأرض اليونان من طريق قبرص- فقد كانت هي زوجة هيفايستوس (Héphaistos) الحداد الأعرج. ثم هناك بوسيدون (Poséidon) وهاديس (Hadès) شقيقا زيوس اللذان يحكمان على التوالي نطاقي المياه والعالم السفلي.

5.3.33- ديونيسوس (Dionysos) إله مستغرب غير عادي. فمع أنه ابن زيوس والأميرة الطيبية سيميلي، إلا أنه يفترض أنه ينحدر من ربوع تراقيا (Thrace) أو فريجيا (Phrygie) الغامضة؛ ذلك أنه، على الرغم من أنّه إله أهلي، يمثّل ما هو غريب فينا، ويعبر عن القوى المرعبة المعادية للمجتمع التي يطلقها الغضب الإلهي.

فالثمل من الشراب، والإسراف الجنسي، والأقنعة، والمسرح، كلّ هذه الأمور ليست سوى علامات خارجية تدل على الخبل الإلهي. وكانت جوقة الميناديات[251] التابعة لديونيسوس من النساء الممسوسات تطوف الجبال في حالة غيبوبة، فكنّ يقطعنَ الحيوانات البرية التي يصادفنها بأيديهنّ إرباً إرباً، ويأكلنَ لحومها نيئة. وعلى هذا النحو، يقدم ديونيسوس درساً يتنافى كلية مع المعايير والقواعد الاجتماعية.

6.3.33- يجب النظر إلى **الأورفية** (*orphisme*) (أو بالأحرى **الأورفيكوس بيوس** *orphikos bios*، نمط العيش الأورفي) بوصفها قلباً سيمانطيقياً [دلالياً] للديونيسية التي تقوم بتغيير جذري لمجراها. فالأورفية لا ترضى بتلطيف ألوان الإسراف التي تسم الديونيسية؛ بل تحولها إلى إسرافات في الاتجاه المعاكس، وهكذا يصبح الإمساك أو الامتناع هو القاعدة سواء أتعلق الأمر بنظام التغذية أم بالحياة الجنسية. والأسطورة المركزية في الأورفية ثنوية بدرجة كبيرة، تقول: إن الجنس البشري خلق من رماد الطيطان أو الجبابرة الذين صعقهم زيوس لما قتلوا وأكلوا الطفل ديونيسوس. وعلى الجنس البشري أن يكفر عن العواقب الوخيمة الناجمة عن هذا الحدث البدئي. وتعبر الطهرانية الأورفية، التي أدّت دوراً كبيراً في تشكل الموقف الأنتيسوماتي الأفلاطوني، عن رؤية للحياة هي على النقيض من الأحوال الخارجة عن السيطرة التي تدعو إليها الديونيسية.

7.3.33- يتحول الشخص بعد موته إلى نفس أو روح (**بسوخي** *psyché*) تستطيع عند المناسبة أن تستحوذ على الأحياء. ويتحول الشخص غير العادي إلى **ديمون** (*Daimon*)، لكن ليس هذا هو التفسير الوحيد لأصل **الديمونات** (*Daimons*) أو الجن، نظير ذلك الصوت الذي يخاطب سقراط. وقد لاحظ إيريك ر. دودس (E. R. Dodds) أن أعداد الجن تتزايد في **الأوديسة** (*Odyssée*) الهوميرية بقدر ما يتقلّص دور زيوس ويتراجع بالتدريج. وهناك فئة أخرى من الكائنات

251- في الأصل: (ménades)؛ من الأصل اليوناني: (Μαινάδες)، التي تعني: «الهائجات». (م)

الوسيطة التي ثبت أنّ عبادتها كانت موجودة في موكناي (Mycènes) منذ القرن الثامن ق.ح.ع، وتتمثّل في الأبطال أمثال هيليني (Hélène) وميناوس (Ménélas). ويتحول قبر شخص من المشاهير إلى **هيرون** (*Heroon*)؛ أي مركز عبادة ومكان تنبعث منه قوة البطل الذي تنطوي بقاياه (reliques) على قوة الطلسمات بالنسبة إلى الجماعة التي تمتلكها ولو نقلت إلى مكان آخر. وأشهر الأمثلة على عبادة البقايا هاته حيازة الإسبرطيين لهيكل أورستيس (Oreste) العظمي الذي يبلغ طوله ستة أذرع، وعودة عظام ثيسيوس (Thésée) إلى أثينا. ويعد أوديب بطلاً بالنظر إلى الطابع غير الاعتيادي الذي وسم حياته ومماته؛ فمن يحضره الموت في مأساة **أوديب في كولونوس** (*Œdipe à colone*) لسوفوكليس مطلوب من أجل القيمة الطلسمية التي ينطوي عليها جسده، تماماً مثلما كان قديسو العصر الوسيط مطلوبين بوصفهم بقايا مكنونة. وهناك أبطال آخرون هم مؤسسو مدن أو أجداد سلالة نبيلة؛ وآخرون أيضاً، أمثال هرقل (Héraklès) أو هيليني أو أخيل (Achille)، كانوا شبه-إلهيين منذ ولادتهم. وقد عانى هرقل من جور هيرا الدائم عليه، لكن انتهى به الأمر إلى أن صار إلهياً بعد موته. وتشتمل عبادة الأبطال على السكائب والقرابين والمباريات الرياضية التي تساهم في حفظ تماسك الجماعة. وفي الفترة الهلنستية، تحول الأبطال إلى كائنات سماوية وسيطة كما يشهد على ذلك كتاب **(في الأسرار المصرية)** (*Sur les mystères d'Égypte*) الذي ألّفه [الفيلسوف] الأفلاطوني المحدث يامبليخوس الكويلي-السوري (Jambilique de Coelé-Syrie).

4.33- لم تسلم القرابين الإلهية، كما تخبرنا بذلك **ثيوغونية** (*Théogonie*) هزيود، من تلاعب الجبار المكار بروميثيوس (Prométhée) في الموضع الذي يقال له ميكوني (Mékoné)؛ فقد حث البشر هناك على تخيير زيوس بين كومة اللحم المغطاة بأحشاء الحيوان وكومة أخرى تشتمل على العظام المغطاة بالشحم. واختار زيوس الكومة الأخيرة، فأرسى بذلك الأنموذج المبدئي للقربان (**الثيوغونية**، 556). وكان الحيوان المنذور للقربان يحمل في موكب من الأشخاص المتوشحين بأكاليل الزهر،

حتى إذا وصل الموكب إلى المذبح قتل الحيوان ومزق لحمه في طقس احتفالي. وكانت الشحوم والعظام تحرق على شرف الآلهة، في حين كان اللحم يشوى ويسلق ثم يوزع على المشاركين. وهناك نقوش على الحجر دونت عليها القوانين المقدسة المتعلقة بتقسيم الأدوار وتوزيع اللحم عند تنظيم طقوس القرابين العمومية، وهي تبين صفات وووظائف القيمين على تنظيم هذه الطقوس. وكانت الكهانة تمارس خلال هذه المناسبة عن طريق قراءة أحشاء الضحية؛ وقد قدمت إليهم من بلاد الرافدين، لكنها لم ترقَ إلى درجة التعقيد الذي وسم تقنيات قراءة الأحشاء الرافدينية (↔ 2.16). وتشير الأشعار الهوميرية، وكذا الأدبيات اللاحقة، إلى أن أشكالاً أخرى من الكهانة كانت أوسع انتشاراً، مثل تفسير الأحلام ومراقبة حركات الطيور [العيافة] والظواهر الجوية...

أما القرابين الخطونية[252] [الأرضية] المنذورة للآلهة والأبطال، أو الموجهة لصد القوى الغامضة التي تهدد سلامة المدينة، فإن أطوارها تجري، كما يلاحظ ذلك جان بيير فرنان (J. P. Vernant)، على نحو مختلف. فقد كان المذبح واطئاً ومزوداً بثقب يسمح للدم بأن يسيل على الأرض. وكان الاحتفال يجري في وقت غروب الشمس، ولم تكن تتبعه أية وجبة؛ لأن الحيوان كان يتعرض كله للحرق. لقد كان الدم يؤمن التواصل مع القوى الخطونية [الأرضية]. وفي **الأوديسة** (الكتاب الحادي عشر)، نجد أن الدم الذي يشربه الموتى يعيد إليهم المعرفة والصوت [الكلام].

وعلى العموم، كان يجري إحياء ذكرى الموتى من خلال وجبات عائلية تقام حول القبور عند حلول اليوم الموافق لتاريخ وفاتهم[253]، أو خلال بعض الأعياد مثل

252- في الأصل: (chtoniens)؛ نسبة إلى (χθών) أو (khthōn) في اليونانية القديمة التي تعني «الأرض». (م)

253 - في الأصل: (anniversaires)، جمع (anniversaire)؛ وأصلها لاتيني هو (anniversarius) التي تعني حرفياً: «ما يعود كل سنة». وعموماً تدل الكلمة في =

الجينيسيا (Genesia) [عيد الأسلاف]. وكانت تعمل من أجلهم السكائب، ويوزع الكعك المصنوع من الحبوب والعسل.

إن التلوث[254] (**ميازما**[255] *miasma*) الذي ينتج عن حدوث خلل ما (جريمة قتل، مرض، انتهاك محرمات، تدنيس مكان مقدس أو مجرد حسد أحد الآلهة) يحتاج إلى تصليح. وقد يتحول بعض الأبطال الذين اشتهروا بأنّهم مصدر تلوث إلى مصدر وقاية وإسعاد للناس، بعد أن يتلقوا تعويضاً طقسياً ملطفاً. وأحياناً كان يتم اللجوء إلى استخدام «كبش فداء» (**فارماكوس** *pharmakos*) يمكن أن يكون إنساناً. وكان يطرد من المدينة بعد أن يحمل وزر جميع خطاياها.

5.33- تتنوّع «**روزنامة» الأعياد** من مدينة إلى أخرى، لكنها تشتمل على عدد من الاحتفالات العامة، مثل احتفالات رأس السنة. ففي أثينا، وبعد شهور من التطهير الطقسي ومن التحضير، يتم الاحتفال في منتصف الصيف بالباناثينا (Panathenaia) [مهرجان عموم أثينا]. وقد كان الموكب الاحتفالي ينطلق من أبواب المدينة ميمماً شطر الأكروبول [المدينة العالية] ليهدي حلة جديدة لتمثال أثينا بولياس [الحامية] (Athéna Polias). وبعد هذا، تقدم القرابين وتنظم سباقات الخيل وحفلات ليلية.

وهناك عيد قديم وشائع كان يستغرق مدة ثلاثة أيام، ويسمى أنثيستيريا (Anthesteria)، وكان مخصصاً لعبادة ديونيسوس خلال فصل الربيع حين يتخمر

الاصطلاح على ثلاثة معانٍ رئيسة: معنى «الاحتفال السنوي» الذي يقام تخليداً لذكرى حدث جلل، ومعنى «عيد الميلاد»، ثم معنى «ذكرى الوفاة». ويظهر لنا أن هذا المعنى الأخير هو المراد؛ ونستبعد أن يكون المراد «أعياد ميلاد» الآلهة الشائعة عند اليونان. (م)

254- في الأصل: (pollution) التي تترجم عادة بلفظ «تلوث»؛ لكن المعنى المراد في هذا السياق الديني هو «الرجس». (م)

255- عن اليونانية (μίασμα)؛ وهو مصطلح طبي قديم جعله المحدثون مرادفاً للفظ «تلوث»، وقد تُرجم في الطب العربي بلفظ «عفونة». والمراد به هنا أيضاً «الرجس». (م)

النبيذ الجديد. وكانت المدينة برمتها تحتفل به عن طريق شرب الخمر الممزوج، أو حتى عن طريق تنظيم حفلة سكر جماعي كبيرة. وخلال الليل، كانت زوجة **الملك الأرخون** (*Archon Basileus*) تقدم إلى ديونيسوس في حفل زفاف طقسي. وكان يفترض أن أرواح الموتى تجوب أرجاء المدينة إلى حين اختتام الاحتفالات، وبعدها تتعرض للطرد.

ووحدهنّ النساء يشاركن في احتفالات الثيسموفوريا (Thesmophories) المنذورة للإلهة ديمتير (Déméter). وكنّ يُقمنَ في أكواخ ينصبنها من أجل هذا الغرض خارج المدينة، ويقدّمن أضاحي من حيوان الخنزير، ويحتفلن بأسرار الخصوبة الخطونية [الأرضية].

6.33- لكن **أسرار** أثينا بامتياز، وأكثرها شهرة في العالم القديم، هي تلك التي كان تجري أطوارها في إليوسيس على شرف الإلهة ديمتير وابنتها بيرسيفون (كوري Koré) التي خطفها هاديس (Hadès)، وعلى شرف الإله باخوس (Bacchus) أيضاً. ويعرض علينا نشيد هوميروس إلى ديمتير جزءاً من الأسطورة التي كان المشاركون في الاحتفال بالأسرار يعرفونها بلا شك، لكنّها لا تفسر لنا هدف الأسرار التي ستبقى حقيقتها مجهولة إلى الأبد.

وكان المُسارُّون[256] يتطهرون بوساطة الصوم والاستحمام الطقسي في البحر، وهم يحملون بين أذرعهم الخنزير الذي سيضحون به لإحياء ذكرى هبوط كوري (Koré) إلى الهاديس. وكان هناك موكب يتجه صوب إليوسيس. ويتبادل المشاركون أحاديث إباحية. وكانوا يزورون مغارة بلوتون بوصفها مدخلاً للهاديس. ويتلحف المسارون بحجبهم مثلما تحجبت بالأمس ديمتير حداداً على بيرسيفون، ويحتسون شراباً مصنوعاً من الشعير. وفي داخل المقام المقدس المسمى **تلستريون** (*telesterion*)

256- نسبة إلى المُسارَّة (initiation). (م)

[غرفة المُسارَّة] -وهو عبارة عن مسرح مغطى وليس معبداً- تجري أطوار الدراما المقدسة التي تتضمن ربما جماعاً رمزياً. وفي الختام، يخرج لهم الكاهن سبلة قمح. ومن المرجح أن أسرار إليوسيس كانت تمنح مواطني أثينا نوعاً من الأمل في الخلود الذي يتعذّر علينا تحديد طبيعته من دون الوقوع في التخمين المجاني.

7.33- **إن تصنيف الأماكن المقدسة اليونانية مسألة معقدة**؛ فالمكان المقدس المحوط يسمى **تيمنوس** (temenos). ونظائر هذه المكان، المحوطة عموماً بأسوار، ظلت موجودة لمئات السنين. وقد حافظت المسيحية، من غير تحرج، على قداسة العديد من **التيمنوسات** (*temenoi*).

والمعبد عبارة عن مسكن أو بيت الإله، يُمثّل فيه بتمثال يشكل موضوع عبادة. وفي القرن الخامس ق.ح.ع، كانت هذه التماثيل بمقام آيات أو تحف [فنية] مصنوعة من العاج أو الذهب على محور من خشب. والحفريات في الأماكن المقدسة تكشف عموماً عن العديد من التماثيل الصغيرة النذرية وهدايا من النقود. وكان الأثرياء من المانحين يشيدون أبنية ولوحات تذكارية وتماثيل.

ويشتمل كلّ بيت على مذبح مخصص لتقديم القرابين وعبادة الأسلاف. وقد اتّسم القرن الخامس بالميل إلى دعم العبادة العمومية على حساب العبادة الخاصة.

أما المنبأ[257] (oracle)، فهو مكان مقدس من نوع خاص -يمثل دلفي (Delphes) نموذجه الأشهر- ويفترض فيه أن يكون أومفالوس (omphalos) أو سرة العالم. وكانت البيثيا (Pythie)، أو كاهنة أبولون، تجلس على مقعد ذي ثلاثة

257- يدل لفظ (oracle) أولاً على «النبوءة» المعروفة، وبهذا اللفظ ترجمناه في مواضع شتى، وثانياً على المكان الذي تعطى فيه «النبوءة»، وهو المراد هنا. ويترجمه البعض إلى اللغة العربية بلفظ «هاتف» أو عبارة «مهبط وحي»، وغير ذلك. ونقترح له كلمة «منبأ»، على وزن اسم المكان «مفعل» (بفتح العين)، حين يتعلق الأمر بالمعنى الثاني؛ أي معنى المكان الذي تعطى فيه «النبوءة»؛ وتجمع: «منابئ»، نحو «ملاجئ». (م)

أرجل من النوع المستخدم في سلق لحوم الأضاحي [الطقسية]. وكانت تأخذها غشية، ربما بسبب عوامل خارجية، فتعطي أجوبة غامضة عن الأسئلة التي تُوجه إليها. ويقوم الكهنة بتحويل كلامها -الذي يتعلق بالعديد من الأمور- إلى أشعار يصعب فهم فحواها. وقد كانت وظائف المنبأ عديدة؛ فهو يضطلع بضمان الوعود والعهود، وإعتاق العبيد، كما أنّه مكان للتطهير الطقسي، فضلاً عن وظيفته مكاناً مقدساً...

8.33- بيبليوغرافيا:

فيما يتعلق بالديانة اليونانية بصفة عامة، انظر:

- Ugo Bianchi, *La Religione greca*, Turin, 1975; Walter Burkert, *Griechische Religion der Archaischen und klassischen Epoche*, Stuttgart, 1977.

وفيما يتعلق بالياترومانت (iatromantes) أو المعالجين العرافين اليونان، انظر:

- I. P. Couliano, *Expérience de l'extase*, Paris, 1987.

وفيما يخص الأساطير والطقوس عند اليونان، انظر:

- J.-P. Vernant, *Mythe et pensée chez les Grecs*, 2 vol., Paris, 1965; idem, *Mythe et société en Grèce ancienne*, Paris, 1974; Marcel Detienne, *l'Invention de la mythologie*, Paris, 1981.

وفيما يتصل بالأعياد الأتيكية [نسبة إلى أتيكا Attique]، انظر:

- Ludwig Deubner, *Attische Feste* (1932), réimpression, Hildesheim, 1966.

وفيما يخص القربان اليوناني بصفة عامة، انظر:

- Marcel Detienne et Jean-Pierre Vernant (ed.), *la Cuisine du sacrifice en pays grec*, Paris, 1980.

وفيما يتعلق بديونيسوس (Dionysos)، انظر:

- Henri Jeanmaire, *Dionysos: Histoire du culte de Bacchus*, Paris, 1951.

وفيما يتعلق بأورفيوس (Orphée)، انظر:

- W. K. C. Guthrie, *Orpheus and Greek Religion: A Study of the Orphic Movement*, Londres, 1952.

القسم الثاني

كشاف أبجدي مزود بشروح

حرف الألف

أباتشي (Apaches): 1.6

أبراهام [إبراهيم] (Abraham): بطريرك يهودي. أبو إسحاق وإسماعيل، وجد يعقوب[258]. قطع معه الإله عهداً، فجعله سلفاً للشعب اليهودي بحسب التكوين التوراتي. وهو عماد التوحيد اليهوي [نسبة إلى يهوه]. رحل مع زوجته سارة من أور في بلاد الرافدين إلى حران، ومن حران إلى أرض الميعاد، كنعان.

أبراهام بن دافيد (Abraham b. David): 7.32

أبراهام بن داود (Abraham ibn Daud): 6.32

أبسو (Apsu): 5.16

ابن الإنسان: 2.27

ابن الشمس: 3.1.5

ابن رشد [أبو الوليد]: 2.5

ابن سينا [أبو علي]: 8.4

ابن عربي: 2.10.4

ابن ميمون، [أبو عمران موسى]: 6.32

أبهينافاغوبتا (Abhinavagupta): (نحو 975-1025 ح.ع). فيلسوف تتنتري (شيفاوي) كبير من بلاد كشمير. مؤلف كتاب **تنترالوكا** (*Tantrāloka*). دعا

258- في الأصل: «أبو إسحاق، وجد يعقوب وإسماعيل»؛ والصواب ما ذكرنا؛ لأن إسماعيل هو نجل أبراهام [إبراهيم]، وأخو إسحاق من أبيه، كما تذكر المصادر الكتابية. (م)

إلى مذهب «لا-ثنوي سامي» (**برمدفيافادا** *paramadvayavāda*) رام به تجاوز اللا-ثنوية الفيدانتية (**أدفيتا فيدانتا** *advaita vedānta*).

أبو العافية، أبراهام بن صموئيل (Aboulafia, Abraham b. Samuel): 7.32

أبو بكر [الصديق]: 4.2.4

أبو حنيفة [النعمان]: 7.4

أبو معشر [البلخي]: 2.1.29

آبو (Apo): 2.1.3

أبولون [أبولو] (Apollon): 3.33؛ 7.33

أبولونيوس الطواني (Apollonius de Tyane): 4.1.29

أبوليناريوس اللاذقاني (Apollinaire de Laodicée): 3.7.27

أبوليوس (Apulée): 3.1.29؛ 2.2.2

أبيلاردوس، بطرس (Abélard, Pierre): 9.4.27

إبيانيدس الكريتي (Épiménide de Crète): 2.3.33

أتابسكانيون (Athapascans): 1.6

أتاهوالبا (Atahualpa): 2.7؛ 2.5

أتراحاسيس (Atrahasis): 6.16

أتراك: 1.20

أترغتيس [أترعتا] (Atargatis): 1.24

آتمان (Atman): 4.9؛ 3.30

أتوم (Atum): 2.28

آتون (Aton): 5.28

آتيس (Attis): 1.2

أتيشا (Atiśa): 10.9 (982-1054)، راهب بوذي تنتري من البنغال. رحل إلى التبت في وقت لاحق. كان من عباد الإلهة تارا (Tārā)؛ وعمل على إصلاح الرهبنة التنترية. كتب وترجم عدداً من النصوص؛ كما أسّس دير روا-سغرن (Rwa-sgren).

أثرففيدا (Atharvaveda): 2.30

أثينا (Athéna): 4.3.33

إثيوبيا (Éthiopie): 1.5.3

آحير (Aher): 1.5.32

أخناتون (Akhenaton): 5.28. أمنحتب [أمينوفيس] الرابع، من الأسرة الثامنة والعشرين؛ ملك مصر (نحو 1360-1344 ق.ح.ع). رائد إصلاح ديني لم يدم طويلاً؛ وبموجب هذا الإصلاح، تحوّل إله الشمس آتون إلى أسمى آلهة البانثيون المصري. وينطوي هذا الإصلاح، أيضاً، على أبعاد سياسية وفنية (نزعة طبيعية جديدة) ولسانية (تشجيع اللغة الدارجة).

أخنوخ (Hénoch): 2.32؛ 5.32

أدد (Adad): 1.24؛ 2.16. إله العاصفة الآشوري-البابلي. قرن بإشكور السومري وبإله الساميين الغربيين داجون.

أدفايتافادا (Advaitavāda): 6.30

آدم: أول إنسان بحسب التكوين التوراتي (صح. 1 و2). وفي الآية (7) من الإصحاح (2)، نجد أن آدم جُعِل من التراب (**آدما** *Adamah* بالعبرية)، وأن الإله نفخ في أنفه نسمة الحياة. وآدم هو بمقام برادايم [مثال] البشرية. وقد طرد من جنة عدن مع زوجته حواء؛ وعاش تسعمئة وثلاثين عاماً؛ ووُلِد له قابيل وهابيل وشيث.

إدواردز، جوناثان (Edwards, Jonathan) (1703-1758): كاهن مشيخي في إنجلترا الجديدة [نيوإنجلند]؛ واشتهر بعظاته الرؤياوية، التي تضفي على الخطايا البشرية ألوان القتامة، وتؤكد الخلاص المتأتي من النعمة الإلهية.

أدونيس: 1.2. عشيق أفروديت/ فينوس. هاجمه خنزير بري، وجرحه جرحاً عميقاً، فقتله (وهي حالة مماثلة لحالة لدموزي/ تموز الرافديني وآتيس الأناضولي).

آرانياكا (Āraṇyaka): 3.30

أراواك (Arawaks): 0.5؛ 2.5؛ 3.5

أرجونا (Arjuna): 5.30. ثالث الأشقاء الباندافيين في ملحمة **مهابهارتا** الهندية؛ وهو ابن الإله إندرا وكنتي. وخلال المعركة، التي نشبت بين الباندافيين والكورافيين، تحول أرجونا إلى تلميذ لكريشنا (أحد تجسدات الإله فيشنو)، الذي لقنه درساً في النسك الدنيوي، وذلك في القصيدة المعروفة باسم **بهاغافادغيتا**، أو «أنشودة المولى»[259].

أردا فيرا (Ardā Vîrāz): 1.3.18

أردفي سورا آناهيتا (Arədvī Sūrā Anāhitā): 3.3.18

أرستياس البروكونيسي (Aristée de Proconnèse): 2.3.33

أرسطوطاليس (Aristote): 1.29

أرس-و-شميم [أرض-و-سماء] (Ars wa-Shamem): 1.24

أرض خالصة: 5.9؛ 8.9؛ 9.9

أرض خالية من الشر: 5.5

إرمياء (Jérémie): 2.32؛ 4.32

أرهات (Arhat): 3.9-4. (بالسنسكريتية؛ و**أرهانت** بلغة البالي؛ «مستحق»)؛ ويدلّ

259- في الأصل (chant du bienheureux)؛ أي «أنشودة المبارك»؛ وفي ترجمة أخرى: «أنشودة المولى». (م)

اللفظ في نصوص الفيدا على الشخص، أو الإله، الذي يملك مزايا خاصّة. وفي بوذية الهينايانا، ينطوي اللفظ على دلالة فنية، حيث يوصف به المريد الذي بلغ درجة الانعتاق أو التحرّر. أمّا في الجاپنية (↔)، فنجد أن **الأرهات** هو بمقام **تيرثامكارا**؛ أي «صانع مخاوض»، أو كاشف الدين.

أروكان (Araucans): 0.5

آريا سماج (Ārya Samāj): 9.30

أريادِيفا (Aryadeva): (1) متكلم بوذي على مذهب **المادهيامكا** (*Mādhyāmika*) [مذهب الوسط]؛ عاش في الهند الجنوبية (نحو القرن الثالث-الرابع)، وتتلمذ على ناغارجونا. (2) أحد شيوخ البوذية التنترية؛ درس في جامعة نالندا في شمال الهند (القرن الثامن). وفي القانونين التبتي والصيني، وقع الدمج بين معظم ما يتعلق بمصنفات الرجلين وسيرتيهما من غير تمييز.

أريكارا (Arikaras): 1.6

أريوا (Ariois): 2.8

أريوس (Arius): 2.7.27

أزاندي (Azandes): 0.3؛ 2.3

أزتك (Aztèques): 0.7-1؛ 2.7؛ 1.2.7؛ 3.1.5

أساس يا (Asase Yaa): 2.1.3

آسانات [آسانا] (Āsanas): 2.4.30

أسانت [أشانتي Ashanti] (Asantes): 2.1.3

أسانتهين (Asantehene): 2.1.3

الأسبتارية (رهبنة)، (Ordre de l') (Hôpital): 9.4.27

استحالة القربان (Transsubstantiation): 6.27

أستير (Esther): 2.32؛ 1.3.32. في السفر المعنون بهذا الاسم من أسفار العهد القديم، هي زوجة ملك فارس أحشويروش (Ahasvérus) اليهودية.

إسحاق الأعمى (Isaac l'Aveugle): 7.32

إسحاق كوهين (Issac Cohen): 7.32

إسحاق (Isaac): يذكر سفر التكوين أنه ابن أبراهام [إبراهيم] وسارة، وزوج رفقة [ربيبكا]، ووالد يعقوب وعيسو. وقد أمر الإله أبراهام بأن يقدّم له ابنه إسحاق ذبيحة (تك. 22، 2)؛ وبينما كان أبراهام يتأهب لتنفيذ أمر الإله، إذ بهذا الأخير يتراجع وينهى أبراهام عن إتمام التنفيذ، وتم تعويض الذبيحة البشرية بكبش.

أسغاردهر (Asgardhr): 1.2.14

الأسفار الخمسة [توراة] (Pentateuque): 2.32

أسقلبيوس (Asklépios): (باللاتينية أيسكولابيوس Aesculapius)، إله الطب والشفاء في العالم اليوناني-الروماني. ويعرف بمحياه الوديع والملتحي وبالحية الخطونية [الأرضية] التي ترافقه، وأحياناً بحضور زوجته وبناته. وكان المرضى يعالجون، في مقاماته المقدسة التي تحتوي على المياه الحرورية، مثل مقام إبيدورس أو مقام جزيرة تيبرينا، بفضل تجلي أسقلبيوس لهم في المنام.

إسكندر (Alexandre): 0.29؛ 1.32

إسكيمو (Esquimaux): 1.6؛ 2.6؛ 2.1.20

إسلام: 4 في مواضع متفرقة.

إسماعيل (Ismā` īl): 1.6.4

إسماعيل بن أليشع (Yishma'el b. Elisha): (نحو 50-135 ح.ع)، معلم (تانائي) فلسطيني معاصر لعقيبا.

إسماعيل (Ismaël): 6.32. هو ابن أبراهام [إبراهيم] والأمة المصرية هاجر؛ وولد إسماعيل في الوقت الذي كانت فيه سارة عاقراً، قبل أن تلد إسحاق. وطردت سارة هاجر وابنها (تك. 21). وإسماعيل هو جدّ العرب بحسب ما جاء في التقاليد اليهودية والإسلامية.

إسماعيليون [شيعة سبعية]: 1.6.4؛ 3.6.4

أسنغا (Asaṅga): 5.9. معلم بوذي من شمال الهند، ومؤسس مدرسة اليوغاكارا (نحو 315-90).

أسورات [أسورا] (Asuras): 2.30؛ 1.18

أسومان (Asumans): 2.1.3

أسينبوان (Assiniboines): 1.6

أسينيون (Esséniens): 5.32؛ 3.4.11

آشا (Asha): 2.3.18

آشافان (Ashavan): 2.3.18

أشتابادا [الطريق الثمانية] (Aṣṭapāda): 2.9

أشرما (Aśrama): 4.30

الأشعري، أبو الحسن: 8.4 (874-935)، لاهوتي [متكلم] مسلم؛ عاش في البصرة ثم في بغداد. أسس الأشعرية التي تمثل أهم المدارس اللاهوتية [الكلامية] في الإسلام؛ وهي المدرسة المهيمنة في دائرة الإسلام الأرثوذكسي السنّي إلى يومنا هذا. تخلى الأشعري عن عقلانية المعتزلة، فجعل من القرآن والسنة أساساً لمذهب منفتح على المفارقات التي تعتاص على العقل البشري.

إشعياء (Isaïe): 2.32؛ 4.34. نبي يهودي ينتسب إلى معبد أورشليم في القرن الثامن (ق.ح.ع)؛ وكانت زوجته بدورها نبيّة. وانتقد إشعياء التفريط في أمر الدين،

كما انتقد المؤسسات السياسية القائمة؛ وتنبأ بحلول الدمار بسبب الزيغ عن طريق الإله. وقد استثمرت نبوءاته المسيانية من قبل المفسرين المسيحيين.

إشكور (Ishkur): 2.16

أشوكا (Aśoka): 3.9-4؛ 7.9. إمبراطور هندي (نحو 270-232 ق.ح.ع) من أسرة الموريين. اعتنق البوذية، وأضحى نصيراً للا-عنف، ولضرب من التسامح، علاوةً على نزعته النباتية. وقد اشتهر على الخصوص بمراسيمه التي نقشها على الحجر خلال فترة حكمه.

أشولي (Acholi): 2.3

أطلس (Atlas): 4.3.33

أغاخانات [أغاخان] (Aga Khans): 3.6.4

أغالبة (Aghlabides): 5.4

آغامات [آغاما] (Āgamas): 7.30؛ 2.7.30؛ 4.7.30

أغناطيوس اللويولي [دي لويولا] (Ignace de Loyola): 13.4.27

آغني (Agni): 2.30

أفالوكيتشفارا (Avalokiteśvara): بوذيساتفا الشفقة [الرحمة] في بوذية الماهايانا؛ وهو المعروف في الصين باسم كوان- ين (Kuan- yin)، وفي اليابان باسم كوانن (Kwanon) (ويتخذ عند هؤلاء صورة امرأة)، وفي التبت باسم سبيان- راس- غزيغس (spyan- ras- gzigs). وهو يقيم في جبل بوطالاكا (Potalaka) الأسطوري؛ ومن هناك يسمع ويرى ما يجري، ويتدخل لإسعاف المعذبين. وهو مذكور ومبتهل إليه في أهم سوترات الماهايانا.

أفتارا (avatāra): 5.30. تجسّد أرضي لأحد الآلهة الهندوسية (فيشنو في الغالب) في صورة إنسان، أو حيوان.

أفخارستيا (Eucharistie): 9.27

أفروديت (Aphrodite): 4.3.33

إفريقيا [جزء من شمال إفريقيا] (Ifriqīya): 5.4

أفستا (Avesta): 1.3.18

أفكودري (Afkodré): 3.5.3

أفلاطون: 3.3.33؛ 6.3.33؛ 1.1.29؛ 2.32 (429-347 ق.ح.ع). فيلسوف يوناني تنطوي محاوراته على معارف دينية تتعلق ببقاء النفس [الروح] بعد الموت وتناسخ الأجساد[260]، علاوةً على الكوسمولوجيا والنشكونيات.

أفلوطين: 3.4.27؛ 4.1.29 (205-270)، فيلسوف ومتصوف أفلاطوني أسس التيار المسمى بالأفلاطونية المحدثة، والذي حول الأفلاطونية، بعد رحيل أفوطين، إلى دين لا يخلو تماماً من طقوس وأسرار.

إفنكي (Evenkis): 1.1.20

أفيديا (Avidyā): 3.30؛ 6.30-7

أقهات (Aqhat): 3.24

أكاس (Akas): 2.3.3

إكافيافهاريكا (Ekavyāvahārika): 4.9

إكليمنضس الإسكندراني (Clément d'Alexandrie): 2.4.27؛ 5.2.2

أكيتو (Akitu)): 5.16. عيد قديم مشهور في حضارة بلاد الرافدين؛ وتشهد عليه الوثائق المكتوبة التي تعود إلى نحو (2000 ق.ح.ع) (أسرة أورUr الثالثة). وفي بابل، في الألفية الأولى (ق.ح.ع)، كان هذا العيد عبارة عن احتفال برأس السنة خلال شهر نيسان الربيعي. ويحتفي العيد بسلطان إله مدينة بابل مردوخ (Marduk)، ويخلد ذكرى انتصاره على الوحش البحري [الأنثى]

260- كذا في الأصل (méntensomatose)؛ والصواب: «تناسخ الأرواح» (métempsychose). (م)

تيامات (Tiamat)، الذي تحكي عنه قصيدة **إنوما إليش**، وزواجه من الإلهة سربانيط (Sarpanitu).

ألاسكا (Alaska): 3.6

ألاكالوف (Alacalufs): 4.5

ألالوس (Alalu): 2.15

ألبرت الكبير (Albert le Grand): 9.4.27

ألبوماسار [أبو معشر] (Albumasar): 1.2.29

ألبيجيون (Albigeois): 9.4.27

ألتشيرا (Alchera) (**ألتشرينغا** Alcheringa): 1

ألغونكيون (Algonquins): 1.6؛ 4.6؛ 2.1.20

ألكوين (Alcuin): 8.4.27

إله (Dieu) : في مواضع متفرقة.

الإلهة العظمى: 3.26

إليجا محمد (Elijah Mohammad): 4.5.3

أليشع بن أبويا (Elisha ben Abuya): 1.5.32. (الملقب بآحير Aher، «الآخر»)؛ معلم تانائي (**تانا** *tanna*) فلسطيني من القرن الثاني؛ لكنه ما لبث أن كفر بالدين واضطهد اليهود؛ وصورته في التلمود هي صورة الهرطوقي بامتياز.

أليشع (Élisée): 2.32؛ 4.32

أليعازر الفرمسي (Eléazar de Worms): 7.32

أليعازر بن عزريا (Eléazar b. Azariah): 6.32

أليعازر بن هيركانوس (Eléazar ben Hyrcanus): 6.32

أليوتيون (Aléoutiens): 2.1.20

أليوسيس (Éleusis): 1.3.33؛ 6.33؛ 1.2

آما (Amma): 3.1.3

أماتيراسو أوميكامي (Amaterasu Omikami): 4.21. إلهة الشمس، وواهبة الحياة في الميثولوجيا اليابانية القديمة. اختفت داخل أحد الكهوف، فغرق العالم في الظلام، إلى أن نجحت الآلهة الآخرى في إخراجها من الكهف. وتقترن هذه الإلهة بالمرايا التي تكشف عن الأرواح.

آمبدكار، بهمراو راجي (Ambedkar B. R.): مصلح هندي تلقى تعليمه في الغرب. ولأنه ينحدر من طبقة المنبوذين، كافح من أجل رفع الحيف عن هذه الطبقة وإلغاء التمييز الممارس ضدها. وقد أسس في عام (1951) جمعية الهند البوذية، واعتنق البوذية قبل وفاته (1956). وبفضل مجهوداته، دخل ملايين الهنود في دين البوذية.

أمبروزيوس الإسكندراني (Ambroise d'Alexandrie): 3.4.27

أمبروزيوس الميلاني (Ambroise de Milan): 6.4.27

أمة الإسلام: 4.5.3

أمة: 4.4

الأمثال [سفر]: 2.32

أمشومغلنا (Amaushumgalna): 2.16

أمهارغن (Amharghin): 4.23

أمورايم (Amoraim): 2.32. (من الآرامية **أمورا** *amora*، «المتكلم»، المعلم [الشيخ]»). حاخامات بابليون (وفلسطينيون) (ما بين القرنين الثالث والخامس). وهم شراح التناخ باللغة الآرامية؛ وشروحهم هي التي تشكلت منها جمارا التلمود والمدراشيم.

آمون (Amon): 5-4.28

أمونيوس ساكاس [الحمال] (Ammonius Saccas): 3.4.27

أمويون [بنو أمية]: 4.4

أميتابها (Amitābha): 9-8.9. هو في بوذية الماهايانا، بوذا الفردوس الغربي سكهافاتي (sukhāvati). وانتشرت الأميدية، أو بوذية الأرض الخالصة، التي تحتفي ببركة اسم أميتابها، ابتداءً من القرن السادس (ح.ع)، في كلّ من الصين وكوريا واليابان (↔ 8.9).

أميدية (Amidisme): 9-8.9

أميشا سبيتات [سبينتا] (Amesha Spentas): 2.3.18. («خالدون أخيار» في الأفستية). وهم ستة[261] وسطاء بين الروح الخيرة (سبينتا مانيو)، ابن المولى الأعلى أهورا مازدا، وبين البشرية. وهؤلاء الستة[262] هم، في الوقت نفسه، صفات لأهورا مازدا وأحوال يتحقّق بها أولئك الذين يتبعون نظام الحق الذي بينته الزرادشتية.

أمينوفيس الرابع (Aménophis IV): 5.28

آن (An): 2.16

أنالقطا [لقط الأحاديث] (Analectes): 1.25

إنانا (Inanna): 3.16

آناهيتا (Anāhita): 3.3.18. إلهة إيرانية عظمى تماثل عشتار وغيرها من إلهات الشرق الأدنى. وتقترن آناهيتا بالمياه، وهي ربّة الخصوبة والنصر في الحروب. وتحتلّ أهمية بالغة في حفل تتويج الملك.

أنبادوقليس الجرجنتي (Empédocle d'Agrigente): 2.3.33

إنتي (Inti): إله الشمس عند الإنكا، الذي كان يعدّ بمقام أب للملك. وتؤدي كل من الذرة (maïs) والذهب دوراً مهمّاً في عبادة هذا الإله، الذي كان مركزه

261- في الأصل: «سبعة»؛ والصواب ما ذكرنا. ونلفي الخطأ نفسه في 2.3.18. (م)

262- الملاحظة السابقة نفسها. (م)

المعبد الذهبي (كوريكانشا Coricancha) في كوزكو (Cuzco) بكهنته الأقوياء.

أنثيستيريا (Anthesteria): 5.33

أنجرونا (Angerona): 1.2.17

أنجيلا الفولينية (Angela de Foligno): 9.27

إندرا (Indra): 2.30؛ 2.13؛ 3.3.18

أندلس: 5.4

أنديز (Andes): 0.5؛ 1.5؛ 1.1.5

انشقاق شرقي: 6.27

انشقاق غربي: 6.27

أنطونيوس [أنطون] (Antoine): 8.4.27

أنغرا مانيو (Angra Mainyu): 2.3.18

أنغليكانية (كنيسة): 13.4.27. في عام (1534)، أعلن الملك هنري الثامن نفسه رئيساً أعلى لكنيسة إنجلترا، مصادقاً بذلك على انفصال الكنيسة الأنغليكانية [أو الأسقفية] عن روما. وفرضت نجلته إليزابيث الأولى (1558-1603) سلطة الملك على هذه الملة التي تلتقي فيها العناصر الكاثوليكية والبروتستانتية والمحلية. وتتمتع الكنيسة الأنغليكانية، في أيامنا هذه، بعضوية مجلس الكنائس العالمي، وتتميز بنشاطها المسكوني.

إنكا (Inca): 1.5؛ 3.1.5

إنكي (Enki): 2.16؛ 6.16

أنكيدو (Enkidu): 6.16

إنليل (Enlil): 2.16؛ 3.16

آنندا (Ānanda): 3.9

آنو (Anu): 2.15

أنوبيس (Anubis): معبود جنائزي مصري قديم. وهو محنط الجثث وحارس الموتى. ويتخذ هذا الإله، الذي ينحدر من مصر الوسطى، صورة كلب، أو ابن آوى، آكل للجثث.

أنوفراتا (Aṇuvrata): 4.13

إنوما إليش (Enuma Elish): 4.24؛ 3.16؛ 5.16

أهريمان (Ahriman): 2.4.18؛ 1.5.18؛ 2.5.18. (في الفهلوية؛ وأنغرا-مانيوAngra-Mainyu في الأفستية)؛ «روح خبيثة»؛ إله الشر والبهتان [الكذب] في الزرادشتية، وابن الإله السلطان أهورا مازدا وأخو سبينتا مانيو («الروح الخيرة») في المزدكية الكلاسيكية؛ وهو أخو أوهرمازد في الزروانية إبان الفترة الساسانية.

أهل الحق: 2.6.4

أهو (Ahu): 2.8

أهورات [أهورا] (ahuras): 2.3.18. («سادة» في الأفستية)؛ هي فئة من الكائنات الإلهية في الديانة الزرادشتية؛ وهي ذات أصل هند-إيراني. وفي الهند، تطورت الأهورات، فتحوّلت إلى فئة من الشياطين (↔ 2.30).

أهيمسا (Ahiṃsā): 4.13. كلمة سنسكريتية تعني «اللا-عنف». وهو مفهوم أساسي عند الجاينيين والبوذيين والهندوس. وقد أشاعه في الغرب الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور في القرن التاسع عشر؛ وتبنّته، مجدداً، كل من الهندوسية المستغربة وحركة الاستقلال التي تزعمها موهانداس غاندي (1869-1948).

أوبالي (Upali): 3.9

أوبانيشاد (Upaniṣads): 3.30

أوباطالا (Obatala): 1.1.3

أوت (Utes): 1.6

أوتنابشتيم (Utnapishtim): 6.16

أوتو (Utu): 2.16

أوجيبوا (Ojibwas): 1.6؛ 4.6-5

أودهر (Urdhr): 2.2.14

أودهوملا (Audhumla): 1.2.14

أودهين (Odhinn): 1.2.14. هو الإله الإيسر (ase) الرئيس في الميثولوجيا الجرمانية، ورب **اليارل** *(jarls)* (النبلاء الذين يقابلون **الكارل** *Karls* أو الأحرار)؛ وهو إله الحرب وأخويات المحاربين، وإله الموتى والشعر والسحر والحروف الرونية (runes).

أودودوا (Odudua): 1.1.3

أوديب (Œdipe): 7.3.33

آور (Aurr): 2.2.14

أورانوس: 4.3.33

أوربندو غوش (Aurobindo Ghose): 9.30. (1872–1950) كاتب وفيلسوف هندي. بعد أن أمضى سني طفولته في إنجلترا، وكرّس سني شبابه للكفاح من أجل مطالب الحركة الوطنية الهندية، أنشأ أوربندو فلسفة لتطور الوعي، تتأسس على منهج «اليوغا التكاملية». وقد جلبت له كتاباته أتباعاً من الشرق والغرب.

أورشليم [بيت المقدس]: 9.4.27؛ 1.32؛ 5.32. اتخذها الملك داود عاصمة لملكه (القرن العاشر ق.ح.ع)، وصارت، بعد تشييد هيكل سليمان، مدينة اليهود المقدسة، وحاضنة تابوت العهد المبرم بين شعب إسرائيل وبين الإله. وتعدّ

أورشليم، بالنسبة إلى المسيحيين، مدينة المحنة والقيامة المقدسة. أمّا بالنسبة إلى المسلمين، فهي أولى القبلتين (وجهة المصلين عند الصلاة)، كما أن قبّة الصخرة على جبل الهيكل هي التي صعد منها محمد إلى السماء في ليلة المعراج.
أوربا القديمة: 2.26
أوريجينوس (Origène): 3.4.27؛ 9.27
أوريندا (Orenda): 4.6
أوزيريس: 2.28؛ 28.6؛ 1.2. إله مصري، ابن جب (Geb) («الأرض»). وقد قتله أخوه ست (Seth)؛ وتمكنت زوجته إيزيس من جمع أشلاء جثته المتفرقة، فحبلت منه بحورس. وكل فرعون يموت يتحول بدوره إلى أوزيريس، إله الموتى.
أوستياك (Ostiaks): 2.1.20
أوسون (Osun): 1.1.3
أوشاس (Uṣas): 2.30
أوطيخا القسطنطيني (Eutychès de Constantinople): 3.7.27
أوغاريت: 0.24؛ 2.24
أوغبوني (Ogboni): 1.1.3
أوغسطين (القديس) (Augustin): 9.9؛ 7.4.27
أوغندا: 2.3
أوغو بيانكي (Ugo Biachi): 1.12
أوغون (Ogún): 1.1.3
أوكي (Oki): 4.6
أولمك (Olmèques): 0.7-1
أولودومار (Olodumare): 1.1.3

أولورون (Olorun): 1.1.3

أولوكون (Olokun): 1.1.3

أوليكومي (Ullikummi): 2.15

أومباندا (Umbanda): 2.5.3

أوميليانا التشيركية (Umiliana de' Cerchi): 9.27

أونا (Ona): 4.5

أونطاكيكيو (Ontakekyo): 6.21

أونغون (Ongone): كلمة مغولية تدل على أشياء تسكنها الأرواح التي يدعوها الشامان.

أونيل (Onile): 1.1.3

أوهرمازد (Ohrmazd): 2.4.18

أوهينيما (Ohenemmaa): 2.1.3

آي (Aiye): 1.1.3

إيا (Ea): 2.16

إيبونا (Épona): 1.4.23؛ 5.23

إيتزام نا (Itzam Na): 1.1.7

إيتوري (Ituri): 2.3.3

إيدا (Edda): 1.14؛ 1.3.14

إيدل، موشي (Idel, Moshe): 1.32؛ 7.32

إير (Er): 3.3.33

إيروكوا (Iroquois): 1.6؛ 4.6

إيرونيموس [جيروم] (Jérôme): 7.4.27

إيريناؤس الليوني (Irénée de Lyon): 2.4.27

إيزاناغي (Izanagi): 3.21

إيزانامي (Izanami): 3.21.

إيزومو أوياشيروكيو (Izumo Oyashirokyo): 6.21

إيزيس (Isis): 2.28؛ 2.2.2. إلهة مصرية؛ وهي زوجة أوزيريس المخلصة، التي جمعت أجزاء جسد زوجها المقطّع، وحبلت بحورس. وفي الفترة الرومانية، تحولت إيزيس إلى إلهة أسرار.

إيساي (Eisai): 9.9

إيسر [آس] (Ases): 3.2.14؛ 1.3.14؛ 3.3.14

إيسو (Ésu): 1.1.3

آيشما (Aēshma): 1.18

إيغدراسيل (Yggdrasill): 2.2.14

إيغونغون (Egungun): 1.1.3

إيفا (Ifa): 1.1.3

إيفانس-بريتشارد، إ. إ. (Evans-Prichard, E. E.): 2.3

إيكاتل (Ecatl): 1.7.2

إيكهارت، المعلم (Eckhart, Maître): 9.27

إيل [علياء] (Ile): 1.1.3

إيل (El): 1.24؛ 3.24

إيلابا (Illapa): 3.1.5

إيلمارينن (Ilmarinen): إله الأنواء البحرية عند الفنلنديين؛ ومكانته في الميثولوجيا أهم من مكانته في العبادة.

إيلوهيم (Elohim): 2.32

إيلويانكا (Illuyanka): 2.15

إيليا (القديس) (Élie): 2.19

إيليا [إلياس] (Élie): 2.32؛ 4.32. نبي يهودي من القرن التاسع (ق.ح.ع)؛ قاوم عبادة الإله الكنعاني بعل (Baal)، التي فرضتها إيزابل (Jézabel) زوجة الملك آخاب (Achab) على بني إسرائيل، ودعا إلى عبادة يهوه (Yahweh) القوي المتين، الذي رفع إيليا إلى السماء على متن مركبة نارية. وإيليا هو أحد الشخصين اللذين لا يطولهما الموت، بحسب الكتاب المقدس، إلى جانب أخنوخ (Hénoch). ويقيم أخنوخ هذا في السماء، بحسب التقليد اليهودي، في حين يعيش إيليا سائحاً متجولاً في ربوع الأرض، موكلاً بكشف أسرار العلم اللدني وبواطن الدين، ومبشراً بقدوم المسيا (Messie). وقد ماثل المعتقد الشعبي، بحسب ما ورد في الأناجيل، بين إيليا من جهة، وبين يوحنا المعمدان (Jean-Baptiste) ويسوع المسيح نفسه من جهة أخرى.

أيمارا (Aymaras): 0.5

إيمير (Ymir): 1.2.14

إينارا (Inara): 2.15

إينلنغاساغا (Ynlingasaga): 1.14

آينو (ديانة الآينو) (Aïnous): ديانة عشائرية شامانية عند الآهالي الآينو في جزر اليابان الشمالية. ومن معبودات هذه الديانة نلفي إلهات الشمس والقمر والنار. وللمياه والغابات والجبال كائناتها الإلهية، التي تزور العالم البشري متنكرة في هيئات الحيوانات. ويتمثل الطقس المركزي عند الآينو في القربان الاسترضائي، وهو عبارة عن دبّ مدجن. ويحترم الآينو جميع المخلوقات الحيّة. وتروم طقوس الدفن عندهم تهدئة روح الميت، والحيلولة دون عودتها في صورة روح خبيثة. (انظر: J. M. Kitagawa, «*Ainu Bear Festival* (*Iyomante*)», in *History of Religions* 1/1961, 95-151.).

إينو (Inos): 2.3

إينون ماساكان (Inone Masakane): 6.21

إينويت (Inuit): 2.6؛ 2.1.20

أيوب (Job): 2.32؛ 5.16. هو الشخصية الرئيسة في السفر الذي يحمل اسمه من أسفار الكتاب المقدس. وتنطوي قصته، المنحدرة إلينا من الألفية الثانية (ق.ح.ع)، على طائفة من الدروس والعبر؛ فقد امتحنه الإله بقساوة ليرى إن كان من الأبرار. ومع أنه تعرّض إلى وابل من اللوم والعتاب من قبل زوجته وأصحابه الثلاثة أليفاز (Eliphaz) [التيماني] وبلدد [الشوحي] (Bildad) وصوفر [النعماتي] (Zophar)، وقاسى جميع صنوف العذاب، إلا أنه لم يفقد ثقته بالإله[263].

أيورفيدا (Ayurveda): فن مداواة الأمراض في الهند؛ ويقوم على فكرة التوازن بين ثلاثة أخلاط، هي: الهواء (**فاتا** *vāta*)، والمرة (**بيتا** *pitta*) ثم البلغم (**كافا** *kapha*). ومن نسب هذه الأخلاط المقدرة يتشكل مزاج [تركيب] الجسم؛ وبناء على ملاحظة هذا المزاج [التركيب]، يتوسل المعالج بطائفة من الأغذية والأدوية المفردة والمطهرات التي يناولها مرضاه، علاوةً على الطقوس التقليدية الموصى بها في النصوص التي ترجع إلى الألفية الأولى (ح.ع).

إيوستوكيا المسينية (Eustachia de Messine): 9.27

حرف الباء

با شي (P'a chi): 1.1.7

باتانجالي (Patañjali): 2.4.30. (1) يحتمل أن يكون هو مؤلف كتاب **يوغاسوترا** (*Yogasūtra*) (القرن الثالث ح.ع). (2) عالم نحو هندي (القرن الثاني ح.ع)، وشارح مصنف بانيني (Panini) [في نحو السنسكريتية].

263- تصرفنا في ترجمة هذه الفقرة مع حفظ المضمون. (م)

باتشاكاماك (Pachacamac): 3.1.5

باتشاكوتي (Pachacuti): 2.1.5

باتشاماما (Pachamama): 3.1.5

باخوس (Bacchus)): 6.33

باخوميوس (Pacôme): 8.4.27

بادرايانا (Bādarāyana): 6.30

بادماسمبهافا (Padmasambhāva): 10.9. غورو هندي (نحو القرن الثامن)، تشكل حوله تقليد أسطوري كامل في بلاد التبت، التي يُعتَقد أنه أسس فيها أول دير بوذي. ويُحتمل أن يكون وراء جلب بوذية الفجريانا (Vajrayāna) (↔ 6.9) إلى التبت، علاوةً على فرقة «القدماء» (رنينمابا Rñin-ma-pa) أو القلانس الحمر.

بار كوخبا (Bar Kochba): 6.32

باراكاس (Paracas): 1.1.5

بارسيون (Parsis): 7.18 جالية زرادشتية في الهند الغربية.

بارشفا (Pārśva): 2.13

بارو (Baru): 3.1.5

باروخ (Baruch): 5.32

بارينرفانا (Parinirvāṇa): 3.9

باسيليوس القيصراني (Basile de Césarée): 5.4.27

باطن: 3.6.4

باغي [نبي] (Pagé): 5.5

باكا (Bakas): 2.3.3

بالدر (Baldr): 2.3.14

بالنك (Palenque): 1.7

بالي [لغة] (Pali): 1.9

بامبارا (Bambaras): 0.3؛ 3.1.3

بان (Pan): إله يوناني ينحدر من أركاديا (Arcadie) (بيلوبونيز Péloponnèse)؛ وهو ربّ الحيوانات. وقد جُلِب بان إلى أثينا خلال القرن الخامس (ق.ح.ع)، فاكتسى صبغته المميزة بوصفه كائناً هجيناً نصفه إنسان ونصفه الآخر تيس.

باناثينا [مهرجان عموم أثينا] (Panathenaia): 5.33

بانتو (Bantous): 1.3.3

بانهوفر، دتريش (Banhoeffer, Dietrich): عالم لاهوت إنجيلي ألماني، دافع عن انخراط المسيحي في الأعمال الهادفة إلى تكريس العدل بخلاف النزعة الحميمية [الجوانية] التقوية الشائعة. وقد أبان عن موقفه هذا من خلال معارضته للظَّلَمة النازيين، الذين ألقوا عليه القبض وأعدموه.

بانو (Panos): 0.5؛ 2.5

بانيستيريوبسيس كابي (Banisteriopsis caapi): 6.1.20

باهر [سفر ها-باهر] (Bahir): 7.32

باوني (Pawnees): 1.6.

بايوت (Paiutes): 1.6

بتاح (Ptah): 2.28

بترارك (فرانشيسكو بتراركا Francisco Petrarca) (Pétrarque): 11.4.27

البحيرات الكبرى: 1.6

البخاري، محمد بن إسماعيل: (810-870) من كبار المحدّثين في الإسلام.

بدريانية (Bhadrayanīyas): 4.9

براتيكا بوذا (Pratyeka Buddha): 5.9

برازيل (Brésil): 5.3؛ 2.5.3

براشيت (Bereshit): 2.32

براكرتي (Prakṛti): 2.4.30

برانا (Prāna): 2.4.30

براهما (Brahmā): 1.8.30. إله خالق هندوسي؛ وأهميته في الأسطورة تفوق أهميته في العبادة. وهو يشكل في بعض الأحيان، إلى جانب فيشنو (الحافظ) وشيفا (المدمر)، ثالوثاً (تريمورتي trimurti).

براهمو سماج (Brahmo Samāj): 9.30

بربر [أمازيغ]: 1.3؛ 5.4

برتيتيا ساموتبادا (Pratītya samutpāda): 3.9

برجابتي (Prajāpati): 3.30

برجنابارميتا (Prajñāpāramitā): 5.9

برغلمير (Bergelmir): 1.2.14

بركة: 0.3

برلينغ، جوديث (Berling, Judith): 3.22

برهمن (Brahman): 6.30

برهمنات [برهمنا] (Brāhmaṇas): 3.30

برودنس آلن (Prudence Allen): 8.27

بروميثيوس (Prométhée): 4.33. جبار [أحد الطيطان] سابق على الآلهة الأولمبية في الميثولوجيا اليونانية. واشتهر بالأعمال الجليلة التي أنجزها لصالح البشرية (سرقة النار من السماء، والحيلة التي أدت إلى أن تكون أجزاء الأضاحي الحيوانية غير القابلة للأكل من نصيب الآلهة...)، والتي بسببها حكم عليه

زيوس بالعذاب الأبدي. وهناك أسطورة تجعل من هرقل (Héraclès) محرراً لبروميثيوس.

بريابوس (Priape): إله صغير منعظ[264] عند اليونان والرومان.

بريت (Berit): 1.3.32

بريغيد (Brighid): 3.23

بريندن، ص. ج. ف (Brandon S. G. F): 2.27

بستلا (Bestla): 1.2.14

بسم الله: 3.4

بسيلوس، ميخائيل (Michel Psellus): 3.3.33؛ 4.1.29. (1018-78). لاهوتي بيزنطي مفتون بالأفلاطونية المحدثة. ومع سمو منصبه في الإمبراطورية، إلا أنه ترك البلاط من أجل عن البحث عن الحقيقة الروحية التي تشوّقت إليها نفسه، فمات وحيداً منسيّاً من قبل الجميع.

بشت (Besht): 9.32

بطالمة: 1.29

بطرس (الرسول): 1.27

بطرس الصقلي (Pierre de Sicile): 6.12

بطليموس، كلاوديوس: 1.29

بعل شيم توف (Baal Shem Tov): 9.32. (عبرية، «مولى الاسم الحسن ⟨اسم الإله⟩»؛ إسرائيل بن أليعازر (1700-1760)، الشهير أيضاً ببشت (Besht)، وهي حروف تختصر اسمه. وهو صانع معجزات وزعيم روحي يهودي. أسس الحركة الحاسيدية البولندية؛ وهي حركة أخلاقية وانجذابية لم تحظَ برضا السلطات اليهودية، التي كانت تؤثر إيديولوجيا الأنوار.

264- ترجمة (ityphallique)، أي ذو قضيب منتصب. (م)

بعل (Baal): 3-1.24

بكتاشية: 2.10.4

بلافتسكي، هلينا بتروفنا (Blavatsky, Helena Petrovna): (1831-1891)، [سيدة] من أصل روسي. هي مؤسسة الثيوصوفيا (Théosophie)، ومؤسسة الجمعية الثيوصوفية (في الولايات المتحدة) التي سينقل مقرها الرئيس، في وقت لاحق، إلى بلاد الهند.

بلاك إيلك (Black Elk): (1863-1950)، رائي [نبي] هنود اللاكوتا (Lacotas) المعروف بكتابيه اللذين يحكيان سيرته، كما يحكيان عن اضطهاد الهنود [الحمر]، والغوست دانس (Ghost Dance) (↔ 5.6) علاوةً على القدرات الشامانية التي يتمتع بها شعبه.

بلاكفوت (Blackfoots): 1.6؛ 5.6

بنت القمر: 3.1.5

بنداهيشن (Bundahishn): 1.3.18

بندكت النيرسي (Benoît de Nursie): 8.4.27

بنديس (Bendis): 3.11

بنفنيست، إميل (Benveniste, Émile): 3.4.18

بنفينوتا بوياني (Benvenuta Boiano): 9.27

بنكستر، ليون (Pinkster, Leon): 6.32

بنين (Bénin): 1.1.3

بهاغافادغيتا (Bhagavadgîtā): 5.30. (سنسكريتية، «أنشودة المولى»)، قسم مدرج في ملحمة **مهابهارتا** الهندية ما يقارب القرن الثالث (ح.ع)؛ وهي كتاب مقدس عند العديد من الهندوس. والملحمة عبارة عن حوار دار بين المحارب أرجونا وبين كريشنا -أحد تجسدات الإله فيشنو- الذي يتنكر في صورة حوذي

[سائق عربة]. وقد لقن كريشنا أرجونا درساً في اليوغا، حاضاً إيّاه على النسك من غير أن يهجر العالم. وخلف هذا النص، خلال القرن التاسع عشر، صدىً قوياً في الغرب، الذي كان معتاداً، ذلك الوقت، على تعاليم البروتستانية عن «النسك الدنيوي».

بهاكتي (Bhakti): 5.9؛ 6.30-7؛ 1.7.30

بهوشروتيون [بهوشروتا] (Bahuśrutīyas): 4.9

بهية [يحيى] بن باقودا (Bahya ibn Baquda): 6.32. فيلسوف يهودي أندلسي كبير (القرن الحادي عشر)، ساهم بكتابه (**الهداية إلى فرائض القلوب**) (*Guide aux devoirs du cœur*)، الذي ألفه باللغة العربية، في إدخال ثيمات صوفية [إسلامية] إلى حظيرة التقليد اللاهوتي اليهودي، الذي أسسه سعديا جاؤون [الفيومي] (882- 942)

بواس، فرانز (Franz Boas): 0.6

بواموي (Powamuy): 8.6

بوبر، مارتن (Buber, Martin): (1878-1965)، فيلسوف يهودي، ومؤلف غزير الإنتاج في حقل الدين. وقد تأثر في فكره بكل من الحركة الحاسيدية والحركة القومية اليهودية [الصهيونية]، التي ساهم فيها، كما تأثر بأحداث الحربين العالميتين اللتين كان شاهداً عليهما.

بوبول فو [كتاب] (Popul Vuh): 1.1.7

بوتلاش (Potlach):6.6

بوتنيا ثيرون (Potnia therōn): 2.33؛ 4.3.33

بوجا (pūja): 7.30. قرابين تقدّم للمعبودات الهندوسية على مذابح البيوت أو في المعابد.

بودغالا (pudgala): 4.9

بوذا (Bouddha): 9. في مواضع متفرقة.

بوذيدارما (bodhidharma): 8.9. (نحو 480-520)، معلم [شيخ] بوذي هندي؛ وهو مؤسس مدرسة تشان (Ch'an) البوذية الصينية (زن Zen باليابانية)؛ وحول شخصيته يتمحور تقليد أسطوري برمّته.

بوذيساتفا (Bodhisattva): 5.9؛ 9.9. في البوذية الهندية، ولا سيّما البوذية الماهايانية، هو كائن بلغ درجة الصحو الذي يمكنه من هجران عالم الظواهر إلى الأبد، لكنه بدلاً من ذلك يؤثر، بدافع الشفقة، أن يؤجل الرحيل، وأن يعمل من أجل خلاص جميع الأحياء.

بور (Borr): 1.2.14

بورا (Pura): 2.5

بورانات [بورانا] (Purāṇas): 5.30. مجموعة مصنفات موسوعية مدونة باللغة السنسكريتية؛ وتضم تقليدياً (18) نصاً من البورانات الكبرى، أو مهابورنا (Mahāpurana)؛ وقد شرع في تأليفها ابتداءً من أوائل القرن الأول (ح.ع). وهي تشتمل على أساطير الهندوسية الكبرى.

بوروشا (Puruṣa): 2.4.30. (سنسكريتية، «إنسان»)؛ هو أول إنسان في النشكونية الفيدية (رجفيدا Ṛgveda, X 90)، التي يؤدي فيها دور خالق النظام الاجتماعي، كما في نصوص الأوبانيشاد القديمة.

بوري (Búri) : 1.2.14

بورياتيون (Bouriates): 1.1.20

بوريدانوس، يوحنا (Buridan, Jean): 10.4.27

بوريم [عيد] (Pourim): 1.3.32

بوزو (Bozos): 3.1.3

بو-ستن [بوتن رنشن دروب Buton Rinchen Drub] (Bu-ston): (1290-1364)، راهب بوذي من التبت؛ وهو مترجم عدد من النصوص البوذية من اللغة السنسكريتية، ومعلم [شيخ] تنتري.

بوسيدون (Poséidon): 5.23. إله يوناني قديم، وجوده سابق في موكناي (Mycènes). وخلال الحقبة الكلاسيكية، كان رباً للبحار والمحيطات.

بوشمان (Bochimans): 0.3

بوغازكوي (Boğazköy): 1.15

بوغوميليون (Bogomiles): 9.4.27؛ 7.12

بوكاتشي (Boccace) (الملقب باسم جوفاني بوكاتشيو Giovanni Boccaccio): 11.4.27

بولتهورن (Bolthorn):1.2.14

بولس (الرسول): 1.27؛ 3.27؛ 9.27

بولس الساموساطي (Paul de Samosate): 4.4.27

بولس الشماس (Paul le Diacre): 8.4.27

بولسيانية (Paulicianisme): 2.12

بولك (Pulque): 1.2.7

بومريوم (Pomerium): 1.2.17

بومو (Pomos): 7.6

بون (Bon): 10.9؛ 1.10؛ 3.10

بونافنتورا البانيوريجي (Bonaventure de Bagnoreggio): 9.27

بونتيفكس [الحبر] (Pontifex): 3.2.17

بونيفاسيوس، أولفيلا (Boniface, Ulfila): 5.27

بويبلوس (Pueblos): 1.6؛ 8.6

بويس (Boèce) (بويتيوس Boetius، 475-525): فيلسوف أفلاطوني محدث لاتيني، مؤلف كتاب **(عزاء الفلسفة)** *(Consolation de la philosophie)*؛ وهو أيضاً عالم لاهوت مسيحي. وقد ترجم إلى اللاتينية بعض مؤلفات أرسطوطاليس المنطقية.

بويل (Pwyll): 5.23

بويماندريس (Poimandres): 6.1.29

بيثارو (Pizarre): 3.7؛ 2.1.5؛ 3.1.5؛ 10.27

بيثيا [كاهنة أبولون] (Pythie): 7.33

بير [شيخ] (Pîr): 2.10.4

بيرسيركر (Berserkr): 2.4.14. (حرفياً: «فروة الدب»)؛ تُقال عن حالة الغضب الدموية التي تنتاب المحاربين التابعين للإله الجرماني أودهين؛ وهم يحاكون بها سلوك الحيوانات المفترسة [ولا سيّما الذئب].

بيرسيفون (Perséphone): 5.23؛ 4.3.33؛ 6.33؛ 1.2

بيركوناس [بيركونس] (Perkunas): 1.3.19

بيرنغ (مضيق): 1.6

بيرون (Perun): 2.19. إله الرعد عند قدماء السلافيين [الصقالبة]؛ وهو حارس النظام وخصم للإله الأسود (تشرنوبوغ Tchernobog). وبعد دخول السلاف في دين المسيحية، تحولت عبادته إلى القديس إيليا.

بيعة [كنيس] (Synagogue): (من اليونانية **سوناغوغي** *Synagôgê* «مجمع»)، جمعية دينية يهودية ظهرت خلال فترة السبي البابلي (القرن السادس ق.ح.ع) نتيجة الحاجة إلى الحفاظ على عبادة الإله خارج هيكل أورشليم؛ ثم تطور الاسم [سوناغوغي] ليشتمل على أماكن العبادة اليهودية غير الهيكل. وبعد تدمير

هيكل أورشليم الثاني في عام (70)، أصبحت البيعة [الكنيس] المكان الأوحد لإقامة طقوس العبادة اليهودية.

بيغ دروم دانس (Big Drum Dance): 1.5.3

بيغمي (Pygmées): 2.3.3

بيفرز [قنادس] (Beavers): 1.6

بيكو الميراندولي، جوفاني (Pic de la Mirandole, Jean): 12.4.27

بيكي (Beki): 0.20

بيل، رودلف (Bell, Rudolph): 8.27-9

بيلا كولا (Bella Coolas): 1.6

بيلاجيوس (Pélage): 9.9؛ 7.4.27

بيلوبوغ (Belobog): 2.19

بيمبا (Bemba): 1.3.1

بينوبسكوت (Penobscots): 1.6

بيهمه، يعقوب (Jakob Boehme): 9.27. متصوف لوثري ألماني؛ صاحب لاهوت أصيل ومعقد؛ وكان للاهوته تأثير كبير على الحياة الروحية في ألمانيا، وعلى المذاهب الباطنية الأوربية خلال القرن الثامن عشر.

بيوت [صبار] (Peyolt): 5.6

حرف التاء

تاباس (Tapas): 3.30؛ 4.13. (سنسكريتية «احترار»)، كلمة تقارب جداً اللفظ اليوناني **أسكيزيس** (*askésis*)، الذي تطور حتى أصبح يدل على حماسة النسك. وتمكن ممارسة التاباس صاحبها من اكتساب **سيدهيات** [سيدهي] (*Siddhis*) أو قدرات خاصة.

تابو [طابو] (Tapu): 1.8

تاتفات [تاتفا] (Tattvas): 2.4.30

تاتيانوس [السوري] (Tatien): 4.4.27

تارا (Tārā): إلهة بوذية، ولا سيّما في بلاد التبت، تشكل زوجاً مع بوذيساتفا أفالوكوتتشفارا (Bodhisattva Avalokuteśvara)، أو مع البوذا أموغاسيدهي (Boudha Amoghasisshi). وهناك تارا خضراء ترمز إلى الخير، وتارا بيضاء ترمز إلى النجدة.

تا-زيغ (Ta-zig): 10.9؛ 3.10

تاليسن (Taliesin): 5.23

تان (Tane): 3.8

تانا (Tanna): 2.32

تانغروا (Tangaroa): 3.8

تاي تشن (Tai Chen): 4.25

تاي سي (T'ai Hsi): 4.22

تجديدية العماد [دعاة] (Anabaptistes): 13.4.27. فرقة بروتستانتية انشقت عن حركة هولدريخ زوينغلي (Ulrich Zwingli) في زوريخ بعد (1520)، وتشكلت منها عدة جماعات. دعا أصحاب تجديدية العماد إلى التقليد المباشر لسيرة المسيح ولتعاليم الأناجيل، ورفضوا تدخل الدولة في شؤون الكنيسة، وأعرضوا عن العالم [الدنيوي] وعمّدوا البالغين. وأهم جماعاتهم، التي استمرت في الوجود إلى غاية يومنا، جماعة المينوناتيين، التي أسسها مينو سيمونز (Menno Simmons) (1496-1561)، وجماعة الإخوان الهوتريين، التي أسسها، في عام (1528)، يعقوب هوتر (Jacob Hutter) (توفي 1536).

تحوت (Thot): إله الحكمة القمري عند المصريين؛ وكان معبده في هيليوبوليس

(Héliopolis) في صعيد مصر. وقد ماثل اليونان بينه وبين الإله هرمس (وفي الفترة الرومانية تمت المماثلة بينه وبين هرمس المثلث العظمة Hermès Trismégiste).
ترتوليانوس القرطاجي (Tertullien de Carthage): 2.4.27
تريبيتاكا (Tripiṭaka): 1.9
تريراتنا (Triratna): 2.13
تريكستر [مكار] (Trickster): 1.1.3؛ 3.1.3؛ 2.6؛ 3.6؛ 6.6؛ 7.6؛ 3.5؛ 1.12؛ 3.12؛ 1.3.14؛ 4.3.33؛ 4.33؛ 2.30؛ 3.8
ترينداد (Trinidad): 1.5.3
تزوتزول (Tzotzols): 1.7
تزيلتال (Tzeltals): 1.7
تسوانا (Tswanas): 4.3
تسونغكابا (Tsong-ka-pa): 10.9
تسيمشيان (Tsimshians): 1.6؛ 6.6
تشافين (Chavins): 1.1.5
تشاك (Chacs): 1.1.7
تشان (Ch'an): 9-8.9
تشانتشان (Chanchán): 1.1.5
تشانغ زاي (Chang Tsai): 4.25
تشن ين (Chen-yen): 9.9
تشنغ هاو (Ch'eng Hao): 4.25
تشنغ يي (Ch'eng I): 4.25
تشو تون-يي (Chou Tun-i): 4.25
تشو سي (Chu Hsi): 4.25

تشوانغ تسي (Chuang-tze): 2-1.22

تشوكتشي(Tchouktches) : 1.1.20

تشي يي(Chih-i) : 8.9

تشيتشن إيتزا(Chichén Itzá) : 1.7

تشيمو (Chimú): 1.1.5

تشين جين (Chen Jen): 2.22

تشين كونغ (Chin Kung): 2.22

تشين يي (Chin I): 2.22

تصوف [إسلامي]: 10.4

تفتيش [محاكم]: 9.4.27

تفنوت (Tefnout): 2.28

تكبير: 3.4

تل العمارنة: 0.24

تلمود [يهودية]: 2.32

تلنجيت (Tlingits): 1.6؛ 6.6

تليبينو (Telepinu): 2-1.15

تمبلو مايور [المعبد الكبير] (Templo Mayor): 1.2.7

تموز: 2.16؛ 1.2

تناخ [يهودية]: 2.32

تناسخ الأجساد[265] (Métensomatose): 6.6؛ 3.3.33؛ 3.30

265- في معظم استعمالاته لمصطلح (métensomatose)، يريد «تناسخ الأرواح». والحال أن «تناسخ الأرواح» يقابل (métempsychose) وليس (métensomatose) الذي يقابل «تناسخ الأجساد»؛ فهناك فرق بينهما كما نعلم. وقد سجلنا هذه الملاحظة في العديد من التعاليق. (م)

تنترا (Tantra): 7.30. (سنسكريتية؛ حرفياً: «نسيج»)؛ هو كتاب مرشد يعلم مذهباً من المذاهب. ويدلّ بحصر المعنى على كتاب يشتمل على طائفة من المذاهب الهندوسية، أو البوذية، ذات الصبغة الباطنية، وينطوي، عموماً، على ممارسات أو إيحاءات جنسية.

تنترية (Tantrisme): 6.9؛ 9.9؛ 10.9؛ 4.7.30

تنجور (Tanjur): 1.9

تنجيم (Astrologie): 2.1.29

تنحموما (Tanhoma): 2.32

تنداي (Tendai): 8.9-9

تنزانيا: 2.3؛ 3.3

تنغري (Tengri): كلمة ألطية تدلّ، في الأصل، على هيئة السماء الطبيعية؛ وهو إله سماوي عند الأتراك والمغول.

تنغوسيون (Toungouses): 1.20

تهوك (Thokk): 2.3.14

تو واي-منغ (Tu Wei-ming): 4.25

تواتات دي دانانو [عشائر الإلهة دانا] (Tuathas Dé Dananu): 4.23

توبا إنكا (Topa Inca): 2.1.5

توبي غواراني (Tupis Guaranis): 5.5

توبي (Tupis): 0.5؛ 2.5

توجولابال (Tojolabal): 1.7

توراة: 2.32

تورنبول، كولن (Turnbull, Colin): 2.3.3

تورنر، فكتور (Turner, Victor): 1.3.3

توسفتا (Tosefta): 2.32
توفان (Touvin): 1.1.20
توكانو (Tukanos): 0.5؛ 4.5
تولا (Tula): 1.7
تولان (Tollán): 1.7
تولتك (Toltèques): 0.7-1؛ 2.7-1
تولسيداس (Tulsîdās): 1.7.30
تولوا (Tolowa): 6.6
تولواش (Toloache): 7.6
توليروس، يوحنا (Tauler, Jean): 9.27
توما الأكويني: 9.4.27
توما الكمبيسي (Thomas à Kempis): 9.27
تونانتزان (Tonantzin): 3.7
توهمية [دوسيتية] (Phantasiasme): 4.12
تيامات (Tiamat): 5.16
تيانتاي (T'ien-t'ai): 8.9
تيبهوا (Tepehua): 3.7
تيتوس [تيطس] (Titus): 1.32
تيتيكاكا (Titicaca): 3.1.5
تيرافادا (Theravāda): 1.9؛ 4.9؛ 7.9
تيرثامكار (Tîrthaṃkara): 5-2.13
تيرما (Gter-ma): 10.9
تيريزا الأفيلاوية (Thérèse d'Avila): 9.27

تيريزا الليزيانية (Thérèse de Lisieux): 9.27

تيزكاتليبوكا (Tezcatlipoca): 1.7-2. («مرآة معتمة»)، إله خالق عند الأزتك؛ وهو خصم كيتزالكواتل (Quetzalcóatl)، وساحر كبير تتركز قدراته في مرآة سحرية مصنوعة من السبج.

تيشوب (Teshub): 1.15

تيغ بهادور (Teg Bahādur): 2.8.30

تيكال (Tikal): 1.7

تيلاموك (Tillamook): 6.6

تيماكويل (Temakuel): 4.5

تينريكيو (Tenrikyo): 6.21

تينوشتيتلان (Tenochtitlán): 2.7

تيوتهواكان (Teotihuacán): 1.7؛ 1.2.7

تيوغنيس الميغاري (Théognis de Mégare): 4.3.33

حرف الثاء

ثاوفيلس الأنطاكي[266] (Théophile d'Antioche): 4.4.27

الثعبان قوس قزح (Serpent Arc-en-Ciel): 1

الثعلب الشاحب: 3.1.3

266- في الأصل: «ثاوفيلس الإسكندراني» (Théophile d'Alexandrie)؛ وقد تبين لنا أنه يريد: «ثاوفيلس الأنطاكي» (Théophile d'Antioche). انظر تعليقنا على هامش الفقرة 4.4.27. (م)

ثور (Thorr): 14.2-3. إله جرماني قوي (إيسر Ase)؛ وهو إله الحرب والرعد، ويملك مطرقة ميولنير (Mjollnir) التي يرعب بها العمالقة. وثور هو كذلك ربّ الكارل (Karls) [الأحرار]، الذين يقابلون اليارل (Jarls) أو الأرستقراطيين.

ثوربولوس (Taurobole): 3.2.2

ثيسموفوريا (Thesmophories): 5.33. عيد يوناني خريفي يحتفل به تكريماً لديميتر وبيرسيفون؛ ويتم خلاله تبادل الكلام البذيء والجلد ودس لحم الخنزير المطبوخ في ميغارات *(mégaras)*، أو حفر تؤدي إلى جوف الأرض.

ثيوتوكوس [والدة الإله] (Theotokos): 6.27؛ 27.7.2- 3

حرف الجيم

جاتكات [جاتكا] (Jātakas): 9.1-2

جاك المولاوي [دي مولاي] (Molay, Jacques de): 9.4.27

جامايكا: 1.5.3

جبرائيل [جبريل]: 2.4

جعفر الصادق: 1.6.4

جلال الدين الرومي: 1.10.4

جلجامش: 6.16. يغلب على الظن أنه ملك أوروك (نحو 2700 ق.ح.ع)؛ وقد صار بطل ملحمة سومرية- بابلية موضوعها البحث عن الخلود.

جمعية الاستيطان الأمريكية (American Colonization Society): 4.5.3

جملائيل الثاني (Gamaliel II): 6.32

جن (Jinns): 1.4

جنانا (Jñāna): 3.30

جنكيز خان (Gengis Khan): 0.20
جودو شو (Jōdō shū): 9.9
جودو شينشو (Jōdō shinshū): 9.9
جومون (Jomon): 2.21
جونو (Junon): 1.2.17؛ 2.2.17؛ 3.17. زوجة سلطان الآلهة يوبيتر (Jupiter)، وإلهة الميلاد والبدايات والشباب. وهي تجمع بين خصائص كلّ من الإلهة اليونانية هيرا (Héra) والإلهة الإتروسكية أوني (Uni).
جيتيغ (Gêtîg): 1.5.18
جيرار الكريموني (Gérard de Crémone): 9.4.27
جيرار الكمبراوي (Gérard de Cambrai): 1.4.23
جيسو (Gisous): 2.3
جيفارو (Jivaros): 2.5
جيفانموكتي (Jīvanmukti): (سنسكريتية، «انعتاق الحي»)، تدلّ في الفكر الهندوسي على الوضع الاستثنائي للشخص الذي تحرّر خلال حياته من دورة التناسخات [التقمّصات] المتتالية.
جيقاتيلا، يوسف بن أبراهام (Gikatilla, Joseph b. Abahram): 7.32
جيكوكيو (Jokkokyo): 6.21
جيلفاجيننغ [خداع جيلفي] (Gylfaginning): 1.1.14؛ 1.2.14
جين (Jen): 2.25
جينا (Jina): 0.13
جينجا (Jinja): 5.21
جينجكان (Jingikan): 6.21
جينيسيا (Genesia): 4.33
جيومانسيا (Géomancie): 0.3؛ 1.1.3

حرف الحاء

حاسيداي أشكناز (Hasidei Ashkinaz): 7.32

حاسيدية (Hassidisme): 2.32

حانوكا (Hanukkah): 1.32. (عبرية، «تدشين»)، عيد من ثمانية أيام ابتداءً من 25 كسلو (Kislev)؛ وتخلد فيه ذكرى تدشين هيكل أورشليم الثاني في عهد يهودا المكابي (Judas Maccabée) في عام (165 ق.ح.ع).

حبشة (Abyssinie): 1.5.3

حج: 2.4

حجة [إسماعيلية]: 3.6.4

حدادون: 3.1.3

حديث: 2.4. هي المأثورعن النبي محمد وبعض الصحابة والتابعين[267] من أقوال وأفعال ممّا نُقِل شفهياً ودُوِّن لاحقاً في كتب هدفها تربية المؤمنين[268]. ويرفق كل حديث بإسناد يُخبر عن الطريق الموصلة إلى المتن. وقد تطوّر علم الحديث في فترة مبكرة بغية تمييز الحديث الصحيح عن غير الصحيح.

حزقيال [حزقيل] (Ézéchiel): 2.32؛ 4.32؛ 1.5.32. من أنبياء الكتاب المقدس؛ وهو من سبايا بني إسرائيل الذين سيقوا إلى بابل. وقد حظي هذا الرائي الكبير بمشاهدة عرش الإله السماوي المحمول على مركبة (**حزقيال**، صح 1). وأشهده الإله على العديد من التجارب الخفية؛ ومنها (صح 37) أنه وهبه القدرة على إحياء عظام الموتى وهي رميم.

267- في الأصل: (certains musulmans de la communauté du prophète)، وتعني حرفياً: «بعض المسلمين من أمّة النبي»؛ والظاهر أنه يريد ما ذكرنا، أي: «بعض الصحابة والتابعين». (م)

268- في هذا التعريف نظر وخلاف. (م)

حسداي قرشقش (Hasdai Crescas): 6.32
الحسن البصري: 1.10.4
حسن الصباح: 3.6.4
الحسن: 6.4؛ 3.6.4
الحسين: 6.4
حشاشون: 9.4.27؛ 3.6.4
الحقائق الأربع: 2.9
الحلاج: 2.10.4
حنبل، أحمد بن: 7.4
حورس (Horus): 1.28
الحوض العظيم: 1.6

حرف الخاء

خابيرو (Khabiru): 1.32
خاسي (Khasi): 4.1.20
خانتي (Khanty): 2.1.20
خديجة: 2.4
خطيب: 3.4
خقاسيون (Khakazes): 1.1.20
خليفة: 4.4
خمير (Khmers): 4.1.20
خوارج: 4.4

خوجات [خوجة] (Hojas): 3.4.6

خورس (Khors): 2.19

خيمياء [كيمياء «سحرية»] (Alchimie): 5.1.29

حرف الدال

داتورا سترامونيوم (Datura Stramonium): 7.6

داجون (Dagan): 2-1.24

دارما (Dharma): 2.9؛ 4.9؛ 3.4.30

دارماكرتي (Dharmakīrti): (نحو 600-660 ح.ع)، فيلسوف بوذي من جنوب الهند؛ وهو مؤلّف كتب مهمة حول الإدراك والمعرفة والإبستمولوجيا[269] في دائرة التقليد المنتسب إلى ديناغا (Dignāga) (نحو 480-540).

دارمطارية (Dharmottarīyas): 4.9

داغدا (Daghda): 4.23

داكوتا (Dakotas): 1.6

دانا (Dana): 4.23

دانتي أليغييري (Dante Alighieri): 2.5؛ 9.4.27

دانيال (Daniel): 5.32. بطل رائي في سفر دانيال من الكتاب المقدس؛ وهو نص مركّب تمّ تحريره باللغتين العبرية والآرامية خلال الفترة الهلنستية؛ ويعرض لانتصارات اليهود على مضطهديهم وسائميهم سوء العذاب.

269- يجب أن يأخذ مصطلح «إبستمولوجيا»، هنا، بمعناه الفلسفي العام المكرّس في التقليد الأنغلوسكسوني، وهو: «نظرية المعرفة» (Epistemolgy)، وليس «نظرية المعرفة العلمية». (م)

داود (David): 1.32. هو ملك إسرائيل ويهودا؛ غزا أورشليم ودحر الفلسطينيين [الفلستيين philistins]. ووعده الإله بثبات ملكه وملك سلالته من بعده إلى الأبد. وشيّد ابنه سليمان هيكل أورشليم. وينسب إليه في التقليد تحرير نص المزامير.

دايفات [دايفا] (Daivas): 2.30؛ 1.18؛ 2.3.18

داينا (Daênā): 3.3.18

دجنغوول (Djanggawul): 1

درشنات [درشنا] (darśanas): 4.30؛ 2.4.30

درو، تيموتي (Drew, Timothy): 4.5.3

دروج (Druj): 2.3.18

دروز (Druzes): 3.6.4

دزبوغ (Dazhbog): 2.19

دعوة المسلمين الأمريكية (American Muslim Mission): 4.5.3

دعوة: 3.6.4

دغيغا (Deghigas): 1.6

دفيكوت (Devekut): 7.32؛ 9.32

دلفي (Delphes): 3.33؛ 7.33

دموزي (تموز Tammuz) (Damuzi): 2.16. إله سومري قديم؛ وذكره ثابت منذ (3500 ق.ح.ع). وتموز (Tammuz) هو اسمه باللغة الأكدية. وهناك شهر يحمل اسمه في الرزنامة الأكدية، ومنها انتقل إلى الرزنامة اليهودية. وفي أوروك [الوركاء]، اقترن دموزي بنمو نخيل التمر. وتتمثل أسطورته الرئيسة في ذلك الإله الشاب الذي يتعرّض للموت. ويقوم دموزي بتعويض حبيبته، الإلهة إنانا [عينانا] (Inanna)، في جحيم الإلهة أرشكيغال (Ereshkigal)؛ ثم تقوم

أخته غشتينانا (Geshtinanna)، أو أماغشتين (Amageshtin)، إلهة الكروم، بإعادته إلى الأرض لمدة نصف سنة، وتأخذ مكانه في العالم السفلي. وعلى صعيد طقوس العبادة، كان رحيل تموز يشكّل مناسبة للنوح والمراثي، في حين كانت عودته مناسبة للفرح والبهجة.

دهيانا (dhyāna): 8.9-9؛ 2.4.30

دوخا [معاناة] (Duḥkha): 2.9

دوركايم، إميل (Durkheim, Émile): 3.31

دوسيتية (Docétisme): 3.12

دوغلاس، ماري (Douglas, Mary): 1.3.3

دوغن (Dōgen): 9.9. (1200-1253)، معلم ياباني من شيوخ بوذية الزن (Zen)؛ وهو مؤسس مدرسة سوتو (Sōtō)، ومؤلف كتاب **شوبوغنزو** *(Shōbōgenzō)*، الذي يلتئم من مجموعة عظات وأحاديث. ويؤكد التقليد الدوغني إمكان بلوغ حال الصحو عن طريق ممارسة **الزازن** (*zazen*)، أو التأمل [الجالس]. وتحضر طبيعة البوذا في الطابع الزائل والعرضي للعالم ولسكانه.

دوغون (Dogons): 3.1.3

دوف باير (Dov Baer): 9.32

دومزيل، جورج (Dumézil, Georges): 3.31؛ 2.17

دومينكانيون (Dominicains): 9.4.27

دومينيك (دومنغو دي غوزمان Domingo de Guzman) (Dominique): 9.4.27

دونس سكوت، يوحنا (Duns Scot, John): 10.4.27

دونغ تشونغ-شو (Tung Chung-shu): 3.25

ديانا النيمية (Diane de Nemie): 1.2.17

ديانادا (Dayānada): 9.30

ديترلين، جيرمين (Dieterlen, Germaine): 3.1.3

ديسيبالوس (Décébale): 2.4.11

ديسينيوس (Décénée): 2.4.11

ديغامباريون [المتلحفون بالسماء] (Digambaras): 1.13

ديغرز (Diggers): 0.6

ديفات [ديفا] (Devas): 2.30؛ 1.18؛ 2.3.18

ديفاداتا (Devadata): 2.9

ديفي (Devî): 3.7.30

ديما (Dema): 1.1.7؛ 2.5-3؛ 0.2

ديمتير (Déméter): 3.33-4؛ 6.33؛ 1.2

ديمون (Daimon): 7.3.33

ديناغا (Dignāga): (نحو 480-540 ح.ع)، فيلسوف بوذي من جنوب الهند؛ وينتمي إلى مدرسة اليوغاكارا (Yogācāra). ويُعنى، في مصنفاته المنطقية، بمسائل العلية والقياس.

دينكا (Dinkas): 0.3

ديو (Dyows): 3.1.3

ديوس أوتيوزوس [إله محايد] (Deus Otiosus): 0.3؛ 1.1.3؛ 2.5؛ 2.16

ديونيسوس (Dionysos): 0.3؛ 5.3.33؛ 6.3.33؛ 5.33؛ 2.1.2

ديونيسيوس الأريوباجي (Denys l'Aréopagite) (مستعار): 9.27. (نحو 500 ح.ع)؛ اسم انتحله مؤلف مسيحي مجهول؛ وقد صنف الأريوباجي كتباً في التصوف، باللغة اليونانية، تأثر فيها تأثراً كبيراً بالأفلاطونية المحدثة الأثينية.

وهو يتوسل باللاهوت السلبي (الأبوفاتي apophatique) ليبين أن الإله لا يمكن أن يوصف، وأنه من المحال أن يحيط به علم؛ لكنه يعمد، في المقابل، إلى وصف التراتبيات [الهيراركيات] السماوية على طريقة الأفلاطونية المحدثة (انظر مثلاً: كتاب **الأسرار المصرية** ليامبليخوس)، وهي الطريقة التي أضحت كلاسيكية [مرجعية] في المسيحية، شرقاً وغرباً.

حرف الذال

ذكر (Dhikr): هو ذكر الله المأمور به في القرآن؛ ويزاوله المتصوفة الذين لا يفتؤون يذكرون أسماء الله، ويتأملونها، من أجل الاتحاد بالله.

حرف الراء

رابعة العدوية: 2.10.4

راجغرا (Rājagṛha): 3.9

رادها (Rādhā): 1.7.30. هي في الهندوسية الفيشناوية راعية شابة أحبت كريشنا إلى درجة الجنون. وقد ارتقت فيما بعد إلى مقام زوجة الإله السماوية.

رأس شمرا: 0.24

راشنو (Rashnu): 3.3.18

راعوث (Ruth): 2.32

راغناروك (Ragnarok): 3.3.14

راما (Rāma): 5.30؛ 7.30؛ 1.7.30. بطل ملحمة رامايانا (*Rāmāyaṇa*) الهندوسية. وفي الأجزاء الأحدث عهداً من النص، يتحوّل إلى أفتارا [تجسّد] للإله فيشنو.

راماكريشنا (Ramakrishna): 9.30. (غدادهر تشاتيرجي Gadâdhar Chattergie، 1834/36–1886)، متصوف هندوسي بنغالي عبَد (بهاكتي *bhakti*) الأم العظمى، وآمن، في الوقت نفسه، بوحدة الأديان (المؤسسة على التجربة الصوفية). ورسالته فيدانتية في جوهرها، وتشكل أساس دعوة راماكريشتا (Ramakrishna Mission)، التي هي حركة عالمية أعلن عنها فيفيكانندا (Vivekananda) (توفي 1902) في برلمان الأديان في شيكاغو (1893).

رامايانا (Rāmāyaṇa): 5.30

راي، بنجمان (Ray, Benjamin): 0.3

ربوبية (Déisme): مصطلح يُراد به الموقف العقلاني الغربي (نهاية القرن السادس عشر- القرن الثامن عشر)، الذي على الرغم من قبوله بفكرة وجود الإله، إلا أنه يشكك في جدوى الطقوس الدينية، وفي وجود العالم الآخر [الآخرة]، وفي تدخّل السماء في شؤون البشر. وقد آمن بهذا الموقف كبار مثقفي القرن الثامن عشر.

الرحمن: 1.4

ردريق خمينيز الرادي (Rodrigue Ximénez de Rada): 9.4.27

رستفاريون (Rastafariens): 1.5.3

رسل، جيفري ب. (Russell, J. B.): 8.27

رسول: 2.4

رشب (Rashap): 1.24

رشيس (Ṛṣis): 1.4.30

رع (Rê): 2.28؛ 6.28. (أو Ra)، إله الشمس المصري القديم؛ وكان مركز عبادته يقع في هيليوبوليس.

رغفيدا (Ṛgveda): 2.30

رفاعية: 2.10.4

رمضان: 3.4؛ 9.4

رنينهابا (Rñin-ma-pa): 10.9

رو، جان بول (Roux, Jean-Paul): 0.20 - 1

روسالكات [روسالكا] (Rusalkas): 2.19

روش هاشنا (Rosh Hashanah): 1.3.32

رومولوس (Romulus): 3.2.17

روي، راموحان (Roy, Rammohan): 9.30

ريانون (Rhiannon): 1.4.23؛ 5.23

ريموس (Rémus): 3.2.17

حرف الزاي

زائير (Zaïre): 2.3.3

زابوتك (Zapotèques): 0.7

زاهان، دومينيك (Zahan, Dominique): 3.1.3

زرادشت (Zarathoustra): 2.18

زروان (Zurvan): 4.18

زكريا: 2.32

زلموكسيس (Zalmoxis): 3.11-4

زن الرنزاي (Rinzai Zen): 9.9

زن السوتو (Sōtō Zen): 9.9

زن (Zen): 8.9-9. (من الصينية تشان ch'an المنحدرة بدورها من السنسكريتية (dhyāna)، التي تعني «التأمّل»)؛ مدرسة بوذية يابانية جلبت من الصين في صيغتين؛ زن الرنزاي (Rinzai) وزن السوتو (Sōtō).

زند [Zend] (Zand): 1.3.18

زهان- شونغ (Zhan-Shung) : 3.10

زوسيموس (Zosime): 5.1.16

زولا، إلمير (Zola, Elémir): 0.6

زولو (Zulus): 4.3

زون-تسو (Hsün-Tzu): 4.25

زوني (Zuñi): 1.6؛ 8.6

زوهار [كتاب] (Zohar): 7.32. (سفر ها-زوهار *Sefer ha-Zohar*، «كتاب البهاء»)؛ مؤلف كلاسيكي في القبالة اليهودية. وينسب إلى التانائي شمعون بار يوحاي، لكنه، في الحقيقة، من تأليف القبالي القشتالي موسى الليوني (1240-1305). وهو ينطوي على مذهب في غاية التعقيد، ويعتمد، عموماً، على مبادىء الأفلاطونية المحدثة.

زوينغلي، هولدريخ (Zwingli, Ulrich): 13.4.27

زيد بن علي: 1.6.4

زيلوت [غيورون] (Zélotes): 2.27؛ 1.32

زيمبابوي: 4.3

زينر روبرت ش. (Zaehner, R. C.): 3.4.18

زيوس (Zeus): 4.3.33. إله الرعد والبرق السماوي؛ وإله اليونان الأسمى خلال العصور الغابرة والكلاسيكية

زيوسودرا (Ziusudra): 6.16

حرف السين

سابازيوس (Sabazios): 5.2.2؛ 1.3.11. إله تراقي وفريجي ماثل اليونان بينه وبين ديونيسوس. وأُقيمت له احتفالات ليلية في أثينا منذ القرن الخامس (ق.ح.ع). وكان خلال الفترة الرومانية إلهاً للأسرار.

ساحل العاج: 0.3؛ 2.1.3

سارابيس (Sarapis): 2.2؛ 6.2.2

سارة (Sarah): (ساراي Sarai؛ غيّر الإله اسمها إلى سارة)، زوجة أبراهام [إبراهيم]، وأخته من أبيه، كما جاء في سفر التكوين من الكتاب المقدس. كانت في البدء عاقراً، وفي الآخر أنجبت إسحاق.

سارسفاتي (Sarasvatī): 3.3.18

ساسو، مايكل (Saso, Michael): 3.22

سافرديون (Séfarades): 1.32

سالكنام (Selk'nams): 4.5

ساليش (Salishs): 6.6

ساما (Saamis): 2.1.20

سامتية (Sammitīyas): 4.9

سامريون: أهل إقليم السامرة في شمال إسرائيل. ويعتقدون أنهم ينحدرون من سبطي منسى وأفرايم [ابني يوسف] من يهود الشمال. وقد انفصلوا عن اليهود بعد العودة من السبي البابلي.

سامفيدا (Sāmaveda): 2.30

سامو ديون (Samoyèdes): 2.1.20

ساموغو (Samogos): 3.1.3

سانتا لوسيا (Santa Lucia): 1.5.3

سانتيرية (Santeria): 1.5.3

سانو تسونيهيكو (Sano Tsunehiko): 6.21

ساوشيانت (Saoshyant): 2.5.18. (أفستية؛ وبالفهلوية **سوشيانس** *Sōshans*)، مخلص العالم في الديانة الزرادشتية. ورفعت المزدكية المتأخرة عدد المخلصين إلى ثلاثة. وسيولدون من زرع زرادشت الموضوع تحت حراسة (99.999) **فرافاشيا** (*fravashis*) في جوف بحيرة كانساوة (Kansaoya)، حين ستنزل للاستحمام فيها ثلاث عذراوات طاهرات. وسيظهر آخر المخلصين عند حلول يوم الحساب (**فراشوكيرتي** *Frashōkereti*)، وسيقضي نهائياً على أعداء نظام الحق.

ساول (Saule): 1.3.19

سبعية [شيعة]: 3.6.4

سبعينية (Septante) (Septuaginta): 2.32

سبينتا ماينيو (Spenta Mainyu): 2.3.18

ست (Seth): 1.28. (1) هو إله مصري اشتهر بقتله وتقطيعه لجثة أخيه أوزيريس. (2) هو في سفر التكوين الابن الثالث لآدم وحواء. وفي بعض الكتابات الغنوصية، يمثل جبلة جنس المختارين، وأنموذج المخلّص[270].

ستافرفادا (Sthāviravāda): 4.9

ستريبوغ (Stribog): 2.19

ستوبا *(Stūpa)*: صرح بوذي يحتوي على بقايا البوذا وغيره من أعلام البوذية الأولين. ويمثل الستوبا مركز عبادة. وقد تشكلت حول صروح الستوبا رهبات بوذية.

سدهرمابوندريكا [كتاب] (Saddharmapuṇḍarīka): 9.9

السراج [أبو نصر]: 2.10.4

سراوشا (Sraosha): 3.3.18

سرفاستفادا (Sarvāstivāda): 4.9. فرقة بوذية انفصلت عن الستافرفادا (Sthāviravāda) (↔ 4.9) في عهد الإمبراطور أشوكا (Aśoka) (القرن الثالث ق.ح.ع)، وتمخضت عن ميلاد ثلاث فرق هينايانية أخرى، هي: السوترانتيكية (Sautrāntikas)، المولاسرفاستفادية (Mūlasarvāstivāda)، ثم الدراماغوبتاكتية (Dharmaguptakas).

سرفيوس (Servius): 4.17

سريلانكا (سيلان): 3.9-4؛ 7.9

سعديا بن يوسف [الفيومي] (Saadia b. Joseph): 6.32

سفتنتريكا (Svatantrika): 5.9

270- أمّا في العربي، فلا داعي لهذه القسمة؛ لأن هناك تمييزاً، على صعيدي النطق والرسم، بين «ست» و«شيث»؛ وكذلك الأمر في العبرية، حيث التمييز بين (סת وשֵׁת). (م)

سفر يتسيرا (Sefer Yetsirah): 7.32. (عبرية، «كتاب الخلق»)، مصنّف نشكوني، وأوّل كتب القبالة؛ ولا يعرف تاريخ تأليفه بالضبط (القرن الثاني-القرن الثامن ح.ع).

سفيتار (Savitar): 2.30

سقراط: 3.3.33

سكاندا [كومة] (Skandha): 4.9

سكسو النحوي [غراماطيقوس] (Saxo Grammaticus): (نحو 1150-1216)، مؤرخ دنماركي؛ وهو مؤلف كتاب (**المآثر الدنمركية**) *(Gesta Danurum)*، الذي يُعدُّ أحد أهم ذخائر الميثولوجيا النوردية [الشمالية].

سلاجقة: 5.4

سلاف (هنود) (Slaves): 1.6

السلمي، يوحنا (Climaque, Jean): 9.27

سليبنير (Sleipnir): 1.3.14؛ 1.4.14

سليمان بن جبيرول (Solomon ibn Gabirol): 6.32

سليمان زلمان (Solomon Zalman): 6.32

سليمان: 1.32. (القرن العاشر ق.ح.ع)، ابن الملك داود، وثالث ملوك إسرائيل ويهودا (**سفر الملوك الأول**، صح 1-11).

سمادهي (samādhi): 2.9؛ 2.4.30. هي تقنية للتركيز في الديانة البوذية. وفي اليوغا، تمثّل أسمى مراحل التأمّل الموحّد [الجامع].

سمارتا (Smārta): 3.4.30

سمرتي (Smṛti): 4.30

سمسارا (Saṃsāra): 5.9؛ 3.30. تناسخ الأجساد (تقمص الروح سابقة الوجود

لجسد جديد)[271] في الهندوسية التقليدية؛ وقد تم قبوله في البوذية بكيفية لا تخلو من مفارقة. وينظر إليه نظرة سلبية. وطيلة تاريخ الهند الديني، ظهرت طرق نسكية و/ أو صوفية شتى تبتغي الانعتاق (**موكشا** *mokṣa*) من الأغلال الكارمية، التي تجدد الحلول في الجسد. وهناك تصور مماثل لتناسخ الأجساد نلفيه عند طائفة من الحكماء المتقدمين على سقراط، كما نلفيه عند أفلاطون. وفي بعض السياقات الدينية الأخرى، قد يكتسي تناسخ الأجساد دلالة إيجابية.

سمسكارا (Saṃskāra): 3.9-4؛ 3.30

سمغا (Saṃgha): 3.9-4. هي في البوذية جماعة المؤمنين التي أنشأها البوذا نفسه؛ وتضم أربعة أقسام (**الباريشاد** *parisads*)، هي: الرهبان (**البهيكسو** *bhikṣus*)، الراهبات (**البهيكسوني** *bhikṣuṇīs*)، الرجال العلمانيون (**الأوباساكا** *upāsakas*)، النساء العلمانيات (**الأوباسيكا** *upāsikas*).

سمكهيا (Sāṃkhya): 2.4.30. نسق فلسفي هندوسي؛ وهو يمثل إحدى المدارس الست (**درشنات** *darśanas*) التقليدية، كما يشكل زوجاً مع اليوغا.

سناغريكية (Ṣaṇṇagarikas): 4.9

سنة [إسلام]: 7.4

سنج تاكاتومي (Senge Takatomi): 6.21

سنغال (Sénégal): 0.3

سنهدرين (Sanhédrin): 6.32. (عبرية وآرامية، من اليونانية **سندريون** *synedrion*، «مجمع»)؛ هو هيئة عليا تسهر على إدارة شؤون اليهود والقضاء بينهم منذ عهد الاحتلال الروماني (63 ق.ح.ع)، وإلى غاية القرن السادس (ح.ع). وقد تمّ التشكيك في وجودها.

271- الملاحظة نفسها على الخلط المتكرر بين «تناسخ الأجساد» (métensomatose) و«تناسخ الأرواح» (métempsychose). (م)

سنوري سترلسون (Snorri Sturluson): 1.14. (1179-1241)، مؤرخ أيسلندي، ومؤلف **الإيدا** (*Edda*) النثرية وتاريخ الملوك النرويجيين (**هايسمكرينغلا** *Heimskringla*)، وهما يمثلان معاً أهم مصادر الميثولوجيا الجرمانية.

سنوفو (Sénoufos): 0.3

سنياسا (Sanyāsa): 3.4.30. المرحلة (**أشرما** *āśrama*) الرابعة والأخيرة في مسيرة حياة الذكور الهندوس التقليدية؛ وهي تمثل علامة على الزهد في العالم، وذلك بعد اعتزال صاحبها في الغابة (**فانبراشتا** *vānaprasthā*).

السهروردي [المقتول]: 2.10.4

سهروردية [طريقة]: 2.10.4

سواحلية [لغة]: 2.3

سوترا (Sūtra): 1.9؛ 3.9 -5

سوتو (Sothos): 4.3

سورة [قرآن]: 3.4

سورفسكا [فرقة] (Survaskas): 4.9

سوريا [إله] (Sūrya): 2.30

سورينام (Surinam): 5.3؛ 3.5.3

سوشيانس (Sōshans): 2.5.18

سوكوت [مظال] (Soukkot): 1.3.32

سوليفان، لورنس إ. (Lawrence E. Sullivan): 0.5

سوما (Soma): 2.30. إله فيدي يقترن بنبات قرباني مجهول، وبالشراب المستخلص منه؛ ولهذا النبات، على الأرجح، خواص نفسانية التأثير، أو مخدرة.

سويت لودج (Sweat Lodge): 5.6

سويكو (Suiko): 9.9

سي وانغ مو (Hsi Wang Mu): 2.22
سي يو شي [رحلة إلى بلاد الغرب] (Hsi-Yu chi): 8.9
سيان شان (Hsien Shan): 2.22
سيان كينغ (Hsien King): 2.22
سيان (Hsien): 2.22
سيتا (Sîtā): 5.30
سيخ (Sikhs): 1.8.30
سيدارتا (Siddhārtha): 2.9
سيدهر (Seidhr): 3.2.14؛ 1.4.14
سيدهي (Siddhi): 4.13
سيدوري (Siduri): 6.16
سيرس (Cérès): 1.2.17
سيمارغلو (Simarglu): 2.19
سيميلي (Sémélé): 4.3.33
سين (Sin): 2.16
سينسيوس القيرواني (Synésius de Cyrène): 4.1.29
سيوكس (Sioux: 1.6)

حرف الشين

شاذلية: 2.10.4
شارل مارتيل (Charles Martel): 4.5
شارلمان (Charlemagne): 8.4.27

شاسترا (Sāstra): 1.9

الشافعي [محمد بن إدريس]: 7.4

شافوعوت (Shavu'ot): 1.3.32. عيد الخمسين [العنصرة] اليهودي؛ ويُحتفل به خلال يومي (7/6) من شهر سيوان [سيڤان] بعد انصرام السبت الذي يلي عيد الفصح بسبعة أسابيع. وهو يخلد ذكرى نزول التوراة على موسى في طور سيناء.

شاكتي (Śakti): 3.7.30

شاكرات [شاكرا] (Cakras): 2.4.30. (سنسكرينية، «عجلة»)؛ هي في اليوغا مراكز طاقية «دقيقة» موزعة على طول المحور الأفقي للجسد، من أسفل العمود الفقري إلى قنة الرأس. وتتم إراءتها خلال التأمل في صورة أزهار لوتس مختلفة الألوان.

شاكياموني (Śakyamuni): 2.9

شانغو (Shango): 1.5.3

شاو يونغ (Shao Yung): 4.25

شاول (Saül): 2-1.32

شايان (Cheyennes): 0.6

شباطاي تزيفي (Sabbataï Tsevi): 6.32؛ 8.32. (1627-1676)، مسيا يهودي جمع العديد من الأتباع حول حركته، التي انشقت بعد اعتناقه للإسلام. وقد ازدهرت الشباطانية في صورة أنتينومية [مناوئة للشريعة] في بولندا، وانتشرت هناك بفضل مجهودات يعقوب فرانك (Jacob Frank) (1726-1791).

شرامانا (Śrāmaṇa): 2.13

شروتي (Śruti): 4-2.30

شريعة: 7.4

شفيتنباريون (Śvetāmbaras): 13

شكينا (Shekinah): (عبرية، «سكينة[272]»)؛ حضور أو تنزل الإله في هيكل أورشليم؛ وصارت تدلّ، فيما بعد، على الأقنوم الإلهي المؤنث الوسيط بين الإله والعالم.

شماش (Shamash): 2.16

شمبالا (Shambhala): 10.9

شمعون بار يوحاي (Siméon b. Yohai): 6.32

شميدت، فيلهلم (Wilhelm Schmidt): 2.3.3

شنتو شوسيها (Shintō Shuseuha): 6.21

شنغون (Shingon): 9.9

شنكارا (Śaṅkara): 6.30

شو [الهواء] (Shu): 2.28

شوانتسانغ (Hsüan-tsang): 8.9

شوترز [صرّاخون] (Shouters): 1.5.3

شوشون (Shoshones): 1.6

شوطوكو (Shotoku): 9.9

شوفط [قاض] (Shofet): 1.32

شول (Chols): 1.7

شوليم، جرشوم (Gershom Scholem): 8.32

272- في الأصل: (demeure)، التي تعني: «السكن»، أو «المسكن»، أو "السكنى»...؛ ونترجمها «سكينة» بدليل قرآني: {وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة...الآية} [البقرة، 248]. (م)

شون [تشان، زن] (Shon): 9.9

شونتال (Chontals): 1.7

شونيا [فراغ] (Sūnya) : 5.9

شي هوانغ-تي (Shih Huang-ti): 2.22

شي (Cei): 5.23

شيباتا هاناموري (Shibata Hanamori): 6.21

شيبيوان (Chipewyans): 1.6

شيخ: 2.10.4

شيروكي (Cherokees): 0.6؛ 4.6

شيعة علي: 4.4

شيعة: 4.4؛ 1.6.4

شيفا (Śiva): 2.7.30

شيفاوية (Śaivisme): تيار تعبدي هندوسي يدور في فلك الإله شيفا (Śiva) و/أو شاكتي (Śakti) (زوجته). ويضم العديد من الفرق التنترية وغير التنترية.

شيكرز [هزازون] (Shakers): (1) اسم اشتهرت به لدى العامة فرقة مسيحية ألفية تأسست في إنجلترا عام (1774)؛ وهي تنحدر من حركة الكويكرز [المرتجفة] (Quakers). (2) 1.3.5.

شيكين تنت [الخيمة المرتجة] (Shaking tent): 4.6؛ 2.1.20

شيلام بالام (Chilam Balam): 1.1.7

شيلوك (Shilluks): 2.3

شيموياما أوسوكا (Shimoyama Osuka): 6.21

شين (Shen): 2.22

شينران (Shinran): 9.9

شينريكيو (Shinrikyo): 6.21

شينشوكيو (Shinshukyo): 6.21

شينوك (Chinooks): 6.6

شيوير (Chewers): 1.6

حرف الصاد

صابفو (Sappho): 4.3.33

صامت: 1.6.4

صان دانس (Sun Dance): 5.6

صحو (Éveil): 2.9؛ 6.9؛ 9.9

صدوقيون: 6.32. (بالعبرية **تصادوقيم** *Tseduqim*)، لاهوتيون (القرن الثاني ق.ح.ع- القرن الأول ح.ع) محافظون تمسكوا بحرفية الكتاب، ولم يقبلوا التقليد المنقول سماعياً، وعارضوا التفسير الحر والعقلي الذي زاوله الفريسيون. وقد أنكر الصدوقيون خلود النفس وبعث الأجساد.

صلاة: 3.4

صموئيل بن قالونيموس (Samuel b. Kalonymus): 7.32

صموئيل: 2.32. قاض (**شوفط** *Shofet*) ونبي يهودي من القرن الثاني عشر (ق.ح.ع). وهو حامي داود.

صوفيا (Sophia): 3.12

صيدنا (Sedna): إلهة حيوانات البحر عند شعب الإينويت (الإسكيمو).

حرف الطاء

طاغور، ديفندرانات (Tagore, Devendranath): 9.30

طاو تو- كنغ (Tao-te king): 1.22

طاو (Tao): 3.25؛ 1.21

طهرانيون [بيوريتانيون]: 13.4.27

طيطان [جبابرة] (Titans): 4.3.33 -5

حرف الظاء

الظاهر [إسماعيلية]: 3.6.4

حرف العين

عاشوراء: 9.4. يوم حداد في الإسلام الشيعي على استشهاد الإمام الحسين نجل علي [بن أبي طالب] وحفيد النبي [محمد]. وقد قُتِل الإمام في كربلاء من بلاد العراق في (10) محرم من عام (61) للهجرة (10 أكتوبر [تشرين الأول] 680 ح.ع).

عاموس (Amos): 2.32؛ 4.32. من أنبياء بني إسرائيل في عهد الملك يربعام (نحو 787-747 ق.ح.ع). ويشتمل سفر عاموس من الكتاب المقدس على مراثي النبي، وشكواه من إسراف الأغنياء ونفاقهم، ومن التقصير في أمور الدين والعبادة.

العباس[273]: 1.6.4

عباسيون [بنو العباس]: 5.4

عتيرة (Athirat): 1.24

عثمان: 4.4

عثمانيون (أتراك): 5.4

عذراء غوادلوبي: 3.7

عذراوات الشمس: 3.1.5

عرافة [كهانة] (Divination): 0.3؛ 1.1.3؛ 2.3؛ 1.1.7

عزرا بن سليمان [الجرندي] (Ezra b. Salomon): 7.32

عزرا (Esdras): 2.32؛ 5.32

عزريال (Azriel): 7.32

عستارت (Ashtart): 1.24

عشتار (Ishtar): 2.16؛ 6.16

عشيرة (Asherah): 1.24

العطار، فريد الدين: 2.10.4. (نحو 1145–1220)، متصوف وشاعر فارسي من نيسابور. وقد اشتهر، على الخصوص، بكتابه (**منطق الطير**)، الذي هو عبارة عن منظومة رمزية تتحدث عن سفر ثلاثين طائراً (**سي مرغ** *sī murgh*) في سبعة أودية -ترمز كلها إلى مراحل السلوك إلى الله- بحثاً عن ملكهم الرباني سيمرغ.

عقيبا بن يوسف (Akiva ben Joseph): 1.32؛ 6.32. (نحو 50-135 ح.ع)، حاخام تانائي عُذِّب وقُتِل على يد السلطات الرومانية خلال أحداث الثورة

273- انظر: تعليقنا على هامش الفقرة المذكورة. (م)

السياسية-الدينية التي تزعمها [شمعون] بار كوخبا. واشتهر بأساليبه التفسيرية الملهمة، وبتأثيره على المشنا والتوسفتا واليهودية اللاحقة.

علي: 4.4؛ 6.4

علي زين العابدين: 1.6.4

علي- إلهي (ʻAli-ilāhî): 2.6.4

عمر: 4.4

عمرو بن العاص: 4.4

عموريون (Amorites): 1.32

عناة (Anat): 1.24-3

عهد جديد: 27 في مواضع متفرقة.

عهدة عمرية: 6.32

حرف الغين

غاثات [غاثا] (Gāthās): 1.3.18

غانا (Ghana): 2.1.3

غانجا (Gangâ): إلهة نهر الغانج الذي يحمل اسمها في شمال الهند.

غاندا (Gandas): 2.3

غاندي، موهانداس كرامشاند (Ghandi, Mohandas Karamchand): 9.30 (1869- 1948). محام، عالم لاهوت ورجل دولة هندي؛ وهو زعيم حركة اللا-عنف، التي أدّت إلى استقلال الهند. تأثر غاندي بكل من الهندوسية المستغربة والجاينية والتيوصوفيا، واستلهم في كفاحه مفهوم «اللا-عنف» الجايني (**أهيمسا** *Ahiṃsā*).

غانيشا (Ganeśa): إله هندي له رأس فيل؛ وهو ابن شيفا (Śiva) وبارفاتي (Pārvatī). وغانيشا هو ربّ النجاح والتوفيق في مختلف مجالات النشاط البشري، وربّ الدروب السالكة والموصدة [العقبات].

غراب: 6.6

غرانت، ر. م. (Grant, R. M.): 2.8.30

غرانث (Granth): 2.8.30

غرو-فانتر (Gros-Ventres): 1.6

غروموفنيك (Gromovnik): 2.19

غريغوريوس السابع (Grégoire VII): 8.4.27

غريغوريوس النزينزي (Grégoire de Nazianze): 5.4.27

غريغوريوس النيصي (Grégoire de Nysse): 5.4.27

غريغوريوس بالاماس (Grégoire de Palamas): 9.27

غرينادا (جزيرة): 1.5.3

غرينبرغ، جوزيف (Greenberg, Joseph): 0.3

الغزالي، أبو حامد: 2.10.4. (1058-1111 ح.ع)، مفكّر ديني مسلم، وُلِد في إيران الشرقية. أتقن صناعة الفقه، ومعها الفلسفة واللاهوت [الكلام]. وخلال مسيرة بحثه الشخصي عن الحقيقة، اعتنق التصوّف، وألف كتاباً يفنّد فيه آراء فلاسفة عصره.

غلاة: 6.4

غنشين (Genshin): (942-1017)، أحد كبار مفكري مدرسة الأرض الخالصة (Terre Pure) في البوذية اليابانية؛ وهو مؤلف كتاب (**أسس الانبعاث** (*Ōjōyōshū*) **في الأرض الخاصة**). وقد بلور كوسمولوجيا الأرض الخالصة، كما وضع أصول التأمل الأميدي عن طريق مانترا منبوتسو (menbutsu).

غنوصية (Gnosticisme): 3.12

غوبند راي (Gobind Rāi): 2.8.30

غوبيات (Gopis): 1.7.30

غوتاما (Gautama): 2.9

غودابادا (Gauḍapāda): (نحو القرن الخامس-الثامن)؛ فيلسوف هندي لا-ثنوي. وينسب إليه تأليف (**آغاما شاسترا**) *(Āgama Śāstra)*؛ وهو معلم شنكارا (Śaṅkara). ويرى غودابادا أن العلية واختلاف الظواهر وهميان لا حقيقة لهما.

غوردجييف، جورج إ. (Gurdjieff, G. I.): (نحو 1877- 1949)، معلم روحي روسي. رحل إلى الشرق، واستقطب الصحافي بيوتر دميانوفيتش أوسبنسكي[274] (Piotr Demianovitch Ouspensky)، فاعتنق آراءه. وبعد نهاية الحرب، ساعد أوسبنسكي أستاذه غوردجييف على الاستقرار في باريس.

غوروات [غورو] (سيخ) (sikh) (Gurus): 1.8.30؛ 2.8.30؛ 10.4

غوست دانس [رقصة الأشباح] (Ghost Dance): 0.6؛ 5.6. حركة ألفية ظهرت نحو (1870) عند هنود البايوت في سهول أمريكا الشمالية، ومن هناك انتشرت في قبائل أخرى مثل السيوكس. وكان الأهالي يزاولون نوعاً من الرقص الدائري، من أجل التعجيل بعودة أرواح الموتى، واستعادة شروط العيش التي كانوا ينعمون بها قبل مجيء المعمرين. وكانوا يعتقدون أن آخر المعمرين سيتعرضون لكارثة عظمى تهلكهم. وقد اتسمت بعض الفترات من تاريخ حركة الغوست دانس بهيمنة الانتظارات المسيانية والرؤى الشامانية والصراع مع المعمرين.

274- في الأصل: (Pavel Demianovitch Ouspensky)؛ ولعلّ الصواب ما ذكرنا. (م)

غوشالا، مسكالين [مسكارين] (Gośāla, Maskalin): (نحو القرن السادس-الخامس ق.ح.ع)؛ ناسك من شمال الهند، معاصر للبوذا، ومؤسس فرقة **الآجيفيكا** *(Ājīvikas)*. وهو ينفي حرية الإرادة نفياً تامّاً. وقد عارض آراءه البوذيون والجاينيون.

غوغو (Gogos): 2.3

غولب، نورمان (Golb, Norman): 2.5.32

غومشيهن (Gumêčishn): 1.5.18

غونات [غونا] (Guṇas): 2.4.30

غويديون (Gwydion): 5.23

غيلوغ (Dge-Lugs-Pa): (تبتية، «طريق الفضيلة»)؛ من فرق البوذية التبتية؛ وقد تأسست نحو (1400). ويتلقى الرهبان الغيلوغيون تعليماً يقوم على درس الكتابات المقدسة، وعلى الممارسات التعبدية، علاوةً على التمرن الفكري.

غيمبوتاس، ماريجا أ. (Gimbutas, Marija A.): 2.26

غينيا (Guinée): 0.3

غيوم الأوكامي (Guillaume d'Occam): 10.4.27

حرف الفاء

فاتسيبوترا (Vātsīputra): 4.9

الفارابي: 4.8

فارد، والاس د. (Fard Wallace D.): 4.5.3

الفارس الداقي (Cavalier Dace): 2.2؛ 4.2.2

فارماكوس [كبش فداء] (Pharmakos): 4.33

فارو (Faro): 3.1.3

فارونا (Varuṇa): 2.30. إله فيدي لسماء الليل؛ وهو يعلم بأفعال البشر جميعها، ويحاسب عليها.

فاسوبندهو (Vasubandhu): 5.9

فاطمة: 4.4؛ 6.4

فاطميون: 3.6.4؛ 6.32

فافهول (Vafhol): 2.4.14

فاكا (Vaccha): 3.9

فالميكي (Vālmîki): 5.30

فان [فانير] (Vanes): 2.3.14

فان غوليك، روبرت (van Gulik, Robert): 4.22

فانغ-تشونغ (Fang-Chung): 4.22

فايشيشيكا (Vaiśeṣika): 4.30

فايو (Vāyu): 2.30

فبهاجيفادا (Vibhajyavāda): 4.9

فجريانا [مركبة الألماس] (Vajrayāna): 3.9؛ 6.9

فراشوكيرتي (Frashōkereti): 2.5.18. في الإسخاتولوجيا الجمعية الزرداشتية هو يوم الحساب، أو الدينونة، حيث يبعث الموتى ويقضى على الشر.

فرافاشي (Fravash): 2.5.18

فرانشيسكا بوسا (Francesca Bussa): 9.27

فرانك، يعقوب (Frank, Jacob): 8.32

فرخان، لويس (Farrakhan, Louis): 4.5.3

فردهامانا (Vardhamāna): 2.13

فرسان الهيكل: 9.4.27

فرشكرد (Frashgird): 2.5.18

فرفوريوس (Porphyre): 4.1.29؛ 4.17

فرنات [فرنا] (Varṇas): 4.30

فرنسيس الأسيزي (François d'Assise): 9.4.27؛ 9.27

فرنسيسكانيون (Franciscains): 9.4.27

فريا (Freya): 3.2.14. إلهة خصوبة جرمانية، مانحة للخير والرفاه؛ وهي أخت فرير (Freyr) وزوجة أودر (Odr). واقترنت الإلهة بالقطط والحلي والسحر.

فريدريك الثاني (Frédéric II): 9.4.27

فرير (Freyr): 3.2.14. إله خصوبة جرماني؛ وهو ملك ومحارب أسطوري. أبوه هو نيوردهر (Njordhr)، وفريا أخته. وعبادة هذا الإله تشتمل على ممارسات جنسية وقرابين حيوانية، وربّما بشرية.

فريسيون: 6.32

فسبسيان (Vespasien): 1.32

فسقيتا (Pesikta): 2.32

فصح (Pâque): (1) البيسح (Pesah) [الفصح] اليهودي عيد متنقل سنوي (خلال سبعة أو ثمانية أيام ابتداء من 15 نيسان) تخلد فيه ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر. (2) الفصح المسيحي عيد متنقل يخلد ذكرى قيامة المسيح؛ ويفترض نظرياً أن يتوافق مع الفصح اليهودي. وقد قرّر مجمع نيقية (325) أن يحتفل به كل سنة في يوم الأحد الأول بعد اكتمال القمر الذي يلي الاعتدال الربيعي. ويفسّر التفاوت الحاصل -والكبير أحياناً- بين تاريخي الفصحين باختلاف التقاويم والحسابات الكنسية. وتستخدم الكنائس الشرقية تقويماً مغايراً.

فقر: 2.10.4

فقه: 7.4

فقهاء: 7.4

فقير: 2.10.4

فلابها (Vallabhā): (أو فلابهاكاريا (Vallabhācārya)؛ 1479-1531)، معلم فيشناوي من بلاد الهند الوسطى؛ وهو من دعاة **البهاكتي** *(bhakti)* [الحب الإلهي]، وخصم لمذهب **أدفيتا فيدانتا** *(advaita vedānta)*، الذي تصدر له شنكار (Śaṅkara).

فلاديمير الكيافي (Vladimir de Kiev): 5.27

فلامنة [كهنة رومان] (Flamines): 2.17

فلستيون [فلسطينيون] (Philistins): 1.32

فلوطارخس (Plutarque): 3.3.33؛ 1.1.29

فمواريون (Fomhoires): 4.23. هم، في الميثولوجيا الإيرلندية، جنس غابر من الشياطين الذين قدموا من ما وراء البحر. وقد هزمتهم عشائر الإلهة دانا (Tuathas Dé Dananu) في معركة ماغ تويرد (Magh Thuired)، فأجبرتهم على مغادرة إيرلندا إلى الأبد.

فنرير (Fenrir): 1.3.14

فوتيوس (Photius): 6.27

فوجيوارا سيكا (Fujiwara Seika): 5.25

فودو [Vodou] (Vaudou): 1.5.3 . عبادة استحواذية إفريقية-كارايبية موجودة في هايتي، ويديرها كهنة من الرجال (**أونغان** *oungans*) والنساء (**مانبو** *manbous*)؛ والأرواح عندهم تدعى، على العموم، **لوا** *(lwas)* (بلغة اليوروبا).

فوغول (Vogouls): 2.1.20

فوكس، جورج (Fox, George): (1624-1691)، مؤسس حركة الكويكرز [المرتجفة] (Quakers) في إنجلترا وأمريكا الشمالية. وهو من أنصار اللا-عنف، وأحد الداعين إلى اتصال الكائن البشري بالإلهي الكامن فيه.

فولوس (Volos): 2.19

فويبوس (Phoebus): 3.33

في (Vé): 1.2.14

فيتال، حاييم (Vital, Hayyim): 7.32. (1543-1620)، هو تلميذ إسحاق لوريا، الذي قام بتدوين تعاليم شيخه في كتاب (**شموناه شعاريم**) (*Shemonah Shearim*) (الأبواب الثمانية).

فيثاغورس: 4.1.29. زعيم ديني يوناني من القرن السادس (ق.ح.ع). وقد ولد في جزيرة ساموس الأيونية، وهاجر في سن الثلاثين إلى قروطونة (Crotone) في جنوب إيطاليا، حيث أنشأ هناك جماعة دينية، وسلك بها على مذاهب النسك والتصوف. وقد جعل منه التقليد ذلك «الرجل الإلهي» (**ثيوس أنير** *theios anér*) القادر على صنع جميع المعجزات.

فيدا (Védas): 4.30

فيدانتا (Vedānta): 4.30

فيراكوتشا (Viracocha): 3-2.1.5

فيسينو، مارسيليو (Ficin, Marsile): 12.4.27؛ 3.3.33؛ 1.1.29

فيشالي (Vaiśālī): 4-3.9

فيشناوية (Vaiṣṇavisme): 5.30. عبادة الإله فيشنو في الديانة الهندوسية بأفتاراته [تجسداته] العديدة؛ ويعدُّ كريشنا أحد أهم هذه الأفتارات.

فيشنو (Viṣṇu): 2.30؛ 5.30

فيفيكانندا (Vivekānanda): 9.30. (نارندرانات داتا Narendranath Datta، 1863-1902)، تلميذ راماكريشنا؛ وقد روّج لتعاليم شيخه وللفيدانتا في بلاد الغرب. وهو مؤسس جمعية الفيدانتا في نيويورك (1895).

فيلات [فيلا] (Vilas): 2.19

فيلس (Veles): 2.19

فيلوكاليا (Philocalie): 9.27

فيلون الإسكندراني: 1.1.29؛ 2.32

فيلي (Vili): 1.2.14

فيليوك (Filioque): 13.4.27؛ 6.27

فينايا (Vinaya): 1.9

فيندا (Vendas): 4.3

فينسنت، سانت [جزيرة] (Vincent, Saint): 1.5.3

فينوس (Vénus): إلهة رومانية ينحدر اسمها من الجذر (ven)، الذي نجده في فعل (venerari) (أجل)؛ وقد استعارت العديد من سماتها من أفروديت اليونانية.

فيون ماك كوميل (Fionn mac Cumhail): 2.4.23

حرف القاف

قابيل وهابيل: تكوين، صح. 4: ابنا آدم الأولان. قام قابيل (Caïn) -عامل الأرض الذي لم يتقبّل الإله قربانه- بقتل أخيه هابيل (Abel).

قادرية: 2.10.4

قبالة (Kabbale): 7.32

قراؤون (karaïtes): 6.32. فرقة يهودية أصولية من القرن التاسع (ح.ع)؛ وهي لا تعترف إلا بشريعة موسى. وجميع التفسيرات الحادثة بعد الشريعة لا يعتد بها، ولا تلزم اليهودي بشيء في نظرهم.

قرآن: 3.4

قربان: 1.1.7؛ 1.2.7؛ 4.33

قرنونوس (Cernunnos): 3.23

قريش: 2.4

قسطنطين الأول (Constantin Ier): 4.4.27

قطب: 2.10.4

قمران: 2.32؛ 5.32

قورش (Cyrus): 1.32

حرف الكاف

كا (Ka): 0.28؛ 6.28

كائن أسمى: 0.3؛ 3.7؛ 2.5؛ 3.5؛ 4.5

كابير [كبير] (Kabīr): 1.7.30

كابيرو (Cabires): 1.2

كاترينا السياناثية (Catherine de Sienne): 9.27

كاثاريون (Cathares): 9.4.27؛ 8.12

كادامبا [رهبنة] (Bka-gdams-pa): 10.9

كادوانيون (Caddoans): 1.6

كارانغا (Karanga): 4.3

كارايبي (Caraïbes): 5.3

الكارغو (عبادات) (cultes du) (Cargo): حركة ألفية معقدة ظهرت عند شعوب ميلانيزيا (↔)، في أعقاب دخول البضائع (**كارغو** *cargo*) الغربية إلى الجزر، ابتداءً من (1871). وظلّ الأهالي ينتظرون عودة إله الكارغو، الذي حظي الغربيون بكرمه وعطاياه.

كارما-با [قلانس سود] (Karma-pa): 10.9

كارمان (Karman): 3.30

كاروكاسايب (Karukasaibe): 2.5

كاريب (Caribes): 0.5؛ 2.5

كاستنيدا، كارلوس (Castaneda, Carlos): 0.6

كاستور (Castor): 1.2.17

كاسكا (Kaskas): 1.6

كاسيودورس (Cassiodore): 8.4.27

كاشيابية [فرقة] (Kāśyapīya): 4.9

كاشينا (Kachinas): 8.6

كاغورو (Kagurus): 2.3

كاغيوبا [رهبنة] (Bka-brgyud-pa): 10.9

كاكرافرتن (Cakravartin): 7.9

كاكشيل (Cakchiquels): 1.7

كالام-غريول، ج. (Calame-Griaule, G.): 3.1.3

كالفين، يوحنا (Calvin, Jean): 13.4.27

كام (Kam): 0.20

كامبا (Kambas): 2.3

كامبانيلا، توماسو (Campanella, Tommaso): 3.1.5

كامبوبا (Sgam-po-pa): 10.9

كامي (Kami): 1.21

كاندومبلي (Candomblé): 2.5.3

كاهنات عذراوات (Vestales): 3.2.17

كاوات بونجيرو (Kawate Bunjiro): 6.21

كاي (Key): 5.23

كايطانيا (Caitanya): 1.7.30

كتاب الموتى: 6.28

كتوفيم (Ketuvim): 2.32

كدرينتون، روبرت، هـ. (Codrington R. H.): 1.8

كربلاء: 6.4

كرتيان الإطرويشي (Chrétien de Troyes): 5.23

كرتير (Kerdīr): 1.3.18؛ 1.4.18

كرستشنساينس [علم مسيحي] (Christian Science): فرقة مسيحية تضمُّ في صفوفها أقلّ من نصف مليون تابع؛ وقد تأسست عام (1879)، على يد الأمريكية ماري بيكر إيدي (Mary Baker Edy) (1821-1910) صاحبة كتاب (**العلم والصحة مع مفتاح نصوص الكتاب المقدس**) (1875). وتعتقد الفرقة أن سبب المرض يعود إلى القيود التي تحدّ من قدرات الروح [النفس] البشرية، وأن الحقائق الروحية المحايثة، ومعها العقل الإلهي، يقضيان على قوة المرض.

كرو (Crows): 1.6

كروشمال، نحمان (Krochmal, Nahman): 6.32

كروك (Karok): 6.6

كرومانتي (Kromanti): 1.5.3

كرونوس (Kronos): 4.3.33

كري (Crees): 1.6

كريشنا (Kṛṣṇa): 5.30؛ 1.7.30

كسولوتل (Xolotl): 1.2.7

كعبة: 9.4. (عربية، «مكعب») مقصورة [بناء] من حجر الغرانيت تؤوي الحجر الأسود المكي، وهي مركز [قبلة] الصلاة والحج عند المسلمين، الذين يطوفون حولها ويلمسونها.

كلارا الأسيزية (Claire d'Assise): 9.27

كلاستر، بيير (Clastres, Pierre): 5.5

كلاكمول (Calakmol): 1.7

كلام: 8.4؛ 2.10.4

كلسيوس (Celse): 3.2.2؛ 4.17

كنجور (Kanjur): 1.9

كنوسوس (Cnossos): 1.33

كو (Coos): 6.6

كواتليكو (Coatlicue): 2.7

كوازال (Quetzal): 1.7

كواكيوتل (Kwakiutls): 1.6

كوامانيك (Quamaneq): 2.1.20

كوان (Koan): 9.9

كوبان (Copán): 1.7

كوبيلي (Cybèle): 1.2

كوتيس (Cotys): 1.3.11

كوثر (Khotar): 1.24؛ 3.24

كوجيكي (Kojiki): 2.21

كوخولين (Cú Chulainn): 2.4.23

كوراهوس (Kurahus): 5.6

كورتيس، هيرنان (Cortés, Hernán): 2.7-3

كورغانات [كورغان] (Kourgans): 2.31

كوروزومي مونتيدا (Kurozumi Munetada): 6.21

كوروزوميكيو (Kuruzumikyo): 6.21

كورومبا (Kurumbas): 3.1.3

كوري (Kore): 3.1.3

كورياك (Koriaques): 1.1.20؛ 2.1.20

كوريلوس (Coryllus): 3.4.11

كوزمو دي ميديتشي (Cosme de Médicis): 12.4.27

كوشيتسو (Koshitsu): 5.21

كوكاي (Kukai): 9.9

كوكسو (Kuksu): 7.6

كوكولكان (Kukulkán): 1.7

كول (Kules): 3.1.3

كولنز ج. ج. (Collins J. J.): 5.32

كولومبا الريتية (Colomba de Rieti): 9.27

كوماراجيفا (Kumārajīva): 8.9-9. راهب بوذي من القرن الرابع (ح.ع)؛ وقد تميّز بنشاطه في مضمار ترجمة نصوص المادهيامكا (Mādhyāmika) البوذية من اللغة السنسكريتية إلى اللغة الصينية. وهو مؤسّس مدرسة سن-لون (Sun-lun) البوذية (مادهيامكا).

كوماربي (Kumarbi): 2.15

كومانش (Comanches): 1.6

كوموسيكوس (Comosicus): 3.4.11

كومي [كوميون] (Komi): 2.1.20

كومينا (Kumina): 1.5.3

كونابيبي (Kunapipi): 1

كونغ فو-تسو (K'ung Fu-tzu): 2.25

كونغولية-كردفانية (Congo-Kordofan): 0.3

كونفورد، فرنسيس م. (Cornford F. M.): 3.3.33

كونفوشيوس (Confucius): 1.25-2

كونكوبار (Conchobar): 2.4.23

كونكوكيو (Konkokyo): 6.21

كوهن، أدالبرت (Kuhn, Adalbert): 3.31

كويرينوس (Quirinus): 2.17

كويلوت (Quileutes): 6.6

كيتزالكواتل (Quetzalcóatl): 1.7-2. («الثعبان الذي له ريش <طائر> الكوازال»)، إله خالق أزتكي من أصل تولتكي؛ ويعرف عند المايا باسم كوكوكلان.

كيتشوا (Quechuas): 0.5

كيرتا (Kirta): 3.24
كيرلس الإسكندراني (Cyrille d’Alexandrie): 6.27؛ 3.7.27
كيرلس (Cyrille): 5.27
كيسان (Kaisān): 6.4
كيشاب شاندراشين (Keshab Candra Sen): 9.30
كيشي (Quichés): 1.7؛ 1.1.7؛ 3.7
كيفا (Kivas): 8.6
كيفالين (Kevalin): 2.13
كيكويو (Kikuyus): 2.3
كيلانيك (Qilaneq): 2.1.20
كيلي (Kele): 1.5.3
كينغ، نويل ك. (King, Noël Q.): 0.3
كينغو (Kingu): 5.16
كينوس (Kenos): 4.5
كينيا: 2.3
كيو (Kyo): 9.9
كيومرث (Gayōmard): 1.5.18
كيوها (Kyoha): 5.21

حرف اللام

لابيون (Lappons): 2.1.20
لاغروي، جون (Lagerwey, John): 3.22

لاكاندون (Lacandón): 1.7

لاكوتا (Lakotas): 1.6؛ 5.6

لاما (Lama): 10.9

لاو تسو (Lao tze): 1.22

لاوس (Laos): 4.1.20

لاوي بن جرشون (Lévi b. Gerson ou Gersonide): 6.32

لفنسون، جون (Levenson, John): 3.32

لكتسترنيات [لكتسترنيا] (Lectisternia): 2.2.17

لكوتاريون (Lakotarras): 4.9

الله: 4 في مواضع متفرقة.

لو سيانغ-شان (Lu Hsiang-shan): 4.25

لوا (Lwa): 1.5.3

لوبا (Lupa): 3.2.17

لوبركيات (Lupercales): 3.2.17. عيد روماني منذور للتطهّر؛ ويُحتَفل به في (15 فبراير [شباط])؛ ويضحّى فيه بتيس وكلب. وعلى هضبة بلاتين (Palatin)، يركض رهط من الرجال، يُطلق عليهم اسم لوبركيين (رجال-ذئاب) (Luperci)، ويضربون النساء بسياط من أجل تأمين خصوبتهن.

لوتزاتو، صموئيل دافيد (Luzatto, Samuel David): 6.32

لوثر، مارتن (Luther, Martin): 1.27؛ 13.4.27. (1483-1546)، راهب أوغسطيني وعالم لاهوت ألماني؛ أستاذ في جامعة فيتنبرغ. وأعطى لوثر، بمعارضته للمذاهب والممارسات الدينية الشائعة، في عصره، انطلاقة الإصلاح البروتستانتي.

لودهور (Lòdhurr): 1.2.14

لورنتس، داغمار (Lorenz, Dagmar): 8.27

لوريا، إسحاق (Luria, Issac): 6.32؛ 7.32. (1534-1572)، نابغة قبالي، ومتصوّف أشكنازي، من صفد الفلسطينية؛ واشتهر لوريا بآرائه المختلفة في مسائل الخلق وتناسخ الأجساد[275]، كما أشاعتها كتابات تلميذه حاييم فيتال (Hayyim Vital).

لوشي-كوكي (Loushei-kouki): 4.1.20

لوغ (Lugh): 3.23

لوغوف، جاك (Le Goff, Jacques): 8.27

لوفوفورا ويليامسي (Lophophora williamsii): 5.6

لوفيندو (Lovendus): 4.3

لوقا (إنجيل): 1.27

لوقيوس (Lucius): 2.2.2

لوكاسينا (Lukasenna): 1.3.14

لوكي (Loki): 1.3.14

لول، رامون (Lulle, Ramón): (نحو 1232-1316)، متصوّف ومبشّر قطالوني؛ وله معرفة بالقبالة اليهودية، التي رام استثمار فوائدها على صعيدي فن التذكّر [الحفظ][276] الصوفي وعلم التشفير[277]. وعلى غرار معظم مفكري عصره،

275- كذا في الأصل: (métensomatose)؛ وأصلها يوناني هو «ميتونسوماتوزيس» (μετενσωματοσις)، التي تعني حرفياً: «تناسخ الأجساد»؛ ولا شك في أنه يريد: (métempsychose)؛ أي «تناسخ الأرواح» المنحدرة من الأصل اليوناني «ميتومبسوخوسيس» (μετεμψύχωσις). وهو خطأ يتكرر في عدة مواضع. (م)

276- ترجمة: (mnémotechnique). (م)

277- ترجمة: (cryptographie). (م)

اتسم موقف لول من المسلمين بالازدواجية. وتنسب إليه عدة مؤلفات لم يكتبها، ولا سيّما في حقل الخيمياء.

لومباردوس، بطرس (Lombard, Pierre): 9.4.27

لويد (Llwyd): 5.23

ليبر (Liber): 1.2.17

ليبرا (Libera): 1.2.17

ليتو (Leto): 4.3.33

ليفي-ستروس، كلود (Lévi-Strauss, Claude): 2.5؛ 3.21

ليل [شعب] (Leles): 3.3

ليلة القدر: 9.4

ليليت [ليليتو] (Lilith): شخصية شيطانية أنثوية؛ وهي سعلاة[278] (succube) سومرية وبابلية، تمثّلت كذلك خصائص الشيطان لاماشتو (Lamashtu) قاتل الصبيان. وقد أدّت ليليت هذين الدورين في التقليد اليهودي ما بعد الكتابي. ويذكر أحد المدراشيم (**أبجدية ابن سيراخ** *Alphabet de Ben Sira*)، القرن السابع-العاشر) أنّها زوجة آدم الأولى التي خلقت ندّاً مساوياً له، ولاذت بالفرار حتى لا تخضع لسيطرة الرجل. وقد عوضت بحواء.

278- مع علمنا بأن المقابل العربي «سعلاة» غير دقيق في هذا الموضع. وليس هناك إجماع على أصل كلمة (succube) أو (succubus) عند الدارسين؛ لكن الأكثرية تقول: إن الكلمة تنحدر من (succuba) في اللاتينية المتأخرة التي تعني «العشيقة» أو «الحظية»، أو «الخليلة»... وإذا صحّ هذا الزعم، فإنه يدعونا إلى التفكير في ما أوردته أمهات المعاجم العربية في مادة «زكب»؛ ومن ذلك ما أورده ابن منظور، **لسان العرب**، 15 ج، دار صادر، بيروت/ لبنان، ط3، 1994، ج1، ص452: «الزكب: النكاح ...والمزكوبة: الملقوطة من النساء». ولا تخفى علاقة ليليت بالجنس الشاذ، وبكل ما يمتّ بصلة إلى المؤسسة الزوجية. (م)

ليمورات [ليمور] (Lémures): 2.2.17

لين تشاو-إين (Lin Chao-en): 3.22

لينارت، غودفري (Leinhardt, Godfrey): 2.3

لينارت، موريس (Leenhardt, Maurice): 1.8

لينغا (Liṅga): (سنسكريتية، «قضيب»)، شيء يتخذ شكلاً قضيبياً يدلّ عموماً على الإله شيفا. ويحتمل قراءات رمزية شتى.

حرف الميم

ماتسوري (Matsuri): 5.21

ماتسيرا زمليا (Mat'Syra Zemlia): 2.19

ماث (Math): 5.23

مادهيامكا (Mādhyāmika): 5.9

مارا (Māra): 2.9

مارانوس (Marranes): (قشتالية ذات أصل عربي، «خنزير»)، مصطلح قدحي يُراد به، على الخصوص، اليهود الإيبيريون الذين كانوا متهمين بأنهم لم يعتنقوا المسيحية إلا في الظاهر (**متحولون** *conversos*)، بينما ظلوا في بواطنهم مخلصين لدين اليهودية، يؤدون فروضها في الخفاء. وقد قامت شكوك على حقيقة وجود هذه اليهودية المتسترة (بنزيون نتانياهو، **المارانوس في إسبانيا من أواخر القرن الرابع عشر إلى أوائل القرن السادس عشر**، نيويورك 1966)[279].

279- العنوان الأصلي باللغة الإنجليزية:
Benzion Netanyahu, *The Marranos of Spain from the Late Fourteenth to the Early Sixteenth Century*, New Work 1966. (م)

وفي الأحوال جميعها، قامت أجهزة التفتيش الإسبانية، تحدوها في ذلك حميّة وحماسة، بملاحقة الأشخاص المشتبه فيهم، وعرضتهم للعملية المهينة المسماة **أوتو دا في** *(auto da fe)* [رسوم الإيمان]. وتذكر الدراسات الإحصائية الحديثة التي أنجزها خايمي كونتريراس (Jaime Contreras) وغوستاف هينيزن (Gustav Henningsen) (1986)، أنه من (1540) إلى (1700)، أخضع (4397) شخصاً (بنسبة 9.8 % من المجموع) من المتهمين بإبطان اليهودية، و(10817) شخصاً (بنسبة 24.2 % من المجموع) من المتهمين بإبطان الإسلام، لإجراءات **أوتو دا في**. لكن النسبة المئوية لعمليات الإعدام تبقى جد ضعيفة (1.8% من المجموع العام). (انظر: خ. كونتريراس غ. هينيزن، **أربع وأربعون ألف حالة من سجلات محاكم التفتيش الإسبانية** (1540-1700): **دراسة تحليلية لبنك معلومات تاريخي**، ضمن غ. هينيزن وجون تيديشي [تحرير]. **محاكم التفتيش في أوربا الحديثة المبكرة**، ديكالب، إلينوي، 1986، 100-129)[280].

ماربا (Marpa): 10.9

مارس: إله الحرب عند الرومان. ويسمى كاهنه **فلامن مارس** (*flamen Martialis*). وكان يقدم للإله قرباناً ثلاثياً (خنزير بري، وكبش، وثور). وأهم معابد هذا الإله **أرا مارتيس** *(ara Martis)* الواقع في ميدان مارس بروما.

مارغريت القروطونية (Marguerite de Cortone): 9.27

280- العنوان الأصلي باللغة الإنجليزية:

J. Contreras et G. Hennignsen, *Forty-Four Thousand Cases of the Spanish Inquisition (1540-1700)*: *Analysis of a historical Data Bank*, in G. Henningsen et John Tedeschi, Eds., *The Inquisition in Early Modern Europe*, Dekalb Il. 1986, pp. 100-129. (م)

ماساي (Masaïs): 0.3؛ 2.3

ماسبيرو، هنري (Maspero, Henri): 4.22

ماسكيليم (Maskilim): 6.32

ماسوريون (Masorètes): 2.32

ماشياناغ (Mashyānag): 1.5.18

ماغ توريد (Magh Tuired): 4.23

ماغا (Maga): 2.3.18

ماكاه (Makahs): 6.6

ماكروبيوس (Macrobe): 1.1.29؛ 4.17

مالك بن أنس: 7.4

مالكولم إيكس (Malcolm X): 4.5.3

مالونكيابوتا (Malunkyaputta): 3.9

مالي، إيدا (Magli, Ida): 8.27

مانا (Mana): 1.8

مانترا (Mantra): 4.7.30. تعويذة تُستعمل في العديد من أشكال وأساليب التأمل في الهندوسية والبوذية.

ماندالا (Maṇḍala): 4.7.30

ماندان (Mandans): 1.6

ماندي (Mandé): 0.3

ماندينغو (Mandingo): 3.1.3

مانسي (Mansis): 2.1.20

مانشو (Mandchous): 4.25

مانوس (Mâne): 2.2.17

مانوية: 5.12

ماني (Mani): 2.9؛ 5.12؛ 1.4.18

مانيتو (Manitou): 4.6

ماهايوغا (Māhayuga): 5.30

ماهمي (Mahmi): 2.4.18

ماو ماو (Mau Mau): 2.3

ماوي (Maui): 3.8

مايا [شعب] (Mayas): 0.7؛ 1.1.7؛ 2.7؛ 1.2.7

مايا (Maia): 4.3.33

مايا (Māyā): 6.30. (سنسكريتية، «وهم خلاق»)، مفهوم مركزي في الهندوسية؛ ويحتمل معاني شتى بحسب العصور؛ ففي كتب الفيدا، تدلّ المايا على قدرة أحد الآلهة على إبداع أشكال [صور] العالم؛ وفي الفيدانتا العامة، تشير المايا إلى عملية موهمة من النوع نفسه. والعالم المحسوس عبارة عن مايا؛ لأن كثرته، التي يمكن أن تردّ إلى الوحدة، تتمتّع بوضع أنطولوجي محدود. ويستخدم الأفلاطونيون المحدثون مفهوماً سلبياً، هو مفهوم **جويتيا** *(goeteia)*، أو «السحر»، الذي يشبه المايا من جهة أن الأمر يتعلق، في كلتا الحالتين، بإبداع بنى وهمية.

مايبان (Mayapan): 1.7

مايتريا (Maitreya): 5.9

مايه، أنطون (Antoine, Meillet): 3.19

مبوتي (Mbutis): 2.3.3

متسادا (Masada): 1.32

متصوف [إسلام]: 1.10.4

متكلمون: 8.4

متى (إنجيل): 1.27

مجلوت [لفائف] (Megillot): 2.32

مجوس (Mages): طبقة من الكهنة الميديين القدماء. كانوا هم القيمين على القرابين؛ وكانوا يطرحون جثث موتاهم في العراء لتأكلها الطيور الجارحة، وتفعل فيها تقلبات الطقس. وقد اشتهر المجوس عند الهلنستيين بأنهم يمتلكون ناصية الحكمة الباطنية.

مجيد (Maggid): 9.32

محمد [رسول الله]: 1.4-3؛ 4.4؛ 7.4

محمد الباقر: 1.6.4

محمد ابن الحنفية: 6.4

محنة: 8.4

المختار [الثقفي]: 6.4

مدراش (Midrash): 2.32

مدهفا (Madhva): 6.30

مرابط: 0.3

مرابطون: 5.4

مردوخ (Marduk): 3.24؛ 3.16؛ 5.16

مرقس (إنجيل): 1.27

مرقيون السينوبي (Marcion de Sinope): 1.27؛ 1.4.27؛ 4.12

مركبة (Merkabah): 2.32؛ 1.5.32

مرلين (Merlin): 5.23. ساحر ونبي من حاشية الملك آرثر الأسطورية. وقد أُطلق عليه هذا الاسم في فترة متأخرة (جيفري المونماوثي Geoffroy de Monmouth، القرن الثاني عشر، **سيرة مرلين** *Vita Merlini*)؛ وأصوله كلتية.

مريت، روبرت ر. (Marett, R. R.): 1.8
مريم: 3.7؛ 2.27؛ 3.7.27
مزامير (Psaumes): 2.32. مجموعة مكونة من (150-151) نشيداً كتابياً [الكتاب المقدس]، وتمثل جزءاً من الكتوفيم (الكتابات)؛ ومنها (72) نشيداً[281] منسوباً إلى الملك داود (القرن العاشر ق.ح.ع).
مزدكية: 1.4.18. ديانة شيوعية ومسالمة أسسها المدعو مزدك في عهد ملك إيران الساساني قباد (488-531). وقد ساند الملك قباد المزدكية في أوّل الأمر، قبل أن يتمّ التخلّي عنها تحت ضغط الأرستقراطية. وتعرّض المزدكيون إلى القتل والتنكيل على يد كسرى الأول (531-579).
مسجد: 3.4
مسكوكيون (Muskogeans): 1.6
مسلم: 4، وفي مواضع متفرقة.
مسيا [مسيح، ماشيح] (Messie): 2.27
مشنا (Mishnah): 2.32
معاوية: 4.4؛ 6.4
معبد العلم الموريسكي [مورش ساينس تمبل] (Moorish Science Temple): 4.5.3
معتزلة: 8.4
معراج: 9.4
المغرب الأقصى: 5.4
مغول الهند [سلاطين] (Mughals): 5.4
مغول (Mongols): 1.20؛ 5.4

281- كذا في الأصل؛ ولعل الصواب: 73 نشيداً. (م)

مكابيون: 1.32

مكسيك: 1.7

ملك العالم: 2.9

ملكارت (Melqart): (فينيقية، «إله المدينة»)، رب مدينة صور الفينيقية. وقد قاوم إيليا عبادة هذا الإله (**سفر الملوك الأول**، صح.17) التي يحتمل أن إيزابل وآخاب جلباها إلى إسرائيل (**سفر الملوك الأول**، صح. 16).

مماليك (أتراك): 5.4

منتسر، توماس (Müntzer, Thomas): 13.4.27

منسيوس (Mencius): 4.25

منغ- تسو (Meng-tzu): 4.25. (منسيوس)، فيلسوف كونفوشيوسي (نحو 391-308 ق.ح.ع) ينسب إليه تأليف معنون باسمه، ويقع في سبعة أجزاء. ويؤكد منغ- تسو أهمية التربية الجوانية للكونفوشيوسي، الذي ينبغي له أن يردع أنانيته.

منكيانكا (Miniankas): 0.3

مهابهارتا (Mahābhārata): 5.30

مهابوروشا (Mahāpuruṣa): 2.13

مهاديفي (Mahādevi): 3.7.30

مهاسانغيكا (Mahāsaṅghika): 1.9؛ 4.9

مهافراتا (Mahāvrata): 2.13؛ 4.13

مهافيرا (Mahāvira): 2.13

مهاكاشيابا (Mahākāśyapa): 3.9

ماهايانا (Mahāyāna): 3.9-6؛ 9.9

المهدي: 6.4

موبد (mobād): 1.3.18

موبينوغي (Mobinogis): 2.23. إحدى عشرة حكاية ويلزية دُوِّنت خلال الفترة الممتدة من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر (ح.ع)؛ وتشتمل على فصول من الميثولوجيا الكلتية.

موت [إله] (Mot): 1.24؛ 3.24

موتشي (Moches): 1.1.5

موحدون: 5.4

مودرا (mudrā): 4.7.30. (سنسكريتية، «ختم»)، أوضاع خاصة للأيدي في الإيقونوغرافيا، وبعض الممارسات (التنترية) البوذية والهندوسية؛ وقد طوّرت، على الخصوص، في الرقص الهندي، الذي يعرف أكثر من خمسمئة مودرا.

مورافيون (إخوان) (Frères) (Moraves): تأسست جمعية الإخوان المورافيين (يدنوتا براترسكرا Jednota Bratrskrá) في عام (1437) في بلاد بوهيميا، واستلهمت المثل الدينية والقومية التي عمل من أجلها المصلح الديني يان هوس (Jan Hus)، الذي أُعدِم حرقاً في عام (1415). (وتفسر حركة هوس في أيامنا هذه بوصفها ثورة على السيطرة الألمانية على بوهيميا). وقد تعرض المورافيون للاضطهاد بعد فشل البروتستانتيين في عام (1620)، وعاشوا في السرية حتى عام (1722) حين وجد زعيمهم كريستيان دافيد (Christian David) ملاذاً عند الكونت التقوي الألماني نيكولاوس زيزندورف (Nicolas Zinzendorf) (1700-1760). وفي عام (1727)، اتحد المورافيون بالتقويين، وأصبحت الحركة ذات طابع كوني.

مورمونية (Mormonisme): تضم كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، والمنظمات الموازية لها، في أيامنا هذه، ستة ملايين عضو في العالم برمّته. ومؤسسها هو جوزيف سميث، جر. (Joseph Smith Jr.) (1805-

1844)، الذي كشف له الغطاء، خلال رؤيا حصلت له في عام (1820)، عن الطبيعة الجسمانية للإله ولابنه، ومن ثم عن ضلال جميع الطوائف المسيحية الكائنة في غرب ولاية نيويورك. وكتاب المورمونيين المقدس هو (**سفر مورمون**) *(Livre de Mormon)*؛ وكان مكتوباً على ألواح ذهبية قديمة، عثر عليها سميث بفضل عون الإله، ونقله بنفسه إلى اللغة الإنجليزية. ويحكي مؤلفه، وهو مورمون (Mormon) أبو موروني (Moroni)، عن أهالي أمريكا الشمالية المنحدرين من بني إسرائيل التائهين، وعن الحروب التي نشبت بين النافيين (Néphites) واللامانيين (Lamanites) (أسلاف الهنود الأمريكيين) أبناء لاهي (Léhi)، وعن كهنوت المسيح المبعوث فيهم. ومن مبادىء هذا الدين الجديد، الذي اقتضى قيام عصر بطاركة جديد، نلفي معمودية الموتى، الزواج الأبدي، مادية الروح، تعدد الزوجات، طبيعة الإله وطبيعة ابنه يسوع المسيح الذكورية والجسمانية، ارتقاء البشرية في [سلم] الألوهية، انتظار نهاية العالم الحالي... وفي الوقت الذي قتل فيه على يد حشد من الغوغاء، وهو نزيل السجن في إيلنوي (1844)، كان جوزيف سميث مرشحاً للانتخابات الرئاسية.

وكانت هجرة المورمونيين المضطهدين في عهد بريغهام يونغ (Brigham Young) (1801-1877). وأقاموا مملكة المختارين في وادي البحيرة المالحة الكبرى [غريت سالت ليك]. وقد تشكّل فرع إصلاحي وسلالي من المورمونية في عام (1850) في إنديبندنس (Independence)، في ولاية ميسوري؛ ويرى أصحابه أن الرئاسة عليهم لا تكون لغير جوزيف سميث الثالث وأولاده المباشرين، كما أنهم ينكرون تعدد الزوجات. وفي عام (1890)، تخلى مورمونيو يوتا (Utah)، بعد اشتداد هجومات الحكومة الفيدرالية عليهم، عن طموحاتهم السياسية وعن تعدّد الزوجات. أمّا مورمونيو اليوم، الذين يصفهم مارتن مارتي (Martin Marty) بأنهم **أمّة من البيهفرز** [المتصرفين] (*nation of behavers*)

(ولعل عبارة «شعب من المؤنبين» nation de morigénés أوفى بالمعنى من هذا اللعب اللغوي المعتاص على الترجمة)، فإنهم يشكلون مجتمعاً مختلفاً يتميّز بإخلاصه للكنيسة والعائلة، وبآدابه وأساليبه (التي يمكن معاينتها من خلال ألبستهم)، وبتحريم الكحول والتبغ والقهوة.

ومنصب الكهانة عندهم حكر على الذكور؛ فبعد بلوغ الأولاد اثنتي عشرة سنة، يمكنهم أن يلجوا سلكي كهنة هارون (Aaron) وملكي صادق (Mechisédeck)، اللذين جددهما جوزيف سميث، وأن يرتقوا في سلم الهيراركية [التراتبية] الكهنوتية. ومن جملة مشاريع الكنيسة، في الوقت الراهن، نذكر مشروع المعمودية بالوكالة لفائدة الأجيال الماضية. (انظر: ك. ج. هانسن، **المورمونية**، ضمن **موسوعة الأديان**، 108-13؛ ي. شيبس، **المورمونية** (*Mormonism*)، أوربانا/شيكاغو 1985؛ ومن وجهة نظر مورمونية: ل. ج. أرينغتون ود. بايتن، **التجربة المورمونية: تاريخ لقديسي الأيام الأخيرة**، نيويورك، 1979.[282]).

موزاي [ربات الفنون] (Muses): 4.3.33

موزو كوروني (Muso Koroni): 3.1.3

موزي (Mo-tzu): (نحو 470-390 ق.ح.ع) فيلسوف صيني، ورئيس المدرسة الموزية [الموهية]، التي اشتهر كتابها الكلاسيكي باسم **موزي**. ويمثل الحب الكوني حجر الزاوية في مذهب موزي، الذي كان داعية للسلام خلال الفترة التي يُطلق عليها، في تاريخ الصين، اسم «الممالك المتحاربة» (403-221 ق.ح.ع).

282- عناوين المراجع المذكورة باللغة الإنجليزية هي على التوالي:
K. J. Hansen, *Mormonism*, in ER 10, 108-13; J. Schipps, *Mormonism*, Urbana/Chicago 1985; L. J. Arrington et D. Bitton, *The Mormon Experience: A History of the Latter-day Saints*, New York 1979. (م)

موسبل (Múspell): 1.2.14

موسي [شعب] (Mossis): 3.13

موسى القرطبي [كوردوفيرو] (Moïse Cordovero): 6.32

موسى الليوني (Moïse de León): 7.32

موسى مندلسون (Moses Mendelssohn): 6.32

موسى: 1.32- 2. (موشي Mosheh بالعبرية)، هو في أسفار موسى، باستثناء سفر الخروج، محرّر الشعب اليهودي من رقّ العبودية في مصر، ووسيط بين الإله وبين اليهود. وقد أنزل الإله شريعته [الناموس] على موسى في طور سيناء (خر. 19- 20؛ تث 4- 5).

موكتيزوما الثاني (Moctezuma II): 2.7

موكشا (Mokşa): 3.4.30

موكوش (Mokosh): 2.19

موكيشا (Mokysha): 2.19

مولاسرفاستفادية (Mūlasarvāstivāda): 10.9

مولر، فريدريش ماكس (Müller, Fr. Max): 3.31

موما (Moma): 2.5

موميليانو، أرنالدو (Momigliani, Arnaldo): 3.17

موندوروكو (Mundurukús): 2.5

مونوفيزيون (Monophysites): 3.7.27

موني، جيمس (Mooney, James): 0.6

موهينجو دارو (Mohenjo Daro): 1.30

ميازما (Miasma): 4.33

مياليون (Myalistes): 1.5.3

مياو (Miau): 4.1.20
ميترا (Mitra): 2.30؛ 3.3.18
ميثرا (Mithra): 8.27؛ 2.2؛ 3.2.2؛ 3.3.18؛ 3.5.18
ميثوديوس (Méthode): 5.27
ميدب (Medhebh): 2.4.23
ميدهارد (Midhard): 1.3.14
ميدهغاردهر (Midhgardhr): 1.2.14
ميدويوين (Midewiwin): 4.6؛ 5.1.20
ميريدا (Mérida): 1.7
ميزوجيكيو (Misogikyo): 6.21
ميطرون (Metatron): 1.5.32
ميكستك (Mixtèques): 0.7
مي-لا-راس-با (Mi-la-ras-pa): 10.9. (أو ميلاريبا Milarepa، 1040-1123)، ناسك بوذي تبتي كبير، تلميذ ماربا (Mar-pa) الترجمان، وأحد الشيوخ الذين تجلّهم مدرسة الكاغيوبا (Bka- brgyud- pa). وتمثل سيرته، التي كتبها تسانغ نيون هيروكا (Tsang Nyon Heruka) في القرن الخامس عشر، أحد أعظم نصوص البوذية التبتية.
ميلان، ميشال (Meslin, Michel): 9.27
ميلانكتون، فيليب (Melanchthon, Philippe): 13.4.27
ميامسا (Mîmāmsâ): 2.4.30
ميمير (Mimir): 3-2.14
مينرفا (Minerve): إلهة رومانية للفنون والحرف. وقد ضمّت إلى البانثيون الروماني في القرن السادس ق.ح.ع؛ وهي تستلهم أثينا.

مينكان شنتو [شنتوية شعبية] (Minkan Shinto): 5.21؛ 7.25

مينلاوس (Ménélas): 7.3.33

مينوس (Minos): 1.33

مينوناتيون (Mennonites): 13.4.27

حرف النون

نا خي (Na Khi): 4.1.20

نابو (Nabu): إله بابلي وآشوري من الألفية الأولى (ق.ح.ع)؛ كاتب ثم ابن للإله مردوخ (↔). وكان معبده الرئيس يوجد في بورسيبا [بيرس نمرود] (Borsippa). وقد تنامت أهميته خلال فترة الإمبراطورية الآشورية.

ناثان الغزاوي (Nathan de Gaza): 8.32

نارام سين (Naram Sin): 3.16

ناروبا (Naropa): 10.9

نازكا (Nazcas): 1.1.5

الناسي (Nasi): 6.32

ناغا (Naga): 4.1.20

ناغارجونا (Nāgārjuna): 5.9. (نحو 150-250)، أحد كبار مفكري مدرسة المادهيامكا (Mādhyāmika) في البوذية الماهايانية؛ وقد اشتهر بتعاليمه حول «فراغ» (شونياتا *śūnyatā*) الوجود.

نافاجو (Navajos): 1.6

ناكاياما ميكي (Nakayama Miki): 6.21

ناكوتا (Nakotas): 1.6

نالندا (Nālandā): 3.9

نامروبا (Nāmarūpa): 3.9

نانا [إله] (Nanna): 2.16. إله القمر السومري. ومعادله الأكدي هو سين (Sin).

ناناي (Nanays): 1.1.20

نانك [بابا] (Nānak): 1.8.30. (1469-1539)، مؤسس ديانة السيخ، والأول في سلسلة الغوروات (gurus) السيخ العشرة.

ناهواتل (Nahuatl): 2.7-3

نايبرغ هنريك ص. (H. S. Nyberg): 3.4.18

نايناريون (Nāyanmārs): 2.7.30

نبوءات سيبيلية (Oracles Sybillins): 5.32. تشتمل مجموعة النبوءات، التي تحمل هذا الاسم، على نصوص ذات أصول يهودية ومسيحية؛ وقد تعرض معظمها للتغيير والتحوير على يد المسيحيين. وكان الجزء الأكبر منها موجوداً قبل عام (300 ق.ح.ع). وقد ألفت النبوءات ذات الأصل اليهودي بعد عام (70 ح.ع). وأمّا المؤلفات السيبيلية القديمة، التي كانت في حوزة الدولة الرومانية، فقد أُتلفت في أوائل القرن الخامس (ح.ع).

نبوءات كلدانية (Oracles Chaldéens): 4.1.29

نبوخذ نصر (بختنصر): 1.32

نبي: 3.4

نبيئيم (Nebi'im): 2.32؛ 4.32

نجع حمادي (Nag Hammadi): 3.12. بلدة في صعيد مصر تقع على مقربة من دير شينوفسكيون [قصر الصياد] الباخومي القديم؛ وفيها عثر، في شهر سبتمبر [أيلول] من عام (1945)، على ثلاثة عشر مجلداً باللغة القبطية تعود إلى القرن الرابع، وتحتوي على العديد من النصوص الغنوصية الأصلية.

نحمان [موسى بن] (Nahmanides): 7.32

ندومو (N'domo): 3.1.3

نديمبو (Ndembus): 1.3.3

نرفانا (Nirvāṇa): 9.3-5. كلمة سنسكريتية لا يُعرف لها أصل محدّد على وجه اليقين؛ وتدلُّ في البوذية على حال الصاحي التي لا تقبل الوصف، وتتنافى مع السمسارا (saṃsāra)، أو دورة التناسخ. وبهذا المعنى، فالنرفانا هي بمقام نهاية لكل ما له صلة بعالم الظواهر، ويتعذّر وصفها على نحو إيجابي.

نزاريون: 9.4.27؛ 3.6.4

نساطرة: 2.7.27-3

نسطوريوس (Nestorius): 6.27؛ 3.7.27

نصيرية: 2.6.4

نغاناساني (Nganasani): 1.1.20

نغوني (Ngunis): 4.3

نقشبندية: 2.10.4

نكور [شعب] (Nkores): 2.3

نمبوتسو (Nembutsu): 9.9

ننخرساك (Ninhursag): إلهة رافدينية عظمى قديمة؛ وهي طرف في ثلاثي الآلهة الأسمى إلى جانب آن (An) وإنليل (Enlil). وسيحلّ محلّها الإله الذكر إنكي (Enki) في وقت لاحق.

نو روز (Nô Rūz): 6.18

نوا (Noa): 3.8

نواحو (Nuadhu): 4.23

نوبل درو علي [تيموتي درو] (Noble Drew Ali): 4.5.3

نوت (Nut): 2.28

نوتر-دام [سيدتنا] (Notre-Dame): 9.4.27

نوتكا (Nootkas): 1.6

نوح: هو في سفر التكوين من الكتاب المقدس ابن لامك، وأبو سام وحام ويافث؛ وقد اصطفاه الإله لينجو مع أسرته من الطوفان الكوني، ويحمل معه في فلكه جميع أنواع الحيوانات التي تعيش على الأرض.

نوروز (Nawrūz): 6.18. (Nô Rūz)، عيد رأس السنة الإيراني؛ ويستغرق الاحتفال به مدة اثني عشر يوماً عند حلول الاعتدال الربيعي. وكانت **الفرافاشي** [الأرواح] *(fravashis)* تحضر بدايات الاحتفال. وقد استمرّ الاحتفال بهذا العيد خلال العهد الإسلامي.

نوير (Nuers): 0.3؛ 2.3

نيام (Nyame): 2.1.3

نياندرتال (Neandérthal): 2.26

نيايا (Nyāya): 2.4.30

نيتا كونيتيرو (Nitta Kuniteru): 6.21

ني-تان (Nei-tan): 4.22

نيجيريا: 1.1.3

نيدهوغر (Nidhhoggr): 3.3.14

نيرغال (Nergal): 2.16. إله رافديني للعالم السفلي [الجحيم]. وهو زحل كوكب النحس في التنجيم البابلي.

نيشيرن (Nichiren): 9.9

نيفتيس (Nephthys): 2.28

نيقولا الأوريمي (Nicole d'Oresme): 10.4.27

نيقولا الكويزي (Nicolas de Cuse): 10.4.27

نيليون [شعوب النيل] (Nilotes): 0.3

نيمان (Niman): 8.6

نينورتا (Ninurta): (سومرية، «رب الأرض»)؛ إله الرعد والحرب الرافديني، وهو ابن الإله الكوني إنليل المعبود في نيبور [نفر] ولغش.

نيهونغي [سجل تاريخ اليابان] (Nihongi): 2.21

نيوردهر (Njordhr): 3.2.14

نيورو (Nyoros): 2.3

حرف الهاء

هاثايوغا (Haṭhayoga): نظام تمارين بدنية يوغية، يتمثل، أساساً، في بعض الأوضاع (آسانات [آسانا] *āsanas*) والتقنيات التنفسية (براناياما *prāṇāyāma*) الهادفة إلى إيقاظ الطاقات الكامنة في البدن.

هاديس (Hadès): 3.33؛ 1.1.29

هار مندار (Har Mandar): 2.8.30

هارابا (Harappa): 1.30

هارون (Aaron): أخو موسى، والمتحدث باسمه، وأول [رؤساء] كهنة بني إسرائيل (الخروج، العدد). أذعن لرغبة الشعب، فصنع له عجلاً من ذهب ليعبده (خر. 32).

هاسكينز، تشارلز هومر (Haskins, Charles Homer): 9.4.27

هاشميون [بنو هاشم]: 2.4

هاغادا (Haggadah): 2.32

هاكو (Hako): 5.6

هالاخا (Halakhah): 2.32. (عبرية، «شرع»)، تقليد شرعي يهودي مؤسس على تفسير المصادر المكتوبة والشفهية، علاوةً على الأعراف. ويتشكّل متن الهالاخا الضخم من التلمود والتوسفتا وجزء من المدراشيم، ومن العديد من المصنفات النظرية والعملية المنتمية إلى عصور مختلفة.

هان يو (Han Yu): 4.25

هانغوي (Hungwes): 4.3

هانومان (Hanumān): إله هندوسي في صورة قرد؛ ويحتل مكانة مهمة في ملحمة رامايانا.

هاوما (Haoma): 1.18-2؛ 3.3.18. (أفستية؛ سوما *soma* بالسنسكريتية)، نبتة غير معروفة، شُخّصت في إله؛ وقد أدت عصارة هذه النبتة دوراً مهماً للغاية في الطقوس الهند- إيرانية القديمة.

هاياشي رازان (Hayashi Razan): 5.25

هايتي (Haïti): 1.5.3

هايدا (Haidas): 1.6؛ 6.6

هايسلا (Haisla): 6.6

هايسمكرينغلا (Heimskringla): 1.1.14

هايله سيلاسي (Hailé Sélassié): 1.5.3

هاينويل (Hainuwele): 1.2

هجرة: 2.4

هدوئية [طريقة] (hésychasme): 9.27

هربد (Hêrbad): 1.4.18

هرمس (Hermès): 5.1.29

هرمسية: 6.1.29
هريفامشا (Harivaṃśa): 5.30
هزيود (Hésiode): 4.3.33؛ 4.33
هلاش وينيك (Halach Uinic): 1.1.7
هلال خصيب: 0.7
هليل (Hillel): 6.32. حاخام من أورشليم، ومفسّر للشريعة في نهاية القرن الأول (ح.ع). وقد واصلت مدرسته (بيت هليل)، التي عارضت مدرسة نظيره شاماي (Shammaï)، نشر تعاليمه المؤسسة على محبة القريب[283]، وعلى التسامح.
همونغ (Hmong): 4.1.20
هنتون، تشارلز هوارد (Hinton, Charles Howard): 5.9
هنود السهول: 5.6
هواسكار (Huascar): 2.1.5
هواكا (Huacas): 3.1.5
هوانغ تي (Huang) (Ti): 2.22
هواينا كاباك (Huayna Capac): 2.1.5
هوبا (Hupas): 6.6
هوباشيا (Hupashiya): 2.15
هوبي (Hopis): 1.6؛ 8.6
هوتنتو (Hottentos): 0.3

283- ترجمة: (amour du prochain). وعن مفهوم «القريب» في الأدبيات الحاخامية المنتسبة إلى هذه الفترة، وفي الفكر الديني اليهودي بصفة عامة، انظر:
Kurt Hruby, «L'amour du prochain dans la pensée juive », *Nouvelle Revue Théologique*, 91 (5), 1969, p. 493-516.

هودهر (Hodhr): 2.3.14

هورون (Hurons): 4.6

هوشع (Osée): 2.32؛ 4.32

هولاس، بوهوميل (Holas, B.): 0.3

هوميروس (Homère): 4.3.33

هونر (Hoenir): 1.2.14؛ 3.2.14

هونميشي (Honmichi): 6.21

هونن (Honen): 9.9

هويتزيلوبوشتلي (Huitzilopochtli): 1.2.7. إله الشمس عند الأزتك؛ وهو ربّ تينوشتيتلان (Tenochtitlán)، الذي كانت تقدّم له القرابين البشرية.

هويوان (Hui-yüan): 8.9

هيبوليتوس الرومي (Hippolyte de Rome): 2.4.27

هيخالوت (Hekhaloth): 2.32

هيد شرينكين [تقليص حجم الرأس] (Head shrinking): 2.5

هيداتسا (Hidatsa): 1.6

هيرا (Héra): 4.3.33

هيراقليدس البنطي (Héraclide du Pont): 1.1.29

هيراياما شوساي (Hirayama Shosai): 6.21

هيرموتيموس الكلازوميني (Hermotime de Clazomène): 2.3.33

هيرودوت (Hérodote): 1.3.11

هيقات (Hécate): إلهة يونانية للخصوبة، ولمفترقات الطرق والموتى؛ وتقترن بالقمر والليل وبأرواح الموتى وبالسحر.

هيكل أورشليم: 1.32

هيل (Hel): 2.2.14؛ 2.3.14
هيلدغارد البنغانية (Hildegard de Bingen): 9.27
هيليني (Hélène): 7.3.33
هينايانا (Hīnayāna): 3.9- 4
هين-نوي-تي-بو (Hine-nui-te-po): 3.8

حرف الواو

واريكيانا (Warikyana): 2.5
والكر، كارولاين باينوم (Walker, Carolyne Bynum): 9.27
والي، آرثر (Waley, Arthur): 1.22
وانزو (Wanzo): 13.3
وانغ يانغ منغ (Wang Yang-ming): 4.25
واويلاك (Wawilak): 1
ودان (Wôdhan): 4.2.14
وريث الدين محمد [والاس دين]: 4.5.3
ولدنيسيون (Vaudois): 13.4.27
ولي [الله]: 2.10.4
وندد ني [الركبة الجريحة] (Wounded Knee): 0.6
ويتوتو (Witotós): 2.5
ويكليف، جين (Wycliff, Jean): 13.4.27
ويلش، هولمز (Welch, Holmes): 1.22
وينتي (Winti): 3.5.3
ويندي، دونيغر (Wendy, Doniger): 5.30

حرف الياء

ياترومانت (Iatromantes): 2.3.33
ياجنا (Yajña): 2.30
ياروفيت (Iarovit): 2.19
يازاتات [يازاتا] (Yazatas): 3.3.18
ياسنا (Yasna): 1.3.18
ياشت (Yasht): 1.3.18
ياغي (Yagé): 6.1.20
ياقوتيون (Yakoutes): 1.1.20
ياما (Yama): أول الموتى بحسب نصوص الفيدا؛ وقد تحول إلى إله الموتى، ثم إلى إله للموت والجحيم.
ياما نا (Yamana): 4.5
يامبليخوس (Jambilique): 7.3.33؛ 4.1.29
يان هوس (Hus, Jean): 13.4.27
يانترا (Yantra): 4.7.30. شكل هندي منذور للتأمل في الديانتين الهندوسية والبوذية.
يانغ (Yang): 4.22
يانوس (Janus): 1.2.17
ياهغان (Yahgans): 4.5
يجورفيدا (Yajuveda): 2.30
يزيد [بن معاوية]: 6.4
يسوع المسيح: 2.27؛ 7.27
يشوع [يوشع] (Josué): 2.32
يشوع بن حنانيا (Josué b. Hananiah): 6.32

يعقوب فرانك (Jacob Frank): 6.32

يعقوب كوهين (Jacob Cohen): 7.32

يعقوب (Jacob): بطريرك يهودي؛ وهو ابن إسحاق ورفقة [ريبيكا]، وأبو يوسف (تك.، 25–50). وقد ورث من أبيه، عن طريق الخداع، البركة التي كانت مخصّصة لأخيه البكر عيسو[284]. ويعقوب هو جد اليهود؛ وهو الذي صارع ملاك الإله، ومن هذه المصارعة استمد اسمه الجديد إسرائيل (Israël) (الذي صارع الإله: تك. 32، 27).

يفنة [يبنه] (Yavneh): 6.4

يلونايف (Yellowknifes): 1.6

يم (Yamm): 1.24؛ 3.24

يموجا (Yemoja): 1.1.3

ينزن، أدولف إ.(.Jensen, Ad. E): 1.7؛ 2.5؛ 0.2

يهودا اللاوي (Judah Halévi): 6.32

يهودا الناسي (Judas ha-Nasi): 6.32

يهودا بن صموئيل (Judas b. Samuel): 7.32

يهوه (شهود): فرقة مسيحية تبشيرية تضم في صفوفها أكثر من مليوني متنسب في شتى بقاع العالم؛ وقد تأسست في عام (1872) في بنسلفانيا على يد تشارلز تاز رسل (Charles Taze Russell). وينتظر شهود يهوه العودة الوشيكة للمسيح، بوصفه قاضي اليوم الآخر [الديان]، الذي سيضع حداً لسلطان الشيطان المهيمن، ويدشّن عهد الفردوس الأبدي الذي ينعم فيه الأبرار.

284- وإلى جانب خدعة إسحاق وسرقته إرث «البركة»، يذكر التكوين أن عيسو باع «بكوريته» لأخيه إسحاق لقاء وجبة من العدس! (م)

يهوه (JHVH): 2.32

يو ليانغ (Wu Liang): 8.9

يو، أنتوني س. (Yu, Anthony C.): 8.9

يوئيل (Joël): 2.32

يواقيم الفلوري (Joachim de Flore): 9.4.27

يوبيتر العتابي (Jupiter Dolichenus): 7.2.2

يوبيتر (Jupiter): 2.17؛ 1.2.17؛ 3.17. (من الهند-أوربية **ديوس* باتر** *Dyeus* pater*، التي تعني أب النور السماوي)، إله الرومان الأسمى، وملك العالم [الكون] السماوي. وفي الأزمنة الغابرة، كان يوبيتر يشكل ثالوثاً مع مارس وكويرينوس.

يوحنا (إنجيل): 1.27

يوحنا الثالث والعشرون (Jean XXIII): 6.27

يوحنا الدمشقي: 8.4

يوحنا الريسبروكي (Ruusbroec, Jan v.): 9.27

يوحنا الصليبي (Jean de la Croix): 9.27. متصوف كرملي إسباني اشتهر بقصائده التي يصف فيها مراحل تجربة الاتحاد بالإله. وتكتسي مرحلة الحرمان من الإله (الليل المظلم *noche oscura*) أهمية خاصة.

يوحنا اللوجياني [دي لوجيو] (Jean de Lugio): 9.4.27

يوحنا المعمدان: 2.27

يوحنا، كاسيانوس (Cassien, Jean): راهب بيزنطي من بلاد سكوثيا [إصقوثيا] الصغرى (دبروجة، رومانيا)؛ هاجر إلى فلسطين ثم مصر، قبل أن يحط الرحال في مارسيليا (415)، التي أسّس فيها أول ديرين غربيين للرهبان من كلا الجنسين. وتشتمل مصنّفاته باللغة اللاتينية على أول مدوّنة قواعد ديرية في بلاد

الغرب (**المؤسسات الشركوية**، 420 *Institutions des cénobites*)؛ وهي سابقة بمئة عام على مدوّنة بندكت النيرسي (480-547) (↔ 8.4.27) التي وضعها لرهبان دير مونتي كاسينو (نحو 525).

يوحنان بن زكاي (Yohannan b. Zakkai): 6.32. (نحو 1-80 ح.ع)، أبرز زعماء الدين اليهود بعد سقوط الهيكل في عام (70).

يوردانس (Jordanès): 2.4.11؛ 3.4.11

يوروبا (Yoroubas): 0.3؛ 1.1.3؛ 1.5.3

يوروباري (Yurupari): بطل ثقافي أمازوني؛ وهو رب المُسارَّات الذكورية.

يوروغو (Yurugu): 3.1.3

يوروك (Yurok): 6.6

يوستينوس الشهيد (Justin Martyr): 1.4.27

يوسف كارو (Joseph Caro): 6.32

يوسف: 2.27 [285]. ابن يعقوب وراحيل. غدر به إخوته، وحظي بمنزلة رفيعة لدى ملك مصر (تك. 37-50).

يوسيفوس، فلافيوس (Josèphe, Falvius): 3.4.11

يوشيمورا ماساموشي (Yoshimura Masamochi): 6.21

يوغا (Yoga): 4.30

يوغاكارا (Yogācāra) : 5.9. مدرسة بوذية ماهايانية أسسها أسنغا (Asaṅga) (↔).

يوكاتان (Yucatán): 1.7

يوكاتك [شعب]: 1.7

285- الفقرة (2.27)، التي أحال إليها المؤلف تذكر «يوسف النجار»، ولا تذكر يوسف بن يعقوب. (م)

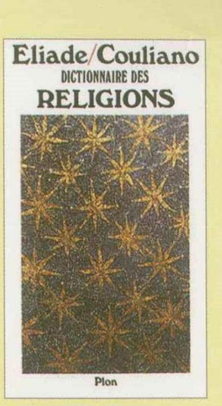
يوكاتية [لغة] (Yucatèc): 1.7
يوكاغير (Youkagirs): 1.1.20
يوليانا النرغيقية (Julienne de Norwich): 9.27
يوليانوس الثيورجي (Julien le Théurge): 4.1.29
يوليانوس الجاحد (Julien l'Apostat): 4.17
يوليانوس الكلداني (Julien le Chaldéen): 4.1.29
يوليوس قيصر (César, Jules): 3-1.23؛ 3-2.17
يوم كيبور [عيد الغفران] (Yom Kippour): 3.32

يونس [يونان] (Jonas): 2.32[286]. نبي يطلق اسمه على السفر المعروف من الكتاب المقدّس (نحو القرن الرابع ق.ح.ع)؛ ويحكي السفر عن مغامرات يونس الخارقة. فلا أحد يستطيع الهروب من المشيئة الالهية، ولم يُستثنَ يونس من هذه القاعدة حين أراد التملص من مهمته النبوية في نينوى. وقد ابتلعه الحوت، ثم لفظه. وانتهى الأمر بتوبة أهل نينوى.

يوني (Yoni):عضو المرأة الجنسي، ورمز إيقونوغرافي للعضو في الديانات الهندية التي يؤدي فيها عدة وظائف.

ين (Yin): 4.22

286- أحال المؤلف، كما نرى، إلى الفقرة (2.32)، لكن هذه الفقرة لا تشتمل على أية إشارة إلى يونس، أو يونان؛ ولعله يريد أن السفر الذي يحمل هذا الاسم معدود في «الاثني عشر»، التي ذكر في الفقرة. (م)



معجم الأديان

بينما كان ميرسيا إلياد يتهيّأ لوضع اللمسات الأخيرة على كتابه الضخم (تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية)، عَنَّ له أن يضمّ في مجلّدٍ واحدٍ خلاصةَ كلّ مسيرته العلمية الطويلة التي نذرها لتاريخ الأديان المقارن. لكنّ انشغالاته العلمية والتزاماته العديدة لم تسعفه في إتمام هذا العمل بمفرده، فعهد إلى تلميذه يوان بيتر كوليانو، أستاذ تاريخ الأديان في جامعة شيكاغو، أن ينهض بالمهمّة. وكذلك الأمر كان. ويمثّل (معجم الأديان)، الذي نضعه بين يدي القارئ العربي، ثمرة هذا العمل الفريد في بابه على أكثر من صعيد.

يشتمل الكتاب على قسمين: قسم أول يضمّ ثلاثة وثلاثين مادة، مرتّبة على حروف الأبجدية، عن أديان أو مجموعات أديان الأمم والشعوب، وإفادات جليلة شتّى عن مؤسّسي الأديان والأنبياء والكتب المقدسة والعقائد والطقوس والأعياد ومختلف المذاهب والفرق والتيارات التي وسمت تاريخ البشريّة الديني والروحي، علاوة على قائمة بيبليوغرافية متعددة اللغات بأهم المصادر والمراجع التي يمكن أن تفيد القارئ النَّهِم والراغب في التعمّق والاستزادة؛ وقسم ثانٍ هو عبارة عن كشاف أبجدي مزوّد بشروح تكميلية تزيد المعجم جودة وبهاء.

ولا شك في أن ترجمة (معجم الأديان) ستمثل إضافة نوعيّة إلى المكتبة العربية، ليس لأن الكتاب ينطوي على خلاصة أبحاث عميد مؤرخي الأديان في عصرنا هذا فحسب؛ بل لأن المكتبة العربية تشكو بالفعل من ندرة -إن لم نقل غياب- المعاجم التي من هذا النوع أيضاً؛ وهل يستساغ ذلك في ظل الظروف المزرية التي تعيشها الأمة العربية؛ حيث يكتوي الجميع بنيران التطرّف الذي لا تخفى علاقته بالجهل وبوهم امتلاك الحقيقة؟

ميرسيا إلياد:

ولد عام (1907) في بوخارست (رومانيا). تولى تدريس الفلسفة في جامعة بوخارست (1933-1940)، ثم تولى التدريس في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا في باريس. وبعد أن خاض تجربة التدريس في السوربون وفي غيرها من الجامعات الأوربية، تقلد منصب أستاذ كرسي تاريخ الأديان في جامعة شيكاغو (1957) إلى غاية (1986) تاريخ وفاته.

يوان بيتر كوليانو:

ولد عام (1950) في ياش (رومانيا). درس في جامعة بوخارست، ثم في جامعة القلب المقدس في ميلانو (إيطاليا). عام (1975)، بدأ يشتغل مع ميرسيا إلياد في إطار دراسات ما بعد الدكتوراه التي تابعها في جامعة شيكاغو، ثم تولى التدريس في جامعة خرونينغن (هولندا)، قبل أن يعود إلى شيكاغو ليعين أستاذاً مشاركاً في جامعتها إلى غاية (1991) تاريخ وفاته الغامضة.

خليد كدري:

كاتب وباحث أكاديمي. وُلد عام (1966) في خريكة (المغرب). درس الفلسفة في جامعة محمد الخامس. تخرج في كلية علوم التربية عام (1991)، وحصل بعدها على شهادة التبريز ثم الدكتوراه في الفلسفة. يزاول حالياً تدريس المنطق والإبستمولوجيا والفلسفة التحليلية في جامعة شعيب الدكالي.




ISBN 978-9953-64-007-5
9 789953 640075